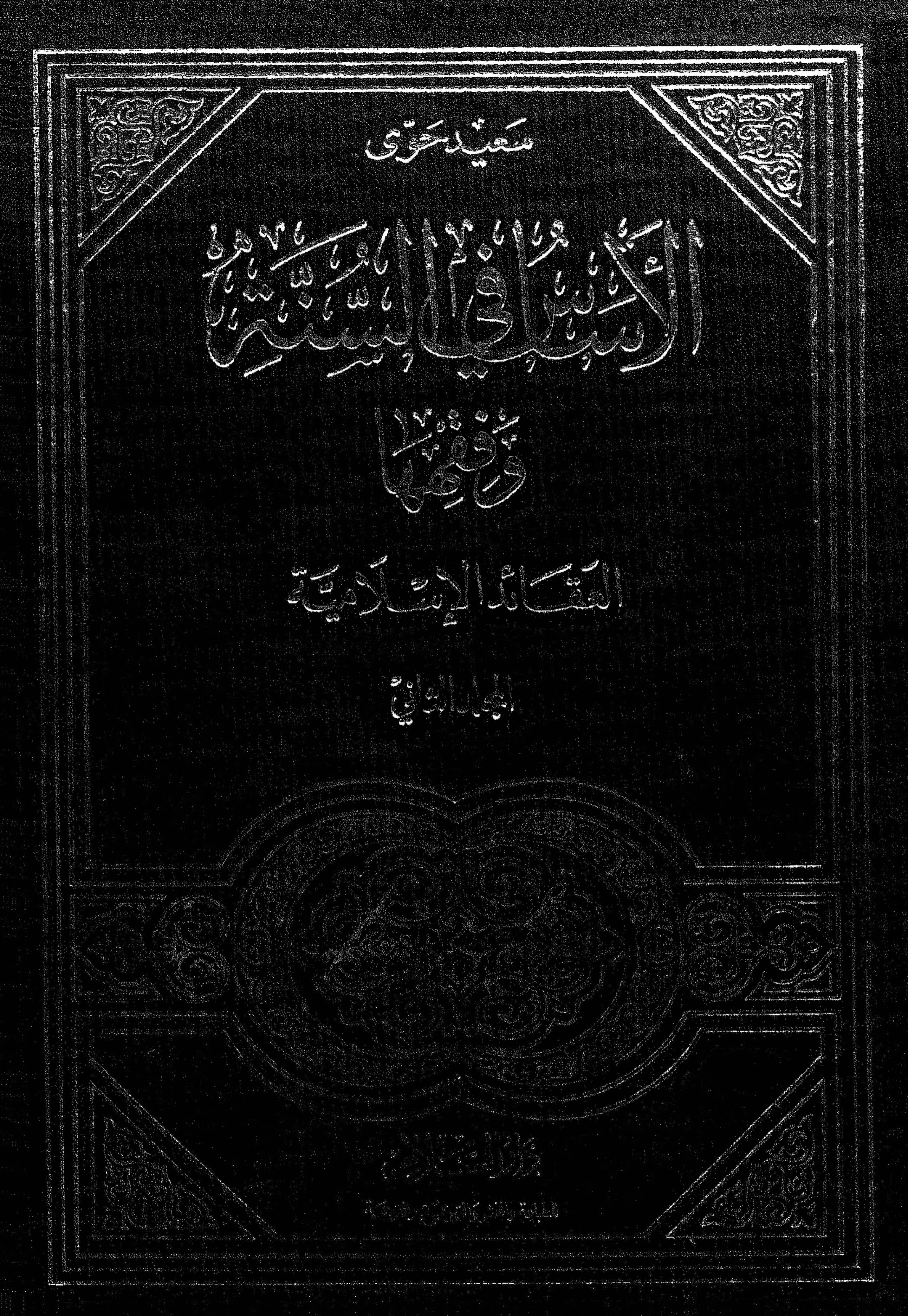

سعيد حوى
الأساس في السنة
وفقهها
العقائد الإسلامية
المجلد الثاني
دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

دار السلام

١٢٠ شارع الأزهر فاكس ٢٦٢١٧٥٠
ت : ٩٣٢٨٢٠ - ٢٦٣١٥٧٨

Dar Al Salam
PRINTING PUBLICATION
& DISTRIBUTION
120 azhar.st fax 2621750
tel 932820 - 2631578



الأساس في السنة وفقهها

العقائد الإسلامية

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
لصاحبها
عبد القادر محمود البكار
120 شارع الأزهر - ص.ب 161 الغورية
ت: 932820-2704280-2741578 فاكس: 2741750

الطبعة الثالثة 1417هـ - 1996م

سعيد حوّى

الأساس في السنّة

وفقهها

المجلد الثاني

القسم الثاني

العقائد الإسلامية

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه

ربنا تقبل منا، إنك أنت السميع العليم

راجع هذا القسم ودققه

فضيلة أخينا الشيخ

عبد الحميد الأحدب

حفظه الله

الباب الثاني

في:

الإيمان بالغيب

وفيه:

مقدمة وفصول



المقدمة

جعل اللهُ الإيمانَ بالغيب أولَ صفات المتقين ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يُؤمنُون بالغيب ﴾ [1] ، وأول ما يدخل في الإيمان بالغيب أركان الإيمان الستة التي وردت في حديث جبريل عليه السلام : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر » [2] .

ولكن الإيمان بالغيب أوسع من ذلك ، فالغيب يطلق ويراد به ما يقابل الشهادة ، أي ما يقابل المحسوس فيدخل في ذلك : الملائكة والجن والجنة والنار ، وغير ذلك مما هو مغيب عنا وجاءت النصوص تحدثنا عنه ، والغيب يطلق أحيانًا ويراد به ما غاب عنا من أخبار الماضين وأخبرنا الوحي عنه ودليل ذلك قوله تعالى :﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا ﴾ [3] ، فقد جاءت هذه الآية في سياق قصة نوح عليه السلام ، وتطلق كلمة الغيب ويراد بها المستقبل ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۞ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ﴾ [4] ، فهنا يدخل في كلمة الغيب ما غاب عن العباد من الحاضر والمستقبل وأخبر عنه الله عز وجل رسله عليهم الصلاة والسلام ، قال تعالى عن سليمان عليه السلام : ﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ [5] ، وعلى هذا فالإيمان بالغيب يدخل فيه ما أخبرنا عنه الوحي من أمور ماضية ومستقبلية ، ويدخل فيه ما أخبرنا عنه الوحي من أمور موجودة الآن وهي مغيبة عنا ، والإيمان بالغيب هو الفارق الأول والرئيسي بين أهل الإيمان وأهل الكفر ، وهذا هو المقتضى الأول للشهادتين ، بل إن الشهادتين هما رمز الاعتراف بالغيب ، ولذلك كانت الشهادتان والإيمان بالغيب إجمالاً أوّلَ ما يطالب به المسلم ، على أنه إذا نظر في هذا المطلوب الأول فإن أول ما يدخل في الطلب هو معرفة الله ، وما تتطلبه ، لأن كل ما يأتي

---

(١) البقرة : ٢ ، ٣ .

(٢) البخاري (١ / ١١٤) ٢ ـ كتاب الإيمان ٣٧ ـ باب سؤال النبي ﷺ ... إلخ عن أبي هريرة بلفظ مغاير . ومسلم في أول صحيحه ، من حديث عمر بلفظه .

(٣) هود : ٤٩ .

(٤) الجن : ٢٦ ، ٢٧ .

(٥) سبأ : ١٤ .

بعد ذلك من إيمان بغيب إلى غيره مبني على معرفة الله .

* * *

إن الإيمان بالغيب هو ركن التقوى ، وأركان هذا الركن أركان الإيمان الستة التي وردت في حديث جبريل الصحيح ، وقد نصت على خمسة منها أكثر من آية ، من ذلك ﴿ ليس البر ... ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾ (١) ، ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ (٢) ، ﴿ يا أيها الذين آمَنُوا آمِنُوا بالله ورسوله والكتاب الذي نَزَّلَ على رسوله والكتاب الذي أَنْزَلَ من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدًا ﴾ (٣) ، وإنما لم يُذْكَر الإيمان بالقدر معها لأنه فرع الإيمان بالله عز وجل كما سنرى ، لكنه ذكر في القرآن في أكثر من مكان وفي نصوص السنة متواترًا .

والفصول التي سنذكرها هٰهنا تشمل أركان الإيمان الستة وتشمل بعض ما غاب عن العباد ، وتشمل بعض ما أخبرنا الله عز وجل عنه من أمور سابقة أو لاحقة أو بعض ما أخبرنا عنه رسول الله ﷺ من أمور سابقة أو لاحقة ، كما سنذكر فصلاً عن القصص التي قصها علينا رسول الله ﷺ لأنها من الغيب ، والإيمان بها جزء من الإيمان بالغيب .

ولقد فصَّل القرآنُ في أمر الغيب تفصيلاً كثيرًا ، ولذلك فإن قارئ القرآن يجد أمر الغيب واضحًا ، فالحديث عن الله والرسل واليوم الآخر والقدر والجن والموت والخلق كل ذلك نجده مفصلاً في القرآن الكريم ، ومن ثم فإن عرضنا لأبحاث الغيب هٰهنا سيكون مختصرًا ؛ لأن غايتّنا في هذا الكتاب عرضُ السُّنة مع ملاحظة أن روايات السنة المتعلقة بهذه الأمور تأتي في سياقات أبحاث أخرى كالذكر والدعاء ؛ ولذلك فسنذكر في كل فصل من فصول هذا الباب الروايات التي هي ألصق بموضوعه تاركين كثيرًا من الروايات لمحلها في سياقاتها .

ويشمل هذا الباب الفصول التالية :

---

(١) البقرة : ١٧٧ .
(٢) البقرة : ٢٨٥ .
(٣) النساء : ١٣٦ .

فصول الباب الثاني



الفصل الأول

في:

بَدْءِ الخلق

وفيه:

مقدمة ونصوص وتلخيص



المقدمة

في بَدْء الخلق جانب غيبي سواء في ذلك أصل نشأة الكون ، أو نشأة الحياة على الأرض ، أو نشأة الإنسان عليها ، أو نشأة بعض المخلوقات الأخرى ؛ لأن ذلك لم يشهده الإنسان ، ولأن الله عز وجل أخبرنا عن بعض ذلك أو حدثنا عنه رسول الله ﷺ ، وهو شيء لم نشهده فدخل في حيز الكلام عن الغيب ، هذا مع ملاحظة أن الفكر المجرد يستطيع الوصولَ إلى أن هذا الكونَ مخلوقٌ وأن الحياةَ مخلوقةٌ .

* * *

ولعل أهم جانب من جوانب الصراع الفكري بين الملحدين والمؤمنين هو إثبات الخلق ، فأزلية الكون وإمكانية نشأة الحياة مصادفة هما المرتكزان الرئيسيان للفكر الإلحادي ، مع أنه حتى في حالة أن المسالة كذلك - وذلك مستحيل عقلي - فإن الأدلة على وجود الله لا تنحصر في هذا وهذا .

* * *

وقد لفت القرآن نظر العقل البشري كثيرًا إلى بَدْء الخلق وأصل النشأة للوصول إلى الإيمان لاستقرار العلاقة بينهما في الفطرة :

﴿ أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ﴾ (١) .

﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾ (٢) .

﴿ أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ﴾ (٣) .

﴿ خلق الإنسان ﴾ (٤) .

﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار * وخلق الجان من مارج من نار ﴾ (٥) .

---

(١) العنكبوت : ١٩ .

(٢) العنكبوت : ٢٠ .

(٣) الأعراف : ١٨٥ .

(٤) الرحمن : ٣ .

(٥) الرحمن : ١٤ ، ١٥ .

﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقًا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ (١) .

﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ﴾ (٢) .

ولوجود ناس يمارون بالبدهيات ويناقشون بالمحسوسات فضلاً عن المغيبات ، وللنزعة الإلحادية في إنكار خلق الله المخلوقات ، وهو شيء أخذ أكثر أبعاده في النظرية الماركسية ، ولغير ذلك من الحكم ، قال الله عز وجل وهو أعلم بما كان ويكون :

﴿ ما أشهدتُّهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدًا ﴾ (٣) .

﴿ أم خُلقوا من غير شيء أم هم الخالقون * أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ﴾(٤).

* * *

إن من أهم قوانين العقل السببية ، ومن أهم قوانين المادة عدم انفصالها عن الحركة والطاقة والتغير ، والملحدون ينقضون هذا وهذا وهم يزعمون أنهم عقلانيون ، وقد فصّلنا في هذه الأبحاث في كتابنا « الله جلّ جلاله » .

والنصوص قطعية في أن كل ما سوى الله عز وجل مخلوق ، فليس أزليًا إلا الله عز وجل ، فهو الأول . وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري (٥) : « كان اللهُ ولم يكن قبله شيءٌ » ، وفي حديث آخر (٦) : « أنت الأول فليس قبلك شيءٌ » ، ويكفي قوله تعالى : ﴿ هو الأول ﴾ (٧) ومحض العقل يوصل إلى ذلك بشكل قطعي ، ومما قاله تعالى في شأن الخلق : ﴿ وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ﴾ (٨)

(١) الأنبياء : ٣٠ .
(٢) الأنعام : ١ .
(٣) الكهف : ٥١ .
(٤) الطور : ٣٥ ، ٣٦ .
(٥) البخاري (١٣ / ٤٠٣) ٩٧ - كتاب التوحيد ٢٢ - باب : ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ .
(٦) مسلم (٤ / ٢٠٨٤) ٤٨ - كتاب الذكر ١٧ - باب ما يقول عند النوم وعند المضجع .
(٧) الحديد : ٣ .
(٨) هود : ٧ .

وليس عندنـا نصـوص تُفصّـل كيف كان عرشـه على المـاء ، لكن من المعروف أن ذرة الهيدروجين التي تشكل أحد عنصري الماء (الأوكسجين والهيدروجين) هي أصل الذرات جميعًا فبروتونها واحد وإلكترونها واحد والعناصر ما هي إلا توضعات الإلكترونات والبروتونات في كل عنصر بشكل يختلف عنه في العنصر الآخر .

والظاهر من النصوص أنه قد تم خلق العرش - وهو مخلوق غيبي - وتم خلق أصل المادة وهو الماء ثم انفصلت المادةُ عن بعضها : ﴿ **أولم ير الذين كفروا أن السمواتِ والأرضَ كانتا رتقًا ففتقناهما** ﴾ [1] فهذه المجرات والأجرام كلُّها وجدت في هذه المرحلة ، ثم بعد ذلك في مرحلة لاحقة وجدت الأرض المحسوسة والسموات السبع المغيبة : ﴿ **قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادًا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين** ﴾ [2] فالأرض خلقت قبل السموات السبع المغيبة عنا وهي والسموات السبع وجدتا بعد أن انفصلت المادة عن بعضها وعلى هذا نفهم قوله تعالى : ﴿ **أأنتم أشدُّ خلقًا أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها *أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعًا لكم ولأنعامكم** ﴾ [3] . فالأرض خلقت بعد السماء ، والسموات السبع خلقت بعد الأرض ، ويوم القيامة يعاد الكون كتلة واحدة كما كان : ﴿ **يوم نطوي السماءَ كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين** ﴾ [4] . وهذا الفهم للنصوص فهم غير متكلّف وما سواه فهم متكلّف ، وهو الذي ينسجم مع استقراءات علماء الكون فالظاهر أن تكوّن الأرض على ما هي عليه مسبوق بأشياء أخرى وقد بسطنا هذا الموضوع في التفسير .

وأما نشأة الحياة على الأرض فيبدو أنها متقدمة كثيرًا على نزول أبينا آدم عليه السلام فلقد قالت الملائكة لله عز وجل بعد أن أعلمهم بأنه سيجعل في الأرض خليفة : ﴿ **أتجعل**

---

(١) الأنبياء : ٣٠ .

(٢) فصلت : ٩ ، ١٠ ، ١١ .

(٣) النازعات : ٢٧ - ٣٣ .

(٤) الأنبياء : ١٠٤ .

فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ [١] مما يوحي أنهم شاهدوا إفسادًا في الأرض وسفك دماء من قبل ، وقد يكون هذا هو التفسير لرؤية نماذج قديمة لأنواع من الإنسان غير إنساننا الحالي ، وذكر الغراب في قصة ابني آدم هابيل وقابيل تحتمل أن يكون وجود الغراب سابقًا على وجود آدم عليه السلام وفي حديث عند مسلم وأحمد [٢] « ... وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة ... » ، وهذا يدل على أن خلق الدواب سبق خلق آدم عليه السلام وإنما اضطررنا للتعرض لهذه المعاني ملاحظين معارف عصرنا لتكون هذه المعارف نقاط علّام للباحث وحججًا بيد الدارس المختص ، وردًّا على أنواع من المختصين قد يثيرون تساؤلات . ولننتقل إلى عرض بعض نصوص السنة التي لها علاقة بالخلق:

---

(١) البقرة : ٣٠ .

(٢) مسلم (٤ / ٢١٤٩) ٥٠ ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ١٠ ـ باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام . ومسند أحمد (٢ / ٣٢٧) .

النصوص

٥٦٧ - * روى البخاري عن طارق بن شهاب قال : سمعت عمرَ بنَ الخطاب يقولُ : قَام فينا رسولُ الله ﷺ مقاماً ، فَأخبرَنا عَنْ بَدْء الخلق ، حتى دَخَلَ أهلُ الجنةِ مَنازِلَهم ، وأهلُ النَّار منازِلَهم ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حفظَهُ وَنسيَهُ من نَسيهُ .

قال الحافظ في الفتح : قوله : حتى دخل أهل الجنة ... هي غاية قوله : أخبرنا ، أي : أخبرنا عن مبتدأ الخلق شيئاً بعد شيء إلى أن انتهى الإخبار عن حال الاستقرار في الجنة والنار ، ودل ذلك على أنه أخبر في المجلس الواحد بجميع أحوال المخلوقات منذ ابتدئت إلى أن تفنى ، إلى أن تبعث ، فشمل ذلك الإخبار عن المبدأ والمعاش والمعاد ، وفي تيسير إيراد ذلك كله في مجلس واحد من خوارق العادة أمر عظيم .

٥٦٨ - * روى البخاري عن عمران بن حصين أن ناساً من أهل اليمن قالوا : يارسول اللهُ : جئنا لنَتَفقَّهَ في الدِّين ، ولِنسألَكَ عن أوَّلِ هذَا الأمرِ : ماكان ؟ قال : « كان اللهُ ولم يكن شيءٌ قَبلَهُ وكان عَرْشُهُ على الماء . ثم خَلَقَ السمواتِ والأرضَ ، وكَتَبَ في الذِّكْرِ كُلَّ شيء » .

أقول : من مباحث العلماء : هل العرش خلق قبل الماء ؟ أو الماء خلق قبل العرش ؟ وماتفسير بعض النصوص التي تذكر أن شيئاً ما خلق أولاً سوى العرش والماء ؟ وقد ذكر ذلك ابن حجر في فتح الباري في شرحه لهذا الحديث فقال :

قوله : (كان الله ولم يكن شيءٌ غيره) في الرواية الآتية في التوحيد « ولم يكن شيء قبله » وفي رواية غير البخاري « ولم يكن شيء معه » والقصة متحدة فاقتضى ذلك أن الرواية وقعت بالمعنى ، ولعل راويها أخذها من قوله ﷺ في دعائه في صلاة الليل « أنت الأول فليس قبلك شيء » لكن رواية الباب أصرح في العدم ، وفيه دلالة على أنه لم يكن

---

٥٦٧ - البخاري (٦ / ٢٨٦) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١ - باب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ .

٥٦٨ - البخاري (١٣ / ٤٠٣) ٩٧ - كتاب التوحيد ٢٢ - باب : ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ .

شيء غيره لا الماء ولا العرش ولا غيرهما ، لأن كل ذلك غير الله تعالى ، ويكون قوله « وكان عرشه على الماء » معناه أنه خلق الماء سابقاً ثم خلق العرش على الماء ، وقد وقع في قصة نافع بن زيد الحميري بلفظ « كان عرشه على الماء ثم خلق القلم » فقال : اكتب ماهو كائن ، ثم خلق السموات والأرض ومافيهن » فصرح بترتيب المخلوقات بعد الماء والعرش . قوله (وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والأرض) هكذا جاءت هذه الأمور الثلاثة معطوفة بالواو ، ووقع في الرواية التي في التوحيد « ثم خلق السموات والأرض » ، ولم يقع بلفظ « ثم » إلا في ذكر خلق السموات والأرض . وقد روى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً « إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء » وهذا الحديث يؤيد رواية من روى « ثم خلق السموات والأرض » باللفظ الدال على الترتيب . (تنبيه) : وقع في بعض الكتب في هذا الحديث « كانَ اللهُ ولا شيء معه ، وهو الآن على ماعليه كان » ، وهي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث ، نبه على ذلك العلامة تقي الدين بن تيمية ، وهو مُسلَّمٌ في قوله « وهو الآن » إلى آخره ، وأما لفظ « ولا شيء معه » فرواية الباب بلفظ « ولا شيء غيره » بمعناها . ووقع في ترجمة نافع بن زيد الحميري المذكور « كان الله لا شيءُ غيره » بغير واو . قوله (وكان عرشه على الماء) قال الطيبي : هو فصل مستقل لأن القديم من لم يسبقه شيء ، ولم يعارضه في الأولية ، لكن أشار بقوله « وكان عرشه على الماء » إلى أن الماء والعرش كانا مبدأ هذا العالم لكونهما خلقا قبل خلق السموات والأرض ، ولم يكن تحت العرش إذ ذاك إلا الماء . ومحصل الحديث أن مطلق قوله « وكان عرشه على الماء » مقيد بقوله « ولم يكن شيء غيره » والمراد بكان في الأول الأزلية وفي الثاني الحدوث بعد العدم . وقد روى أحمد والترمذي وصححه من حديث أبي رزين العقيلي مرفوعاً « إن الماء خُلِقَ قبل العرش » وروى السدي في تفسيره بأسانيد متعددة « إن الله لم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء » وأما مارواه أحمد والترمذي وصححه من حديث عبادة بن الصامت مرفوعاً « أولُ ماخلق اللهُ القلمَ ، ثم قال اكتب ، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة » فيجمع بينه وبين ماقبله بأن أولية القلم بالنسبة إلى ماعدا الماء والعرش أو بالنسبة إلى ما منه صدر من الكتابة ، أي أنه قيل له اكتب أول ماخلق ، وأما حديث « أول

ماخلق الله العقل » فليس له طريق ثبت ، وعلى تقدير ثبوته فهذا التقدير الأخير هو تأويله والله أعلم . وحكى أبو العلاء الهمداني أن للعلماء قولين في أيها خلق أولاً : العرش أو القلم ؟ قال : والأكثر على سبق خلق العرش ، واختار ابن جرير ومن تبعه الثاني ، وروى ابن أبي حازم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : خلق الله اللوح المحفوظ مسيرة خمسمائة عام ، فقال للقلم قبل أن يَخْلُقَ الخَلْقَ وهو على العرش : اكتب ، فقال وماأكتب ؟ قال علمي في خلقي إلى يوم القيامة . ذكره في تفسير سورة سبحان ، وليس فيه سبق خلق القلم على العرش ، بل فيه سبق العرش ... قوله (وكتب) أي قدر (في الذكر) أي في محل الذكر أي في اللوح المحفوظ (كل شيء) أي من الكائنات ، وفي الحديث جواز السؤال عن مبدأ الأشياء والبحث عن ذلك وجواز جواب العالم بما يستحضره من ذلك ، وعليه الكف إن خشي على السائل مايدخل على معتقده . وفيه أن جنس الزمان ونوعه حادث ، وأن الله أوجد هذه المخلوقات بعد أن لم تكن ، لا عن عجز عن ذلك بل مع القدرة . واستنبط بعضهم من سؤال الأشعريين عن هذه القصة أن الكلام في أصول الدين وحدوث العالم مستمران في ذريتهم حتى ظهر ذلك منهم في أبي الحسن الأشعري ، أشار إلى ذلك ابن عساكر » ا . هـ قول ابن حجر .

أقول : دل هذا الحديث على أن الكلام عن أصل النشأة من الفقه في الدين ، فلقد كان الحديث إجابة على كلامهم : جئنا لنتفقه في الدين ، ولنسألك عن أول هذا الأمر ماكان ؟

وقد رأينا من خلال تحقيق ابن حجر أن العلماء مختلفون على قولين : في أيها كان أولاً ، الماء أو العرش ؟ ولا يترتب على هذا الاختلاف عمل .

٥٦٩ ـ * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أخذ رسول الله ﷺ بيدي ، فقال : « خَلَقَ اللهُ التربةَ يومَ السبت ، وخَلَقَ فيها الجِبَالَ يومَ الأحدِ ، وخَلَقَ الشَّجَرَ يومَ الإثنين ، وخلقَ المَكْرُوهَ يومَ الثُّلاثاء ، وخلق النُّورَ يوم الأربعاء ، وبثَّ فيها الدَّوابَّ يومَ الخميس ، وخلق آدَمَ بعدَ العصرِ يومَ الجُمعَةِ في آخرِ الخلق

---

٥٦٩ ـ مسلم (٤ / ٢١٤٩) ٥٠ ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم . ١ ـ باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام .
وأحمد (٢ / ٣٢٧) . والنسائي في التفسير ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه .

وآخرِ ساعةٍ من النّهارِ ، فيا بين العصر إلى اللّيلِ » .

قال محقق الجامع :

« قال الحافظ ابن كثير بعد إيراده : ٦ / ٦٩ وهذا الحديث من غرائب صحيح مسلم ، وقد تكلم فيه ابن المديني والبخاري وغير واحد من الحفاظ ، وجعلوه من كلام كعب الأحبار ، وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب ، وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعاً ، وقد حرر ذلك البيهقي ، وقال ابن كثير أيضاً : ٢ / ٤٨٨ وفيه استيعاب الأيام السبعة ، والله تعالى قد قال : ﴿ في ستة أيام ﴾ ولهذا تكلم البخاري وغير واحد من الحفاظ في هذا الحديث وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار ليس مرفوعاً . وقال أيضاً ٧ / ٣٢٦ : وهو من غرائب الصحيح ، وقد علله البخاري في « التاريخ » فقال : رواه بعضهم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن كعب الأحبار ، وهو الأصح . وقال المناوي في « فيض القدير » : وقال بعضهم : هذا الحديث في متنه غرابة شديدة ، فمن ذلك أنه ليس فيه ذكر خلق السموات ، وفيه ذكر خلق الأرض ومافيها في سبعة أيام ، وهذا خلاف القرآن ، لأن الأربعة خلقت في أربعة أيام ، ثم خلقت السموات في يومين ، وقد سكت عن الحديث النووي في شرح مسلم ، وممن صحح الحديث ، الشوكاني في « فتح القدير » وقد تكلم عليه العلماء من جهة متنه ، ورأوا أنه معارض للقرآن ، ومن صححه كالشوكاني وغيره ، رأوا أنه لا تعارض بينه وبين نص القرآن ، فإن القرآن ذكر أن الله تعالى خلق السموات والأرض جيعاً في ستة أيام ، وخلق الأرض وحدها في يومين ، والحديث إنما بين أن الله تعالى خلق مافي الأرض في سبعة أيام ، ويحتمل عند بعض من صححه أن تكون هذه الأيام السبعة غير الأيام الستة التي ذكرها الله تعالى في خلق السموات والأرض ، وحينئذ لا تكون معارضة ، وإنما الحديث فصل كيفية الخلق على الأرض وحدها ، والله تعالى أعلم » ا . هـ .

أقول : من المتعارف عليه عند علماء الطبيعة في عصرنا أن الأرض في ابتداء أمرها كانت كتلة نارية ثم أخذت تبرد فظهرت قشرتها شيئاً فشيئاً ، وعلى هذا فأولُ شيءٍ وُجِدَ التربةُ وبدأت التفاعلات الداخلية والجوية تفعل فعلها فكانت التضاريس والبحار ، فتسلسل الأحوال على الأرض بعد خلقها يصدق مافي الرواية سواء كانت هدياً نبوياً أو من روايات

كعب الأحبار . ولكن هل المراد في الرواية أيام كأيامنا متتابعة متعاقبة ، أو كأيامنا وبأسمائها غير متتابعة ولكن متعاقبة ؟ معارف العصر تؤكد الثاني .

وعلى هذا التأويل للحديث ، وعلى فرض صحته فإن قوله تعالى في سورة فصلت [١٠] : ﴿ **وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها** ﴾ يكون محمولاً على أن الله تعالي قد جعل فيها ذلك حكماً وقد أظهر ذلك فيما بعد .

٥٧٠ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « خَلَقَ اللهُ آدَمَ عليه السلام ، وطُولُهُ ستُّونَ ذِراعاً ، ثم قال : اذْهَبْ فَسلِّم على أولَئِكَ ـ نَفَرٍ منَ الملائكة ـ فاستَمِعْ مايحيُّونَكَ ، فَإنَّها تَحيَّتُكَ وتَحيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ . فقال : السلامُ عليكم ، فقالوا : السلامُ عليكَ ورحمةُ الله ، فَزادُوهُ : وَرَحمةُ اللهِ . فَكلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجنَّة على صُورَةِ آدَمَ » . قال : « فَلَم يَزَلِ الخَلْقُ يَنقُصُ حتى الآن » .

وفي رواية [1] « خلق آدَمَ على صورَتِهِ » .

قال محقق الجامع

الضمير في « صورته » : يعود إلى آدم ، كما بينته الرواية الأخرى قبل هذه .

أقول : هل كان طول آدم عندما أهبط إلى الأرض ستين ذراعاً ، أو أن ذلك كان طوله وهو في السماء فلما أهبط إلى الأرض نقص طوله ثم تناقص الخلق بعد ذلك ، أو أنه هبط إلى الأرض بهذا الطول ثم تناقص طول ذريته شيئاً فشيئاً ؟ الظاهر : الثاني . والحفريات تثبت أن الإنسان كان أكبر حجماً منه الآن وكان يعيش في العادة فترة أطول . والقياس العقلي يقتضي ذلك :

---

٥٧٠ ـ البخاري (٦ / ٣٦٢) ٦٠ ـ كتاب أحاديث الأنبياء ، ١ ـ باب خلق آدم وذريته .

مسلم (٤ / ٢١٨٣) ٥١ ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١١ ـ باب يدخل الجنة أقوام ، أفئدتهم مثل أفئدة الطير .

(١) مسلم : الموضع السابق .

فالأمراض الحالية والمؤثرات على الأحياء والأعصاب بعد تعقيد الحياة البشرية أصبحت أكثر مما كانت عليه ، وليس مع النصوص كلام لأحد عند أهل الإيمان واليقين ، فأهل اليقين يكفيهم هذا الحديث ويكفيهم قوله تعالى عن نوح : ﴿ فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ﴾ [١] .

ولقد جاءت الحفريات لتزيل الغشاوة عن أبصار الشاكّين . فقد ذكر الدكتور حسن زينو وهو اختصاصي جيولوجي في كتابه « التطور والإنسان » مايلي :

إنسان هايدلبرغ

ـ تقع قرية ماور Mauer على بعد ١٠ كلم جنوب غرب هايدلبرغ ، وتتألف المنطقة من الترياسي المغطى أحياناً بدثار من البليستوسين وبالرمال النهرية القديمة لنهر نكار . وقد عثر في مقلع في هذه الرمال عام ١٩٠٧ م على الفك السفلي على عمق ٣٤ م تحت سطح الأرض . وتحوي هذه الرمال على كثير من قواقع الرخويات البرية والنهرية وتشير إلى مناخ أكثر قارية من الآن . وتشمل الثدييات الفيل القديم Elephas antiqus والكركدن Rhinoceros ctruscus وحصاناً انتقالياً بين الحصان البليوسيني Eqws Stenosis والحصان الحالي Eqws cuballus وخنزيراً برياً وأيلا ويحموراً ونوعاً من الوعل وبيزوناً ودببن مشابهين للدب البليوسيني وكلباً وأسداً وهرة وحشية وقندساً . وتعود هذه الحيوانات إلى البليستوسين السفلي ويعتقد أنه يرتبط بالزمن الدافئ الأول بين تجلد فونتس ومينديل . فكه كبير وتاجه عريض وليس له بروز ذقني ولهه إنساني وأسنانه أكبر من الإنسان الحالي ، ويوجد اليوم في جامعة هايدلبرغ وقد أطلق عليه شوتنساك O . Schoetensack اسم إنسان هايدلبرغ Homo Heidelbergensis .

ـ عثر كونيفسفالد Von Koenigswald من صيدليات الصين في هونغ كونغ بين ١٩٣٤ و ١٩٣٩ م على ثلاث أسنان طاحنة بشرية كبيرة مع أسنان أورانج وستفودون stefodon وتابير Tapir أحد هذه الأسنان البشرية كبير بحيث ينبغي أن يكون فكه

---

(١) العنكبوت : ١٤ .

أكبر بمرتين من فك الأورانج الحالي ، حجم هذا السن ضعف أسنان الغوريلا وست أمثال الإنسان الحالي .

ـ قرر فايدنرايش Wiedenreich أنه سن بشري... .

... وقد تخيل فايدنرايش شجرة السلالة فافترض أن الإنسان العملاق هذا قد هاجر إلى جاوة ونشأ منه الإنسان الكبير Meganthropus .

... فالإنسان تسلسل إذاً من أشكال عملاقة ذات جمجمة شديدة وبذا تميز تطورنا بالنقص التدريجي في الطول .

الإنسان الكبير

أعلن كونيفسفالد عام ١٩٤١ م عن اكتشافه لقطعة من الفك السفلي في طبقات جتيس في جاوة وهي بشرية وفيها سنان ماقبل الرحويان والرحى الأول وقد درسه بعد ذلك :
F . Weidenreich - Giant early Man from Java and South China (Anthrop . Papers of the American Museum of Natural History,xl, n.1, . 1945) .

وتختلف القطعة عن ما عداها بقياساتها الكبيرة إذ يبلغ محيطها في مستوى الحفرة الذقنية ١٣١ مم ، في حين لا يتجاوز ذلك في الغوريلا ١١٥ مم وفي الإنسان الصيني وإنسان النياندرتال ٨٠ مم . وكذلك فإن أبعاد الأسنان كبيرة وشكلها بشرية ولا تشابه أي سنجاب بالإضافة إلى غياب الذقن والشكل المتراجع للوراء للقسم المتقدم من الفك ، ومما صدم كونيفسفالد انحفاظ الزائدة الصغيرة المسماة عقدة العبقرة tuberculum geniale في الجانب الداخلي للذقن فكان لدى الإنسان ما يلزم لتحرك اللسان كما في إنسان موجو كرتو وفك هايدلبرغ . وقد أطلق عليها كونيفسفالد اسم الإنسان الكبير الجاوي القديم Meganthropus palaeojavanicus .

ووجد لارسن K. larsen عام ١٩٣٩ م في أفريقيا الشرقية بقايا فك ذي أسنان كبيرة

جداً لكنها إنسانية وقد وصفها فاينرت Weinert عام ١٩٥٠ م ووازنها مع الإنسان الكبير من جاوة حسب كونيفسفالد .

ووجد في سوارتكرانس Swartkrans عام ١٩٤٨ ـــ ١٩٥٠ م شبه الإنسان الكبير الأسنان Paranthropus crassidens وقد عثر أولا على فكوك ذات أسنان عملاقة ومقاييسها مثل عملاق جاوة حسب كونيفسفالد . ثم عثر على بقايا جمجمة تدل على عضلات مضغ كبيرة . ا . هـ .

وقد ذكر عباس محمود العقاد في كتابه : « إبراهيم أبو الأنبياء عليه الصلاة والسلام » مايلي :

« وفي متحف أشمول بانجلترا أسماء الأسر التي حكمت بابل من بعد الطوفان إلى أيام سراجون ، وقد جاء في الألواح التي حفظت أسماءها أن الأسرة الأولى تولى منها الملك ثلاثة وعشرون ملكًا وكانت مدة حكمهم جميعًا أربعة وعشرين ألف سنة وخمسمائة وعشر سنوات» ا.هـ.

أقول : دلت كلمة الدكتور زينو على أن الإنسان كان في مرحلة أضخم منه الآن ، ودلت كلمة العقاد على أن الناس كانوا يعمرون في الماضي كثيراً ، وفي الحديث الشريف الذي مر معنا رد لمزاعم التطوريين : إن الإنسان تطور عن مخلوقات أخرى .

وقد شرح هذا الحديث ابن حجر في الفتح وكان من كلامه :

... « خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً » كذا وقع من هذا الوجه ، وعبد الله الراوي عن معمر هو ابن المبارك ، وقد رواه عبد الرزاق عن معمر فقال « خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعاً » ... والمعنى أن الله تعالى أوجده على الهيئة التي خلقه عليها لم ينتقل في النشأة أحوالاً ولا تردد في الأرحام أطواراً كذريته بل خلقه الله رجلاً كاملاً سويًّا من أول ما نفخ فيه الروح ، ثم عقب ذلك بقوله « وطوله ستون ذراعًا » فعاد الضمير أيضًا على آدم ، وقيل معنى قوله « على صورته » أي لم يشاركه في خلقه أحد ، إبطالاً لقول أهل الطبائع . وخص بالذكر تنبيها بالأعلى على الأدنى ، والله أعلم ...

... وروى ابن أبي حاتم بإسناد حسن عن أبي بن كعب مرفوعاً « إن الله خلق آدم رجلاً طوالاً كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق » . قوله (فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن) أي

إن كل قرن يكون نشأته في الطول أقصر من القرن الذي قبله ، فانتهى تناقص الطول إلى هذه الأمة واستقر الأمر على ذلك . وقال ابن التين : قوله « فلم يزل الخلق ينقص » أي كا يزيد الشخص شيئاً فشيئاً ، ولا يتبين ذلك فيا بين الساعتين ولا اليومين حتى إذا كثرت الأيام تبين ، فكذلك هذا الحكم في النقص ... ا . هـ .

أقول :

إن كثيرين من الناس يأخذون عن أسفار اليهود تاريخ وجود الإنسان على هذه الأرض ، وهي كتب محرفة فيها أغاليط كثيرة ، والحفريات الحديثة أثبتت أن النوع الإنساني أقدم بكثير مما ذكرته هذه الأسفار ، ونصوص الإسلام ساكتة في هذا الشأن .

فالتحقيق العلمي في هذه الحالة معتبر ، ومع اعتراضنا على أسفار اليهود في ذكر عمر الإنسان فإننا نعترض على التطوريين الذين يجعلون إنساننا الحالي وليدَ تطورٍ عن أنواع من الإنسان أخرى ، ونحن إذ ننكر هذا لا نعترض على وجود مخلوقات شبه إنسانية سبقت أبانا آدم ، فليس في نصوص الإسلام مايمنع ، بل في كلام بعض الإسلاميين مايؤيده ، فلقد نقل صاحب السيرة الحلبية شيئاً من ذلك عن بعض المتصوفة : إن آدمنا سبق بآباء كُثُرٍ لأنواع من الإنسان . والمنقول عن بعض أئمة الشيعة أنهم يقولون بمثل ذلك ، ولكن المسلمين مجمعون ـــ إلا مَن لا يُعتَد بقوله ـــ على أن أبانا آدم خلق خلقاً مباشراً من الله عز وجل .

٥٧١ ـ * روى مسلم عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « لما صَوَّرَ اللهُ عزَّ وجل آدَمَ في الجنة تَرَكَهُ مَاشَاءَ أنْ يَتْرُكَهُ ، فَجَعَلَ إبليسُ يُطِيفُ به ، ويَنظُرُ إليه ، فلما رآه أجوَفَ عَرَفَ أنَّه خَلْقٌ لا يتمالك » .

٥٧٢ ـ * روى أحمد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، قال : سمعتُ رسولَ الله

---

٥٧١ ـ مسلم (٤ / ٢٠١٦) ٤٥ ـ كتاب البر والصلة والآداب ، ٣١ ـ باب خلق الإنسان خلقًا لايتمالك .

وأحمد : (٣ / ٢٢٩) .

(يُطيفُ بِهِ) أطافَ بالشيء : إذا دارَ به وأحاطَ بجوانبه .

(أجوَفُ لا يَتَمالكُ) شيء أجوَف : خَالٍ ، وإذا وُصِفَ الإنسانُ بالخفة والطَّيش قيل : لا يتمالك ولا يتماسك .

٥٧٢ ـ أحمد (٤ / ٤٠٦) .

والترمذي (٥ / ٢٠٤) ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ٣ ـ باب « ومن سورة البقرة » .

ﷺ يقول : « إنَّ اللهَ تباركَ وتعالى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قبضَةٍ قَبضها مِنْ جميعِ الأرضِ ، فجاءَ بنو آدَمَ على قدرِ الأرضِ ، منهم الأحْمَرُ ، والأَبيَضُ والأسوَدُ ، وبين ذلك ، والسَّهلُ والحَزْنُ ، والخَبيثُ والطَّيِّبُ » .

أقول مؤكدًا ما مرّ سابقًا :

إن نصوص الكتاب والسنة واضحة وقطعية في أن آدم عليه الصلاة والسلام خلق ابتداءً بقدرة الله ، فما يقال عن نشأة الإنسان التطورية وأنه نتاج قفزات تطورية حدثت في الأحياء غير صحيح . فآدم خلق على صورته التي فطره الله عليها ابتداء دونْ وإسطة ودون تسلسل ، أما التعليل لوجود سلم ارتقاء للمخلوقات واحتمالات أن تكون بعض المخلوقات تولدت عن بعض ، ووجود مخلوقات شبيهة بإنساننا الحالي وتعتبر أسبق منه بالوجود فذلك كله له تعليلاته والبحث فيه مفتوح . قال تعالى :

﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾ [1] .

﴿ أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ... ﴾ [2] .

﴿ ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكّرون ﴾ [3] .

إن وجود سلم ارتقاء ليس غريباً على قدرة الله عز وجل وذلك من مظاهر حكمته جل جلاله ، سواء كان ذلك من خلال الخلق المباشر أو من خلال توالد وقفزات قديمة ، إلا أن أبانا آدم خلق ابتداءً على صورته ، وكان ذلك بالخلق المباشر من الله عز وجل ، ولكن أن تكون هناك مخلوقات تشبه إنساننا الحالي فذلك يتفق مع اتجاهات مذكورة في كتب الإسلاميين قديماً تقول : إن آدمنا عليه السلام ليس هو أول آدم وجد على الأرض ، ولكن هذا لا يعني أن آدمنا هو ولادة من إنسان آخر . فالنصوص قطعية في ذلك ، ومن عرف أن

= وقال : هذا حديث حسن صحيح . وهو كما قال .

وأبو داود (٤ / ٢٢٢) كتاب السنة ـ باب في القدر .

(١) العنكبوت : ٢٠ .

(٢) العنكبوت : ١٩ .

(٣) الواقعة : ٦٢ .

هذا الكون كله مخلوق بقدرة الله لا يستنكر على قدرة الله أن تخلقَ آدم ابتداءً ، والذين يشكون في ذلك عليهم أن يراجعوا أصل إيمانهم .

٥٧٣ - * روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسولُ الله ﷺ : « خُلِقَتِ المَلائِكَةُ مِن نُورٍ ، وخُلِقَ الجَانُّ من مارج من نَارٍ ، وخُلِقَ آدَمُ مما وُصِفَ لكم » .

٥٧٤ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لولا بنو إسرائيلَ لَم يَخْنَزِ اللحمُ » وفي رواية « لم يَخْبُثِ اللحمُ » - « ولولا حَوَّاءُ : لم تَخُنْ أُنثى زوجَها الدهرَ » .

أقول :

الظاهر من الحديث أنه قبل أن يخزن بنو إسرائيل اللحم عندما كانوا في التيه لم يكن اللحم يخنز ، بمعنى أن الجراثيم والبكتيريات المؤثرة في ذلك لم تكن موجودة أو لم تكن مسلطة على اللحم ، فلما فعل بنو إسرائيل ذلك عوقبوا كما تعاقب الأقوام المبتعدة عن الفطرة بمزيد من الأمراض كلما زاد البعد عن الفطرة . ولعل عدم تأثر جثث الفراعنة القدماء التي وصلتنا محنطة أنها وضعت في توابيتها وحنطت قبل هذا التسليط على اللحم .

٥٧٥ - * روى البزار عن أبي موسى رفعه ، قال : « لما أخرجَ اللهُ آدمَ من الجنة زَوَّدَه من ثمار الجنةِ وعلمه صِنعةَ كلِّ شيء فثمارُكم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه

---

٥٧٣ - مسلم (٤ / ٢٢٩٤) ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق ، ١٠ - باب في أحاديث متفرقة . أحمد (٦ / ١٥٣) .

وأحمد (٦ ، ١٥٣) .

(مارج) المَارِجُ : لَهَبُ النَّار المُخْتلِطُ بسوادها .

٥٧٤ - البخاري (٦ / ٣٦٣) ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء ١ - باب خلق آدم وذريته .

مسلم (٢ / ١٠٩٢) ١٧ - كتاب الرضاع ، ١٩ - باب لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر .

(خَنِزَ) اللحم يخنَز : إذا أنتن وتغيَّرت ريحه .

(لم تخن أنثى) خيانة حواء آدم : هي ترك النصيحة له في أمر الشجرة ، لا في غيرها .

٥٧٥ - كشف الأستار (٣ / ١٠٢)

الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ١٩٧) . وقال : رواه البزار والطبراني ورجاله ثقات .

تَغَيَّرُ وتلك لا تَغَيَّرُ » .

٥٧٦ ـ * روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : قيل لرسول الله ﷺ : القِرَدَةُ والخنازيرُ ؛ هي مما مُسِخَ ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ الله لم يُهْلِكْ قومًا [أو يعذِّب قوماً] فيجعلَ لهم نسلاً ، وإن القِردَةَ والخنازيرَ كانت قبل ذلك » .

* * *

= والحاكم في المستدرك (٢ / ٥٤٣) . وقال : صحيح . ووافقه الذهبي .

٥٧٦ ـ مسلم (٤ / ٢٠٥١) ٤٦ ـ كتاب القدر . ٧ ـ باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر .

التلخيص

ـ كان الله ولا شيء قبله ولا شيء معه ، ثم خلق الماء ــ والله أعلم على أي هيئة كان بخارية أو سائلة ــ ثم خلق العرش ، ثم خلق القلم وكتب مقادير كل شيء وأقدارها ، ثم خلق من الماء هذه السماء بما فيها من مجرات ونجوم وسُدُم ، ثم خلق الأرض والمجموعة الشمسية من سديم من هذه السُّدُم فيما يبدو ، ثم خلق السموات السبع بعد خلقه الأرض وجعل في كل سماء أمرها ، ثم هيأ الأرض لسكنى الإنسان وخلق فيها ما خلق ، وقبل أن يخلق الإنسان كان قد خلق الملائكة والجن وأنواع الحياة على الأرض ، وخلق الجنة والنار ثم خلق آبانا آدم عليه السلام ، ثم أُمَّنا حواء وكانا في الجنة ثم أهبطهما وإبليس إلى الأرض ، وبدأت بذلك الحياة البشرية على الأرض .

ـ لا شيء يمنع أن تكون هناك مخلوقات كإنساننا الحالي قبل أبينا آدم ثم انقرضت ، ولكن لم تكن أصلاً لجنسنا البشري الحالي .

ـ البحث في نشأة الحياة على الأرض وأنواعها وسلم تدرجها كل ذلك مفتوح للبحث ، بل مطلوب بنص القرآن فلا حرج فيه ولكن حيثما كان هناك تعليل رباني أو إخبار عن طريق الوحي فهو الفيصل .

ـ واكتشافات عصرنا ونظرياته التي قامت عليها أدلة جاءت مؤكدة لنصوص الكتاب والسنة ، والكتب في هذا كثيرة ، والعلماء غير المغرضين في كل مكان يقدمون بأبحاثهم الأدلة على ذلك .

* * *



الفصل الثاني

في:

معرفة الله والإيمان به

وفيه:

مقدمة ونصوص وتلخيص وأربعة وصول



المقدمة

الملحدون بالله تعالى في هذا العالم قلة حتى في البلدان التي تسيطر عليها سلطة ملحدة كالاتحاد السوفياتي ، لأن الإلحاد يتنافى مع قوانين العقل وأعماق الفطرة ، ولذلك كان أكثر الناس مؤمنين بالله عز وجل نوع إيمان . وإنما الاختلاف بين أهل الحق وغيرهم في الصفات أو فيما ينسب لله عز وجل أو فيما يليق به أو لا يليق أو في حقوق الألوهية ، ولقد جاء الإسلام ليصحح تصورات البشر وعقائدهم وسلوكهم وكان أكثر ما ركزت عليه الرسالة الإسلامية التعريف على الله عز وجل فأعطتنا هذه الرسالة أصفى وصف وأسمى اعتقاد ، اجتمع فيه الحق الخالص الذي يؤيده العقل الراشد والفطرة المستقيمة والعلم الصحيح .

* * *

لقد وصف بعضُ الناس الله عز وجل بما لا يليق بذاته ، فزعموا أن له صاحبه وولداً ، أو أن له شركاء أو أنه لا تَدَخُّلَ له في شؤون الخلق ، أو أن الخلق وُجِدَ بدون إرادة منه جل جلاله أو أنه يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات أو أن هذا الكون جزؤه ، أو أنه لا حق له في التشريع ، وأشياء كثيرة نسبها الخلق لله عز وجل وهو منزه عنها ، وجاء الكتاب والسنة فوضعا الأمور في نصابها فلا أرقى ولا أروع :

﴿ سبحان الله عما يصفون ۞ إلا عباد الله المخلصين ﴾ [١] .

﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون ۞ وسلام على المرسلين ۞ والحمد لله رب العالمين ﴾ [٢] .

﴿ ولله المثل الأعلى ﴾ [٣] .

* * *

---

(١) الصافات : ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٢) الصافات : ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ .

(٣) النحل : ٦٠ .

وخلاصة ما جاء به الكتاب والسنة :

أن الله عز وجل موجود يدل على ذلك كلُّ شيء ؛ فظواهر الكون آياته التي تدل عليه ، والقرآن آياته تدل عليه ، ومعجزات الرسل صلى الله عليهم وسلم وكرامات الأولياء آياته التي تدل عليه . وأن الله عز وجل متصف بالحياة والإرادة والقدرة والعلم والسمع والبصر والكلام :

﴿ هو الحي ﴾ [١] .

﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ [٢] .

﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ [٣] .

﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ [٤] .

﴿ وكان الله بكل شيء عليما ﴾ [٥] .

﴿ أنزله بعلمه ﴾ [٦] .

﴿ وكان الله سميعًا بصيرا ﴾ [٧] .

﴿ وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأَجِرْهُ حتى يسمع كلام الله ﴾ [٨] .

وأن الله عز وجل متصف بالصفات العليا ومسمى بالأسماء الحسنى :

﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يُلحدون في أسمائه ﴾ [٩] .

وأن هذا الكون خلقه ومايجري فيه أثر مشيئته وقدرته :

﴿ الله خالق كل شيء ﴾ [١٠] . ﴿ كُلَّ يوم هو في شأن ﴾ [١١] .

---

(١) غافر : ٦٥ .
(٢) يس : ٨٢ .
(٣) الأنعام : ٦١ .
(٤) البقرة : ٢٠ .
(٥) الأحزاب : ٤٠ .
(٦) النساء : ١٦٦ .
(٧) النساء : ١٣٤ .
(٨) التوبة : ٦ .
(٩) الأعراف : ١٨٠ .
(١٠) الزمر : ٦٢ .
(١١) الرحمن : ٢٩ .

وأن هذا الكون بما فيه خلقه ابتداء وهو ـ أي الكون ـ محتاج إليه لاستمراره :

﴿ وخَلقَ كل شيء فقدره تقديراً ﴾ [١] .

﴿ إن الله يُمسِك السموات والأرض أن تزولا ﴾ [٢] .

﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [٣] .

وأن الله عز وجل له صفات الجلال والكمال والجمال :

﴿ ولله المثل الأعلى ﴾ [٤] .

﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ [٥] .

وأن الله عز وجل متصف بالوحدانية وبالقدم وبالبقاء وبالقيام بالنفس وبالمخالفة للحوادث وذلك مقتضى قوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد ﴾ [٦] فهو واحد في ذاته وصفاته وأفعاله .

وهو الصمد الذي يحتاجه الخلق وهو غير محتاج إليهم :

﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ [٧] فهو قائم بنفسه ، وغيره قائم به ، وهو الأول الذي ليس قبله شيء ﴿ ولم يولد ﴾ [٨] وهو الباقي ﴿ لم يلد ﴾ [٩] ﴿ الآخر ﴾ [١٠] .

وهو الذي لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء :﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ [١١] ، ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [١٢] وهو جل جلاله كما وصف ذاته فهو وحده الذي يعلم ذاته وصفاته حق العلم :

---

(١) الفرقان : ٢ .
(٢) فاطر : ٤١ .
(٣) الفاتحة : ٥ .
(٤) النحل : ٦٠ .
(٥) الرحمن : ٢٧ .
(٦) الإخلاص : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .
(٧) البقرة : ٢٥٥ .
(٨)،(٩) الإخلاص : ٣ .
(١٠) الحديد : ٣ .
(١١) الإخلاص : ٤ .
(١٢) الشورى : ١١ .

﴿ ولا يحيطون به علماً ﴾ [١] ، ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ [٢] .

وهو جل جلاله له الألوهية والمالكية والربوبية : ﴿ قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس ﴾ [٣] ومقتضى ربوبيته ومالكيته وألوهيته أن يقدم له الخلق العبادة والعبودية ﴿ وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [٤] ، ﴿ لن يستنكف المسيحُ أن يكون عبدا لله ولا الملائكةُ المقربون ﴾ [٥] ، ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ﴾ [٦] .

والعبادة تقتضي القيام بالشعائر ، والعبودية تقتضي مع العبادة القيام بالشرائع ، ومن ههنا كان لله عز وجل المالكية المطلقة ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ [٧] ﴿ إن الحكمُ إلا لله ﴾ [٨] .

فواجب الخلق الاستسلامُ لله عز وجل فيما أخبر ونهى وأمر ، وذلك هو الإسلام الذي بعث به رسلَهُ عليهم الصلاة والسلام وقد حاول المصنفون في العقائد خلال العصور أن يصطلحوا لبعض ماذكرناه :

فسموا صفة الوجود للذات الإلهية صفة نفسية .

وسموا الصفات القائمة بالذات الإلهية الصفات الوجودية أو صفات المعاني وهي الصفات السبع : العلم والإرادة والقدرة والحياة والسمع والبصر والكلام .

وسموا الصفات التي وردت في سورة الإخلاص وهي التي تميز العقيدة الإسلامية تمييزاً جوهرياً بالصفات السلبية وهي : الوحدانية والقِدَمُ والبقاء والقيام بالنفس والمخالفة للحوادث .

وسموا الأسماء التي هي أثر قدرة الله عز وجل بصفات الفعل كالمعز والمذل والمحيي والمميت .

---

(١) طه : ١١٠ .
(٢) الأنعام : ١٠٣ .
(٣) الناس : ١ ، ٢ ، ٣ .
(٤) الذاريات : ٥٦ .
(٥) النساء : ١٧٢ .
(٦) الإسراء : ١ .
(٧) الأعراف : ٥٤ .
(٨) الأنعام : ٥٧ .

وسموا الأسماء التي تعبر عن الكمال بصفات الجلال والكمال والجمال :

﴿ ذو الجلال والإكرام ﴾ [١] وقوله ﷺ « إن الله جميل » أخرجه مسلم والترمذي .

وأثبتوا لله عز وجل الأسماء الحسنى التي سمى بها ذاته ، وعرفنا عليها الكتاب والسنة .

وسموا الصفات التي وردت بها نصوص الكتاب والسنة مما سوى ذلك بالصفات السمعية .

ولا حرج بالاصطلاح إلا إذا أُدخل عليه مايفسده كأن أدى إلى مفسدة أو اقتضى مفسدة .

* * *

وليس هناك شيء أهم بالنسبة للإنسان من معرفة الله عز وجل حق المعرفة والإيمان به والتسليم له ، لما يترتب على ذلك من آثار دنيوية وأخروية على القلب والعقل والسلوك ، لذلك كانت أعظم المعارك الفكرية والعملية وحتى السياسية والعسكرية مرتبطة بموضوع الإيمان بالله ، ونقطة البداية في الهداية المعرفة والإيمان ، قال جل جلاله : ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ [٢] .

لذلك ينصبُّ جهد المضلّين والشياطين والكفرة والفاسقين والمنافقين على خلخلة هذا الأصل بشكل مباشر أو غير مباشر .

﴿ وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادًا ﴾ [٣] .

ومن ثم كان الكفر بالطاغوت والإيمان بالله هو المعتَصَم :

﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ﴾ [٤] .

* * *

---

(١) الرحمن : ٢٧ .

(٢) التغابن : ١١ .

(٣) سبأ : ٣٢ .

(٤) البقرة : ٢٥٦ .

وهناك معارك كبرى بين أهل الإسلام وبين أهل الأديان والفلسفات حول موضوعات تتعلق بالذات الإلـٰهية ، وهناك معارك كبرى بين أهل السنة والجماعة من جهة وبين الفرق المنشقة من جهة أخرى ، وهناك معارك بين من يتنازعون على اسم أهل السنة والجماعة في هذا الموضوع .

* * *

ومن أهم معارك الإسلام مع أهل الأديان والفلسفات : معركته مع النصرانية ومن واطأها في نسبة الصاحبة والولد للذات الإلـٰهية ونفي الأحدية عنه جل جلاله ، ومن أهم معارك الإسلام مع أهل الأديان : معركته مع المشركين الذين يشركون مع الله في الألوهية والعبادة حجرًا أو شجرًا أو بشرًا أو مظهرًا ، ومن أهم معارك الإسلام مع أهل الفلسفة : معركته مع القائلين إن الله عز وجل لا يتدخل في شؤون خلقه أو لم يخلق الخلق باختياره أو إنه لا يعلم إلا الكليات ، ومن أهم معارك الإسلام مع أهل الفلسفات : معركته مع القائلين بحرية الإنسان في اتباع أهوائه كالوجوديين أو القائلين إن الله ليست له المالكية على البشر في التكليف والتشريع وهم الذين يُسمَّوْن بالعلمانيين .

ومن أهم المعارك بين أهل السنة والجماعة وبين الفرق المنشقة في باب الألوهية : معركة أهل السنة والجماعة مع المعتزلة من جهة والمشبِّهة من جهة أخرى ، ومع القائلين بوحدة الوجود كغلاة الصوفية ، ومع القائلين بتجسد الإلـٰه في البشر كالدروز والإسماعيليين والنصيرية

* * *

ونحن هنا سنقتصر على ذكر بعض الأحاديث الشريفة المتعلقة بموضوع الفصل مع ملاحظة أنه يندر أن يمر باب في السنة إلا وبعض أحاديثه تتعلق بالذات الإلـٰهية ، ثم إن القرآن كله حديث عن الذات الإلـٰهية في المآل لذلك وصفه الله عز وجل بأنه ذكر : ﴿ والقرآن ذي الذكر ﴾ [1] .

---

(1) ص : ١ .

النصوص

٥٧٧ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ لله تِسْعَةً وتسعِينَ اسْمًا ، مَن حَفِظَها دَخَلَ الْجَنَّةَ ، واللهُ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ » وفي رواية : « مَن أحصَاهَا » .

وفي أخرى [(١)] : « للهِ تِسعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا ، مِائةٌ إلا واحِدًا ، لا يَحفَظُهَا أحَدٌ إلا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وهو وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ » . قال البخاري : « أحصَاهَا : حَفِظَها » ، وفي رواية لمسلم نحوه ، وليس فيه ذِكرُ الْوِتْرِ .

وفي رواية الترمذي [(٢)] قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ لِلهِ تِسعَةً وتِسْعين اسْمًا ،

---

٥٧٧ - مسلم (٤ / ٢٠٦٣) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء ، ٢ - باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها .

(١) البخاري (١١ / ٢١٤) ٨٠ - كتاب الدعوات ، ٦٨ - باب لله مائة اسم غير واحدة .

مسلم (٤ / ٢٠٦٢) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء ، ٢ - باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها .

(٢) الترمذي (٥ / ٥٣٠) ٤٩ - كتاب الدعوات ، ٨٣ - باب حدثنا يوسف بن حماد البصري .

هذه الرواية الترمذي بتفصيل الأسماء ولم يُفصِّلْها غيره ، وقال : حدَّثَنا به غير واحدٍ عن صَفوان بن صالح ، ولا نَعرِفُهُ إلا من حديث صفوان بن صالح ، وهو ثقة عند أهل الحديث . قال : وقد رُوِيَ هذا الحديث من غير وجهٍ عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ ، لا نَعلَمُ في كثير شيء من الروايات ذِكْرَ الأسماء إلا في هذا الحديث .

قال محقق الجامع :

وقال الترمذي : وقد روى آدم بن أبي إياس هذا الحديث بإسناد غير هذا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، وذكر فيه الأسماء ، وليس له إسناد صحيح ، أقول : رواه الترمذي رقم (٣٥٠٢) من حديث صفوان بن صالح قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ، وقال : حديث غريب . ورواه ابن حبان في صحيحه رقم (٢٣٨٢) موارد الظمآن من طريق صفوان به ، وأخرجه ابن ماجه رقم (٣٨٦١) في الدعاء ، باب أسماء الله عز وجل ، من طريق أخرى عن موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعًا بنحو مما تقدم بزيادة ونقصان ، قال البوصيري في الزوائد : لم يخرج أحد من الأئمة الستة عدد أسماء الله الحسنى من هذا الوجه ولا غيره ، غير ابن ماجه والترمذي مع تقديم وتأخير ، وطريق الترمذي أصح شيء في الباب ، وفي إسناد طريق ابن ماجه ضعف لضعف عبد الملك بن محمد الصنعاني ، وقال الحافظ في تخريج الأذكار : وهذان الطريقان يرجعان إلى رواية الأعرج ، وفيهما اختلاف شديد في سرد الأسماء ، وزيادة ونقص ، ووقع سرد الأسماء في رواية ثالثة أخرجها الحاكم في المستدرك وجعفر الفريابي في الذكر من طريق عبد العزيز بن الحصين (يعني ابن الترجمان) عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ، قال الحاكم بعد تخريج الحديث من طريق صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم الطريق التي أخرجه الترمذي بلفظه سواء : أخرجاه في الصحيح بأسانيد صحيحة دون ذكر الأسماء فيه ، ولعله عندهما أن الوليد بن مسلم تفرد بسياقه وبطوله وذكر الأسماء فيه ، ولم يذكره غيره لمسلم ، نعم أكثرها =

مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّـة ، هُوَ اللهُ الَّـذي لا إلـه هو : الرَّحمٰن ، الرَّحِيمُ ، المَلِـكُ ، القُـدُّوسُ ، السَّلامُ ، المُـؤمِنُ ، المُهَيْمِنُ ، العَـزِيـزُ ، الْجَبَّـارُ ، الْمُتَكَبِّرُ ، الخَـالِـقُ ، البَـارِئُ ، المُصَـوِّرُ ، الغَفَّـارُ ، القَهَّـارُ ، الـوَهَّـابُ ، الرزَّاقُ ، الفَتَّـاحُ ، العَلِيمُ ، القابِضُ ، البَاسِـطُ ، الخَـافِضُ ، الرَّافِعُ ، المُعِزُّ ، المُـذِلُّ ، السَّمِيعُ ، البَصِيرُ ، الْحَكَمُ ، العَـدْلُ ، اللَّطِيفُ ، الْخَبِيرُ ، الحليمُ ، العَظِيمُ ، الغَفُورُ ، الشَّكُورُ ، العَلِيُّ ، الكبيرُ ، الْحَفِيـظُ ، المُقِيتُ ، الحَسِيب ، الجَلِيـلُ ، الكريمُ ، الرَّقِيبُ ، المُجِيبُ ، الـواسِـعُ ، الحَكِيمُ ، الوَدُودُ ، المَجِيـدُ ،البَـاعِثُ ، الشَّهِيـدُ ، الحَقُّ ، الوَكِيلُ ، القَوِيُّ ، المَتِينُ ، الْوَلِيُّ ، الحَمِيدُ ، المُحصي ، المُبـدِئُ ، المُعِيـدُ ، المُحْيِي ، المُمِيتُ ، الحَيُّ ، القَيُّومُ ، الوَاجِدُ ، الماجِد ، الْوَاحِد ، الأَحَدُ ، الصَّمَدُ ، القَادِرُ ، المُقْتَـدِرُ ، المُقَـدِّمُ ، المُؤَخِّر ، الأَوَّلُ ، الآخِرُ ، الظَّـاهِرُ ، البَـاطِنُ ، الوالي ، المُتَعـالِ ، البَرُّ ، التَّـوَّابُ ، المُنْتَقِمُ ، العَفُوُّ ، الرَّؤوفُ ، مَالِكُ المُلْكِ ، ذو الجَلالِ والإكْرامِ ، المُقْسِطُ ، الْجَـامِعُ ، الغَنِيُّ ، المُغني ، المـانِعُ ، الضَّـارُّ ، النَّـافِعُ ، النُّورُ ، الهـادي ، البَـدِيعُ ، البَـاقِي ، الـوَارِثُ ، الرَّشِيدُ ، الصَّبُورُ » .

قال ابن الأثير :

(مَنْ أحصاها) الإحصـاءُ : العَـدَدُ والحِفْـظُ ، والمراد : مَنْ حَفِظَهـا على قلبـه ، وقيل : المراد : من استخرجها من كتاب الله تعـالى ، وأحـاديث رسولـه ﷺ ، لأنَّ النبيَّ لم يعـدّهـا لهم ، ولهذا لم تَرِد مَسرودَةً مَعدُودَةً من هـذه الكتب السِّتـة إلا في كتـاب الترمـذي ، وقيل : المراد : من أخطر بِبَالِهِ عند ذكر معناهـا ، وتفكَّر في مـدلوهـا : مُعتَبِرًا ، مُتَـدبِّرًا ، ذَاكِرًا ، رَاغِبًا ، رَاهِبًا ، مُعظمًا لِمُسَمَّاها ، مُقَـدِّسـا لـذات الله تعـالى ، وبـالجملـة : ففي كل اسم يخطر

= في القرآن ، ومنها مـا ورد فيـه الفعل أو المصـدر دون الاسم ، ومنهـا مـا ليس في القرآن لا بنفسـه ولا بورود فعلـه كالقديم والجميل ونحوهما . ا هـ . وقال ابن كثير في التفسير : والذي عول عليه جماعة من الحفـاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه ، وإنما ذلك كما رواه الوليد بـن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك ، أي أنهم جمعوها من القرآن كما روى جعفر بن محمد وسفيـان بن عيينـة وأبو زيد اللغوي ، والله أعلم .

يقول المحقق : ومع ذلك كله فقد ذكر الحديثَ ابنُ حبان في صحيحه ، وحسَّنَه النووي في أذكاره . ا . هـ .

بياله الوصفُ الدّالُّ عليه .

(القُدُّوسُ) : الطاهر من العيوب المنزَّهُ عنها .

(السَّلامُ) : ذو السَّلام ، أي : الذي سَلِمَ مِنْ كُلِّ عيب وبَرِئَ مِنْ كُلِّ آفةٍ .

(المُؤمِنُ) الذي يصدق عبادَه [وعدَه] ، فهو من الإيمان : التصديق ، أو يُؤمنهم في القيامة من عذابه ، فهو من الأمَان ، ضِدُّ الخوف .

(المُهَيْمِنُ) الشَّهِيدُ ، وقيل : الأمِين ، فأصله مُؤتَمن ، فقُلِبتْ الهمزةُ هاءً ، وقيل : الرَّقيب والحَافِظُ .

(العَزِيزُ) : الغَالبُ القَاهِرُ ، والعِزَّةُ : الغَلَبَةُ .

(الجبَّارُ) : هو الذي أجْبَرَ الخَلْقَ وقَهرَهم على ما أرادَ مِنْ أمْرٍ أو نَهْيٍ .

(المُتكبِّرُ) : المُتَعَالي عن صفات الخلق ، وقيل : الذي يتكبَّرُ على عُتاة خلقه إذا نَازَعُوهُ العَظَمَةَ فيَقْصِمُهم ، وقيل : إن المتكبِّرَ من الكبرياء الذي هو عظمة الله تعالى ، لا من الكِبْر الذي هو مذموم .

(البَارئ) : هو الذيْ خَلَقَ الخَلقَ لا عن مِثَالٍ ، إلا أن لهذه اللفظة من الاختصاص بالحيوان ما ليس لها بغيره من المخلوقات ، وقلما تُسْتَعْمَلُ في غير الحيوان ، فيقال : بَرأَ اللهُ النَّسمَةَ ، وخلق السمٰوَاتِ والأرضَ .

(المُصَوِّرُ) هو الذي أنشأ خَلْقَهُ على صُوَر مُخْتَلِفة ، ومعنى التَّصوير : التَّخْطِيطُ والتَّشكيلُ .

(الغَفَّارُ) : هو الذي يَغْفِرُ ذُنُوبَ عِبَاده مَرَّةً بعدَ مرّة ، وأصل الغَفْرِ : السَّتْرُ والتَّغْطِيَةُ ، فالله غَافِرٌ لِذنُوب عباده سَاتِرٌ لها بترك العُقُوبة عليها .

(الفَتَّاحُ) : هو الحَاكِمُ بين عباده ، يقال : فَتَح الحَاكمُ بين الخَصْمَيْن : إذا فصل بينهما ، ويقال للحاكم : الفاتح ، وقيل : هو الذي يَفْتَحُ أبوابَ الرِّزق والرَّحمة لعباده ، والمُنْغَلِقَ

عليهم من أرزاقه .

(البَاسِطُ) : الذي يَبْسُط الرِّزق لعباده ويُوسِّعهُ عليهم بجوده ورحمته .

و (القَابِضُ) : الذي يُمْسِكُهُ عنهم بلُطْفه ، فهو الجامعُ بين العطاء والمنع .

و (الخَافِض) : الذي يَخْفِضُ الجَبّارين والفراعِنَةَ ، أي : يَضَعُهُم ويُهينُهم .

و (الرّافع) : هو الذي يَرفع أولياءَه ويُعزُّهم ، فهو الجامع بين الإعزاز والإذلال .

(الحَكَمُ) : الحاكم ، وحقيقته : الذي سُلِّمَ له الحكْم ورُدَّ إليه .

(العدْلُ) : هو الذي لا يميلُ به الهوى فيجور في الحكم ، وهو من المصادر التي يُسمى بها .

(اللّطيفُ) : الذي يُوصِل إليك أرَبَكَ في رِفْقٍ ، وقيل : هو الذي لَطُفَ عن أنْ يُدْرَك بالكَيْفِيَّةِ .

(الخَبيرُ) : العالِمُ العارف بما كان وما يكون .

(الغَفُور) : من أبْنِيَةِ المبالغة في الغفران .

(الشّكُورُ) : الذي يُجازي عباده ويُثيبُهم على أفعالهم الصالحة ، فشكر الله لعباده إنما هو مغفرته لهم وقبوله لعبادتهم .

(الكَبيرُ) : هو الموصوف بالجلال وكِبَرِ الشّأن .

(المُقيتُ) : هو المُقْتَدِرُ ، وقيل : هو الذي يُعطي أقْواتَ الخلائق .

(الحَسيبُ) : الكافي ، هو فَعيلٌ بمعنى : مُفْعِل ، كأليمٍ بمعنى : مُؤلِم ، وقيل : هو المحاسب .

(الرّقيبُ) : هو الحافظ الذي لا يَغيبُ عنه شيء .

(المُجيبُ) : الذي يقبل دعاء عباده ويستجيبُ لهم .

(الوَاسِعُ) : هو الذي وَسِعَ غِناهُ كلَّ فَقْرٍ ، و [وَسِعَتْ] رحمتُهُ كلَّ شيء .

(الْوَدود) : فَعولٌ بمعنى : مَفْعُول من الْوُدّ ، فالله تعالى مَودود ، أي : محبوبٌ في قلوب أوليائه ، أو هو فَعولٌ بمعنى : فاعل ، أي : أن الله تعالى يَوَدُّ عباده الصالحين ، بمعنى : يرضى عنهم .

(المَجيدُ) : هو الواسِعُ الكَرَم ، وقيل : هو الشَّريف .

(البَاعِثُ) : هو الذي يَبْعَثُ الخلقَ بعد الموت يوم القيامة .

(الشَّهيدُ) : هو الذي لا يغيبُ عنه شيء ، يقال : شاهدٌ وشَهيدٌ ، كعالمٍ وعَليم ، أي أنه حاضرٌ يشاهد الأشياء ويراها .

(الحَقُّ) : هو المُتَحقّقُ كَوْنُهُ ووجُوده .

(الْوَكيلُ) : هو الكفيلُ بأرزاق العباد ، وحقيقتُهُ : أنه الذي يَسْتَقِلُّ بأمر الموكول إليه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا الله ونِعمَ الوَكيلُ ﴾[آل عمران : ١٧٣] .

(القَويُّ) : القادر ، وقيل : التَّامُّ القُدرة والقوَّة ، الذي لا يُعْجِزُهُ شيء .

(المَتينُ) : هو الشديد القويُّ الذي لا تَلْحَقُهُ في أفعاله مَشَقَّةٌ .

(الْوَليُّ) : النَّاصرُ ، وقيل : المُتولّي للأمور القائم بها كَولي اليتيم .

(الحَميدُ) : المحمود الذي استَحَقَّ الحمد بفعله ، وهو فعيلٌ بمعنى مفعول .

(المُحْصِي) : هو الذي أحصى كلَّ شيء بعلمه ، فلا يفوته شيء من الأشياء ، دَقَّ أو جلَّ .

(المُبدِئ) : الذي أنشأ الأشياء واخترعها ابتداءً .

و (المُعيدُ) : هو الذي يُعيدُ الخلقَ بعد الحياة إلى المَمات ، وبعد المَمات إلى الحياة .

(الْوَاجدُ) : هو الغني الذي لا يفتقر ، وهو من الجِدَة : الغِنَى .

(الْوَاحِدُ) : هو الفرد الذي لم يزل وحده ، ولم يكن معه آخرُ ، وقيل : هو منقطِعُ القرين والشَّريك .

(الأَحَدُ) : الفَرِدُ ، والفرق بينه وبين الواحد : أن « أحدًا » بُنِيَ لِنَفي ما يُذْكَرُ معه من العدد ، فهو يقع على المذكر والمؤنث ، يقال : ما جاءني أحد ، أي : ذكر ولا أنثى ، وأما « الواحد » فإنه وُضِعَ لمُفْتَتِحِ العدد ، تقول : جاءني واحدٌ من الناس ، ولا تقول فيه : جاءني أحدٌ من الناس ، والواحد : بنُيَ على انقطاع النظير والمِثْل ، والأحد : بُني على الانفراد والوحدة عن الأصحاب ، فالواحدُ مُنْفَرِدٌ بالذات ، والأحد منفرد بالمعنى .

(الصَّمَدُ) : هو السيد الذي يَصمِدُ إليه الخلقُ في حَوائجهم ، أي : يَقْصِدُونه .

(المُقْتَدِرُ) : مُفتَعِلٌ من القدرة ، وهو أبلغ من قادر .

(المُقَدِّمُ) : الذي يُقدِّمُ الأشياء فيضعها في مواضعها .

(المُؤَخِّرُ) الذي يؤخِّرُها إلى أماكنها ، فمن استَحَقَّ التقديم قَدَّمَهُ ، ومن استحق التأخير أخَّرهُ .

(الأوَّل) : هو السَّابِقُ للأشياء كلِّها . و(الآخر) : الباقي .

(الظَّاهِرُ) : هو الذي ظهر فوق كل شيء وَعَلاهُ .

و (البَاطِنُ) : هو المُحْتَجِب عن أبصار الخلائق .

(الوالي) : مالكُ الأشياء ، المتصرِّفُ فيها .

(المُتَعَالي) : هو المتنزِّه عن صفات المخلوقين ، تعالى أن يوصف بها وجَلَّ .

(البَرُّ) : هو العَطوف على عباده ببِرّه ولُطْفِه .

(المُنْتَقِمُ) : هو المبالغُ في العقوبة لمن يشاء .

(العَفُوُّ) : فعول من العفو ، بناء مبالغة ، وهو الصَّفُوح عن الذنوب .

(الرَّؤوفُ) : هو الرحيمُ العاطِفُ برأفته على عباده .

(ذُو الجَلالِ) : الجَلالُ : مصدر الجليل ، تقول : جليلٌ بيِّن الجلالة والجلال .

(المُقْسِطُ) : العَادِلُ في حكمه ، أقسط الرجلُ : إذا عَدَلَ ، فهو مُقْسِطٌ ، وقَسطَ : إذا جار ، فهو قَاسِطٌ .

(الجَامِعُ) : هو الذي يَجْمَعُ الخلائق ليوم الحساب .

(المَانِعُ) : هو الناصرُ الذي يمنع أولياءَه أن يؤذيَهم أحدٌ .

(النُّور) : هو الذي يُبصر بنوره ذو العَمَاية ، ويَرشُدُ بهُدَاه ذو الغواية .

(الوارِثُ) : هو الباقي بعد فناء الخلائق .

(الرَّشيدُ) : هو الذي أرشد الخلق إلى مصالحهم ، فَعِيل بمعنى مُفْعِل .

(الصَّبُور) : هو الذي لا يُعاجل العُصاةَ بالانتقام منهم ، بل يُؤخِّرُ ذلك إلى أجل مُسمّى ، فمعنى الصَّبور في صفة الله تعالى قريب من معنى الحليم ، إلا أن الفرق بين الأمرين : أنهم لاَ يأْمَنُون العُقوبةَ في صفة الصَّبورِ ، كما يأمنون منها في صفة الحليم .

٥٧٨ - * روى الترمذي عن بريدة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ : سَمِع رَجُلاً يقول : اللَّهمَّ إنِّي أسألُك بأنّي أشْهَدُ أنَّكَ أنْتَ اللهُ ، لا إلهَ إلا أنتَ ، الأحَدُ الصَّمَدُ ، الذي لم يَلِدْ ولم يُولَد ، ولم يكن له كُفُوًا أحدٌ ، فقال : « والذي نفسي بيده ، لقد سأل اللهَ باسمه الأعظم ، الذي إذا دُعِيَ به أجاب ، وإذا سُئِلَ بِهِ أعْطى » .

وفي رواية أبي داود (١) : « بَاسْمِه الذي إذا سُئِلَ به أعطى ، وإذا دُعِيَ به أجاب » .

٥٧٩ - * روى أبو داود عن أنسِ بن مالك رضي الله عنه ، أنَّهُ كان مَعَ رسولِ الله ﷺ

---

٥٧٨ - الترمذي (٥ / ٥١٥) ٤٩ - كتاب الدعوات ، ٦٤ - باب حدثنا جعفر بن محمد بن عمران . وقال : حسن غريب .
أبو داود (٢ / ٧٩) كتاب الصلاة - باب الدعاء . وإسناده صحيح .
والحديث رواه أيضًا : أحمد (٥ / ٣٤٩) ، وابن حبان (موارد الظمآن : ٥٩٢) .
٥٧٩ - أبو داود (٢ / ٧٩) كتاب الصلاة - باب الدعاء .
والترمذي (٥ / ٥٥٠) ٤٩ - كتاب الدعوات ، ١٠٠ - باب خلق الله مائة رحمة .
والنسائي (٣ / ٥٢) ١٣ - كتاب السهو ، ٥٨ - باب الدعاء بعد الذكر .

جَالِسًا ، ورجلٌ يُصَلِّي ، ثُمَّ دَعَا الرَّجلُ فقال : اللَّهمَّ إني أسألُكَ بأنَّ لكَ الحمدَ ، لا إلهَ إلا أنتَ ، المنَّانُ ، بَديعُ السَّمٰواتِ والأرضِ ، ذو الجَلالِ والإكْرامِ ، يا حَيُّ يا قَيُّومُ . فقال رسولُ الله ﷺ لأصحابه : « أتَدرونَ بِمَ دَعَا » ؟ قالوا : اللهُ ورسولُهُ أعلم . قال : « والذي نفسي بيده ، لَقَدْ دَعَا اللهَ باسمه الأعظم ، الذي إذا دُعِيَ به أجاب ، وإذا سُئِلَ بهِ أعْطى » .

٥٨٠ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ينادي منادٍ في النار يا حَنَّانُ يا مَنَّانُ » .

٥٨١ ـ * روى أبو داود عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « اسْمُ اللهِ الأعظَم في هاتَينِ الآيتين ﴿ وإلهُكم إلهٌ واحدٌ لا إلهَ إلا هُوَ الرَّحمنُ الرَّحيمُ ﴾ [1] وفَاتِحةُ سُورَة آل عِمْرَان ﴿ الٓمٓ * اللهُ لا إلهَ إلا هُوَ الحيُّ القَيُّومُ ﴾ [2] .

٥٨٢ ـ * روى أبو داود عن مِحْجن بن الأدْرَع الثقفي رضي الله عنه قال : دَخَلَ رسولُ

وابن حبان (موارد الظمآن : ٥٩٢) .

(المنّان) فعّال من المِنَّة ، وهو المبالغ فيها .

(بَديعُ) البديع : المُبدِعُ ، وهو الخالق المخترع لا عن مِثالٍ سابق .

(قَيُّومُ) القَيُّوم : القائم بذاته ولا يقوم غيره إلا به . فهو مستغنٍ عن خلقه ، وخلقه محتاجون إليه في وجودهم واستمرارهم .

٥٨٠ ـ الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ١٥٩) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن .

٥٨١ ـ أبو داود (٢ / ٨٠) كتاب الصلاة ـ باب الدعاء .

والترمذي (٥ / ٥١٧) ٤٩ ـ كتاب الدعوات . ٦٥ ـ باب حدثنا قتيبة .

وابن ماجه (٢ / ١٢٦٧) ٣٤ ـ كتاب الدعاء . ٩ ـ باب اسم الله الأعظم .

والدارمي (٢ / ٤٥٠) كتاب فضائل القرآن ـ باب فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي .

قال محقق الجامع :

وفي سنده عبيد الله بن أبي زياد القداح المكي أبو الحصين ، وهو ليس بالقوي ، كما قال الحافظ في التقريب . وفيه أيضًا شهر بن حوشب ، وهو صدوق كثير الإرسال والأوهام ، ولكن للحديث شواهد بمعناه يرتقي بها إلى درجة الحسن ، ولذلك حسنه الترمذي . ا . هـ .

(١) البقرة : ١٦٣ .

(٢) آل عمران : ١ ، ٢ .

٥٨٢ ـ أبو داود (١ / ٢٥٩) كتاب الصلاة ـ باب ما يقول بعد التشهد .

الله ﷺ المسجد ، فإذا هو برجلٍ قد قضى صَلاتَهُ وهو يَتَشَهَّدُ ، ويقولُ : اللهُم إني أسألُكَ باسمِكَ الأحَدِ الصَّمَدِ ، الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ، ولم يَكُنْ له كُفُوًا أحدٌ : أن تَغْفِرَ لي ذُنوبي ، إنَّكَ أنت الغَفورُ الرَّحيمُ ، قال : فقال : « قَدْ غُفِرَ له ، قد غُفِرَ له ، قد غُفِرَ له » .

٥٨٣ ـ * روى البزار عن نُعَيْم بن هَمَّار : أن رسول الله ﷺ قال : « الميزانُ بيدِ الرَّحمن يَرفَعُ أقوامًا ويَضعُ آخَرينَ » .

٥٨٤ ـ * روى الطبراني عن نُعَيْم بن هَمّار الغَطَفاني ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « ما من آدمي إلا وقلبُه بين أصبعين من أصابع الرحمنِ إن شاء أن يُزيغَه أزاغه وإن شاء أنْ يُقيمه أقامَهُ وكلَّ يومٍ الميزانُ بيد الله يرفعُ أقوامًا ويضعُ آخرين إلى يوم القيامة » .

٥٨٥ ـ * روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسولُ الله ﷺ يُكْثِرُ أن يقولَ : « يامُقَلِّبَ القلوب ثَبِّتْ قلبي على دينِكَ » . فقلتُ : يا رسولَ الله ، قد آمنَّا بكَ ، وبما جئتَ به ، فهل تخاف علينا ؟ قال : « نعم ، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن ، يُقلِّبها كيف يشاء » .

٥٨٦ ـ * روى مسلم عن عبدِ الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول :« إن قُلُوبَ بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن ، كقلبٍ واحدٍ، يُصَرِّفُهُ حيث شاء » . ثم قال رسولُ الله ﷺ : « اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القلوب ثَبِّت قلوبَنا على طاعتك » .

= والنسائي (٣ / ٥٢) ١٣ ـ كتاب السهو ، ٥٨ ـ باب الدعاء بعد الذكر .

وأحمد (٤ / ٣٣٨) . والحديث إسناده حسن .

٥٨٣ ـ الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٨٢) وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

والحاكم في المستدرك (٢ / ٢٨٩) كتاب التفسير ـ تفسير سورة آل عمران . وهو صحيح .

٥٨٤ ـ الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٢١١) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

٥٨٥ ـ الترمذي (٤ / ٤٤٨) ٣٣ ـ كتاب القدر ، ٧ ـ باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن . وقال : هذا حديث حسن .

قال : وفي الباب عن النواس بن سمعان ، وأم سلمة وعائشة وأبي ذر ا . هـ والحديث إسناده حسن .

٥٨٦ ـ مسلم (٤ / ٢٠٤٥) ٤٦ ـ كتاب القدر ، ٣ ـ باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء .

٥٨٧ ـ * روى مالك عن عمرو بن دينار رحمه الله ، قال : سمعتَ ابنَ الزبير يقول في خطبته : إن الله هو الهادي والفاتن .

٥٨٨ ـ * روى البزار عن حذيفة عن النبي ﷺ قال : « خلق الله كُلَّ صانع وصَنْعَتَهُ » .

٥٨٩ ـ * روى ابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « يَمِينُ اللهِ مَلأَى لا يَغيضُها شَيء سَحَّاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهار ، وَبِيَدِهِ الأُخْرى الْمِيزَانُ ، يرفع القِسْطَ وَيَخْفِضُ » . قال : « أَرَأَيْتَ مَا أَنفَقَ مُنذُ خَلَقَ اللهُ السَّموات وَالأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَنقُص مِمَّا فِي يَدَيهِ شَيْئًا » .

٥٩٠ ـ * روى مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قام فينا رسولُ الله ﷺ بخمس كلماتٍ ، فقال : « إن الله لا ينامُ ، ولا ينبغي له أن ينامَ ، يَخْفِض القِسْطَ ويَرْفَعُه ، يُرفَعُ إليه عملُ الليل قَبْلَ عَمَلِ النَّهار ، وعملُ النَّهار قَبْل عمل

---

٥٨٧ ـ الموطأ (٢ / ٩٠٠) ٤٦ ـ كتاب القدر ، ١ ـ باب النهي عن القول بالقدر .

وإسناده صحيح .

٥٨٨ ـ كشف الأستار (٣ / ٢٨) .

وقال الهيثمي (٧ / ١٩٧) : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن عبد الله أبو الحسين ابن الكردي وهو ثقة . اهـ .

والمستدرك (١ / ٣١) ، وقال : على شرط مسلم . ووافقه الذهبي .

٥٨٩ ـ ابن ماجه (١ / ٧١) المقدمة ١٣ ـ باب فيما أنكرت الجهمية .

وأخرج البخاري نحوه (٨ / ٣٥٢) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، ٢ ـ باب : ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ .

وكذا مسلم (٢ / ٦٩١) ١٢ ـ كتاب الزكاة ، ١١ ـ باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف .

٥٩٠ ـ مسلم (١ / ١٦١) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٧٩ ـ باب في قوله عليه السلام : إن الله لا ينام . وفي قوله : حجابه النور ... إلخ .

قال محقق الجامع :

أي : يخفض الله الميزان ويرفعه بما يوزن من أعمال العباد المرتفعة ، ويوزن من أرزاقهم النازلة . معنى سبحات وجهه : نوره وجلاله وبهاؤه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الليل ، حِجَابُه النُّور - وفي رواية : النـارُ - « لو كَشَفَـهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحـاتُ وجهـه مـا انتهى إليه بصرُهُ من خلقه » .

٥٩١ - * روى البخاري ومسلم عن عبدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنـه أن رسول الله ﷺ قال : « لا أحـدٌ أغْيَرُ من الله ، من أجل ذلـك حرَّم الفواحشَ مـا ظهر منهـا ومـا بَطَن ، ولا أحدٌ أحبُّ إليه المدْح من الله تعالى ، من أجل ذلك مَدَحَ نَفْسَهُ » .

وفي رواية (١) نحوه ، ولم يـذكر « مـا ظهر ومـا بطن » وزاد : « وليس أحـدٌ أحبُّ إليه العُذْرُ من الله ، من أجل ذلك أنزلَ الكتابَ وأرسلَ الرُّسُلَ » .

٥٩٢ - * روى أحمد عن أبي هريرة قال : قيل للنبي ﷺ : أما تَغار ؟ قـال : « والله إني لأغارُ والله أغيرُ مني ، ومن غَيْرَته نهى عن الفواحش » .

٥٩٣ - * روى البخـاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنــه ، أن رسـول الله ﷺ قال : « إن الله يَغَارُ ، وإن المؤمن يغـار ، وإن غَيْرَةَ الله أن يـأتيَ المؤمنُ مـا حرم الله عليه » .

وفي رواية مسلم (٢) قال : « المؤمن يَغَارُ ، والله أشدُّ غَيْرًا » .

٥٩٤ - * روى مسلم عن أبي ذرٍّ الغفـاري رضي الله عنـه قـال : سـألتُ رسول الله ﷺ :

---

٥٩١ - البخاري (٨ / ٣٠١) ٦٥ - كتاب التفسير ، ١٠ - باب : ﴿ إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ .

مسلم (٤ / ٢١١٣) ٤٩ - كتاب التوبة ، ٦ - باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش .

(١) مسلم (٢ / ١١٣٦) ١٩ - كتاب اللعان ، الحديث السابع عشر .

٥٩٢ - أحمد (٢ / ٣٢٦) .

ومجمع الزوائد (٦ / ٢٥٤) . وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

٥٩٣ - البخاري (٩ / ٣١٩) ٦٧ - كتاب التوبة ، ١٠٧ - باب الغيرة .

مسلم (٤ / ٢١١٤) ٤٩ - كتاب التوبة ، ٦ - باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش .

(٢) مسلم : (٤ / ٢١١٥) الموضع السابق .

٥٩٤ - مسلم : (١ / ١٦١) ١ - كتاب الإيمان ، ٧٨ - باب في قولـه عليـه السلام : نور أنَّى أراه . وفي قولـه : رأيت نورًا.

هل رأيتَ ربَّك ؟ قال : « نُورٌ ، أنَّى أَرَاه ؟ » .

وفي رواية الترمذي [(1)] عن عبد الله بن شقيق قال : قلت لأبي ذر : لو رأيتُ رسولَ الله ﷺ [لسألتُه . فقال : عَمَّ كنتَ تسألُه ؟ قلت] : كنتُ أسألُه : هل رأيت ربَّك ؟ فقال أبو ذر : قد سألتُه ، فقال : « نورٌ ، أنَّى أراه ؟ » .

٥٩٥ - * روى مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ شَقِيق ، قَالَ : قُلْتُ لأَبِي ذَرٍّ : لَوْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ لَسَأَلْتُهُ . فَقَالَ : عَنْ أَيِّ شَيْءٍ كُنتَ تَسأَلُهُ ؟ قال : كُنت أَسْأَلُهُ هَلْ رَأَيتَ رَبَّكَ ؟ قَالَ أَبُو ذر : قد سألتُ فَقَال : « رَأَيْتُ نُورًا » .

٥٩٦ - * روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال : « قال الله تعالى : كَذَّبني ابنُ آدمَ ، ولم يكن له ذلك ، وشَتَمني ، ولم يكُنْ له ذلك ، فأمَّا تكذيبُهُ إيَّاي ، فزَعَمَ أنِّي لا أَقدرُ أنْ أُعيدَهُ كما كان ، وأمَّا شَتْمُهُ إياي ، فقوله : لي وَلَدٌ ، فَسُبْحاني أنْ أَتَّخذَ صاحِبةً أو وَلَدًا » .

٥٩٧ - * روى البخاري ومسلم عن مَسْروق بن الأجدع رحمه الله قال : قلتُ لعائشةَ :

---

(١) الترمذي (٥ / ٢٩٦) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ، ٥٤ - باب « ومن سورة والنجم » .

قال النووي :

(نور أنى أراه) هكذا رواه جميع الرواة في جميع الأصول والروايات . ومعناه : حجابه النور فكيف أراه ؟ قال الإمام أبو عبد الله المازريّ رحمه الله : الضمير في أراه عائد على الله سبحانه وتعالى . ومعناه : أن النور منعني من الرؤية كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار ، ومنعها من إدراك ما حالت بين الرائي وبينه .

٥٩٥ - مسلم (١ / ١٦١) ١ - كتاب الإيمان ، ٧٨ - باب في قوله عليه السلام : نور أنى أراه ، وفي قوله : رأيت نورًا .

قال النووي : (رأيت نورًا) معناه : رأيت النور فحسب ، ولم أر غيره .

٥٩٦ - البخاري (٨ / ١٦٨) ٦٥ - كتاب التفسير ، ٨ - باب ﴿ وقالوا اتخذ الله ولدًا سبحانه ﴾ .

قال الكرماني : التكذيب نسبة المتكلم إلى أن خبره خلاف الواقع ، والشتم : توصيف الشخص بما هو إزراء ونقص فيه ، وإثبات الولد له كذلك ، لأنه قول بما يستلزم الإمكان والحدوث ، فسبحانه ما أحلمه وما أرحمه : ﴿ وربك الغفور ذو الرحمة ﴾ . وهذا من الأحاديث القدسية .

٥٩٧ - البخاري (٨ / ٦٠٦) ٦٥ - كتاب التفسير ، ١ - باب حدثنا يحيى .

يا أُمَّتاه ، هل رأى محمدٌ ربَّه ؟ فقالت : لقد قَفَّ شَعري مما قُلْتَ ، أيْنَ أنت من ثلاثٍ مَنْ حدَّثَكَهُنَّ فقد كَذَب ؛ من حدَّثكَ أنَّ محمدًا رأى ربَّه فقد كَذَب ، ثم قرأتْ : ﴿ لا تُدْرِكُه الأبصار وهو يُدْرِكُ الأبصار وهو اللطيفُ الخبير ﴾ (١) ، ﴿ ومَا كان لبَشَرٍ أن يُكَلِّمَهُ اللهُ إلا وحيًا أو مِنْ وراء حجاب أو يرسلَ رسولاً ﴾ (٢) . ومن حدَّثك أنه يعلم ما في غدٍ ، فقد كذَب ، ثم قرأت : ﴿ وما تدري نَفْسٌ ماذا تكسبُ غدًا ﴾ (٣) . ومن حدَّثك أنه كتم فقد كذبَ ، ثم قرأت : ﴿ يا أيها الرسول بلِّغْ ما أُنزِلَ إليك من ربك ... ﴾ (٤) الآية ، ولكنَّه رأى جبريلَ عليه السلام في صورته مرتين .

وفي رواية (٥) قال : قلتُ لعائشةَ : فأين قوله : ﴿ ثم دنا فتدلَّى * فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ (٦) ؟ قالت : ذاك جبريلُ عليه السلام ، كان يأتيه في صورة الرجلِ ، وإنه أتاه هذه المرة في صورته ، التي هي صورته ، فسَدَّ الأفق .

وفي أخرى (٧) : ومن حدَّثك أنَّه يعلم الغيب فقد كذَب ، وهو يقول : لا يعلم الغيبَ إلا الله .

وفي أخرى (٨) : أن مسروقًا قال : كنتُ متَّكئًا عند عائشة ، فقالت : ياأبا عائشةَ ثلاثٌ من تكلَّم بواحدةٍ منهنَّ فقد أعْظَمَ على الله الفِرْيَةَ ... وذكرت نحوَ الرواية الأولى .

وزاد في رواية (٩) : ولو كان محمدٌ ﷺ كاتمًا شيئًا مما أُنْزِلَ عليه لكتم هذه الآية : ﴿ وإذ

= مسلم (١ / ١٦٠) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٧٧ ـ باب معنى قول الله عز وجل : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ ، وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء ؟

(١) الأنعام : ١٠٣ .

(٢) الشورى : ٥١ .

(٣) لقمان : ٣٤ .

(٤) المائدة : ٦٧ .

(٥) مسلم : الموضع السابق .

(٦) النجم : ٨ ـ ٩ .

(٧) البخاري (١٣ / ٣٦١) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ، ٤ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا ﴾ .

(٨) مسلم (١ / ١٥٩) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٧٧ ـ باب معنى قول الله عز وجل : « ولقد رآه نزلة أخرى » .

(قفَّ شعري) قفَّ الشعرُ : إذا قام في منابته ، وأكثر ما يعرض عند سماع ما يخافه الإنسان أو يهابه ويعاينه .

(الفرية) : اختلاق الكذب .

(٩) مسلم (١ / ١٦٠) الكتاب والباب السابقان .

تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمتَ عليه أمْسكْ عليك زَوجَك واتَّق الله وتُخفي في نفسك ما اللهُ مبدِيه وتخشى الناس والله أحقُّ أن تخشاه ﴾ [١] .

وللبخاري [٢] طَرفٌ منه عن القاسم عن عائشة قالت : من زعم أن محمدًا رأى ربَّه فقد أعظم ، ولكن قد رأى جبريلَ في صورته وخَلْقِهِ سادًّا ما بين الأفق .

٥٩٨ ـ * روى مسلم عَنِ ابنِ عباسٍ ؛ قَالَ : ﴿ مَا كَذَبَ الفُؤَادُ ما رأى ﴾ [٣] ﴿ وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرى ﴾ [٤] قالَ : رآهُ بفُؤادِهِ مرَّتَيْن .

أقول : مذهب ابن عباس أن رسول الله ﷺ قد رأى ربَّه يوم المعراج ورجَّح ذلك النووي ، لأن عائشة تنفي وابن عباس يثبت . وكلام المُثْبِت مقدم لأن فيه زيادة علم ، وذلك من الخصوصية لرسول الله ﷺ ، فمن ادَّعى أنه رأى الله يقظة في الدنيا ببصره فقد كفر .

وها نحن ننقل لك جزءًا من تحقيق النووي في إثبات الرؤيا لرسول الله ﷺ .

قال النووي : وأما صاحب التحرير فإنه اختار إثبات الرؤية قال والحجج في هذه المسئلة وإن كانت كثيرة ولكنا لا نتمسك إلا بالأقوى منها وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد ﷺ . وعن عكرمة : سئل ابن عباس رضي الله عنهما ؛ هل رأى محمدٌ ﷺ ربَّه ؟ قال : نعم . وقد روي بإسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن أنسٍ رضي الله عنه قال : رأى محمد ﷺ ربه . وكان الحسن يحلف : لقد رأى محمد ﷺ ربه . والأصل في الباب حديث ابن عباس حبر الأمة والمرجوع إليه في المعضلات ، وقد راجعه ابن عمر رضي الله عنهم في هذه المسألة وراسله : هل رأى محمد ﷺ ربه ؟ فأخبره أنه رآه . ولا يقدح في هذا حديث عائشة رضي الله عنها ؛

---

(١) الأحزاب : ٣٧ .

(٢) البخاري (٦ / ٣١٣) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ٧ ـ باب إذا قال أحدكم آمين ... إلخ .

٥٩٨ ـ مسلم (١ / ١٥٨) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٧٧ ـ باب معنى قول الله عز وجل : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ .

(٣) النجم : ١١ . (٤) النجم : ١٣ .

لأن عائشة لم تخبر أنها سمعت النبي ﷺ يقول لم أر ربي ، وإنما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول الله تعالى : ﴿ **وما كان لبشرٍ أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا** ﴾ ولقول الله تعالى : ﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾ ، والصحابي إذا قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن قولُه حجةً ، وإذا صحت الروايات عن ابن عباس في إثبات الرؤية وجب المصيرُ إلى إثباتها ، فإنها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وإنما يُتَلَقَّى بالسماع، ولا يستجيز أحد أن يَظُنَّ بابن عباس أنه تكلم في هذه المسألة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس : ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس . ثم إن ابن عباس أثبت شيئًا نفاه غيره والمثبت مقدم على النافي . هذا كلام صاحب التحرير . فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله ﷺ رأى ربَّه بعيني رأسه ليلة الإسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسماع من رسول الله ﷺ . هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه ، ثم إن عائشة رضي الله عنها لم تنف الرؤية بحديث عن رسول ﷺ ولو كان معها فيه حديث لذكرته وإنما اعتمدت الاستنباط من الآيات » ا . هـ كلام النووي .

وأجاب النووي عن استنباطات عائشة رضي الله عنها .

٥٩٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رفعه) : « يَضْحَكُ الله إلى رجلين ، يَقتلُ أحدهما الآخر ، يدخلان الجنة ، يقاتلُ هذا في سبيل الله فيُقتل ، ثم يتوب الله على القاتلِ فَيُسْلِمَ ، فيقاتلُ في سبيل الله فيُسْتَشهدُ » .

أقول : الضحك في حقه تعالى (ليس كمثله شيء) ككل صفاته جل جلاله .

٦٠٠ - * روى البزار عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « لو تعلمون قدر رحمة الله لاتَّكَلْتم » أحْسَبُهُ قال : « عليها » .

---

٥٩٩ - البخاري : (٦ / ٣٩) ٥٦ - كتاب الجهاد ، ٢٨ - باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيُسَدِّدُ بعد ويقتل .
مسلم (٣ / ١٥٠٤) ٣٣ - كتاب الإمارة ، ٣٥ - باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر ، يدخلان الجنة .
وابن ماجه (١ / ٦٨) المقدمة ، ١٣ - باب فيما أنكرت الجهمية .

٦٠٠ - كشف الأستار (٤ / ٨٥) .

٦٠١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ عن النبي ﷺ قال : « إنَّ للهِ مائَةَ رَحْمةٍ قسم منها رحمة بَيْن جميع الخلائق فَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ وَبِها يَتَعاطَفُونَ وَبِها تَعْطِفُ الوحشُ عَلَى أَوْلادِهَا وَأَخَّرَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِها عِبَادَهُ يَومَ القِيامَةِ ».

٦٠٢ - * روى مسلم عن أبي سعيد ، قال: قال رسول الله ﷺ : « خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَومَ خَلَقَ السَّموات وَالأرضَ مِائَةَ رَحمةٍ فَجَعَلَ في الأرض مِنْهَا رَحمة فَبِها تَعْطِفُ الْوالِدَةُ عَلَى وَلَدِها والبهائمُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْض وَالطيرُ وَأَخَّر تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إلى يَوم القِيَامَةِ فَإِذَا كَانَ يَومَ القِيامةِ أَكْمَلَها اللهُ بِهَذِهِ الرَّحْمة » .

٦٠٣ - * روى الطبراني عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل خلق مائةَ رحمةٍ ، رحمةً منها قسمها بين الخلائق وتسعةً وتسعين إلى يوم القيامة » .

٦٠٤ - * روى أحمد عن أنس قال : مَرَّ النبي ﷺ ونفرٌ من أصحابه وصبي في الطريق فلما رأت أمُّ الصَّبيِّ القومَ خَشِيَتْ على ولدها أنْ يُوطأ فأقبلَتْ تسعى وتقول : ابني ابني . وسَعَتْ فأخذته ، فقال القومُ : يا رسول الله ما كانت هذه لِتُلْقِيَ ابنها في النار . قال : فَخَفَّضَهم النبي ﷺ ، وقال : « ولا الله لا يُلقي حبيبَه في النار » .

= قال الهيثمي (١٠ / ٢١٣) : رواه البزار وإسناده حسن .

٦٠١ - البخاري (١٠ / ٤٣١) ٧٨ - كتاب الأدب ، ١٩ - باب جعل الله الرحمة في مائة جزء .

مسلم (٤ / ٢١٠٨) ٤٩ - كتاب التوبة ، ٤ - باب في سعة رحمة الله تعالى ، وأنها سبقت غضبه .

وابن ماجه (٢ / ١٤٣٥) ٣٧ - كتاب الزهد ، ٣٥ - باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة .

٦٠٢ - مسلم (٤ / ٢١٠٩) الكتاب والباب السابقان .

وابن ماجه : الموضع السابق .

٦٠٣ - الطبراني (١١ / ٣٧٤) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢١٤) كتاب التوبة - باب منه في رحمة الله تعالى .

وقال : رواه الطبراني والبزار وإسناده حسن .

٦٠٤ - أحمد (٣ / ١٠٤) .

وكشف الأستار (٤ / ١٧٤) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨٣) . وقال : رواه أحمد والبزار بنحوه وأبو يعلى ورجالهم رجال الصحيح .

(فخفضهم) : أي سكَّنهم وهوَّن عليهم .

٦٠٥ - * روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : « كان رجلٌ يُصلي فأتاه رجل فوطئ على رقبته فقال الذي تحته : والله لا يغفر اللهُ لك أبدًا . فقال الله عز وجل : تألى عليَّ عبدي أن لا أغفر لعبدي فإني قد غفرت له ».

أقول : هذا الحديث أصل من الأصول التي اعتمدها الأصوليون لاعتماد فكرة ما هو الواجب العقلي لله ، والمستحيل العقلي لله ، والجائز العقلي في حقه تعالى ، وما هي الواجبات والمستحيلات والجائزات الشرعية . وهو موضوع دقيق جرت على ذكره كتب العقائد خلال العصور ، وجدير بكل مسلم أن يفهمه بأن يقرأه في كتب عقائد أهل السنة والجماعة على عالم رباني متقن .

٦٠٦ - * روى أبو يعلى عن عائشةَ رضي الله عنها رفعته « لا تقولوا ما شاءَ اللهُ وشاءَ محمدٌ ، وقولوا ما شاءَ اللهُ وحدَه » .

٦٠٧ - * روى أبو داود عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « لا تقولوا : ما شاء اللهُ ، وشاء فلان ، ولكنْ قولوا : ما شاء الله ، ثم شاءَ فلانٌ » .

٦٠٨ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة لارضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « جعل الله الرحمة مائةَ جُزءٍ ، فأمسَكَ عنده تسعَةً وتسعين ، وأنزل في الأرض جُزءًا واحدًا ، فمن ذلك الجزء تَتَراحَمُ الخلائق ، حتى تَرفعَ الدابةُ حافِرها عن ولدها خشيةَ أن تُصيبَه » .

وللبخاري [1] : أن رسول الله ﷺ ، قال : « إن الله خلق الرحمة يومَ خَلقها مائة

---

٦٠٥ - الطبراني (١٠ / ١٢٤) .

مجمع الزوائد (٤ / ٨٦) وقال : رجاله رجال الصحيح .

٦٠٦ - مجمع الزوائد (٧ / ٢٠٨) وقال : رواه أبو يعلى ، ورجاله ثقات .

٦٠٧ - أبو داود (٤ / ٢٩٥) كتاب الأدب - باب لا يقال خبثت نفسي .

أحمد (٥ / ٣٨٤) .

٦٠٨ - البخاري (١٠ / ٤٣١) ٧٨ - كتاب الأدب ، ١٩ - باب جعل الله الرحمة في مائة جزء .

مسلم (٤ / ٢١٠٨) ٤٩ - كتاب التوبة ، ٤ - باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه .

(١) البخاري (١١ / ٣٠١) ٨١ كتاب الرقاق . ١٩ - باب الرجاء مع الخوف .

رحمةٍ ، فأمسك عنده تسعةً وتسعين رحمةً ، وأرسل في خلقه كلِّهم رحمةً واحدةً ، فلو يعلمُ الكافر بكلِّ الذي عند الله من الرحمة لم ييْأسْ من الجنة ، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار » .

ولمسلم [1] قال : « إن لله مائةَ رحمةٍ ، أنزل منها رحمة واحدةً بين الجنّ والإنس والبهائم والهوامّ ، فبها يتعاطفون ، وبها يتراحمون ، وبها تَعْطِفُ الوَحْشُ على ولدها ، وأخَّرَ الله تسعًا وتسعين رحمة ، يرحم بها عباده يوم القيامة » .

٦٠٩ - * روى الطبراني في الأوسط عن ثوبانَ مولى رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أُحِبُّ أن ليَ الدنيا وما فيها بهذه الآية ﴿ **يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تَقْنطوا من رحمةِ الله** ﴾ » الآية .

٦١٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لما قضى الله الخلق » وعند مسلم : « لما خلق الله الخلق كتب في كتاب كَتَبَهُ ، فهو عنده فوقَ العرش : إنّ رَحْمتي تَغْلِبُ غَضبي » .

وعند البخاري : « غلبتْ غضبي » .

وللبخاري أيضًا [2] : « إن الله لما قضى الخلقَ كتب عنده فوق عرشه : إن رحمتي سبقت غضبي » .

وله في أخرى [3] ، قال : « لما خلق الله الخلق كتب في كتابه على نفسه ، فهو موضوع عنده على العرش : إن رحمتي تَغْلِبُ غضبي » .

---

(١) مسلم (٤ / ٢١٠٨) ٤٩ - كتاب التوبة ، ٤ - باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه .

٦٠٩ - الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١٠٠) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وأحمد بنحوه وقال « إلا من أشرك » ثلاث مرات ، وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن .

٦١٠ - البخاري (١٣ / ٥٢٢) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٥٥ - باب قوله تعالى : ﴿ بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴾ .

مسلم (٤ / ٢١٠٧) ٤٩ - كتاب التوبة ، ٤ - باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه .

(٢) البخاري (١٣ / ٤٠٤) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٢٢ - باب وكان عرشه على الماء ، وهو رب العرش العظيم .

(٣) البخاري (١٣ / ٣٨٤) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ١٥ - باب قول الله تعالى : ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ .

وفي أخرى [١] : « إن الله كتب كتابًا ، قبل أن يخلق الخلق : إنَّ رحمتي سبقت غضبي . فهو مكتوبٌ عنده فوق العرش » .

ولمسلم أيضًا [٢] : أن النبيَّ ﷺ قال : « قال الله عز وجل : سبقت رحمتي غضبي » .

وله في أخرى [٣] : « لما قضى الله الخلق كتب في كتابه على نفسه ، فهو موضوع عنده : إنَّ رحمتي تغلب غضبي » .

وأخرجه ابن ماجه قال [٤] : « إنَّ الله حين خلق الخلق كتب بيده على نفسه : إنْ رحمتي تغلب غضبي » .

قال الحافظ في الفتح :

قوله : (لما قضى الله الخلق) أي خلق الخلق كقوله تعالى : ﴿ **فقضاهن سبع سموات** ﴾ أو المراد أوجد جنسه ، وقضى يطلق بمعنى حكم وأتقن وفرغ وأمضى . قوله (كتب في كتابه) أي أمر القلم أن يكتب في اللوح المحفوظ ، وقد تقدم في حديث عبادة بن الصامت قريبًا : « فقال للقلم اكتب ، فجرى بما هو كائن » ويحتمل أن يكون المراد بالكتاب اللفظ الذي قضاه ، وهو كقوله تعالى : ﴿ كتب الله لأغلبنَّ أنا ورسلي ﴾ ... قوله (غلبت) في رواية شعيب عن أبي الزناد في التوحيد « سبقت » بدل غلبت ، والمراد من الغضب لازمه وهو إرادة إيصال العذاب إلى من يقع عليه الغضب ، لأن السبق والغلبة باعتبار التعلق ، أي تعلق الرحمة غالب سابق على تعلق الغضب . لأن الرحمة مقتضى ذاته المقدسة وأما الغضب فإنه متوقف على سابقة عمل من العبد الحادث ، بهذا التقرير يندفع استشكال من أورد وقوع العذاب قبل الرحمة في بعض المواطن ، كمن يدخل النار من الموحدين ثم يخرج بالشفاعة وغيرها . وقيل معنى الغلبة الكثرة والشمول ، وتقول: غلب على فلان الكرم ، أي أكثر

---

(١) البخاري (١٣ / ٥٢٢) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ، ٥٥ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾ .

(٢) مسلم (٤ / ٢١٠٨) ٤٩ ـ كتاب التوبة ، ٤ ـ باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه .

(٣) مسلم : الموضع السابق .

(٤) ابن ماجه (٢ / ١٤٣٥) ٣٧ ـ كتاب الزهد ، ٣٥ ـ باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة .

أفعاله ، وهذا كله بناء على أن الرحمة والغضب من صفات الذات ، وقال بعض العلماء : الرحمة والغضب من صفات الفعل لا من صفات الذات . ولا مانع من تقديم بعض الأفعال على بعض فتكون الإشارة بالرحمة إسكان آدم الجنة أول ما خلق مثلاً ، ومقابلها ما وقع من إخراجه منها . وعلى ذلك استمرت أحوال الأمم بتقديم الرحمة في خلقهم بالتوسيع عليهم من الرزق وغيره ، ثم يقع بهم العذاب على كفرهم . وأما ما أشكل مِنْ أمْرِ مَنْ يعذب من الموحدين فالرحمة سابقة في حقهم أيضًا ، ولولا وجودها لخلدوا أبدًا . وقال الطيبي : في سبق الرحمة إشارة إلى أن قسط الخلق منها أكثر من قسطهم من الغضب وأنها تنالهم من غير استحقاق وأن الغضب لا ينالهم إلا باستحقاق ، فالرحمة تشمل الشخص جنينا ورضيعًا وفطيمًا وناشئا قبل أن يصدر منه شيء من الطاعة ، ولا يلحقه الغضب إلا بعد أن يصدر عنه من الذنوب ما يستحق معه ذلك » ا . هـ كلام ابن حجر .

٦١١ - * روى الطبراني في الصغير والأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « قلت : يا جبريل أيصلي ربُّك جل ذكره ؟ قال : نعم . قلت : ما صلاته ؟ قال : سبوح قدوس سبقت رحمتي غضبي » .

٦١٢ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لو يَعلمُ المُؤمنُ ما عِنْدَ الله من العُقوبةِ مَا طَمِعَ بجنَّتـهِ ، ولو يَعْلَمُ الكافِرُ ما عند الله من الرَّحمة مَا قَنِطَ من جَنَّتِه » .

وللترمذي في رواية أخرى [1] ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لو يعلمُ المؤمن ما عند الله من العَقُوبة ما طمع في الجنة أحدٌ ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قَنِطَ من الجنة أحدٌ » .

---

٦١١ - الروض الداني (١ / ٤٩) .

الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٢١٣) وقال : رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله وثقوا .

٦١٢ - مسلم (٤ / ٢١٠٩) ٤٩ - كتابة التوبة ، ٤ - باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه .

وأحمد (٢ / ٣٩٧) .

(١) الترمذي (٥ / ٥٤٩) ٤٩ - كتاب الدعوات ، ١٠٠ - باب خلق الله مائة رحمة . وقال : هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة .

٦١٣ - * روى البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : قُدِمَ على رسول الله ﷺ بِسَبْيٍ ، فإذا امرأةٌ من السَّبي تَسعى ، قد تَحَلَّبَ ثَديُها ، إذا وجدت صَبيًا في السَّبي أخَذَتْه ، فألزَقَتْه ببطنها فأرضعتْه ، فقال رسولُ الله ﷺ : « أَتَرَون هذه المرأةَ طارِحةً ولدَها في النار » ؟ قلنا : لا والله . فقال رسولُ الله ﷺ : « الله أَرْحَمُ بعباده من هذه المرأة بولدها » .

* * *

٦١٣ - البخاري (١٠ / ٤٢٧) ٧٨ - كتاب الأدب ، ١٨ - باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته .
مسلم : (٤ / ٢١٠٩) ٤٩ - كتاب التوبة ، ٤ - باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التلخيص

ـ يدخل في الإيمان بالله الإيمان بوجوده وصفاته العليا وأسمائه الحسنى وأفعاله ، وأنه لا فاعل إلا هو ولا خالق إلا هو ، وأنه له المالكية والربوبية والألوهية والحاكمية ، ولذلك فإن المكلفين من الإنس والجن مطالبون بالعبادة والعبودية على مقتضى الوحي الذي جاءنا به رسل الله عن الله ، وكان خاتمة ذلك رسالة نبينا محمد ﷺ التي نُسخت بها الشرائع السابقة إلا ما أقرته منها ، وقد جاءتنا مبينة واضحة في الكتاب والسنة ، فعرفتنا رسالة نبينا ﷺ على الله وصفاته وأسمائه وحقوقه ، وعلى واجباتنا تجاهه ففصلت لنا العبادة والعبودية .

ـ هناك معارك كبرى بين أهل الإسلام وبين أهل الفلسفات والأديان المعاصرة حول المعرفة الحق لله عز وجل ، وبتأمل بسيط يدرك من عرف العقيدة الإسلامية في باب الألوهية أنها قدمت الحق مصفى وأن ما سواها مما خالفها لا يقوم عليه دليل من عقل أو نقل .

ـ هناك معارك كبرى بين أهل السنة والجماعة وبين الفرق المنشقة عن جسم الأمة الإسلامية حول الذات الإلهية وصفاتها وما ينسب إليها وحول حقوقها ومالا يصح إلا لها وما يليق وما لا يليق ، وقد فَصَّل في ذلك كله المحكم من كتاب الله ، وقامت الحجة على هذه الفرق بفهم الراسخين في العلم من جماهير من ينتسب إلى الإسلام ، وكان من فضل الله على هذه الأمة أنه لم يزل أكثريتها وأكثرية علمائها على الفهم الحق ، ولم تتشكل فرقة ضالة في يوم من الأيام إن في عامتها أو في علمائها كثرة كاثرة ، وكانت أعظم معاركنا الفكرية مع المعتزلة .

ـ هناك اختلافات بين بعض أهل الرواية وبين أهل الدراية ممن ينتسبون إلى أهل السنة والجماعة ، وتتلخص هذه الاختلافات في الموقف من الصفات السمعية مع اتفاق الجميع على نفي التشبيه ، وفي بعض ما يخدش التوحيد ، وفي الموقف من تقليد الأئمة في الفروع ، وفي ما يدخل في دائرة البدعة المكفرة أو المضللة أو المحرمة . وفهوم الراسخين في العلم ممن تواطأت أكثرية علماء الأمة على التسليم لهم كالبيهقي والنووي وابن حجر العسقلاني والعز

ابن عبد السلام والسيوطي يشهد لأهل الدراية .

ـ كل ما مضى يجعلنا نذكر المسلم بضرورة قراءة كُتب أهل السنة والجماعة من أهل الدراية في العقائد ، فلكلام المختصين من الراسخين في العلم وزن ليس لكلام غيرهم .

فائدة : إن المعرفة الإلٰهية لا تتعمق بشيء كقراءة القرآن والإكثار من الأذكار المأثورة والدعوات التي وردت في الصلوات وغيرها ، وسنخصص جزءاً في القسم الثالث للتلاوة كما سنخصص جزءاً للدعوات والأذكار في القسم نفسه ، وستمر معنا من الدعوات والأذكار في مناسبات متعددة ، فمثل هذا يعمق الاعتقاد الحق وهو في الوقت نفسه من أرقى أنواع العبادة في الإسلام ، والصلاة وأذكارها ودعواتها هي الأرقى في هذا المرتقى .

وكثيرون من الناس بدلاً من أن يفطنوا إلى الجانب العملي في بعض النصوص ، يدخلون في أنواع الجدل ، فبدلاً من أن يفطنوا إلى الخشوع الذي يجب أن يفطن له من حديث « نصب الله وجهه لعبده في الصلاة » ، وبدلاً من أن يفطنوا لرقابة الله إياهم في قوله تعالى : ﴿ **وهو معكم أين ما كنتم** ﴾ [1] وبدلاً من أن يفطنوا لضرورة الدعوات في الثلث الآخر من الليل أخذاً من حديث النزول ، يدخلون في جدل عقيم لا يتابعون فيه الراسخين في العلم ولا يلحظون ما يترتب على كلامهم من تشبيه وإيجاد تعارض بين النصوص ، ولو أنهم سلموا للنصوص مع التنزيه أو تابعوا الراسخين في العلم على تأويلهم لكان أسلم لهم : ﴿ **سبحان الله عما يصفون ، إلا عباد الله المخلَصين** ﴾ [2] . ﴿ **وما يعلم تأويله إلا اللهُ والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا** ﴾ [3] .

ـ وإن من أقبل على الله بالعمل والإخلاص فتح الله على قلبه من ميادين المعرفة الإلهية ما لا يذوقه أهل الجدل الذي جعل الله عز وجل أهله مظنة ضلال ، « ما ضلَّ قوم بعد هُدى كانوا عليه إلا أُوتوا الجَدَلَ » [4] .

---

(١) الحديد : ٤ .

(٢) الصافات : ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٣) آل عمران : ٧ .

(٤) الترمذي (٥ / ٣٧٨) ٤٨ ـ كتاب التفسير [illegible] من سورة الزخرف . وقال : حسن صحيح . وأحمد (٥ / ٢٥٢) . والحديث إسناده حسن .



الوصل الأول

في :

الوثنية في التاريخ

وفيه :

مقدمة وتعريف عن الوثنية



المقدمة

قال تعالى عن الأصنام على لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿ **رب إنهن أضللن كثيراً من الناس** ﴾ [١] .

جاء هذا النص في سياق كلام إبراهيم عليه السلام في القرآن عن الأصنام : ﴿ **واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام * رب إنهن أضللن كثيرا من الناس** ﴾ [٢] .

فمن المعروف أن نوحاً وإبراهيم عليهما السلام بعثا في بلاد مابين الرافدين دجلة والفرات ، وأنهما بعثا وعبادة الأصنام منتشرة ، وقول إبراهيم عليه السلام الذي صدّرنا به هذا الوصل يشير إلى كثرة من ضل بسبب الأصنام ، وذلك أن الإنسان إذا جانب ماتوصل إليه العقول والنقول انحصر في خيالاته ، وكلما ابتعد عن قضايا العقول والنقول أوصلته خيالاته إلى التمثيل فالتجسيد الرمزي فالوثنية والشرك ، لذلك نجد أن الوثنية تسربت إلى كثير من أهل الأديان السماوية فضلاً عن غيرهم ، ولذلك نلاحظ أن الإسلام حضّ المسلم في كثير من النصوص على التسبيح في الصلاة وغيرها لاحتياج القلب البشرى إلى التغذية بالتنزيه بشكل دائم ، ولذلك كان للإسلام موقف من التصوير نعرف تفصيلاته في غير هذا المكان .

ولقد حدثتنا نصوص العهد القديم عند اليهود في أكثر من مكان عن تسرب عبادة البعل إلى اليهود ، وذكّر ذلك القرآنُ على لسانِ إلياس عليه السلام : ﴿ **أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين** ﴾ [٣] ، وكان البعل هو الصنم الذي تنسب إليه مدينة بعلبك في بلاد الشام ، ومن بلاد الشام أخذ عمرو بن لحي عبادة الأصنام وأدخلها إلى مكة ، ومنها انتشرت في جزيرة العرب .

والديانة البرهمية انقلبت إلى ديانة وثنية ، والديانة البوذية انقلبت إلى ديانة وثنية ، وغلبت الوثنية في أكثر أدوار التاريخ على بلاد مابين الرافدَيْن ، وغلبت الوثنية وتأليه الإنسان على الديانات المصرية القديمة ، وكانت ديانةُ الرومان الذين سيطروا على أكثر العالم

---

(١) إبراهيم : ٣٦ . (٢) إبراهيم : ٣٥ ، ٣٦ .

(٣) الصافات : ١٢٥ .

القديم وثنيـة ، وكـذلـك اليونـان الـذين سيطروا بقيـادة الإسكـنـدر المكـدوني على كثير من منـاطق العـالم القـديم كانوا وثنيين ، والوثنيـة هي الأصل في إفريقيـا لـولا دخـول الأديـان السماوية إليها ، ولقد دخلت الوثنية زائدة على تـأليـه المسيح ـ عليـه السلام ـ على الـديـانـة النصرانية في صور كثيرة : في صور الأيقونات ، وتقـديم شيء من العبـادات لتماثيل من أنواع شتى ، وفي صورة عبادة الصليب ، ولذلـك فـإن على المسلم أن يحْـذر طُرُوءَ شيء من الوثنيـة إليه بأن يحذر ابتـدءاً من تخيلاتـه في شـأن الـذات الإلهيـة ، فكل مـا خطر ببـالـك فـالله خلاف ذلك :﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[1]، وليحذر انتهاءً من التماثيل وأن يدخلها بيتـه.

إن في العـالم ديـانـات تواجـه الإسلام ، وبعض هـذه الـديـانـات أصولها سماويـة قطعـاً كاليهودية والنصرانية ، وبعضها ليست سماوية جزمـاً كالسيخيـة ، وبعضهـا لا نستطيع الجزم بشيء عن أصولها لكنا نؤمن أن الله عز وجل لم يترك أمة بلا رسالة ، قال تعالى :

﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [2] .

﴿ وإنْ من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ [3] .

﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ [4] .

قال عليه الصلاة والسلام :«ألا إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمهـا على الله »[5].

فنحن نجزم أنـه قـد أرسل إلى كل أمـة رسولٌ ثم ختمت الرسـالات بمحمـد ﷺ ، وكانت رسالة عامة للعالمين : ﴿ ولكن رسول الله وخاتم النـبيين ﴾ [6] ، ﴿ وما أرسلنـاك إلا رحمـة للعالمين ﴾ [7] .

ولكنا لا نستطيع الجزم بشيء عن أصول بعض الديانـات إلا إذا جـاءنـا شيء في كتـاب ربنا أو سنة رسولنا عليـه الصلاة والسلام في شـأنـه ، وهـاك تعريفـاً مختصراً عن الوثنيـة في بعض الأديان :

---

(١) الشورى : ١١ .
(٢) النحل : ٣٦ .
(٣) فاطر : ٢٤ .
(٤) إبراهيم : ٤ .
(٥) مسند أحمد (٤ / ٤٤٧) .
(٦) الأحزاب : ٤٠ .
(٧) الأنبياء : ١٠٧ .

تعريف عن الوثنية في بعض الأديان

١ ـ الوثنية في الديانات المصرية القديمة

قال أبو زهرة في كتابه (مقارنات الأديان) :

« فكل مدينة كانت لها آلهتها . فكان موطن أوزيريس في أبيدوس ، وفتاح في ممفيس ، وآمون في طيبة ، وهوروس في إدفو ، وهاتور في دندرة ، إلخ ... » ا .هـ .

ثم تحـدث أبـو زهرة عن أسطـورة أوزيريس وإيـزيس وتـوت وهـوروس وسيت ، ثم تحدث عن مينـا الأول الـذي وَحَّدَ مصر تحت سلطـانـه وأعلن تـأليـه نفسه بحلول هوروس وسيت فيه .

٢ ـ وثنيـة الرومان

قال أبو زهرة في كتابه (مقارنات الأديان) عن وثنية الرومان :

« عددوا أربابهم بتعدد مظاهر الطبيعة التي تتجلى فيها أوامر آلهتهم ونواهيها ، فهنـاك رب ينبت البـذر ، وآخر يحمي الحقـل ، وثـالث يحرس الثار وهكـذا ، ولكل رب اسمـه وجنسه وعمله ، فعندهم للسماء إله وللحرب إله وللشجاعة إله كما عند اليونان وسموا إلـه السماء جوبتر وإله الحرب مارس وإله الشجاعة هوكوليس ، وهو ما يسمى عنـد اليونـان هركليس ؛ وقد قبسوا أيضاً بعض أسماء آلهتهم وخواصها من المصريين القدماء ، فعندهم إيزيس إلـه القمر وأوزيريس إلـه الزراعـة ومراميس إلـه الشفـاء ، وكلهـا أسماء مصريـة لآلهـة مصريـة ، وإن الأرباب قد تعددت عند الرومان جدًّا ، فلكل مظهر من مظاهر الحيـاة رب ، ولكل قوة في الإنسان رب ، فعندما يولد الطفل يأتيه رب يعلمـه النطق ، وربـة تعلمـه الشرب ، وأخرى تقوي عظامه ، وربان يرافقانه إلى المدرسـة ، وآخران يرجعـان بـه . ويعتقـدون أن هنـاك أربـابـاً للمـدينـة ، وللكتـابـة وللجبل ، ولكل نهر ، ولكل نبع ، ولكل شجرة رب خـاص ، ولقد قـال الكاتب اللاتيني بترون في إحـدى قصصـه على لسـان امرأة صـالحـة : « إن بلادنـا غاصة بالأرباب ، بحيث يسهل عليك أن تلقى فيها ربًّا من أن تصادف رجلاً » .

ولقد أتى عهد على الرومان كانوا يعبدون فيه تلك الآلهة المتعددة من غير أن يتخذوا لها تماثيل ، بل كانوا يعبدونها من غير تماثيل خاصة لكل إله ، فلم يكن في رومية في ذلك العهد صنم ، ثم اتخذوا بعد ذلك الأصنام من الخشب أولا ، ثم اتخذوها من الرخام على مثال أصنام اليونان » ا . هـ .

٣ - وثنية اليونان

قال أبو زهرة في كتابه (مقارنات الأديان) عن اليونان :

« ألّهوا السماء والأرض والبحر ، والشمس ، والزمن ، ولكنهم لم يقفوا عند هذا الحد ، بل لحظوا بعد ذلك الصفات الأدبية في الأحياء ، وفنونهم ، ومايؤثر فيهم فجعلوا لكل واحد منها إلهاً أو آلهة ، ومن هذه الآلهة هيرا ربة القوة المنتجة في الطبيعة وآريس أو المريخ إله الحرب ، وأبولون إله الموسيقى والنور ، وهراميس رسول الآلهة ورب الفصاحة والبيان ، وأثينا ربة الحكمة وأفروديت ربة الحب الجميل ، وديونيسوس رب الخمر والتمثيل و « لتيراجيني » أو الحزن .

وكان لكل مدينة أربابها الخاصة بها ، ومعبودات لها كثيرة ؛ وإن اتحدت في الاسم مع أرباب المدينة الأخرى فالمسمى يختلف ، فأبولون في مدينة ليس هو أبولون في مدينة أخرى ، وإن اتحد الاسمين ، ولكن مع هذا الاختلاف كانت هناك أرباب كثيرة أجمع اليونان في الجملة على عبادتها وتقديسها كالسماء والأرض والبحر ، ولها في كل مكان معبد خاص بها ، أو مزار يتقرب فيه إليها ؛ وإن الأرباب التي يشترك اليونان في تقديسها كثيرة جداً ، وكلها يمثل أعظم القوى الطبيعية تأثيراً في الكون ، ومن هذه زيوس المشترى ، وهيرا وأثينا وأرتيمس وهرميس (عطارد) وأريس (المريخ) وأفروديت (الزهرة) وكرنوس (زحل) وهكذا .

ولقد صوروا لكل رب من هذه الأرباب تمثالاً يعبد ، ولقد كان للتماثيل الكبيرة مَحَالٌ خاصة بها يزعمون أن الآلهة توحي إليهم فيها على لسان الكهنة ، ويتقربون في تلك المحال للآلهة بالقرابين والنذور ، وأشهرها معبد (دلفي) لأبولون بمدينة (فوكيس) » . ا . هـ

٤ ـ وثنيـة الهندوس

يقول محمد فريد وجدي في (دائرة معارفه) عن البرهمية :

« للبراهمة صنم اسمه برهما له أربعة أوجه وأربعة أيد ، في يده الأولى كتابهم المقدس (الفيدا) وفي يده الثانية ملعقة ، وفي يده الثالثة سبحة ، وفي يده الرابعة إناء فيه ماء .

ولديهم صنم ثان للإله فيشنو ابن برهما ، وله أربعة أيد ، في الأولى بوق من الصدف ، وفي الثانية حلقة عند إدارتها تخرج منها نار لا يستطيع أحد مقاومتها فيما يقولون، وفي الثالثة هراوة . وفي الرابعة غصن من الزهر .

ولديهم صنم ثالث للإله سيفا ، وله أربع أيد ، في الأولى صولجان ، وفي الثانية حبل يشد به المذنبين ، أما يداه الأخريان فلا شيء فيهما ، وله عين ثالثة في جبهته وقلادة في عنقه من رءوس البشر .

والبراهمة يقدسون البقر ويحرمون ذبحها معتقدين آن الأرواح الطاهرة تحل أجسادها ، وكثيراً ما نشأ من هذه العقيدة معارك بينهم وبين مسلمي الهند في عيد الأضحى .

وهم يقدسون الثعابين والتماسيح وغيرها ، ويعتبرون نهر الغانج مقدساً وأن الانغماس فيه يطهر الذنوب ، ولذا يحج إليه في كل عام ملايين منهم » ا . هـ .

ويقول أبو الحسن الندوي في كتابه : (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) عن وثنية الديانة البرهمية :

« قد بلغت الوثنية أَوْجها في القرن السادس ، فقد كان عدد الآلهة في « ويد » ثلاثة وثلاثين ، وقد أصبحت في هذا القرن ٣٣٠ مليون . وقد أصبح كلُّ شيء رائعٍ وكلُّ شيء جذّابٍ وكلُّ مرفقٍ من مرافق الحياةِ إلهًا يُعْبَدُ . وهكذا جاوزت الأصنام والتماثيل والآلهة والإلاهات الحصرَ ، وأربت على العد ، فمنها أشخاص تاريخية ، وأبطال تمثل فيهم الله ـ كما زعموا ـ في عهود وحوادث معروفة ، ومنها جبال تجلى عليها بعض آلهتهم ، ومنها معادن كالذهب والفضة تجلى فيها إله ، ومنها نهر الكنج الذي خرج من رأس « مهاديو » الإله ،

ومنها آلات الحرب وآلات الكتابة وآلات التناسل ، وحيوانات أعظمها البقرة ، والأجرام الفلكية ، وغير ذلك » . ا . هـ .

٥ - وثنية الصين

تسود الصين ثلاث ديانات : الديانة الطاوية ، ومؤسسها لوتس فقد انقلبت إلى ديانة وثنية في عهد قريب من عهد مؤسسها ، والديانة الكونفوشوسية وقد مرت عهود على أتباعها كانوا لا يعتقدون بإله معين بل كانوا يعبدون ما شاءوا من الأشجار والأنهار ، والبوذية انقلبت إلى وثنية كما سنرى (راجع : ماذا خسر العالم) .

٦ - الوثنية في الديانة البوذية

لقد ذابت البوذية في البرهمية ما عدا خروجها عليها في نظام الطبقات وأشياء أخرى واعتقد البوذيون ألوهية بوذا فنصبوا له التماثيل في كل مكان حلت فيه دياناتهم وتقدموا له بالعبادة .

يقول الدكتور أحمد شلبي في كتابه (أديان الهند الكبرى) :

« ولكن البوذية بدأت تنكمش بعد بوذا ، وقد سبق أن ذكرنا أن من أهم أسباب إنكماشها أنها لم تعن بالكلام عن الإله ، وبعبارة أخرى تركت فراغًا كبيرًا في نفوس أتباعها ، وبمرور الزمن ملأ أتباعها هذا الفراغ بآلهة الهندوس أو بعبادة بوذا نفسه واتخاذه إلها ، ويتصل بهذا أيضًا أن بوذا لم يبن معابد ، ولم يأمر أتباعه بممارسة أي لون من ألوان العبادة ، وبسبب هذا لجأ أتباع بوذا إلى معابد الهندوس فوضعوا فيها تمثال بوذا ، وأصبح كل ما زاد هو إله جديد أُضيف إلى آلهة الهندوس المتعددة ، والعقل الهندي يرحب بمزيد من الآلهة . وهكذا أخذت البوذية تتلاشى في الهندوسية ، وأخذت الهندوسية تمتصها أو تمتص أتباعها يومًا بعد يوم » ا . هـ .

٧ ـ وثنية العرب

أما وثنية العرب فقد وصفها الأستاذ الندوي في كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) وكان من كلامه :

« وهكذا انغمست الأمة في الوثنية وعبادة الأصنام بأبشع أشكالها ، فكان لكل قبيلة أو ناحية أو مدينة صنم خاص ، بل كان لكل بيت صنم خصوصي . قال الكلبي : كان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه ، فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به . وإذا قدم من سفر كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به أيضًا . واسْتُهْتِرَتِ العرب في عبادة الأصنام ، فمنهم من اتخذ بيتًا ، ومنهم من اتخذ صنمًا ، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت نصب حجرًا أمام الحرم ، وأمام غيره ، مما استحسن ، ثم طاف به كطوافه بالبيت وسموها الأنصاب . وكان في جوف الكعبة ـ البيت الذي بني لعبادة الله وحده ـ وفي فنائها ثلثمائة وستون صنمًا ، وتدرجوا من عبادة الأصنام والأوثان إلى عبادة جنس الحجارة .

روى البخاري عن أبي رجاء العطاردي قال : كنا نعبد الحجر ، فإذا وجدنا حجرًا هو خير منه ألقيناه وأخذنا الآخر ، فإذا لم نجد حجرًا ، جمعنا حثوة من تراب ، ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم طفنا به .

وقال الكلبي : كان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار ، فنظر إلى أحسنها فاتخذه ربًا ، وجعل ثلاث أثافي لِقِدْرِهِ ، وإذا ارتحل تركه .

وكان للعرب ـ شأن كل أمة مشركة في كل زمان ومكان .. آلهة شتى من الملائكة والجن والكواكب ، فكانوا يعتقدون أن الملائكة بنات الله ، فيتخذونهم شفعاء لهم عند الله ويعبدونهم ، ويتوسلون بهم عند الله ، واتخذوا كذلك من الجن شركاء لله وآمنوا بقدرتهم وتأثيرهم وعبدوهم .

قال الكلبي : كانت بنو مليح من خزاعة يعبدون الجن ، وقال صاعد : كانت حِمْيَر تعبد الشمس ، وكنانة القمر ، وتميم الدَّبَران ، ولخم وجذام المشترى ، وطيئ سهيلاً ، وقيس

الشِّعرى العَبور ، وأسد عطاردًا » ا . هـ .

هذه بعض مظاهر الوثنية في تاريخ العالم وكثير منها لازال مستمرًا ، والإلحاد في عصرنا لا يخرج عن كونه نوعًا من أنواع الوثنية ، إذ يخلع الملحدون على الكون كله صفات الألوهية من خلق وإبداع وإحياء وإماتة فتأمل حال الإنسان في وثنيته لتدرك مِنَّةَ الله على الإنسان في إرساله محمدًا ﷺ بالتوحيد الذي يجعل الإنسان سيد الأكوان ويقيه عبدًا لله وحده ، بينما الوثنية تجعل الإنسان عبدًا لشجرٍ أو حجرٍ أو قمرٍ أو شمسٍ أو كوكبٍ أو إنسانٍ أو الكونِ كُلِّهِ .

قال تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاءُ متشاكسون ورجلاً سَلَمًا لرجل هل يستويان مثلاً ﴾ [1] ، إنه شتان بين أن يتوجه الإنسان إلى خالقه الأوحد وإلى المنعم عليه بالعبادة مشاركًا هذا الوجود كله في التوجه إلى الله : ﴿ وإنْ مِنْ شيءٍ إلا يُسَبِّح بحمده ﴾ [2] ، وبين ذلك الإنسان الذي يتوجه إلى أنواع من المخلوقات بالعبادة محتارًا في أيها يقدم ولأيها يتقرب ، فَيَالاَنْتِكاسَةِ العقل ويالسفاهة الأحلام ، إنه من خلال هذا وحده يدرك سر قوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين ﴾ [3] . وإننا نلفت نظر بعض المتهوسين الذين لا همّ لهم إلا أن يرموا أهل الإسلام بالشرك دون مستندٍ قطعي من كتاب أو سنة ، فنراهم يفهمون النصوص على غير فهم الراسخين في العلم فيقذفون هذا بنوع من الشرك ، ويقذفون هذا بنوع آخر .

---

(١) الزمر : ٢٩ .

(٢) الإسراء : ٤٤ .

(٣) الأنبياء : ١٠٧ .

الوصل الثاني

في :

التثليث ونسبة الولد إلى الله

تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً



قال تعالى : ﴿ يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ﴾ [١] .

ورد هذا النص في سياق قوله تعالى : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ﴾ [١] .

فالآية تشير إلى أن نسبة الولد إلى الله كانت موجودة في ديانات سابقة ، ومن تأمل هذه النِّحلة وما يلزم عليها من لوازم النقص على الله من تشبيهه بالحوادث وما يحيط بها من نقص الاحتياج إلى الزوجة والولد ، ومن اتصافه بصفات الحوادث من تجزئة وتبعيض وشوق وشهوة أدرك مقدار الزلل في العقل البشري ، إذ يصف الله عز وجل بهذا الوصف ، فيعرفَ المكلَّف نعمة الله على البشرية ببعثة محمد ﷺ ليرجع الناس إلى التنزيه والتوحيد :

﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا * لقد جئتم شيئًا إدًّا * تكاد السموات يَتَفَطَّرْنَ منه وتنشق الأرض وَتَخِرُّ الجبال هدًّا * أن دعوا للرحمن ولدًا * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدًا ﴾ [٢] .

﴿ وجعلوا له من عباده جزءًا إن الإنسان لكفور مبين ﴾ [٣] .

ومن أشهر الأديان القديمة التي قالت بالبنوة لله ـ تعالى عن ذلك ـ البرهمية والبوذية والديانات المصرية القديمة ، فَأَنْ يَذْكُرَ اللهُ عزّ وجلّ قولَ اليهودِ في عزيرٍ وقولَ النصارى في المسيحِ مُضَاهَاةً لقولِ الذين كفروا مِن قَبْلُ ، فتلك من معجزاتِ القرآنِ الكبرى .

إن البراهمة يقولون بالتثليث مع قولهم بالتعدد الكثير ، فأكبر آلهتهم في زعمهم « براهما » ثم « سيفا » أو « سيو » ثم « ويشنو » ويعتقدون أن « ويشنو » هو الابن « لبراهما » ، ويعتقدون أن « ويشنو » الابن حل في أحد رجالاتهم المسمى « كرشنة » ، ويعتقدون فيه ما يعتقده المسيحيون في المسيح .

يقول فريد وجدي في دائرة معارفه : « حدثت في الهند عقيدة التثليث فتغلبت على توحيدهم السابق فرأيناهم يعبدون إلهًا واحدًا ذا ثلاثةِ أصولٍ (برهما وفيشنو وسيفا) ، وقد

---

(١) التوبة : ٣٠ .
(٢) مريم : ٨٨ ـ ٩٢ .
(٣) الزخرف : ١٥ .

خلف فيشنو أباه برهما في نظر الهنود فصاروا لايوجهون عبادتهم إلا إليه ، أما برهما فتركوه في راحة زاعمين أنه أدى وظيفته وانتهى دوره »ا . هـ .

وينقل أبو زهرة في مقارناته بين الأديان عن كتاب تاريخ الهند المجلد الثاني ما يلي : (كرشنة : « هو المخلص والفادي والمعزي والراعي الصالح والوسيط وابن الله والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس ، وهو الآب والابن وروح القدس » .

قد مجد الملائكة ديفاكي والدة كرشنة ابن الله . وقالوا يحق للكون أن يفاخر بابن هذه الطاهرة) ا . هـ .

وينقل أبو زهرة في مقارناته بين الأديان عن كتاب دوّان وكتاب الملاك المسيح عن بوذا :(كان تجسد بوذا بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا) .

(لما نزل بوذا من مقعد الأرواح ودخل في جسد العذراء مايا صار رحمها كالبلور الشفاف النقي وظهر بوذا فيه كزهرة جميلة) .

(وقد عمد بوذا المخلص حين عمادته بالماء وكان روح الله حاضرًا وهو لم يكن الإله العظيم فقط بل وروح القدس الذي فيه صار تجسد كوتاما لما حل على العذراء مايا) ا . هـ .

ولقد قال المصريون القدامى بالتثليث : « أوزيريس » - « إيزيس » زوجته ومنهما جاء « هوروس » ، ومن اعتقاداتهم - كما في كتاب (مقارنات بين الأديان) - :

(إن روح الإله هوروس ذات ثلاث شعب أولاها : الروح الدنيا ، وهي التي تحل في فرعون الزمان ، ثم تنتقل إلى من يليه ، وتفيض عليه بقدسيتها ، والثانية : الروح العليا الحاكمة في السموات والأرضين ، والثالثة : روح تبقى في جسد فرعون الميت ، وتقوم بالنصح لفرعون الحي . ولا تبقى هذه الروح إلا إذا بقي الجسم متماسكًا ، ولذا أعملوا الحيلة لذلك ، وبنوا الأهرام وشيدوها لتكون حفاظًا للجسم) ا . هـ .

أقول : وهكذا نجد إحدى الأباطيل الكبرى تنتقل من أمة إلى أمة في باب الإلهية حتى بعث الله محمدًا ﷺ بالدين الحق فوضع الأمر في نصابه ، قال تعالى : ﴿ لم يكن الذين كفروا

من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة * رسول من الله يتلو صحفًا مطهرة * فيها كتب قيمة * وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة * وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ [1] .

لقد تأقلم أهل الكتاب على الكفر ، وتأقلم المشركون على الشرك واستمروا عليه ودأبوا فيه ولم يكونوا لينفكوا عنه ، فأرسل الله محمدًا ﷺ ليكسر هذا الاستمرار على الباطل ويرجع الناس إلى الدين الحق بكتاب آياتُه ظاهراتٌ بيناتٌ واضحاتٌ . فالحمد لله رب العالمين .

* * *

---

(١) البينة : ١ ـ ٥ .



الوصل الثالث

في:

« إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلَامُ »



إن من عرف الله عز وجل وعرف أنه متصف بالعلم والإرادة والقدرة وغير ذلك من الصفات الوجودية ، وعرف أنه متصف بالقيومية والوحدانية وغير ذلك من الصفات السلبية ، وعرف أنه الرب والمالك والإله ، وأن من مقتضيات ذلك أن تكون له المالكية والحاكمية ، ومن عرف أنه متصف بالرحمة والعدل والهداية ، إن من عرف هذا كله لم يستغرب أن يبعث الله رسلاً يبينون لمن يدركون الخطاب من المخلوقات وهم الإنس والجن الدينَ الحقَّ والعبادة الحق والشريعة الحق .

وقد جرت سنته جل جلاله أن يرسل الرسل إلى الأمم ، وختم رسالاته برسالة محمد ﷺ وجعلها عامة للإنس والجن وباقية خالدة ، فالإنس والجن مكلفون بها إلى يوم القيامة .

وقد بعث الله رسله جميعًا مطالبين الخلق بالإسلام لله رب العالمين ، فذلك هو دينه الذي لا يقبل سواه . وبعد أن طرأ على الرسالات السماوية القديمة ما طرأ ، بعث الله محمدًا ﷺ بالقرآن المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فكان القرآن بياناً لدينه الإسلام الحق مصدقًا لما بين يديه من الحق وناسخًا للباطل ، كما أنه ناسخ لكل ما خالفه وحاكم على كل ما عداه ، وبيّن جل جلاله فيه أنه قد أكد هذا الدين وأنه لن يقبل من أحدٍ دينًا سواه :

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا ﴾ [1] .

﴿ ومن يبتغِ غير الإسلام دينًا فلن يُقْبَلَ منه ﴾ [2] ، **﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا ﴾** [3] ، **﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا ﴾** [4] .

وكتاب هذا الدين هو القرآن ، والشارح المعصوم له هو السنة ، فنصوص الكتاب والسنة هي نصوص هذا الدين ، وقد جعل الله كتابه : **﴿ تبياناً لكل شيء ﴾** [5] ، وفصّل

---

(١) المائدة : ٣ .
(٢) آل عمران : ٨٥ .
(٣) الأعراف : ١٥٨ .
(٤) الفرقان : ١ .
(٥) النحل : ٨٩ .

رسول الله ﷺ بقوله وعمله وحاله وتقريره كل ما يحتاج إلى مزيد من التفصيل والبيان ، قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزّل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ [1] .

* * *

وقد جاء الإسلام وهناك أديان قائمة ، منها ما أصوله سماوية ثم حُرِّفت ، ومنها ما هو غير ذلك ، وأهل كل دين متمسكون بما هم عليه ، وأهل الأديان هؤلاء أنفسهم متفرقون وكل فرقة متمسكة بما هي عليه من الهوى ، وبعث الله محمدًا ﷺ بالقرآن المعجزة الكبرى التي تضمنت معجزات كثيرة ليقيم الحجة على الخلق جميعًا وليكسر هذا الاستمرار على الباطل .

ومن قبل بعثته ﷺ كانت توجد بجانب الأديان فلسفات وشرائع ومذاهب وضعية ، فهناك فلسفة اليونان وشرائع الرومان ومذاهب الدهريين والملحدين ، وقد جاء الإسلام بالحق في كل شيء وكان الحاكم على كل شيء ، فأبطل ما كان باطلاً وأقر ما كان حقًّا .

* * *

وبعد مسيرة طويلة للإسلام صارع فيها الإسلامُ كل الأباطيل ، وتوسع فيها على حساب كل الدّيانات والمذاهب والفلسفات والشرائع ولازال ينتشر ويتوسع ، ومع وضوح حججه وأنه دين الفطرة فإنه مازال كثير من الناس مستمرين على ديانات باطلة ورثوها وتعتبر استمرارًا لأديان كانت موجودة قبل الإسلام : كالكونفوشوسية والبوذية والبرهمية والجينية والمجوسية واليهودية والنصْرانية وبقايا الوثنية ، وهناك شرائع غير دينية أثرت في التشريعات العالمية كالتشريعات الرومانية ، ونشأت بعد الإسلام ديانات باطلة كالسيخية ، وبعض هذه الديانات الباطلة أنشأها أناس أصولهم مسلمون لكن ارتدوا كالقاديانية والبهائية كما رأينا ، وقد نشأت قديمًا وحديثًا مذاهب وفلسفات أصبحت عند أهلها تشكل بديلاً عن الأديان ، أو تحجمها كالشيوعية والعلمانية ، وكل ذلك يدخل في صراع مباشر مع الإسلام .

ولقد تأثر بعض المسلمين بفكر أديان أخرى ، ووجدت عند بعضهم اجتهادات خاطئة أو فهوم باطلة ، فنشأت بسبب ذلك فِرَقٌ : بعضها قريب من الإسلام الصافي ، وبعضها ابتعد

---

(١) النحل : ٤٤ .

حتى ضل ضلالاً بعيدًا ، وبعضها كفر ولم يبق له في الإسلام نصيب . وقد مر معنا شيء من ذلك .

وكل ذلك أثرٌ عن الجهل بالله الذي يستتبع الجهل بأن الدّين عند الله هو الإسلام ، فمن عرف الله أسلم له بدينه الذي ارتضاه وكلّف به الإنس والجن وأقام الحجة على الخلق به ، وهو الإسلام كما جاءت به نصوص القرآن وبينته السُّنة المطهرة . فعلى الفِرق التي انشقت عن جسم الأمة الإسلامية أن تعيد النظر في مواقفها على ضوء الكتاب والسنة ، وعلى أهل الأديان أن يدخلوا في الإسلام الحق ، وعلى أهل المذاهب الفكرية والفلسفية والسياسية أن يدخلوا في الإسلام وينبذوا ما عداه ، وعلى الذين تأثروا بالفكر الغريب عن الإسلام من أبناء المسلمين حكامًا ومحكومين أن يتوبوا إلى الله وأن يثوبوا إلى الإسلام عقيدة وعبادة وشريعة وصراطًا مستقيمًا . وبدون ذلك فإن أحدًا لا يعرف الله حق المعرفة ولا يعطي هذه المعرفة مقتضياتها وحقوقها .

وأهم الأديان التي يواجهها الإسلام في عصرنا : اليهودية والنصرانية وبقايا الأديان الفارسية والديانات ذات المنشأ الهندي كالبرهمية والجينية والبوذية والسيخية ، وهناك بقايا الوثنية المحضة وهناك الديانة الكونفوشوسية . وأهم المذاهب الفلسفية السياسية التي يواجهها الإسلام : الفلسفة الشيوعيه والفلسفة العلمانية التي فصلت الدين عن الدولة في كثير من بلدان العالم ، ونجحت في أن تعطل شريعة الإسلام في كثير من أفكار المسلمين ، وتتبناها أحزاب قومية وأحزاب وطنية ، وبعض هذه الجهات تحاول أن تظهر وكأنها مسالمة للإسلام ولكنها في واقع الأمر تعطله . ومن المذاهب المعاصرة التي يواجهها الإسلام المذاهب الفلسفية والحياتية المتعددة الصور في الفقه والتاريخ والاجتماع .

ومما يواجهه الإسلام الفكر الوجودي ومذاهبه العملية التي تقوم على فكرة الانطلاق كما تشاء الأهواء :

﴿ ولواتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ﴾ [(١)] .

---

(١) المؤمنون : ٧١ .

ومما يواجهه الإسلام في عصرنا جهات متعددة كل منها أخذ على عاتقه أن يهدم جزءاً من الثقافة الإسلامية أو يوجه الدراسات توجيهًا مخربًا ، ودائرتا اللغة العربية والتاريخ والمحاولات الكثيرة للتهديم وللتوجيه فيهما نموذجان . وإن البشر ليسيئون إلى أنفسهم في الدنيا والآخرة إذ يرفضون الدخول في الإسلام أو ينحرفون عنه ، قال تعالى : ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكًا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ [1] .

* * *

---

(١) طه : ١٢٤ .

الوصل الرابع

في:

"ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه"

وفيه:

مقدمة ونقول



المقدمة

إنه مع قوله تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ [١] ، فقد وُجِدَ من يزعم أنه من أسلم لله من خلال الفلسفة أو من خلال دين من الأديان القديمة ، فإنه يكون قد أدى حق الله عليه، وقد قطع الله عز وجل الطريق على أمثال هذه الأوهام فقال : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه ﴾ [٢] ، وقال تعالى : ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعُروة الوثقى ﴾ [٣] . وإنه من يعرف الأديان التي عليها الناس اليوم ويقارنها بالإسلام يعرف نعمة الله عز وجل إذ طالبنا بالإسلام وحده ولم يقبل منا غيره ، فقد آل أمر الأديان إلى ما لا يطاق عقلاً أو عملاً .

ولعل دراسة بسيطة لبعض الأديان التي كانت زمن إرسال رسول الله ﷺ ترينا عمليًا أنها لا تستحق أن يستمر عليها الإنسان وترينا نعمة الله على البشرية إذ أرسل لها محمدًا ﷺ ، قال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [٤] ، لقد بُعث محمد ﷺ ليقطع استمرارية الناس على ما هم فيه من كفر وشرك ، وها نحن نجول بك جولة تأخذ بها تصورًا سريعًا عن بعض هذه الشؤون :

إن الرحمة العظمى ببعثة محمد ﷺ تظهر في صور كثيرة ؛ من ذلك هدى الله عز وجل إلى معرفته الحق وإلى عبادته الحق وإلى صراطه الحق وجعل كتابه معجزة تحوي معجزات وذلك من مظاهر الرحمة ، قال تعالى : ﴿ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾[٥]. ومن تأمل ضلال الخلق إلى جهلهم بالله وعدم قيامهم بحقوق عبادته وعبوديته وما يترتب على ذلك من انحراف وظلم ومظالم وأمراض وحروب عرف بعض مظاهر الرحمة الإلٰهية ببعثة محمد ﷺ .

ومن تأمل حال أهل الأديان المعروفة الآن في العالم وقارنها بالإسلام عرف رحمة الله ببعثته محمدًا ﷺ ، قال تعالى : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ۞ الذين يتبعون الرسول النبيّ الأميّ الذي

---

(١) آل عمران : ١٩ .
(٢) آل عمران : ٨٥ .
(٣) البقرة : ٢٥٦ .
(٤) الأنبياء : ١٠٧ .
(٥) المائدة : ١٦ .

يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾[1] ، إن هذه الآية فصلت في مظاهر رحمة الله ببعثة محمد ﷺ :

إذ دلّهم به على تقوى الله وعلى التكافل بين البشر بالزكاة وعلى الإيمان بآيات الله ، ودلهم على القدوة الحق وهو رسول الله ﷺ ، ودلهم على ما هو خير وعلى ما هو منكر ووضع عنهم الأثقال والأغلال التي تحملها أصحاب الديانات ، ودلهم على الجهة التي يجب أن ينصروها ويناصروها ، ودلهم على ما يجب عليهم أن يفعلوه وما يصلحهم في أمر دنياهم وأخراهم ، فهذا كله من مظاهر رحمة الله ببعثته محمدًا ﷺ للعالمين .

ومن تأمل الأديان التي عليها الناس اليوم عرف عظمة هذه الرحمة وقيمتها :

فالديانة الكونفوشيوسية في الصين آلت إلى الوثنية والشرك فأتباع كونفوشيوس يعبدون السماء والملائكة وأرواح الآباء ويعتقدون أن السماء عالم حي متحرك ، والبقية الباقية عندهم شيء من حكم سياسية أو اجتماعية فليس فيها هداية لله ولا لتعاليه ولا لعبادته الحق .

والديانة الطاوية في الصين آلت إلى وثنية وسلبية ، والسلبية فيها كافية للقضاء على متبعيها ؛ فالزهد المطلق والتسامح المطلق وعدم رد العدوان كائنًا ما كان كل ذلك كافٍ لخراب العالم .

والديانة البرهمية في الهند تقوم على الوثنية وتأليه كل شيء ، كما تقوم على مبدأ الطبقات ونظامه القاسي ؛ فهناك منبوذون وهناك حرفيون وهناك المحاربون وهناك البراهمة المقدسون ، وتقوم على فكرة التناسخ الخرافية التي تدعي أن الروح تنتقل من الإنسان إلى مخلوق أحط منه إن أساء إلا إذا دخل في رياضات تعذيبية لجسده ، لو أن كل إنسان طبقها لكانت كافية لخراب هذا العالم . ومن عاداتهم القديمة التي أبطلها الإنجليز أن المرأة تحرق نفسها إذا مات زوجها ، ومن عبادات البرهمي أن يمسح جبينه ببول البقر صباحًا ومساءً ، والفأر عندهم لا يجوز قتله والبقرة مقدسة .

---

(١) الأعراف : ١٥٦ ، ١٥٧ .

والديانة البوذية آلت إلى الوثنية وتعذيب الجسد . ولو أن البوذيين طبقوا ما آلت إليه البوذية تطبيقًا حرفيًا لانتهوا وفنوا ، فدين هذا شأنه مآل العالم على يديه إلى الهلاك .

والديانة الجينية في الهند تقوم على تعذيب الجسد واحتقار الرأي العام .

والديانة السيخية وهي ديانة حديثة النشوء لا تؤمن بالأنبياء أصلاً فمن أين يعرف الإنسان هداية الله أصلاً .

والديانة اليهودية استقرت على الحقد والكبرياء وعلى أحكام لا تقبل التطبيق ، ولذلك فإنه مع قيام دولة لليهود فإنها تقوم في أكثر قوانينها على العلمانية رغم شدة حرصهم على إبراز الهوية الدينية .

والديانة النصرانية استقرت على التثليث وعبادة الرسوم والأشكال والتماثيل ، وعلى صور من التعذيب للجسد وعلى محاربة الفطرة مما يكفي - لو أن طبق ما يعتبر الأفضل عندهم - إلى خراب العالم ، لذلك آلت دول العالم النصراني إلى العلمانية .

والديانة المجوسية آلت إلى عبادة إلهين : أحدهما الشيطان ، وإلى عبادة النيران ونكاح الأخت وتقديس الأكاسرة .

من هذا الاستعراض السريع ندرك حكمة الله عز وجل ورحمته بالخلق إذ بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وندرك حكمة من الحكم : لماذا لا يقبل الله دينًا غير دين الإسلام .

تعرّف على الإسلام وانظر ماذا يكون لو استجاب له كل إنسان ، وتعرف على الأديان وانظر كيف يؤول إليه أمر العالم لو استجاب العالم لأي دين منها ، فإنك تجد رحمة الله ببعثته محمدًا ﷺ : ﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة * رسول من الله يتلو صحفًا مطهرة * فيها كتب قيمة ﴾ (١) .

وهاك نقولاً تصف لك صورًا عما في بعض الأديان المعاصرة لتعرف رحمة الله على العالمين ببعثته محمدًا ﷺ وتعرف حكمة من حكم قوله تعالى :

﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه ﴾ (٢) .

(١) البينة : ١ - ٣ .   (٢) آل عمران : ٨٥ .

النقول

١ - نُقولٌ عن البرهمية

بعد أن ذكر أبو الحسن الندوي كثرة آلهة البراهمة قال :

زد إلى ذلك عبادتهم لآلةِ التناسل لإلههم الأكبر « مهاديو » ، وتصويرها في صورة بشعة ، واجتماع أهل البلاد عليها من رجال ونساء وأطفال وبنات ، زد إليه كذلك ما يحدث به بعض المؤرخين أن رجال بعض الفرق الدينية كانوا يعبدون النساء العاريات والنساء يعبدن الرجال العراة ، وكان كهنةُ المعابد من كبار الخونة والفساق الذين كانوا يرزءون الراهبات والزائرات في أعز ما عندهن .

وقال أبو الحسن عن نظام الطبقات : يقسم هذا القانون أهلَ البلاد إلى أربع طبقات ممتازة وهي : البراهمة ، طبقة الكهنة ورجال الدين ، شتري رجال الحرب ، ويش رجال الزراعة والتجارة ، شودر رجال الخدمة .

(وقد منح هذا القانون طبقةَ البراهمة امتيازات وحقوقًا ألحقتهم بالآلهة فقد قال : إن البراهمة هم صفوة الله وهم ملوك الخلق ، وإن ما في العالم هو ملك لهم فإنهم أفضل الخلائق وسادة الأرض ، ولهم أن يأخذوا من مال عبيدهم شودر - من غير جريرة - ما شاءوا ؛ لأن العبد لا يملك شيئًا وكل مالِه لسيده .

وإن البرهمي الذي يحفظ رك ويد « الكتاب المقدس » هو رجل مغفور له ولو أباد العوالم الثلاثة بذنوبه وأعماله ، ولا يجوز للملك حتى في أشد ساعات الاضطرار والفاقة أن يجبي من البراهمة جباية أو يأخذ منهم إتاوة ، ولا يصح لبرهمي في بلاده أن يموت جوعًا ، وإن استحق برهمي القتل لم يجز للحاكم إلا أن يحلق رأسه ، أما غيره فيقتل .

أما الشتري فإنهم وإن كانوا فوق الطبقتين ، « ويش وشودر » ولكنهم دون البراهمة بكثير فيقول « منو » : إن البرهمي الذي هو في العاشرة من عمره يفوق الشتري الذي ناهز مائة كما يفوق الوالد ولده .

المنبوذون الأشقياء : أما شودر « المنبوذون » فكانوا في المجتمع الهندي - بنص هذا القانون المدني الديني - أحطَّ من البهائم وأذلَّ من الكلاب ، فيصرح القانون بأن « من سعادة شودر

أن يقوموا بخدمة البراهمة وليس لهم أجر وثواب بغير ذلك ، وليس لهم أن يقتنوا مالاً أو يدخروا كنزًا فإن ذلك يؤذي البراهمة ، وإذا مد أحد من المنبوذين إلى برهمي يدًا أو عصا ليبطش به قطعت يده ، وإذا رفسه في غضب فدعت رجله ، وإذا همّ أحد من المنبوذين أن يجالس برهميًا فعلى الملك أن يكوي استَهُ وينفيه من البلاد . وأما إذا مسه بيد أو سبه فيقتلع لسانه ، وإذا ادعى أنه يعلمه سقي زيتًا فائرًا ، وكفارة قتل الكلب والقطة والضفدعة والوزغ والغراب والبومة ورجل من الطبقة المنبوذة سواء » ا.هـ (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) .

٢ ـ نُقولٌ عن الجينية وهي إحدى الديانات الهندية

قال الدكتور شلبي في كتابه : « أديان الهند » :

(وللوصول للنجاة يتحتم على الناسك ألا يوقع أذى بإنسان أو حيوان ، وعليه أن يدرك أن احترام الحياة أقدس ما عني به مهاويرا ، وعلى هذا يحرم عليه قتل الحيوان وبالتالي أكل اللحوم) .

(ولا بد للنجاة كذلك من قهر جميع المشاعر والعواطف والحاجات ، ومؤدَّى هذا ألا يحس الراهب بحب أو كره ، ولا بسرور أو حزن ، ولا بحرٍّ أو برد ، ولا بخوف أو حياء ، ولا بجوع أو عطش ، ولا بخير أو شر . والجيني بذلك يصل إلى حالة من الجمود والخمود والذهول فلا يشعر بما حوله ، ودليل ذلك أن يتعرى فلا يحس بحياء ويُنْتَف شعره فلا يتألم ، لأنه لو أحس بما في الحياة من خير وشر أو نُظُمٍ متَّفَقٍ عليها ، فمعنى هذا أنه لا يزال متعلقًا بها خاضعًا لمقاييسها ، وهذا يبعده عن النجاة . ولما كان أبرز ما في هذا التنظيم هو العري ، والجوع حتى الموت ، سميت الجينية دين العري ودين الانتحار .

العري والانتحار في الجينية :

وعن فكرة العري يقول أحد علماء الجينية في محاضرة له عنها :

يعيش الرهبان الجينيون عراة ، لأن الجينية تقول : مادام المرء يرى في العري ما نراه نحن ، فإنه لا ينال النجاة ، فليس لأحد أن ينال نجاة مادام يتذكر العار ، فعلى المرء أن ينسى ذلك بتاتًا ليتمكن من اجتياز بحر الحياة الزاخر ، فطالما تذكر الإنسان أنهُ يُوجد خيرٌ

أو شر ، حَسَنٌ أو قبح فمعناه أنه لا يزال متعلقًا بالدنيا وبما فيها فلا يفوز بـ « موشكا » أي النجاة .

(ويرى الجينيون أن الشعور بالحياء يتضمن تصور الإثم ، وعلى العكس من ذلك فعدم الشعور بالحياء معناه عدم تصور الإثم وذلك زيادة في النقاء ، فعلى كل ناسك يريد أن يحيا حياة بريئة من الإثم أن يعيش عاريًا ، ويتخذ من الهواء والسماء لباسًا له .

أما الانتحار فقد كان نتيجةً للتخلي عن كل عمل ، وترك كل ما يغذي الجسم لعدم الإحساس بالجوع ، ولقطع الروابط بالحياة ، وللتدليل على أن الراهب أو الراهبة لم يبق له اهتمام بهذا الجسد الفاني ، فهو يجيعه ، وينتف شعره ، ويعرضه لظواهر الطبيعة القاسية حتى الموت . وقد انتشر الانتحار بالجوع بين رهبان الجينيين قديمًا) ا . هـ شلبي .

ومن المعروف عند علماء الأديان :

أن مهاڤيرا مؤسس الجينية عاش قبل أن يبدأ دعوته في وسط الرخاء وطيب العيش حيث انحدر من طبقة الكاشتريا طبقة الملوك والقواد والحكماء في الهندوسية .

وكان وهو صغير يحب الجلوس إلى الرهبان والنساك ، فتأثر بفلسفتهم وعزف عن المتع ومال إلى الرهبنة والزهد ونذر أن لا يتكلم اثني عشر عامًا ، قضاها بالتأمل والتفكير وخرج بعدها ليعلن مذهبه للناس .

وعندهم ما يعرف بالأصول السبعة لتطهير الروح : مثل أخذ العهود والمواثيق بوجوب التمسك بالخلق الحميد والتقليل من الحركات البدنية ، والتحلي بالفضائل ، والتفكير بالحقائق الأساسية ، والسيطرة على متاعب الحياة التي تنشأ من الأعراض الجسمانية التي تنشأ من الجوع والبرد ، والقناعة الكاملة ، والطمأنينة .

ولم يعترفوا بالله وذلك حتى لا ينشأ طبقة جديدة من البراهمة ، ولكن خوفًا من الهندوسية اعترفوا بآلهة الهندوس .

ويقول مهاڤيرا بالتناسخ لأن تخليص الروح من جسمها المادي لا يتم إلا بالتقشف والحرمان من الملذات فإذا انتهت روحه من ماديتها يرجع روحًا خالدًا .

٣ ـ نُقولٌ عن البوذية

قال أبو زهرة في كتابه « مقارنات الأديان » بعد أن ذكر الوصايا العشر عند البوذيين :

(هذه هي الوصايا العشر التي يأخذ بها البوذي ليروض إرادته على ترك الملاذ ، والعكوف على المجاهدة وتهذيب الذات ، وتخفيف ويلات الحياة ، ومنها ترى أنهم يحثون على عدم أخذ الذهب والفضة ، كأنها الأمر الذي تضل عنده الأفهام ، وتستيقظ حوله المطامع وكأنها مدخر اللذة ، لاستعانة الناس بها في اجتراع اللذات ، واجترار الشهوات ، ولهذا النهي عن اقتناء الذهب والفضة قالَ العلماء : إن البوذية تحث على عدم الملك ، وتطالب البوذي أن لا يملك شيئًا ولا يقتني شيئًا . فهو يطلب طعامه يومًا بعد يوم ، ولا يدخر من يومه إلى غده .

ولقد كان هذا سببًا في أن ينقسم البوذيون إلى قسمين :

أحدهما : البوذيون الدينيون الذين أخذوا أنفسهم بالتعاليم السابقة لا يحيدون عنها قيد أنملة ، وقيدوا أنفسهم بأنواع من الأطعمة لا يعدونها ، ويحرمون كل شيء غيرها ، ولا يلبسون إلا خشن الثياب ولا يرضون إلا جَشْبَ [1] العيش ، لما راضوا أنفسهم عليه ، من ترك كل لذات الحياة وراءهم ظهريًا ، ليستولوا عليها ويمتنعوا عن آلامها .

أما الفرقة الثانية : فهي الفرقة التي تركت هذه التعاليم ولكن رأت أن عليها واجب كفالة الفرقة التي ذكرناها .

والمهم أنْ نعرف أنّ التعاليم التي آلت إليها البوذية لو أنها طبقت حرفيًا لفنت البشرية) . اهـ (مقارنات الأديان) .

ويعرف بعض علماء مقارنة الأديان البوذية بأنها :

ديانة التأمل في الباطن والرحمة وإنكار الذات ، ويبدو مما أُلف عن بوذا أنه كان وديع المعاملة رقيق الكلام رحيمًا شفوقًا مما حببه إلى الناس وسبب لدعوته النجاح .

وخلاصة الوصايا التي أوصى بها بوذا :

---

(١) جَشَبَ : جَشْبًا ؛ غلُظ وخَشُنَ فهو جَشْبٌ ومِجْشابٌ . كذا في الوسيط .

١ـ لا تزهق روحًا ، ٢ ـ لا تأخذ ما لا تستحق ، ٣ ـ لا تزن ، ٤ ـ لا تكذب ولا تغش ، ٥ ـ لا تسكر ، ٦ ـ كُلْ باعتدال ، ٧ ـ لا تشهد رقصًا ولا تسمع غناءً أو تمثيلاً ، ٨ ـ لا تلبس حليًا ولا تتعطر ولا تتخذ زينة ، ٩ ـ لا تنم في فراش باذخ ، ١٠ ـ لا تقبل ذهبًا ولا فضة .

وهذه الوصايا قريبة إلى وصايا الأنبياء ، ومن هنا قيل إنه كان نبيًا أوحي إليه ، وقد حرفت ديانته بعده كما حدث لبقية الأديان ، ولا نستطيع الجزم بذلك ؛ لأن الجزم بذلك يحتاج إلى نص من كتاب أو سنة ، وليس هناك من نص إلا أن الله عز وجل أخبرنا أنه ما من أمة إلا وقد أرسل لها رسول ، قال تعالى : ﴿ **وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ﴾ [1] .

وأم كتب بوذا هي التي تحفظ أحاديثه وأقواله وأمثاله وينسبونها إلى بوذا ولا يدعون نزولها من السماء .

والمشهور أنه لم تكن على زمن بوذا طقوس معينة ولكن بعد وفاته أضيفت بعض الطقوس فيصلون أمام تمثال بوذا ويصومون بأوقات معينة بالامتناع عن الطعام والشراب عدا الحليل من نصف النهار حتى فجر اليوم التالي .

ويحجون بالذهاب إلى الهند ونيبال لزيارة الأماكن الأربعة المقدسة عندهم وهي : مكان ولادة بوذا ، والمكان الذي أشرقت فيه الحقيقة تحت الشجرة ، والمكان الذي بدأ دعوته منه ، ومكان وفاته ، ولا موسم للحج عندهم .

٤ ـ نُقولٌ عن ديانات الفرس

قال أبو الحسن الندوي في كتابه : « ماذا خسر العالم » :

(ولم تزل المحرمات النسبية التي تواضعت على حرمتها ومقتها طبائع أهل الأقاليم المعتدلة موضع خلاف ونقاش ، حتى إن يزدجرد الثاني الذي حكم في أواسط القرن الخامس الميلادي تزوج بنته ثم قتلها ، وإن بهرام جوبين الذي تملك في القرن السادس كان متزوجًا بأخته .

يقول البروفسور « أرتهر كرستن سين » أستاذ الألسنة الشرقية في جامعة كوبنهاجن

---

(١) فاطر : ٢٤ .

بالدنمارك المتخصص في تاريخ إيران في كتابه (إيران في عهد الساسانيين) :

« إن المؤرخين المعاصرين للعهد الساساني مثل (جاتهياس) وغيره يصدقون بوجود عادة زواج الإيرانيين بالمحرمات ، ويوجد في تاريخ العهد الساساني أمثلة لهذا الزواج ، فقد تزوج بهرام جوبين وتزوج جشتسب قبل أن يتنصر بالمحرمات ولم يكن يعد هذا الزواج معصية عند الإيرانيين ، بل كان عملاً صالحًا يتقربون به إلى الله ، ولعل الرحالة الصيني (هوئن سوئنج) أشار إلى هذا الزواج بقوله : إن الإيرانيين يتزوجون من غير استثناء » .

ظهر « ماني » في القرن الثالث المسيحي ، وكان ظهوره رد فعل عنيف غير طبعي ضد النزعة الشهوية السائدة في البلاد ، ونتيجة منافسة النور والظلمة الوهمية ، فدعا إلى حياة العزوبة لحسم مادة الفساد والشر من العالم ، وأعلن أن امتزاج النور بالظلمة شر يجب الخلاص منه ، فحرّم النكاح استعجالاً للفناء وانتصارًا للنور على الظلمة بقطع النسل ، وقتله بهرام سنة ٢٧٦ م قائلاً : إن هذا خرج داعيًا إلى تخريب العالم ، فالواجب أن يبدأ بتخريب نفسه قبل أن يتهيأ له شيء من مراده . ولكن تعاليمه لم تمت بموته بل عاشت إلى ما بعد الفتح الإسلامي .

ثم ثارت روح الطبيعة الفارسية على تعاليم ماني المجحفة ، وتقمصت دعوة مزدك الذي ولد ٤٨٧ م ، فأعلن أن الناس ولدوا سواء لا فرق بينهم ، فينبغي أن يعيشوا سواء لا فرق بينهم ، ولما كان المال والنساء مما حرصت النفوس على حفظه وحراسته كان ذلك عند مزدك أهم ما تجب فيه المساواة والاشتراك ، قال الشهرستاني : « أحل النساء وأباح الأموال وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ » . وحظيت هذه الدعوة بموافقة الشبان والأغنياء والمترفين وصادفت من قلوبهم هوى ، وسعدت كذلك بحماية البلاط ، فأخذ قباذ يناصرها ونشط في نشرها وتأييدها ، حتى انغمست إيران بتأثيرها في الفوضى الخلقية وطغيان الشهوات ، قال الطبري : « افترص السّفلة ذلك واغتنموا وكاتفوا مزدك وأصحابه وشايعوهم ، فابتلي الناس بهم ، وقوي أمرهم حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره فيغلبونه على منزله ونسائه وأمواله لا يستطيع الامتناع منهم ، وحملوا قباذ على تزيين ذلك وتوعدوه بخلعه ، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى صاروا لا يعرف الرجل ولده ولا المولود أباه ، ولا يملك شيئًا مما يتسع به » إلى أن قال : « ولم يزل قباذ من خيار ملوكهم ، حتى حمله مزدك على ما حمله عليه ، فانتشرت الأطراف وفسدت الثغور) ا.هـ .

٥ ـ نُقولٌ عن اليهودية

قال الدكتور شلبي في كتابه عن اليهودية :

(تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله ، كما أن الابن جزء من أبيه [زعموا] . ويقول التلمود بالتناسخ ، وهو فكر تسرب لبابل من الهند وأخذه حاخامات بابل من المجتمع البابلي) .

(ويُلْزِمُ التلمود بني إسرائيل أن يغشوا سواهم فقد جاء فيه : يلزم أن تكون طاهرًا مع الطاهرين ودنساً مع الدنسين ....

ويجيز التلمود استعمال النفاق مع غير اليهود ، ولا يجيز أن يقدم اليهود صدقة لغير اليهود) .

(ليست لأرواح غير اليهود حرمة لدى اليهود ، فقد جاء في التلمود : محرم على اليهودي أن ينجي أحدًا من الأميين من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها ، بل إذا رأى أحدَ الأميين يقع في حفرة لزمه أن يسدها بحجر ، وقال « ميمانود » : الشفقة ممنوعة بالنسبة لغير اليهودي ، فإذا رأيته واقعًا في نهر أو مهددًا بخطر فيحرم عليك أيها اليهودي أن تنقذه ؛ لأن السكان الذين كانوا في أرض كنعان وقضت التوراة بقتلهم جميعًا لم يُقتلوا عن آخرهم ، بل هرب بعضهم واختلط بباقي أمم الأرض ، ولذلك يلزم قتل غير اليهودي لاحتمال أن يكون من هؤلاء الهاربين .

وينص التلمود على أن من العدل أن يقتل اليهودي كل أمي لأنه بذلك يقرّب قربانًا إلى الله) .

المرأة في التلمود :

قال موسى : لا تشته امرأةَ قريبك ، فمَنْ يزنِ بامرأة قريبه يستحق الموت . ولا يعتبر التلمود القريب إلا اليهودي فقط ، فإتيان زوجات الأجانب جائز ، واستنتج من ذلك الحاخام (رشي) أن اليهودي لا يخطئ إذا تعدى على عرض الأجنبي ، لأن كل عقْدِ نكاحٍ عند الأجانب فاسد ، لأن المرأة التي لم تكن من بني إسرائيل هي كبهيمة ، والعقد لا يوجد

مع البهائم وما شاكلها ، وقد أجمع على هذا الرأي الحاخامات (بشاي وليفي وجرسون) فلا يرتكب اليهودي محرّما إذ أتى امرأة مسيحية ، وقال (ميانود) إن لليهود الحق في اغتصاب النساء الغير مؤمنات أي الغير يهوديات) ا.هـ .

ومن هذه النقول ندرك الفارق بين الإسلام وغيره ، ونعرف نعمة الله عز وجل بإرساله محمدًا ﷺ بشيرًا للعالمين ونذيرًا ومعلمًا ومربيًا ومزكيًا . ونعرف سرًا من أسرار قوله تعالى : ﴿ ومن يبتغِ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه ﴾ [1] .

* * *

---

(١) آل عمران : ٨٥ .



الفصل الثالث

في:

الإيمان بالقدر

وفيه:

مقدمة ومسائل ونصوص وتلخيص



المقدمة

ذكرنا الإيمان بالقدر ، وهو الركن السادس من أركان الإيمان بعد الإيمان بالله لأنه في الحقيقة فرع الإيمان بالله وفرع معرفته ، فمن عرف الله حق المعرفة وعرف صفاته من إرادة وقدرة وعلم آمن بالقدر ضرورةً ، ولذلك قدمناه ههنا .

والنصوص كثيرة وواضحة في إثبات القدر ، لكن القرآن ذكر أركان الإيمان الخمسة مجتمعة مع بعضها ، وذكر القدر منفردًا لأنه كما قلنا فرع الإيمان بالله ، أما السنة ذكرت الأركان الستة مع بعضها كما ورد في حديث جبريل عليه السلام : « قال [أي جبريل] : فأخبرني عن الإيمان . قال [أي رسول الله ﷺ] : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى . قال [أي جبريل] : صدقت . قال [الراوي] : فعجبنا له يسأله ويصدقه » .

لقد ذُكِرتْ أركان خمسةٌ من أركان الإيمان في القرآن بجانب بعضها ، قال تعالى : ﴿ **ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيدًا** ﴾ [١] .

وجاء ذكر القدر في أكثر من مكان : ﴿ **إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾ [٢] ، ﴿ **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم** ﴾ [٣] ، ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب** ﴾ [٤] ، ﴿ **وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم** ﴾ [٥] .

* * *

إن عقيدة القضاء والقدر هي التحقيق لمعان متعددة تشمل :

معرفة الله والعبودية له والاستسلام والتسليم والتوكل ، وهي تأكيد لعقيدة أهل السنة والجماعة بأن كل شيء بإرادة الله وعلمه وقدرته ، وهي لا تنفي الاختيار ولا تعني الجبر .

إن هناك مشيئة نافذة وقدرًا تمضي عليه أمور هذا العالم ، وهذا لابد منه ؛ لأن هذا

---

(١) النساء : ١٣٦ .
(٢) القمر : ٤٩ .
(٣) الحديد : ٢٢ ، ٢٣ .
(٤) الرعد : ٣٩ .
(٥) الزخرف : ٤ .

العالم مظهر لأسماء الله ومظهر للتعرف على الله .

فاقتضت حكمة الله أن يكون الجزء الاختياري الذي تقوم به الحجة على الخلق موجودًا ومحسوسًا ، ولكن بدلاً من أن يكون ذلك على طريقة القوة المودعة كما تقول المعتزلة كان ذلك بالإمداد المباشر ، ومن سوء الفهم لهذه الحقيقة وقع الخلط والخبط ، فالمعتزلة لم يتصوروا الاختيار إلا من خلال القوة المودعة ، والجبرية رأوا واقع الحال أن كل شيء بعلم الله وإرادته وقدرته ، فقالوا بالجبر المحض ، وأهل السنة والجماعة رأو أن الاختيار أصل ، فقدرة الله تعمل على وفق مشيئته ، ومشيئته تعمل على وفق علمه ، والعلم كاشف لا مجبر ، ولكنَّ أبى الله أن يكون معه فاعل يستقل بخلق شيء ، ومن ههنا كان الإيمان بالقدر هو فرع الإيمان بالله ، فمن عرف علم الله وإرادته وقدرته آمن بالقدر ، فالله يعلم الأشياء كلها أزلاً وخصص أزلاً ما أراد وجوده منها بالوجود ، وأبرزت قدرته ما أراد ، وسجل ذلك كله في اللوح المحفوظ وذلك هو القدر . فالقضاء والقدر يتضمنان الإيمان بعلم الله وإرادته وقدرته ، كما يتضمنان الإيمان باللوح المحفوظ لأن الله أخبرنا عن ذلك :

فالقدر : هو علم الله تعالى بالأزل بما تكون عليه المخلوقات كلها في المستقبل .

والقضاء : هو إيجاد الله الأشياء حسب علمه الأزلي وإرادته .

وبعضهم عكس التعريف .

هذا وقد تطلق كلمة القدر على النظام المحكم الذي أقام الله عليه أمر الوجود وذلك داخل في القدر بمعناه الأشمل : ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ [1] ، على أحد وجهين في التفسير : ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزّله إلا بقدر معلوم ﴾ [2] ، ﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾ [3] .

إن الناس بالنسبة للخلق والخالق أقسام :

١ ـ الماديون الذين يؤمنون بالمادة ويلحدون بالله عز وجل .

٢ ـ القائلون بقدم المادة مع الإيمان بالله عز وجل .

---

(١) القمر : ٤٩ . (٢) الحجر : ٢١ .

(٣) الرعد : ٨ .

٣ - القائلون بالخلق مع الإيمان بعدم التدخل وإنما هي أسباب وقوانين ولا دخل للإرادة الإلهية أو القدرة الإلهية .

وهذه الفرق الثلاثة كافرة بإجماع أهل السنة والجماعة .

٤ - القائلون بالخلق مع الإيمان بالقوة المودعة والتدخل الجزئي .

وقد اختلف أهل السنة والجماعة في هؤلاء فمِنْ مُكَفِّرٍ ومن مُضَلِّل .

٥ - القائلون بالخلق واحتياج هذا الخلق إلى إمداد مستمر ، وأن كل شيء ابتداء إنما كان بعلم الله وإرادته وقدرته ، وأن الإمداد الإلهي مستمر ، فكل شيء بعلم الله وإرادته وقدرته بدءًا واستمرارًا .

هؤلاء القائلون بمسألة خلق العبد وأفعاله وكل شيء ابتداءً وانتهاءً واستمرارًا هم أهل السنة والجماعة . ولهذه العقيدة تشهد النصوص . وبعض العلماء الذين لم يتلقوا عقائد أهل السنة والجماعة يغلطون في هذا الأمر ويغلّطون ، وهم على مذهب المعتزلة ولا يشعرون ، وما ذلك إلا لغلبة الحس عليهم ؛ لأن المسألة تدور بين صور :

١ - علم الله أزلاً فأراد فأبرز بقدرته .

٢ - أو علم الله ولم يرد وحدث شيء غصبًا عنه .

٣ - أو علم ولم يرد وأعطى الخلق قدرة .

٤ - أو علم ولم يرد وأبرز بقدرته .

٥ - أو علم ولم يرد ولم يبرز بقدرته .

الصورة الأولى هي التي تتفق وجلال الربوبية ، والإيمان بها هو الذي يتحقق معه التكليف بالعبودية ، وتنسجم مع فكرتَيْ التوكل والدعاء ، وهي مظهر كال الله الأرقى والأعلى ، وذلك يتفق مع قوله تعالى : ﴿ لا يُسْأَلُ عما يفعل وهم يسألون ﴾ [1] ، والصورة الأولى هي التي تحقق الإيمان بالقدر .

---

(١) الأنبياء : ٢٣ .

المسائل

أولاً : يجب على العبد أن يصدق بالقدر ، وأن يستسلم لله عز وجل فيما قدره له .

ثانيًا : أن التسليم فيما يقع يجب أن يرافقه شكر على الطاعة وتوبة عن المعصية .

ثالثًا : أن يعتقد المسلم أنه مختار فيما يستقبل من الزمن في الأمور التكليفية ، ويتصرف على أنه مختار .

رابعًا : أن يسلم لله حكمه في شأن القدر وألا تدخل عليه الوسوسة في كيفية الجمع بين الاختيار والكسب وبين أن كل شيء بإرادة الله وقدرته ، فالله علم ما كان وما يكون فأراده فأبرزه بقدرته وههنا حد لا يسأل عنه : ﴿ **لا يسأل عما يفعل وهم يسألون** ﴾ [(١)] .

خامسًا : هناك فارق بين المشيئة الإلهية من جهة وبين الأمر والرضا من جهة أخرى ، فكل شيء كان ويكون بإرادته ولكن ليس كل شيء كان ويكون بأمره التشريعي أو رضاه ، فكفر الكافر ومعصية العاصي ليست بأمره التشريعي ولا برضاه لكنها بإرادته : ﴿ **إن الله لا يأمر بالفحشاء** ﴾ [(٢)] ، ﴿ **يضل من يشاء ويهدي من يشاء** ﴾ [(٣)] .

سادسًا : لا يصح احتجاج الكافر والضال والفاسق بالمشيئة على الكفر والمعصية والضلال .

سابعًا : الخوض بالقدر من علامة اضطراب القلب وعدم طمأنينته ، ولذلك فقد كُرِه البحث في القدر ؛ لأن الكلام غير الدقيق فيه قد يؤدي إلى التشويش .

ثامنًا : نفت بعض الفرق الإسلامية القدر خشية أن تنسب إلى الله الظلم في فهمها فوقعت في ظلم أشد لأنها نفت عن الله عز وجل شمول الإرادة وشمول القدرة وشمول العلم .

والخلاصة :

إن الإيمان بالقدر هو المظهر الأعلى لمعرفة الله ولمعرفة صفاته وأفعاله . وهو الذي

(١) الأنبياء : ٢٣ .
(٢) الأعراف : ٢٨ .
(٣) فاطر : ٨ .

يناسب مقام الإنسان في العبودية .وهو الذي يتفق وافتقار الإنسان . وهو الذي يسبغ على الإنسان رضًا وسعادة . وهو الذي يعطي الإنسان شجاعة وإقدامًا . والإيمان بالقدر هو مفتاح التوكل على الله . وهذه وغيرها إيجابيات عقيدة القدر . فنحن مكلفون بأن واحد بأشياء : نحن مكلفون بالإيمان بالقدر ، ومكلفون في الوقت نفسه بالتوكل ، ومكلفون بالعمل والأخذ بالأسباب . فالمعرفة والإيمان والتسليم والعمل هي آداب المسلم في هذا المقام : ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ [1] .

* * *

لقد اختلف أهل السنة والجماعة مع المعتزلة في مسائل :

منها خلق أفعال العباد ، ومنها شمول تعلق صِفَتَيْ الإرادة والقدرة بكل ما يجري في هذا العالم .

قال المعتزلة بأن العبد يخلق أفعال نفسه ، وقالوا بالقوة المودَعة ؛ فالله عز وجل جعل الأسباب تعمل على وفق ما أودعها فيه دون أن تكون لإرادته وقدرته تدخل مباشر فيما يجري ، وهذا وهذا من عقائد المعتزلة يتنافى مع النصوص ، فالله عز وجل قال : ﴿ الله خالق كُلّ شيء ﴾ [2] ، ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ﴾ [3] ، ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ [4] ، ﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾ [5] ، ﴿ أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزّارعون ﴾ [6] ، ﴿ إن هي إلا فتنتك ﴾ [7] . ومن أذكار الإسلام : « لا حول ولا قوة إلا بالله » . ومن أسماء الله : القيوم ، وذلك يقتضي أن كل شيء لا يقوم إلا به ، ومن أسماء الله : الصمد ، وهذا يقتضي أن الخلق دائمو الاحتياج إلى الله ، ومن أسمائه : المعز والمذل والقابض والباسط والمقدم والمؤخر والمحيي والمميت ، وذلك يدل على أنّ كُلّ ما يجرى فِعْلَهُ قد خَلَقَه اللهُ جل جلاله ، قال تعالى : ﴿ كل يوم هو في شأن ﴾ [8] ، وهذا

---

(١) الكهف : ٢٩ .
(٢) الزمر : ٦٢ .
(٣) التوبة : ١٤ .
(٤) الأنفال : ١٧ .
(٥) الشعراء : ٨٠ .
(٦) الواقعة : ٦٣ ، ٦٤ .
(٧) الأعراف : ١٥٥ .
(٨) الرحمن : ٢٩ .

يتنافى مع القول بخلق الإنسان أفعالَ نَفْسِهِ ومع القول بالقوة المودَعة ، لأن القول بهاتين الفكرتين يؤدي إلى القول بأن الله عز وجل خلق الأسباب والمسببات وتركها تجري بما أودعه فيها دون أن يكون له تدخل مباشر فيما يجري ، وأين هذا من فكرة الدعاء وفكرة التوكل ؟ وأين هذا من النصوص وما أكثرها ؟ لو أنك تأملت فاتحة الكتاب وحدها لرأيت فيها أكثر من دليل على مذهب أهل السنة والجماعة ، فقوله تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [1] يفيد أن كل أنواع الحمد لله لأنه هو الفاعل على الحقيقة فهو المستحق للحمد ، وأي حمد إنما ينبغي أن يكون له ، فإذا حمدت إنسانًا على شيء فإن هذا الشيء بالله ومن الله ، فالله هو المستحق للحمد وحده ، وهذا يشهد لعقيدة أهل السنة والجماعة ، وقوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [2] فيه دليل لأهل السنة والجماعة ، فكيف نستعين به على العبادة إذا لم يكن له تدخل فيما يجري ، وقوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ [3] دليل لأهل السنة والجماعة فيما ذهبوا إليه ، فلو لم تكن الهداية بيده فكيف تطلبها منه في اليوم كذا مرة ، إن نصوص الكتاب والسنة تشهدان لما ذهب إليه أهل السنة والجماعة : أن كل شيء مفتقر إلى الله وأن كل ما يجري بإمداد الله وبفعله . ولكون القول بأن الإنسان يخلق أفعالَ نفسه ، ولكون القول بالقوة المودعة يخدش الإيمان بالقَدَر فقد سَمَّى أهلُ السنة والجماعة المعتزلةَ « بالقدرية » أي نفاة القدر واعتبروهم امتدادًا لنفاة القدر بالكامل .

فالإيمان بالقدر يدخل فيه الإيمان بأن الله عز وجل علم أزلاً فأراد أزلاً فأبرز بقدرته وسجل ذلك في اللوح المحفوظ ، وما يجري الآن وما سيجري كل ذلك أثر علمه وإرادته وقدرته وعلى مقتضى ما سجله في اللوح المحفوظ .

وإذ كان موضوع القدر تتفرع عنه مسائل كثيرة ، وينبثق عن أصول كبيرة ، والدخول في تفصيلاته يدخلنا في هذه المسائل والأصول ، وليس كل إنسان مؤهلاً للخوض في ذلك والوصول إلى شاطئ السلامة في هذا الشأن ؛ فقد كُرِهَ الخوض في القَدَر إلا بالقَدْر الذي

---

(١) الفاتحة : ٢ . (٢) الفاتحة : ٥ .

(٣) الفاتحة : ٦ .

يقرره وينفي الشبهة عنه ، لقد سئل الإمام أحمد عن القدر فقال : « القدر قدرة الرحمن » . وقال الطحاوي : « وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته ، ومشيئته تنفذ لا مشيئة العباد إلا ما شاء الله ، فما شاء لهم كان ، وما لم يشأ لم يكن ، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولا غالب لأمره » .

تأمل قول هذين العالمين ، وتأمل قوله عليه الصلاة والسلام وقد سئل :

٦١٤ ـ * روى الترمذي عن أبي خُزَامَةَ عن أبيه قال : قلتُ : يا رسول الله أرأيتَ رُقَاةً نستَرقي بها ، ودَوَاءً نَتَداوَى به ، وتُقاةً نَتَّقيها ، هل تَرُدُّ من قَدَرِ الله شيئًا ؟ قال : « هو مِن قَدَرِ الله » .

وتأمل قوله عليه السلام لمن سأله : أيترك ناقته بلا عقل ويتوكل ؟ فقال : « اعْقِلْها وتوكل » .

لتعلم أن القدر ترتبط فيه مسائل كثيرة ، فهو مجمع أسرار العقيدة الإسلامية في باب الألوهية ، ولذلك كان الإيمان بالقدر والقيام بالتكليف مع الأخذ بالأسباب هي من علامات التوفيق الرباني .

وهذه نصوص في القدر :

---

٦١٤ ـ الترمذي (٤ / ٣٩٩) ٢٩ ـ كتاب الطب ٢١ ـ باب ما جاء في الرقى والأدوية .
وقال : هذا حديث حسن صحيح . وهو كا قال .
(تُقَاةً) : التُّقاةُ : ما يُتَّقَى ويُحْذَر .

النصوص

٦١٥ ـ * روى أحمد عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : « خلق الله عز وجل آدمَ حين خَلَقَهُ فَضَرَبَ كَتِفَه اليمنى فأخرج ذُرِّيَّةً بيضا كأنهم الذَّرُّ ، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذُرِّيَّةً سودا كأنهم الحُمَمُ ، فقال للذي في يمينه : إلى الجنة ولا أبالي . وقال للذي في كَفه اليسرى : إلى النار ولا أبالي » .

٦١٦ ـ * روى أحمد عن عبد الرحمن بن قتادةَ السُّلَمِيِّ أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله عز وجل خلق آدمَ ثم أخذ الخلقَ من ظهره فقال هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي » فقال قائل : يا رسول الله فعلام ذا نعمل ؟ قال : « على مواقع القدر » .

٦١٧ ـ * روى البزار عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال في القبضتين : « هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه » . قال : فتفرق الناس وهم لا يختلفون في القدر .

٦١٨ ـ * روى الترمذي عن عبدِ الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله خَلَقَ خَلْقَهُ في ظُلْمةٍ ، فألقى عليهم من نُوره ، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ، ومن أخطأه ضَلَّ ، فلذلك أقول : جَفَّ القَلَمُ على عِلْم الله » .

---

٦١٥ ـ أحمد (٦ / ٤٤١) .

وكشف الأستار (٣ / ٢١) .

مجمع الزوائد (٧ / ١٨٥) . وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(الحُمَم) : الفحم .

٦١٦ ـ أحمد (٤ / ١٨٦) .

والحاكم (١ / ٣١) . وقال : هذا حديث صحيح . وهو صحيح .

٦١٧ ـ كشف الأستار (٣ / ٢٠) .

والروض الداني (١ / ٢٢٥) .

قال الهيثمي (٧ / ١٨٦) : رواه البزار والطبراني في الصغير ورجال البزار رجال الصحيح .

٦١٨ ـ الترمذي (٥ / ٢٦) ٤١ ـ كتاب الإيمان ١٨ ـ باب ما جاء في افتراق هذه الأمة . وقال : هذا حديث حسن .

وأحمد (٢ / ١٧٦) .

=

٦١٩ ـ * روى البخـاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنـه عن النبيّ ﷺ قـال : « حـاجَّ آدمَ مُوسى ، فقـال [مـوسى] : أنت الـذي أخرجتَ النـاس من الجنـة بـذنبك وأشقيتَهم » ؟ قال : « فقال آدمُ لموسى : أنت الذي اصطفاك اللهُ برسالاتـه وبكلامـه أتَلُـومُني على أمرٍ كَتَبَـهُ الله عليَّ قَبْـلَ أن يَخْلُقَني ؟ أو قـدَّرَهُ عَلَيَّ قبـل أن يَخْلُقَني ؟ » قال رسولُ الله ﷺ : « فحجَّ آدمُ مُوسى » .

وفي روايـة (١) قـال : « احْتَجَّ آدم ومـوسى ، فقـال مـوسى : يـاآدمُ ، أنتَ أبـونـا خَيَّبْتَنَا وأخرجتنا من الجنة . فقال لـه آدمُ : أنتَ موسى اصطفـاكَ الله بكلامـه ، وَخَطَّ لك بيده ، أتَلُومُني على أمرٍ قَدَّرَهُ الله عَلَيَّ قبل أن يَخلُقني بأربعين عامًا ؟ » قال النبي ﷺ : « فَحَجَّ آدمُ موسى ، [فَحجَّ آدمُ موسى] » .

وفي أخرى (٢) قال : قال رسول الله ﷺ : « احتَجَّ آدمُ وموسى ، فقـال لـه موسى : أنت آدمُ الذي أخْرَجَتْكَ خطيئَتُكَ من الجنة ؟ » .

وفي رواية (٣) : « أخْرَجْتَنا وذريتَكَ من الجنة ، قـال : أنت موسى ؟ أليس الله اصطفاك برسالاته وبكلامه ، ثم تلومني على أمر قد قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أن أُخْلَقَ ؟ » .

وفي أخرى (٤) قـال النبيُّ ﷺ : « التقى آدمُ ومـوسى ، قـال مـوسى : أنت الـذي أشقيتَ النـاس ، وأخرجْتَهم من الجنـة ؟ قـال آدمُ : أنتَ الـذي اصطفـاك الله برسـالاتـه واصْطَنَعـكَ لنفسـه ، وأنـزل عليـك التـوراةَ ؟ قـال : نعم ، قـال : فوجدْتَها ، كتب عَلَيَّ قبل أن يخلقني ؟ قال : نعم ، فحجَّ آدم موسى » .

= والإحسان بترتيب ابن حبان (٨ / ١٦) كتاب التاريخ ـ باب بدء الخلق . والحديث إسناده حسن .

٦١٩ ـ البخاري (٨ / ٤٣٤) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، ٢ ـ باب : ﴿ فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾ .

مسلم (٤ / ٢٠٤٢ ـ ٢٠٤٤) ٤٦ ـ كتاب القدر ، ٢ ـ باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام .

(١) مسلم : الموضع السابق .

(٢) البخاري (٦ / ٤٤١) ٦٠ ـ كتاب أحاديث الأنبياء ، ٣١ ـ باب وفاة موسى .

(٣) البخاري (١٣ / ٤٧٧) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ، ٣٧ ـ باب ما جاء في قوله عز وجل : ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾ .

(٤) البخاري (٨ / ٤٣٤) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، ١ ـ باب : ﴿ واصطنعتك لنفسي ﴾ .

ولمسلم [١] : أن النبيَّ ﷺ قال : « تحاجَّ آدَمُ وموسى ، فقال له موسى : أنت آدمُ الذي أغْوَيتَ الناسَ ، وأخرجتهم من الجنة ؟ فقال آدم : أنتَ الذي أعطاه الله علم كل شيء ، واصطفاه برسالاته ؟ قال : نعم . قال : فتَلُومُني على أمر قُدِّر عَليَّ قبل أن أُخْلَق ؟ » .

وفي أخرى [٢] له قال : « احتجَّ آدم وموسى عند ربهما ، فحجَّ آدم موسى ؛ قال موسى : أنتَ آدمُ الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسْجَدَ ملائكتَه وأسكنكَ في جَنَّتِهِ ، ثم أهْبَطْتَ الناسَ بخطيئتِكَ إلى الأرض ؟ قال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه ، وأعطاك الألواح فيها تِبْيَانُ كُلِّ شيء ، وقَرَّبَك نَجيًّا ؟ فَبِكَمْ وَجدْتَ الله كتب التوراة قبل أن أُخلَقَ ؟ قال موسى : بأربعين عامًا . قال آدم : فهل وجَدْت فيها : ﴿ وعصى آدمُ ربَّه فغوى ﴾ [٣] ؟ قال : نعم . قال : أفتلُومُني على أن عَمِلتُ عملاً كتَبَه الله عَليَّ أنْ أعمله قبل أن يَخْلُقني بأربعين سنةً ؟ » قال رسولُ الله ﷺ : « فحجَّ آدمُ موسى عليهما السلام » .

وفي رواية الترمذي [٤] قال : « احتجَّ آدمُ وموسى ، فقال موسى : ياآدم ، أنت الذي خَلقكَ الله بيده ، ونَفَخَ فيك مِن رُوحِه ، وأغْوَيت الناسَ وأخرجتهم من الجنة ؟ فقال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه أتلومني على عمل عملتُه

---

(١) مسلم : الموضع السابق .

(٢) مسلم : الموضع السابق .

(٣) طه : ١٢١ .

(٤) الترمذي (٤ / ٤٤٤) ٣٣ ـ كتاب القدر ، ٢ ـ باب ما جاء في حجاج آدم وموسى عليهما السلام .

(المحاجة) : المجادلة والمخاصمة ، حاججت فلانًا فحججته ، أي : جادلتُه فغلبتُه .

(نجيًّا) النجيُّ : المناجي ، وهو المشاور والمحادث ، وقوله : « اصطنعك لنفسه » تمثيل لما أعطاه الله من منزلة التقريب والتكريم ، مَثَّل حاله بحال من يراه بعض الملوك ـ بجوامع خصال فيه وخصائص ـ أهلاً لئلا يكون أحدٌ أقربَ منزلةً منه إليه ، ولا ألطف محلاً ، فيوليه من الكرامة ويستخلصه لنفسه ، والاصطناع : افتعال من الصنيعة ، وهي العطية والكرامة والإحسان .

(الإغواء) : الإضلال ، غَوَى الرجل يغوي وأغوى غيره .

(تبيان) : التبيان : الإيضاح ، وكشفُ الشيء ليظهر ويتبين .

كتبه الله عَليَّ قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ » قال : « فحجَّ آدم موسى » .

٦٢٠ ـ * روى أبو داود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنّ موسى عليه السلام قال : يارب ، أرنا آدمَ الذي أخرجَنا ونَفْسَهُ من الجنة . فأراه الله آدمَ ، فقال له : أنت أبونا آدم ؟ فقال له آدمُ : نعم ، قال : أنت الذي نفخَ اللهُ فيك من روحه ، وعلّمك الأسماءَ ، وأمرَ الملائكةَ فسجدوا لك ؟ قال : فما حَمَلَكَ على أن أخرجتَنا ونَفْسَكَ من الجنة ؟ قال له آدمُ :وَمَنْ أنت ؟ قال : أنا موسى . قال : أنت الذي »ـ وذكر نحو حديث أبي هريرة وأتمّ منه ـ قال فيه : « أنت نبيٌّ بني إسرائيل الذي كلّمَكَ الله من وراء الحجاب ، ولم يجعل بينك وبينه رسولاً من خلقه ؟ قال : نعم . قال : فما وجدتَ أن ذلك كان في كتاب الله قبل أن أُخلَقَ ؟ قال : نعم . قال : فلِمَ تلومني في شيء سبق من الله فيه القضاء قبلي ؟ » قال رسولُ الله ﷺ عند ذلك : « فحجَّ آدمُ موسى » .

أقول : الملاحظ أنّ آدم عليه السلام عندما وقع في الذنب تاب واستغفر ولم يحتج على الله بالقدر ، وذلك منه قيام بحق التكليف فقال : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [1] ، ولكن عندما انتقل من دائرة التكليف بوفاته وانتقاله احتج بقدره على موسى عليه السلام ، ومن ههنا نعرف أدب المسلم أنه في هذه الدار يؤمن بالقدر ويقوم بالتكليف ، وإذا واقع المعصية تاب إلى الله وأناب ، وفي كل الأحوال في الدنيا والآخرة لا يفعل مما يفعله المشركون بأن يحتجوا على صحة ما هم فيه من الكفر والشرك والمعاصي بمشيئة الله فذلك فعل الكافرين : ﴿ وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرّمْنَا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾ [2] .

٦٢١ ـ * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرجَ رسولُ الله ﷺ ونحن

---

٦٢٠ ـ أبو داود (٤ / ٢٢٦) كتاب السنة ـ باب في القدر . وإسناده حسن .

(١) الأعراف : ٢٣ . (٢) النحل : ٣٥ .

٦٢١ ـ الترمذي (٤ / ٤٤٣) ٣٣ـ كتاب القدر ١ ـ باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر .

نَتَنَـازَعُ في القَـدَرِ ، فَغَضِبَ ، حتى كأنَّما فُقِئ في وجهـِه حَبُّ الرُّمَّـانِ حُمْرَةً من الغَضَب ، فقـال : « أبهـذا أُمِرْتُم ؟ أم بهـذا أُرسلتُ إليكم ؟ إنَّما أهلـكَ من كان قبلَكم كَثْرَةُ التَّنازُعِ في أَمْرِ دينهمْ ، واخْتِلافُهمْ على أنبيائهم » .

وفي روايـة (١) : « إنَّما هَلَـكَ مَنْ كان قبلَكُم حين تنـازعـوا في الأمرِ ، عَـزَمْتُ عليكم ، عَزَمْتُ عليكم : أن لا تَنازَعُوا فيه » .

٦٢٢ - * روى الترمـذي عن جابر بن عبـد الله رضي الله عنهما قـال : قـال رسـولُ الله ﷺ : « لا يؤمنُ عبدٌ ، حتى يؤمنَ بالقدر خَيرِه وشَرِّه من الله ، وحتى يعلم أنَّ مـا أصابه لم يكن ليُخطئَه ، وأن ما أخطأه لم يكن لِيُصيبَهُ » .

٦٢٣ - * روى الطبراني عن عمرو بن العـاصي قـال : خرج رسول الله ﷺ فوقف عليهم فقال : « إنما هلك من كان قبلَكم بسؤالهم أنبياءَهم واختلافِهم عليهم ولن يؤمِن أحـدٌ حتى يؤمِنَ بالقدرِ خيرِه وشرِّه » .

(القدر والقضاء) قال الخطابي رحمه الله : قد يحسبُ كثيرٌ من الناس أن معنى القدر من الله والقضاء : معنى الإجبار والقهر للعبد على ما قضاه وما قدَّره ، وليس كذلك .

وإنما معناه : الإخبار عن تقدُّم علم الله بما يكون من أفعال العباد واكتسابهم ، وصدورها عن تقدير منه ، وخَلْقٍ لها خيرها وشرِّها . والقدر : اسم لمـا صـدر مُقَـدَّرًا عن فعل القـادر ، كالهدم ، والنشر ، والقبض ؛ أسماء لما صـدر من فعل الهـادم ، والنـاشر ، والقـابض ، يقـال : قَدَرت الشيء ، وقـدَّرتـه - خفيفـة وثقيلـة - بمعنى واحـد . والقضـاء في هـذا معنـاه الخلق ، كقـولـه تعـالى : ﴿ فقضـاهنَّ سبـع سمـوات في يـومين ﴾ (٢) ، أي : خلقهن . وإذا كان

= وقال : هذا حديث غريب . وهو حسن بشواهده .
(فُقِئ) : فُقِصَ وبُخِصَ ، ومنه : فَقَأتُ عَيْنَهُ ، أي : بَخَصْتُها .
(عزمتُ) : عزمتُ عليكم ، بمعنى : أقسمتُ عليكم .

(١) الترمذي : الموضع السابق .

٦٢٢ - الترمذي (٤ / ٤٥١) ٣٣ - كتاب القدر ، ١٠ - باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره .
وقال : هذا حديث غريب . وهو حديث حسن

٦٢٣ - الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١٩٩) . وقال : رواه الطبراني وأبو يعلى ورجاله ثقات .

(٢) فصلت : ١٢ .

الأمركذلك ، فقد بقي عليهم من وراء علم الله فيهم : أفعالهم واكتسابهم ، ومباشرتهم تلك الأمور ، وملابستهم إياها عن قصد وتعمُّد ، وتقدُّم إرادة واختيار . فالحجة إنما تلزمهم بها ، واللائمة تلحقهم عليها . وجماع القول في هذا : أنهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر ؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس ، والآخر : بمنزلة البناء ، فمن رام الفصل بينهما ، فقد رام هدمَ البناء ونقضه .

٦٢٤ - * روى أحمد عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : « لكل شيءٍ حقيقةٌ ، وما بلغ عبد حقيقةَ الإيمانِ حتى يَعْلَمَ أن ما أصابَهُ لم يكن لِيُخطِئَهُ وما أخطأَهُ لم يكن ليصيبَهُ » .

٦٢٥ - * روى أبو داود عن ابن الدَّيْلَميِّ رحمه الله ، قال : أتيتُ أُبيَّ بنَ كعب ، فقلتُ له : قد وقعَ في نفسي شيء من القَدَر ، فَحَدِّثْني ، لَعَلَّ اللهَ أنْ يُذْهِبَه من قلبي . فقال : لو أن الله عَذَّبَ أهْلَ سَمَاواتِهِ وأهْلَ أرضِهِ عَذَّبَهمْ وهو غيرُ ظالمٍ لهم ، ولو رَحِمَهُمْ كانتْ رحْمَتُهُ خيرًا لَهُمْ مِنْ أعْمالِهِمْ ، ولو أنفَقْتَ مثلَ أُحُدٍ ذهبًا في سبيل الله ما قَبِلَه اللهُ منك حتى تؤمِنَ بالقَدَرِ ، وتعلم أن ما أصابَكَ لم يكنْ لِيُخْطِئَك ، وأن ما أخطأكَ لم يكن لِيُصيبَكَ ، ولو مُتَّ على غير هذا لدخلتَ النار . قال : ثم أتيتُ عبدَ الله بنَ مسعود ، فقال مثلَ ذلك . قال : ثم أتيتُ حُذيفةَ بنَ اليمان ، فقال مثلَ ذلك ، ثم أتيتُ زيدَ بن ثابت ، فحدَّثني عن النبي ﷺ مثلَ ذلك .

٦٢٦ - * روى الترمذي عن نافع - مولى ابن عمر - أن رَجلاً جاءَ ابنَ عمرَ ، فقال : إن فلانا يقرأُ عليك السلام . فقال ابنُ عُمَرَ : إنه بلغني أنه قد أحدَثَ التكذيبَ بالقدرِ ، فإن

---

٦٢٤ - أحمد (٦ / ٤٤١) .

الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١٩٧) . وقال : رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات .

٦٢٥ - أبو داود (٤ / ٢٢٥) كتاب السنة - باب في القدر .

وابن ماجه (١ / ٢٩) المقدمة ١٠ - باب في القدر . وإسناده حسن .

٦٢٦ - الترمذي (٤ / ٤٥٦) ٣٣ - كتاب القدر ، ١٦ - باب حدثنا محمد بن بشار .

وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

ورواه أحمد (٢ / ١٣٦) .

والحاكم(١ / ٨٤) . وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي .

كان قد أحدثَ فلا تُقرئْه مني السلام ، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « يكون في هذه الأمَّة ، أو في أمَّتي » ـ الشك منه ـ « خسفٌ ومَسْخٌ ، وذلك في المكذبين بالقَدَر » .

وفي رواية أبي داود [1] قال : كان لابن عمر صديقٌ من أهل الشام يُكاتِبُهُ ، فكتب إليه عبدُ الله بنُ عمر : إنه بلغني أنّك تكلَّمْتَ في شيء من القدر ، فإياك أن تكْتُبَ إليَّ ، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « سيكون في أمتي أقْوَامٌ يُكَذِّبون بالقدر » .

وفي رواية الترمذي [2] نحو الأولى ، وفيها قال : بلغني أنه قد أحدث فإن كان قد أحدث ... وذكر الحديث ، وقال في آخره : « خَسْفٌ ومَسْخٌ ، أو قَذف في أهل القدر » .

٦٢٧ ـ * روى مسلم عن أبي هريرة قال : جاء مشركو قريش يخاصمون النبي ﷺ في القدر فنزلت هذه الآية : ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [3] .

٦٢٨ ـ * روى الطبراني عن سعيد بن جُبَيْر قال : كنت في حَلْقةٍ فيها ابن عباس فذكرنا القَدَر فغَضِب ابن عباس غضبًا شديدًا وقال : لو أعلم أن في القوم أحدًا منهم لأخذتُه ، إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « ما بعثَ الله نبيًا قط ثم قَبَضَه إلا جعل

---

(1) أبو داود (٤ / ٢٠٤) كتاب السنة ـ باب لزوم السنة .

(2) الترمذي : الموضع السابق .

٦٢٧ ـ مسلم (٤ / ٢٠٤٦) ٤٦ ـ كتاب القدر ، ٤ ـ باب كل شيء بقدر .

وأحمد (٢ / ٤٤٤) .

والترمذي (٤ / ٤٥٩) ٣٣ ـ كتاب القدر . ١٩ ـ باب أبو كريب محمد بن العلاء .

وقال : هذا حديث صحيح .

وابن ماجه (١ / ٣٢) المقدمة ١٠ ـ باب في القدر .

(3) القمر : ٤٨ ، ٤٩ .

٦٢٨ ـ المعجم الكبير (١٢ / ٧٣) .

وكشف الأستار (٣ / ٣٧) . وزاد : « وهم القدرية » .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٠٥) . وقال : رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير صدقة بن سابق وهو ثقة ، ورواه البزار وزاد : « هم القدرية » .

بعده فترةً وملأ من تلك الفترة جهنم » .

٦٢٩ - * روى الطبراني عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزال أمر هذه الأمة مواتيا أو مقاربًا » - أو كلمة تشبهها - « ما لم يتكلموا في الولدان والقدر » .

٦٣٠ - * روى البزار عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « أُخِّرَ الكلامُ في القدر لشرار هذه الأمة » .

٦٣١ - * روى أحمد عن ابن عون قال : أنا رأيتُ غَيْلان يعني القَدَرِيَّ مَصلوبًا على باب دمشق . (أي الذي قال بنفي القدر) .

٦٣٢ - * روى أحمد عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله ﷺ : « عَجِبْتُ من قضاء الله سبحانه للمؤمن : إنْ أصابه خيرٌ حَمِدَ رَبَّه وشكَرَ ، وإن أصابَتْهُ مُصيبةٌ حمدَ ربه وصبرَ . المؤمن يؤجر في كل شيء » .

٦٣٣ - * روى أحمد عن أبي العلاء بنِ الشِّخِّير قال : حدثني أَحَدُ بَنِي سليم - ولا أحْسِبُه إلا قد رأى النبي ﷺ - أن اللهَ عز وجل يبتلي عبدَه بما أعطاه ، فمن رضي بما قسم الله له بارك اللهُ فيه ووسَّعَهُ ، ومن لم يرضَ لم يبارِكْ له .

---

٦٢٩ - المعجم الكبير (١٢ / ١٦٢) .

وكشف الأستار (٣ / ٣٦) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٠٢) . وقال : رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط ورجال البزار رجال الصحيح .

٦٣٠ - كشف الأستار (٣ / ٣٥) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٠٢) . وقال : رواه البزار والطبراني في الأوسط وزاد : « لشرار أمتي في آخر الزمان » . ورجال البزار في أحد الإسنادين رجال الصحيح غير عمر بن أبي خليفة وهو ثقة .

٦٣١ - مجمع الزوائد (٧ / ٢٠٧) . وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

٦٣٢ - مسند أحمد (١ / ١٧٣) .

وروى مسلم نحوه عن صهيب (٤ / ٢٢٩٥) ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق ١٣ - باب المؤمن أمره كله خير .

٦٣٣ - مسند أحمد (٥ / ٢٤) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٢٥٧) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

٦٣٤ ـ * روى أحمد عن علي قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لا يُؤمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ : بِاللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ، وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْقَدَرِ » .

٦٣٥ ـ * روى مسلم عن جابر بن عبدِ الله رضي الله عنهما قال : جاء سُراقةُ بنُ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ ، فقال : يا رسولَ الله ، بَيِّن لنا دِينَنا كأنَّا خُلِقنا الآن ، فيمَ العملُ اليوم ، فيما جَفَّتْ به الأقلامُ وَجَرتْ به المقاديرُ ، أم فيما نستقبلُ ؟ قال : « لا ، بل فيما جَفَّتْ به الأقلام ، وجرت به المقادير » . قال : ففيمَ العَمَلُ ؟ قال : « اعْمَلُوا ، فكلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له ، وكلُّ عاملٍ بِعَمَلِه » .

٦٣٦ ـ * روى الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال عمر : يا رسول الله أرأيت ما نعمل فيه ، أمرٌ مُبتدَعٌ ـ أو مبتدأ ـ أو فيما قد فُرِغَ منه ؟ فقال : « فيما قد فُرِغَ منه يا ابنَ الخطابِ ، ، وكلٌّ مُيَسَّرٌ ، أمَّا مَنْ كان من أهل السعادة ، فإنه يَعْمَلُ للسعادة ، وأمَّا من كان من أهلِ الشَّقاء فإنه يعمل للشقاء » .

وفي رواية [1] ، قال : لما نزلت : ﴿ فَمِنْهُم شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٥] سألتُ رسولَ الله ﷺ ، فقلتُ : يا نبيَّ الله ، فعلامَ نعمل ، على شيء قد فُرِغَ منه ، أو على شيء لم يُفرَغْ منه ؟ قال : « بل على شيء قد فُرِغَ منه وَجَرَت به الأقلامُ يا عمرُ ، ولكنْ كلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِق له » .

٦٣٧ ـ * روى أبو يعلى عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « أراد الله أن

---

٦٣٤ ـ مسند أحمد (١ / ٩٧) .
والترمذي (٤ / ٤٥٢) ٣٣ ـ كتاب القدر ١٠ ـ باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره .
وابن ماجه (١ / ٣٢) المقدمة ١٠ ـ باب في القدر .
والمستدرك (١ / ٣٣) . وقال : صحيح على شرط الشيخين .

٦٣٥ ـ مسلم (٤ / ٢٠٤٠) ٤٦ ـ كتاب القدر ١ ـ باب كيفية الخلق الآدمي ... إلخ .

٦٣٦ ـ الترمذي (٤ / ٤٤٥) ٣٣ ـ كتاب القدر ٣ ـ باب ما جاء في الشقاء والسعادة . وقال : حسن صحيح .

(١) الترمذي (٥ / ٢٨٩) ٤٨ ـ كتاب التفسير ١٢ ـ باب ومن سورة هود . وقال : حسن غريب . وهو حديث صحيح .

٦٣٧ ـ كشف الأستار (٣ / ٢٣) .

يَخْلُقَ نَسَمَةً قال مَلَكُ الأرحام مُعْرِضًا : أي رب أذَكَرٌ أم أنثى ؟ فيقضي الله ، فيقول : أي رب أشَقيٌّ أم سعيدٌ فيَقْضي الله أمره . ثم يكتب بين عينيه ما هو لاقٍ حتى النَّكْبة يُنْكَبُها » .

٦٣٨ ـ * روى البزار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « الشقي من شقِي في بطن أمه والسعيد من سَعِدَ في بطنها » .

٦٣٩ ـ * روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « خلق الله جل ذكرُه يحيى بنَ زكريا في بطن أمه مؤمنًا وخلق فرعونَ في بطن أمه كافرًا » .

٦٤٠ ـ * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « وَكَّلَ اللهُ بالرَّحِمِ مَلَكًا ، فيقول : أي ربِّ نطفةٌ ؟ أي ربِّ عَلَقَةٌ ؟ أي ربِّ مُضْغَةٌ ؟ فإذا أراد أن يقضيَ خَلْقَها ، قال : يارَبِّ ، أذَكَرٌ أم أنثى ؟ أشقيٌّ ، أم سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيُكتب ذلك في بطن أمِّه » .

٦٤١ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : حدَّثنا رسولُ الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : « إنَّ خَلْقَ أحَدِكم يُجْمَعُ في بطنِ أُمِّهِ أربعين يومًا ، ثم يكون عَلَقةً مثل ذلك ، ثم يكونَ مُضْغَةً مثل ذلك ، ثم يَبْعَثُ الله إليه مَلَكًا

= مجمع الزوائد (٧ / ١٩٣) . وقال : رواه أبو يعلى والبزار ورجال أبي يعلى رجال الصحيح .

٦٣٨ ـ كشف الأستار (٣ / ٢٢) .

مجمع الزوائد (٧ / ١٩٣) وقال : رواه البزار والطبراني في الصغير ورجال البزار رجال الصحيح .

٦٣٩ ـ المعجم الكبير (١٠ / ٢٧٦) .

مجمع الزوائد (٧ / ١٩٣) . وقال : رواه الطبراني وإسناده جيد .

٦٤٠ ـ البخاري (١١ / ٤٧٧) ٨٢ ـ كتاب القدر ، ١ ـ باب حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك .

مسلم (٤ / ٢٠٣٨) ٤٦ ـ كتاب القدر ١٠ ـ باب كيفية الخلق الآدمي .

٦٤١ ـ البخاري (١١ / ٤٧٧) الكتاب والباب السابقان .

مسلم (٤ / ٢٠٣٦) الكتاب والباب السابقان .

وأبو داود (٤ / ٢٢٨) كتاب السنة باب في القدر .

والترمذي (٤ / ٤٤٦) ٣٣ ـ كتاب القدر ، ٤ ـ باب ما جاء أن الأعمال بالخواتيم . وقال : حسن صحيح .

بـأربعِ كلمـات : بِكَتْب رزقـهِ وأجلـهِ وعملـهِ ، وشَقيٌّ أو سعيـد ، ثم يَنْفُـخُ فيـه الروحَ ، فوالذي لا إلٰه غيره ، إنَّ أحدَكم ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى مـا يكونُ بينه وبينها إلا ذراعٌ ، فيسبقُ عليه الكتـابُ فَيَعْمَلُ بعمل أهل النـار فيـدْخُلُها ، وإن أحدَكم لَيَعْمَلُ بعمل أهل النار حتى ما يكونُ بينَـه وبينهـا إلا ذراعٌ ، فيسبقُ عليه الكتابُ فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخُلُها » .

٦٤٢ ـ * روى مسلم عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعـدي ؛ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قـال : « إنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّـةِ ، فيمَـا يَبْـدُو للنَّـاسِ ، وَهُوَ مِن أَهْلِ النَّـارِ . وَإنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَل عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ ، فيمَا يَبْدُو للنَّاس ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ » .

أقول : قوله ﷺ : « فيما يبدو للناس » ، في هذه الرواية يقيـد الروايـات السـابقـة ، فمع إيماننا بأن مشيئة الله مطلقة فإننا نؤمن بأن رحمة الله عز وجل سبقت غضبـه ، وأن من سنة الله أن من تقرب إليه شبرًا تقرب إليـه ذراعًـا ، وحسن الظن بـالله يقتضي أنْ نؤمن أنَّ من أقبل على الله بصدق بعمل أهل الجنة واعتقادهم فإن الله عز وجل يزيد من بركاته ويختم له بالخير ، وإنَّـا نتصور المسألة بأنْ يوجد إنسان يعمل في الظاهر بعمل أهل الجنة ، وعنـده عقائد فاسدة أو رياء أو أمراض قلبية ، أو يفعل ذنوبًا خفية ، فهو في الظـاهـر يعمل بعمل أهل الجنة وبالباطن يعمل بعمل أهل النار ، فمثل هذا عاقبته سيئـة إلا إذا تجـاوز الله عنـه فيما سوى الشرك الأكبر .

٦٤٣ ـ * روى مسلم عن عـامر بن واثلـة رحمـه الله أنـه سمع عبـد الله بن مسعـود يقـول : الشقيُّ من شَقيَ في بَطن أمِّه ، والسعيدُ مَنْ وُعِظَ بغيره . فأتى رجلاً من أصحـاب رسولِ الله ﷺ يقال له : حُذيفةُ بنُ أَسيد الغِفاري ، فحدَّثهُ بذلـك من قول ابن مسعود . فقـال لـه : وكيف يشقى رجل بغير عمل ؟ فقال له الرجل : أتَعْجَبُ من ذلك ؟ فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقـول : « إذا مَرَّ بـالنطفـة ثنتـان وأربعـون ليلـة ، بعثَ اللهُ إليهـا ملكًـا

---

٦٤٢ ـ مسلم (٤ / ٢٠٤٢) ٤٦ ـ كتاب القدر ، ١ ـ باب كيفية الخلق الآدمي ... إلخ

٦٤٣ ـ مسلم (٤ / ٢٠٣٧) الكتاب والباب السابقان .

فصوَّرهَا ، وخلَقَ سَمعَها ، وبصرَها ، وجِلدَها ، ولحمها ، وعِظامها ، ثم قال : يا رب ، أذكرٌ ، أم أنثى ؟ فيقضي ربُّك ما شاء ، ويكتبُ المَلَكُ ، ثم يقول : يارب ، أجلُه ؟ فيقول ربُّك ما شاء ، ويكتبُ الملك ، ثم يقول : يارب رِزْقُهُ ؟ فيقضي ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يخرج المَلَكُ بالصحيفة في يده ، فلا يزيد على [ما] أمر ولا يَنْقُصُ » .

وفي رواية [١] قال : دخَلْتُ على أبي سَرِيحَةَ ، حُذَيفة بن أسيد الغفاري فقال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ بأذنيَّ هاتين يقول : « إنَّ النطفةَ تقع في الرَّحِمِ أربعين ليلةً ، ثم يَتَصوَّرُ عليها المَلَكُ » ـ قال زهير أبو خيثمة : حَسِبْتُهُ قال : « الذي يخلقها ـ فيقول : يارِبِّ ، أذكَر ، أو أنثى ؟ فيجعله الله ذكرًا أو أنثى ، ثم يقول : يارب ، أسَوِيّ ، أو غيرُ سَوِيٍّ ؟ ثم يقول : [يارِبِّ] ما رِزقُهُ ، ما أجلُهُ ، ما خُلُقُهُ ؟ ثم يجعله الله شقيًا أو سعيدًا » .

وفي أخرى [٢] رفع الحديث إلى النبي ﷺ : « أن ملكًا مُوكَّلاً بالرحم ، إذا أراد الله عز وجل أن يَخلُقَ شيئًا ، بإذنِ الله لِبِضْعٍ وأربعين ليلةً ... » ثم ذكر نحوه .

قال النووي حول هذه الأحاديث : (ثم يرسل الملك) ظاهره أن إرساله يكون بعد مائة وعشرين يومًا ، وفي الرواية التي بعد هذه : يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول يارب أشقي أم سعيد ؟ وفي الرواية الثالثة : إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكًا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها . وفي رواية حذيفة بن أسيد : إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ثم يتسور عليها الملك . وفي رواية : أن ملكًا موكلا بالرحم إذا أراد الله أن يخلق شيئًا بإذن الله لبضع وأربعين ليلة ، وذكر الحديث . وفي رواية أنس : أن الله قد وكل بالرحم ملكًا فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة . قال العلماء : طريق الجمع بين هذه الروايات أن للملك ملازمة ومراعاة لحال النطفة ، وأنه يقول : (يارب هذه علقة هذه مضغة) في

---

(١) مسلم (٤ / ٢٠٣٨) الكتاب والباب السابقان .

(٢) مسلم : في الموضع السابق .

أوقاتها ، فكل وقت يقول فيه ما صارت إليه بأمر الله تعالى وهو أعلم سبحانه ، ولكلام الملك وتصرفه أوقات ؛ أحدها حين يخلقها الله تعالى نطفة ثم ينقلها علقة وهو أول علم الملك بأنه ولد ...

... وأما قوله في إحدى الروايات : فإذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكًا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ، ثم قال : يارب أذكر أم أنثى ؟ فيقضي ربك ما شاء ، ويكتب الملك ثم يقول : يارب أجله ؟ فيقول ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، وذكر رزقه ...

واتفق العلماء على أن نفخ الروح لا يكون إلّا بعد أربعة أشهر ، ووقع في رواية للبخاري : إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ، ثم يكون علقة مثله ثم يكون مضغة مثله ، ثم يبعث إليه الملك فيؤذن بأربع كلمات : فيكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه . فقوله : ثم يبعث « بحرف ثم » يقتضي تأخيرَ كَتْبِ الملك هذه الأمور إلى ما بعد الأربعين الثالثة ، والأحاديث الباقية تقتضي الكتب بعد الأربعين الأولى . وجوابه أن قوله : (ثم يبعث إليه الملك فيؤذن فيكتب) معطوف على قوله : (يجمع في بطن أمه) ومتعلق به لا بما قبله وهو قوله : (ثم يكون مضغة مثله) ، ويكون قوله : (ثم يكون علقة مثله ثم يكون مضغة مثله) معترضًا بين المعطوف والمعطوف عليه ، وذلك جائز موجود في القرآن والحديث الصحيح وغيره من كلام العرب . قال القاضي وغيره : والمراد بإرسال الملك في هذه الأشياء أمره بها وبالتصرف فيها بهذه الأفعال ، وإلا فقد صرح في الحديث بأنه موكل بالرحم ، وأنه يقول : يارب نطفة يارب علقة . قال القاضي : وقوله في حديث أنس : (وإذا أراد الله أن يقضي خلقًا قال يارب أذكر أم أنثى شقي أم سعيد ؟) لا يخالف ما قدمناه ، ولا يلزم منه أن يقول ذلك بعد المضغة ، بل ابتداء للكلام وإخبار عن حالة أخرى ، فأخبر أولاً بحال الملك مع النطفة ، ثم أخبر أن الله تعالى إذا أراد إظهار خلق النطفة علقة كان كذا وكذا » . ا . هـ النووي .

وهناك اتجاهات أخرى لم يذكرها النووي .

أقول : مما مر معنا من كلام النووي ندرك أن هناك خلافًا في فهم النصوص حول الزمن

الذي يكون فيه التصوير الكامل لخلق الإنسان في رحم أمه ، وهي قضية أصبح بإمكان علم الأجنة الحالي أن يبتّ فيها ، فما بتّ فيه علم الأجنة في هذا الشأن ـ وهو لا يخرج عما ذكرته النصوص وفهمه العلماء من قبل ـ فإنه هو الذي يُرمَّج على غيره .

٦٤٤ ـ * روى البزار عن عائشةَ عن النبي ﷺ : « إن الله تبارك وتعالى حين يريدُ أن يَخْلُقَ الخَلْقَ يبعثُ مَلَكًا ، فيدخُلُ الرَّحِمَ فيقول : يارَبِّ ماذا ؟ فيقول : غلامٌ أو جارية أو ما أرادَ أن يَخلُقَ في الرَّحِمِ . فيقول : يارب شقي أم سعيد ؟ فيقول يارب ما أجلُه ؟ ما خلائقُه ؟ فيقول : كذا وكذا . فيقول : يارب ما رزقُه ؟ فيقول : كذا وكذا . فيقول : يارب ما خُلُقُه ؟ ما خلائقه ؟ فما من شيء إلا وهو يُخْلَقُ معه في الرَّحِمِ » .

٦٤٥ ـ * روى البزار عن ابن عباس أن رسولَ الله ﷺ قال : « إن أول شيء خَلَقَهُ اللهُ القلمُ وأمَرَهُ أنْ يَكتُبَ كُلَّ شيءٍ » .

أقول : الأولية هنا أولية نسبية ، وإلا فقد مرّ معنا أن العرش والماء خلقا قبل ذلك .

٦٤٦ ـ * روى الطبراني عن ابن عباس عن النبي ﷺ : قال : « لما خلق الله القلم قال له : اكْتُبْ . فجرى بما هو كائن إلى قيام الساعة » .

٦٤٧ ـ * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن الرجل لَيَعْمَلُ الزمنَ الطويلَ بعمل أهل الجنة ، ثم يُخْتَمُ له عمَلُه بعملِ أهلِ النار ، وإنَّ الرجلَ ليعملُ الزمنَ الطويلَ بعملِ أهلِ النارِ ثم يُختمُ له عملُه بعملِ أهلِ الجنةِ » .

---

٦٤٤ ـ كشف الأستار (٣ / ٢٤) .

مجمع الزوائد (٧ / ١٩٣) . وقال : رواه البزار ورجاله ثقات .

٦٤٥ ـ مجمع الزوائد (٧ / ١٩٠) . وقال : رواه البزار ورجاله ثقات .

٦٤٦ ـ المعجم الكبير (١٢ / ٦٩) .

مجمع الزوائد (٧ / ١٩٠) . وقال رواه الطبراني ورجاله ثقات .

٦٤٧ ـ مسلم (٤ / ٢٠٤٢) ٤٦ ـ كتاب القدر ، ١ ـ باب كيفية الخلق الآدمي ... إلخ .

٦٤٨ - * روى أبو داود عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، قال لابنه عند الموت : يا بُنيّ إنك لن تجدَ طَعْمَ حقيقةِ الإيمانِ حتى تعلمَ أنّ ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّ أولَ ما خلق اللهُ القلمُ ، قال له : اكتب . قال : يارب ، وماذا أكتب ؟ قال : أُكتبْ مقاديرَ كل شيء حتى تقوم الساعة » . يا بنيُّ ، إنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « من مات على غير هذا فليس مني » .

وفي رواية للترمذي [1] : قال عبد الواحد بن سُلَيم : قَدِمْتُ مَكّةَ فلقيتُ عطاءَ بنَ أبي رباح ، فقلتُ له : يا أبا محمدٍ ، إنّ بالبصرة قومًا يقولون : لا قدر . فقال : يا بُنيَّ ، أتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم . فقال : فاقرأ (الزخرف) فقرأتُ : ﴿ حم والكتاب المبين * إنا جعلناه قرآنا عربيًّا لعلكم تعقلون * وإنّه في أم الكتاب لدينا لَعَليٌّ حكيم ﴾ ثم قال : أتدري ما أمُّ الكتاب ؟ قلت : لا . قال : فإنه كتاب كتبه الله قبل أن يَخْلُقَ السموات والأرضَ ، فيه : إن فرعون من أهل النار ، فيه : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أبي لهبٍ وتَبَّ ﴾ . قال عطاء : ولقد لقيتُ الوليدَ بنَ عُبَادةَ بنِ الصامت ، صاحبَ رسول الله ﷺ فسألته : ما كانت وصيةُ أبيك لك عندَ الموت ؟ فقال لي : دعاني فقال لي : يا بني ، اتقِ الله ، واعلم أنك لن تَتَّقيَ الله حتى تؤمن بالله ، وتؤمن بالقدرِ كلّه خيرِه وشرّه ، وإن متَّ على غير هذا دخلتَ النار ، إني سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : « إن أولَ ما خلق الله القلمَ ، فقال له : أُكتب . قال : ما أُكتب ؟ قال : اكتب القَدَرَ . فكتب ما كان وما هو كائن إلى الأبد » .

٦٤٩ - * روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يديه كتابان ، فقال : « أتدرون ما هذان الكتابان ؟ » قلنا :

---

٦٤٨ - أبو داود (٤ / ٢٢٥) كتاب السنة ، باب في القدر .

(١) الترمذي (٤ / ٤٥٧) ٣٣ - كتاب القدر ١٧ - باب حدثنا قتيبة ... إلخ . وقال : غريب من هذا الوجه .

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥ / ٣١٧) . وهو حديث صحيح .

٦٤٩ - الترمذي (٤ / ٤٤٩) ٣٣ - كتاب القدر ، ٨ - باب ما جاء أن الله كتب كتابًا لأهل الجنة وأهل النار . وقال : حسن غريب صحيح .

مسند أحمد (٢ / ١٦٧) . والحديث إسناده حسن .

=

لا يـارسـول الله ، إلا أن تُخبرَنا . فقـال للـذي في يـده اليمنى : « هـذا كتــابٌ من رب العالمين فيـه أسماءُ أهلِ الجنـةِ ، وأسماءُ آبـائهم وقبـائلهم ، ثم أجملَ على آخرهم ، فلا يُزَاد فيهم ولا يُنقص منهم أبدًا » . ثم قـال للـذي في شمالـه : « هـذا كتـاب من رب العالمين ، فيه أسماءُ أهلِ النارِ ، وأسماءُ آبـائهم وقبـائلهم ، ثم أجملَ على آخرهم ، فلا يُزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا » قال أصحابه : ففيم العملُ يا رسولَ الله إن كان أمرٌ قـد فُرِغ منه ؟ فقال : « سَدِّدُوا وقاربوا ، فإن صاحبَ الجنةِ يُخْتَم لـه بعمل أهل الجنـة وإنْ عَمِلَ أيَّ عَمَلٍ ، وإن صاحب النارِ يُختم له بعمل أهل النـار وإنْ عَمِل أيَّ عملٍ » . ثم قـال رسول الله ﷺ بيديـه ، فنبـذهـا ، ثم قـال : « فَرَغَ ربكم من العبـاد ، فريق في الجنة ، وفريق في السعير » .

٦٥٠ - * روى مسلم عن عِمْرانَ بن حُصَيْنٍ رضي الله عنـه قـال : قـال رجل : يـارسـول الله ، أَعُلِمَ أهل الجنة من أهل النار ؟ قال : « نعم » . قال : ففيم يعمل العـاملون ؟ قـال : « كلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلق له » .

وفي روايـة للبخـاري [(١)] ، أيُعرَف أهلُ الجنـة من النـار ؟ قـال : « نعم » . قـال : فَلِمَ يعمل العاملون ؟ قال : « كلٌّ يعمل لما خُلِق له » أو « لما يُسِّر له » .

ولمسلم [(٢)] من رواية أبي الأسود الـدِّيلي ، قـال : قـال لي عِمْرانُ بنُ حُصَيْن : أرأيتَ مـا يعمل الناسُ اليوم ويكدحون فيـه ، أشيءٌ قُضِيَ عليهم ومضى عليهم مِنْ قَـدَرٍ قـد سبق ، أو فيما يستقبلـون بـه مما أتـاهم به نَبِيُّهُمْ وثَبَتَتِ الحجَّـةُ عليهم ؟ فقلت : بـل شيءٌ قُضِيَ عليهم ومضى عليهم . قال : أفلا يكون ظُلْمًا ؟ قال : فَفَزِعتُ من ذلك فزعًا شديدًا ، وقلت : كلُّ شيءٍ خَلْقُ الله ومِلْكُ يده ، فلا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون . فقال لي : يَرْحَمُكَ الله ، إني

= (سددوا وقاربوا) السداد : الصواب في القول والعمل ، والمقاربة : القصد فيها .

(أجمل على آخرهم) أجملتُ الحسـابَ : إذا جمعتـه وكملتُ أفراده ، أي : جمعوا ، يعني أهل الجنة وأهل النـار عن آخرهم ، وعُقدت جملتهم ، فلا يتطرق إليها زيادة ولا نقصان .

٦٥٠ - مسلم (٤ / ٢٠٤١) ٤٦ - كتاب القدر ، ١ - باب كيفية الخلق الآدمي ... إلخ .

وأبـو داود (٤ / ٢٢٨) كتاب السنة ، باب في القدر .

(١) البخاري (١١ / ٤٩١) ٨٢ - كتاب القدر ، ٢ - باب جف القلم على علم الله .

(٢) مسلم : في الموضع السابق .

=

لم أُرِدْ بما سألتُكَ إلا لأحْزُرَ عقْلَكَ ، وإن رجلين من مُزَيْنَةَ أتيا رسولَ الله ﷺ فقالا : يا رسولَ الله ، أرأيتَ ما يَعمَلُ الناسُ اليوم ، ويَكْدَحون فيه ، أشيءٌ قُضِيَ عليهم ومضى فيهم من قَدَرٍ [قد] سَبَقَ ، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم [به] نبيُّهم ، وثبتت الحُجَّةُ عليهم ؟ فقال : « لا ، بل شيء قُضِيَ عليهم ، ومضى فيهم ، وتصديق ذلك في كتاب الله : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ » [الشمس : ٧ ، ٨] .

٦٥١ - * روى الترمذي عن ابن عباس : كنتُ خَلْفَ النبيِّ ﷺ فقال لي : « يا غلام إني أعلمك كلمات ، احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ ، احفظ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إذا سألتَ فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعنْ بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفِعَتِ الأقلام وجفت الصحف » .

٦٥٢ - * روى البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كنا في جَنَازَةٍ في بَقيعِ الغَرْقَدِ ، فأتانا رسولُ الله ﷺ ، فقَعَدَ ، وقَعَدنا حَولَهُ ، ومَعَهُ مِخْصَرَةٌ ، فَنَكَسَ ، وجَعَلَ يَنْكُتُ بمِخْصَرَتِهِ ، ثم قال : « ما منكم من أحد إلا وقد كُتِبَ مقعدُه من النار ، ومقعدُه من الجنة » . فقالوا : يا رسول الله أفلا نَتَّكِلُ على كتابنا ؟ فقال : « اعْمَلوا ، فَكلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له ، أمَّا مَنْ كان من أهلِ السعادة ، فسيصيرُ لعمل أهل السعادة ، وأمَّا مَنْ كان من أهل الشقاء ، فسيصير لعمل [أهل] الشقاء » ثم

= (لأحزر عقلك) : قال النووي : لأمتحن عقلك وفهمك ومعرفتك .

٦٥١ - الترمذي (٤ / ٦٦٧) ٣٨ - كتاب صفة القيامة ، ٥٩ - باب حدثنا بشر .... إلخ وقال : حسن صحيح . وهو كما قال .

(خلف النبي) : خلف النبي على دابته .

(احفظ الله) : بملازمة تقواه واجتناب نواهيه .

(تجده تجاهك) : تجده معك بالحفظ والإحاطة والتأييد والإعانة .

(رفعت الأقلام) : تُرِكَت الكتابة بها .

(جفت الصحف) : كناية عن تقدم كتابة المقادير والفراغ منها من أمد بعيد .

٦٥٢ - البخاري (١١ / ٤٩٤) ٨٢ - كتاب القدر ، ٤ - باب وكان أمر الله قدرًا مقدورًا .

مسلم (٤ / ٢٠٣٩) ٤٦ - كتاب القدر ، ١ - باب كيفية الخلق الآدمي .... إلخ .

قرأ : ﴿ فأمَّا مَنْ أعطى واتَّقَى * وصدَّق بالحسنى * فَسَنُيَسِّرُه لليُسْرى ﴾ . [الليل : ٥ ـ ٧] .

وفي رواية الترمذي [1] قال : كُنَّا في جنازةٍ في بقيعِ الغرقدِ ، فأتى رسولُ الله ﷺ ، فَقَعَدَ ، وقعدنا حَوْلَهُ ومعه مِخْصَرَةٌ ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ بها ثم قالَ : « ما منكم من أحدٍ » ـ أو ـ « [ما] من نَفْسٍ مَنْفُوسةٍ ، إلا وقد كَتَبَ الله مكانها من الجنة والنار ، وإلا قد كُتِبَتْ شَقِيَّةً أو سعيدةً » . فقال رجل : يا رسولَ الله أفلاَ نَمكُثُ على كتابنا وَنَدَعُ العمل ؟ فمن كان مِنَّا من أهل السعادة ، لَيَكونَنَّ إلى أهل السعادة ، ومن كان مِنَّا من أهل الشَّقاوة ، ليكُونَن إلى أهل الشقاوة ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « بل اعْمَلوا ، فكلٌّ مُيَسَّرٌ ، فأمَّا أهل السعادة فَيُيَسَّرُون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فَيُيَسَّرُون لعمل أهل الشقاوة » ثم قرأ : ﴿ فأما من أعطى واتقى * وَصدّق بالحسنى * فَسَنُيَسِّره لِلْيُسْرَى * وأما من بَخِلَ واستغنى * وكذّب بالحُسنى * فسنُيَسِّره للعسرى ﴾ [الليل : ٥ ـ ١٠] .

وفي أخرى للترمذي [2] قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ وهو يَنْكُتُ [في] الأرض، إذ رفع رأسه إلى السماء ، ثم قال : « ما منكم من أحدٍ إلا قد عُلم » ـ وفي رواية : « إلا قد كُتِبَ ـ مقعدُهُ من النار ، ومقعده من الجنة » . قالوا : أفلا نتَّكلُ يا رسولَ الله ؟ قال : « لا ، اعملوا ، فَكلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له » .

٦٥٣ ـ * روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « كتبَ اللهُ مقاديرَ الخلائقِ قَبْلَ أن يَخْلُقَ السمواتِ والأرضَ بخمسين ألفَ سنة » . قال : « وعرشه على الماء » .

---

(١) الترمذي : (٥ / ٤٤١) ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ، ٨١ ـ باب ومن سورة : ﴿والليل إذا يغشى﴾ . وقال : حسن صحيح .

(٢) الترمذي (٤ / ٤٤٥) ٣٣ ـ كتاب القدر ، ٣ ـ باب ما جاء في الشقاء والسعادة . وقال : حسن صحيح .

(مِخْصَرَة) كالسوط ونحوه مما يمسكه الإنسان بيده من عصىً ونحوها .

(فَنَكَسَ) : أي خفض رأسه وطأطأه إلى الأرض على هيئة المهموم .

٦٥٣ ـ مسلم (٤ / ٢٠٤٤) ٤٦ ـ كتاب القدر ، ٢ ـ باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام .

وفي رواية الترمذي [1] : « قـدَّر الله المقـاديرَ قبل أن يخلـقَ السمـواتِ والأرضينَ بخمسينَ ألفَ سنةٍ » .

قال النووي : (كتب الله مقادير الخلائق) قال العلماء : المراد تحديد وقت الكتـابـة في اللوح المحفوظ أو غيره ، لا أصل التقدير ، فإن ذلك أزليّ لا أول له .

(وعرشه على الماء) أي قبل خلق السموات والأرض .

أقول : وقبل أن يخلق من الماء مجرات هذا الكون .

٦٥٤ ـ * روى الطبراني عن أسامة بن زيد : قال : قال رسول الله ﷺ : « مـا جُعِلَتْ منيَّةُ عبدٍ بأرضٍ إلا جُعِلَ له فيها حاجةٌ » .

٦٥٥ ـ * روى مسلم عن طاوس اليماني قال : أدركتُ نـاسًـا من أصحـاب رسولِ الله ﷺ يقولون : كلُّ شيء بقدَر . قال : وسمعت ابن عمر يقول : قـال رسول الله ﷺ : « كل شيء بقدر حتى العَجْزُ والكَيْسُ » .

٦٥٦ ـ * روى أحمد عن أبي الـدرداء قـال : سمعت رسول الله ﷺ يقـول : « فَرَغَ الله إلى كل عبد من خمس : من أجله ورزقه وأثره ومَضْجَعِهِ » وفي رواية : « وعمله » .

٦٥٧ ـ * روى الترمذي عن سعد رفعـه : « من سعـادة ابن آدم رضـاه بمـا قضى الله له ، ومن شقاوة ابن آدم سَخَطُهُ بما قضى الله له » .

---

(١) الترمذي (٤ / ٤٥٨) ٣٣ ـ كتاب القدر ، ١٨ ـ باب حدثنا إبراهيم ... وقال : حسن صحيح غريب .

٦٥٤ ـ المعجم الكبيـر (١ / ١٧٨) .

مجمع الزوائد (٧ / ١٩٦) . وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

٦٥٥ ـ مسلـم (٤ / ٢٠٤٥) ٤٦ ـ كتاب القدر ، ٤ ـ باب كل شيء بقدر .

والموطأ (٢ / ٨٩٩) ٤٦ ـ كتاب القدر ، ١ ـ باب النهي عن القول بالقدر .

(الكيس) : العقل .

٦٥٦ ـ مسند أحمد (٥ / ١٩٧) .

وكشف الأستار (٣ / ٢٤) .

مجمع الزوائد (٧ / ١٩٥) . وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط ، وأحد إسنادي أحمد رجالـه ثقـات.

٦٥٧ ـ الترمذي (٤ / ٤٥٥) ٣٣ ـ كتاب القدر ، ١٥ ـ باب ما جاء في الرضا بالقضاء .

=

٦٥٨ ـ * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « المؤمنُ القويُّ خيْرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كلٍّ خيرٌ ، احْرِصْ على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تَعْجِزْ ، وإن أصابك شيء فلا تَقُلْ : لو أنّي فعلتُ لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قَدَّر اللهُ وما شاءَ فَعَلَ ، فإنَّ [لو] تفتحُ عَمَلَ الشيطان » .

* * *

= قال الترمذي : غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن حميد وليس بالقوي . وقال في الميزان : ضعفوه . قال ابن حجر : وأورده أحمد باللفظ المذكور عن سعد وسنده حسن .

٦٥٨ ـ مسلم (٤ / ٢٠٥٢) ٤٦ ـ كتاب القدر ، ٨ ـ باب في الأمر بالقوة وترك العجز ...

التلخيص

ـ القدر هو سرُّ الأسرار في العقيدة الإسلامية ، ولذلك فإن من المستحسن عرضه من خلال النصوص فذلك أقرب إلى الإيمان والفهم والتسليم ، وإنما كان سر الأسرار لارتباطه بصفات الذات الإلهية وارتباطه بمقام العبودية وارتباطه بتقرير فكرتي الكسب والاختيار مع التسليم أنّ كل شيء فِعْلُ الله وارتباطه بمعان كبيرة أخرى .

ـ القدرية المذمومون عند أهل السنة والجماعة قدريتان : أولى ؛ انقرضت قبل انتهاء القرن الثاني الهجري وهي التي تنفي القدر وتقول : (إن الله لم يقدر الأمور أزلاً وإن الله يستأنف الأمر علمًا حال وقوعه) وهؤلاء كفار قطعًا ، والقدرية الثانية ؛ هم المعتزلة الذين ينسبون أفعال العباد إلى قدراتهم وهؤلاء مبتدعة إذا لم يجتمع لهم مع البدعة مُكَفِّر ، قال صاحب الخريدة :

ومن يقل بالقوة المودعةِ فذاك بِدْعِيٌّ فلا تلتفتِ

هناك إيمان بالقضاء والقدر وتسليم لله فيهما وأن كل ما قضاه وقدره ففيه الحكمة جل جلاله ، وهناك المقضي والمقدر على الإنسان ، ومن هذا المعصيةُ ، والواجب فيها : التوبة على أصحابها والإنكار من غيرهم . ومنه الطاعة ، والواجب فيها من أهلها : الشكر عليها . ومنه الابتلاءات فالواجب فيها : الصبر والرضا عن الله والتسليم له . ومنه الإنعام بصنوف النعم ، فواجب العبد فيها : الشكر .

الإيمان بالقضاء والقدر لا ينفي الاختيار ؛ ولذلك لا يجوز للعبد أن يحتج بالقدر قبل الوقوع توصلا إليه ، كأن يقول : (قدّر الله عليّ الزنا) وغرضه الوقوع فيه أو الاحتجاج به بعد الوقوع تخلصًا من الحد .

والإيمان بالقضاء والقدر جزء من التكليف ، والعبد مطالب بالإيمان بالقضاء والقدر ، ومطالب بالعمل ، وحال رسول الله ﷺ وأصحابه حجة في ذلك ، ومن ربط بين الإيمان والقدر والخمول وترك العمل فقد ضَلّ وأضَلّ .

آثار الإيمان بالقضاء والقدر محمودة كلها ، فمن آثاره الشجاعة والجرأة والإقدام والصبر والتسليم والرضا من الله والتوكل وإنما يُؤْتَى الجاهلُ مِن قِبَلِ جَهْلِهِ .

الفصل الرابع
في:
الإيمان بالملائكة
وفيه:
مقدمة ونصوص



المقدمة

الإيمان بالملائكة يأتي في ترتيب الأركان الستة كما وردت في الحديث الصحيح الركن الثاني ، وهذا يشعر بأهميته بالنسبة لأركان الإيمان عند الذين يرون أن الواو لا تقتضي مطلق الجمع ، وعند الذين يعتبرون التقديم مُشْعِرًا بالأهمية أو بالفضل .

* * *

وأركان الإيمان كلُّها فصَّلها القرآن تفصيلاً كاملاً حتى لا يبقى لبس في شأنها ، ومن هٰهنا كان للتفصيل القرآني حول الملائكة ما يكفي ويشفي ، ومع ذلك فقد جاء في السُّنة كثير من التفصيلات عن الملائكة وبعض وظائفهم .

* * *

وإذا عرفنا أن كل ما خلقه الله عز وجل إنما خلقه ليتعرف المكلفون به على الله عز وجل ، فإنه من المناسب أن نعرف بعض الحِكَم في خَلْقِهِ جل جلاله الملائكةَ .

وأول هذه الحكم : أن يعرف الخلق مظاهر قدرته جلَّ جلاله ، فالله قادر على أن يخلق : ما هو خير ولا يفعل إلا خيرًا كالملائكة . وقادر على أن يخلق : ما هو شرٌّ ولا يفعل إلا شرًا كالشياطين . وقادر على أن يخلق : ما هو قابل لفعل الخير والشر كالإنسان، وفي ذلك كله أنت تتعرف على الله عز وجل .

وثاني هذه الحكم : أن يعرف المكلفون عظمةَ مُلْكِه ومَمْلَكَتِه ، وكثرةَ جنوده ، الذين من أعظمهم وأكثرهم الملائكة : ﴿ وما يعلم جنودَ ربك إلا هو ﴾ [1] ، ﴿ ولله جنود السموات والأرض ﴾ [2] .

وثالث هذه الحكم : أن يعرف المكلفون لله تعالى الترتيب والطاعة والنظام فيتطلعون للارتقاء والاقتداء .

ورابع هذه الحكم : أن يعرف المكلفون استغناء الخالق عن طاعتهم فإنَّه مهما عصى من

(١) المدثر : ٣١ .

(٢) الفتح : ٤ .

عصى فإن هناك من يطيع .

وخامس هذه الحكم : أن يعرف المكلفون رعاية الله عز وجل لأهل الإيمان ولأهل الأرض من خلال معرفتهم لوظائف بعض الملائكة .

وسادس هذه الحكم : أن يعرف المكلفون جلال الربوبية وعظمة الإلهية .

هذا بالإضافة إلى حِكَمٍ كثيرة في السموات والأرض والدنيا والآخرة والتكليف والمكلفين تعرفها من خلال النصوص .

ونصوص القرآن التي تحدثت عن الملائكة أو عن بعضهم كثيرة ، ونصوص السنة كذلك كثيرة تجدها في أبواب متعددة ؛ ففي سياق الطهارة والذكر والصلاة والدعاء وقراءة القرآن والجهاد والإنفاق والسفر والصور والبيوت والليل والنهار والفلك والملكوت والموت والجنائز ، وغير ذلك تجد كلامًا عن الملائكة ، ولذلك خص بعض المؤلفين هذا الركن من أركان الإيمان بالتأليف ، ولو أراد الإنسان أن يجمع نصوص الكتاب والسنة مع تعليقات وتحقيقات العلماء في شأن الملائكة لجمع الكثير الذي يحتاج إلى أكثر من مجلد ، وقد اعتمدنا في هذا الكتاب أن نضع في كل فصل من فصوله ما هو ألصق بمضمون الفصل دون استقصاء ، تاركين كثيرًا من الأمور لسياقها في مواطن أخرى ومن قرأ هذه السلسلة كلها لا يفوته التكامل في الموضوعات وإن فاته الجمع تحتَ العنوانِ الواحد .

وفي هذا الفصل سننقل بعض النصوص القرآنية في شأن الملائكة ثم نتبع ذلك بذكر بعض النصوص من السنة .

* * *

(١)

بعض النصوص القرآنية في شأن الملائكة

ا ـ ذكر القرآن أنه مما ينبغي أن يؤمن به المؤمن الملائكة فقال تعالى :

﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالا بعيدًا ﴾[١].

ب ـ وقد نصّ القرآن على أنواع من الضلال وقعت به بعض الأمم أو بعض الناس في شأن الملائكة كوصف بعضهم الملائكة بأنهم إناث ، ووصف بعضهم الملائكة بأنهم بنات الله ، وتوجه بعضهم إلى الملائكة بالعبادة ، وكلها مكفرات وضلالات :

﴿ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليُسَمُّون الملائكة تسمية الأنثى * وما لهم بذلك من علم ﴾ [٢] .

﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا أشَهِدُوا خلقهم ستُكتب شهادتهم ويُسألون ﴾ [٣] .

﴿ وجعلوا بينه وبين الجِنَّةِ نسبًا ﴾ [٤] .

بأن زعم بعض المشركين بأن بعض الجن تزوج ببعض الملائكة وزعموا أن الملائكة بناتُ الله.

﴿ ويوم يحشرهم جميعًا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت وليُّنا من دونهم ﴾ [٥] .

فهذه كلها كفريات وقع فيها أفراد أو أمم في شأن الملائكة وهناك من يقول أقوالاً أو يتصرف تصرفات تشي بهذه العقيدة . قال الشيخ وهبي سليمان في كتابه « أركان الإيمان » :

(لذا قرر علماء التوحيد أن مَنْ نَسَبَ الملائكةَ إلى الأنوثة كَفَر ؛ لأنه كَذّبَ صريحَ القرآن ، ومن نسبهم إلى الذكورة فَسَقَ ؛ لأنه نسب إليهم ما لم يأت به عن الله تعالى

---

(١) النساء : ١٣٦ .

(٢) النجم : ٢٧ ، ٢٨ .

(٣) الزخرف : ١٩ .

(٤) الصافات : ١٥٨ .

(٥) سبأ : ٤٠ ، ٤١ .

ورسوا ﷺ شيء .

وعلى هذا يقال : مَنْ اعْتَقَدَ في صور البنات والنساء الجميلات على أطرافها أجنحة ـ والتي تباع في الأسواق ويتبادل بها بعض المسلمين التهاني في الأفراح والعيدين ـ أنها تُشْبِهُ صُوَرَ الملائكة كَفَرَ لظاهر نسبة الملائكة إلى الأنوثة .

ومن اعتقد في صوت المرأة أنه ملائكي ، أو في صورة المرضة أنها صورة ملاك الرحمة كفر كذلك ؛ لما ذكرنا) ا . هـ .

جـ ـ وقد نص القرآن على معرفة الملائكة بالله عز وجل وطاعتهم وعبادتهم وخوفهم منه جل جلاله وأدبهم الرفيع معه فقال الله تعالى :

﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائمًا بالقسط ﴾ (١) .

﴿ بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ (٢) .

﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ (٣) .

﴿ ولايشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾ (٤) .

﴿ فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ﴾ (٥) .

﴿ لا يعصون اللهَ ما أمرهم ﴾ (٦) .

﴿ وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفتُرُون ﴾ (٧) .

﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله ولا الملائكة المقربون ﴾ (٨) .

ومن هذه النصوص ندرك أن القصة التي سرت إلى بعضهم في شأن هاروت وماروت وأنها ملكان عصيا الله تعالىٰ بعد أن ركّب فيهما الشهوة قصة لا أصل لها ، وقد عرضنا لذلك

---

(١) آل عمران : ١٨ .
(٢) الأنبياء : ٢٦ ، ٢٧ .
(٣) النحل : ٥٠ .
(٤) الأنبياء : ٢٨ .
(٥) فصلت : ٣٨ .
(٦) التحريم : ٦ .
(٧) الأنبياء : ١٩ ، ٢٠ .
(٨) النساء : ١٧٢ .

في التفسير ، فإن كان لابد من فهم الآية على أنها في ملكين أنزلا من السماء إلى الأرض ، فإنهما ملكان مكلفان مطيعان يعلّمان الناس السحر ليفرقوا بينه وبين المعجزة ، كما نَعْلَمُ خطأ مَنْ يظن أن السؤال الذي ذكره الله على لسانهم سؤال اعتراض في قوله تعالى :

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون ﴾ (١) ؛ فسؤالهم كان سؤالاً عن الحكمة وليس اعتراضًا ، وحاشاهم .

د ـ وكما أن البشر متفاضلون عند الله ، وأكرمهم عنده الرسل وهم عنده متفاضلون ، فكذلك الملائكة ؛ قال تعالى :

﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس ﴾ (٢) .

﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ﴾ (٣) .

ومظاهر هذه الرسالة كثيرة ؛ أولها الرسالة بالوحي : ﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ (٤) ، والرسالة بالبشرى أو بالإنذار : ﴿ فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى ﴾ (٥) ، ﴿ وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴾ (٦) ، ﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ﴾ (٧) . ﴿ ولما جاءت رسلنا لوطًا سِيءَ بهم وضاق بهم ذرعًا ﴾ (٨) . وهناك الرسالة بالمهمات ومن ذلكُ قبض الأرواح : ﴿ توفته رسلنا ﴾ (٩) ، فأي ملك كُلّف بمهمة في حق غيره فإنه رسول من الله إلى ذلك الغير .

هـ ـ وأهل الإيمان يحبون الملائكة جميعًا : ﴿ قل من كان عدوًا لجبريل فإنه نزله على

(١) البقرة : ٣٠ .
(٢) الحج : ٧٥ .
(٣) فاطر : ١ .
(٤) الشعراء : ١٩٣ .
(٥) آل عمران : ٣٩ .
(٦) آل عمران : ٤٢ .
(٧) آل عمران : ٤٥ .
(٨) هود : ٧٧ .
(٩) الأنعام : ٦١ .

قلبك بإذن الله مصدقًا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ﴾ (١) . ﴿ من كان عدوًا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ﴾ (٢) . الملائكة مخلوقات نورانية خلقت من نور لكن عندهم قابلية للتشكل بالصور الشريفة وقد ورد في القرآن قوله تعالى : ﴿ ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلامًا قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ * فلما رأى أيديهم لا تصل إليه ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ فأرسلنا إليها ﴾ [أي إلى مريم] ﴿ روحنا ﴾ [أي جبريل] ﴿ فتمثل لها بشرًا سويًا ﴾ (٤) . ونصوص السنة كثيرة في موضوع تشكل الملائكة بصورة البشر .

ز - وقد حدثنا القرآن عن بعض الملائكة وعن بعض وظائفهم :

١ - من ذلك حملة العرش ومن حوله :

فقال تعالى : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وَسِعْتَ كل شيء رحمة وعلمًا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ﴾ (٥) .

٢ - ومن ذلك جبريل وميكال :

﴿ من كان عدوًا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ﴾ (٦) .

﴿ نزل به الروح الأمين * على قلبك ﴾ (٧) . ﴿ وأيدناه ﴾ [أي عيسى] ﴿ بروح القدوس ﴾ (٨) [أي جبريل] .

﴿ تنزل الملائكة والروح فيها ﴾ (٩) . والمراد بالروح جبريل عليه السلام .

﴿ وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك

---

(١) البقرة : ٩٧ .
(٢) البقرة : ٩٨ .
(٣) هود : ٦٩ ، ٧٠ .
(٤) مريم : ١٧ .
(٥) غافر : ٧ .
(٦) البقرة : ٩٨ .
(٧) الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤ .
(٨) البقرة : ٢٥٣ .
(٩) القدر : ٤ .

ظهير ﴾ (١) .

﴿ إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثَمَّ أمين ﴾ (٢) .

﴿ علمه شديد القوى * ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى * ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ (٣) .

٣ ـ ومن ذلك إسرافيل الذي ينفخ في الصور :

﴿ ونُفِخَ في الصور فصعِقَ من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء اللهُ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ (٤) فالنافخ إسرافيل عليه السلام .

٤ ـ ومن ذلك ملك الموت وأعوانه :

﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكِّلَ بكم ﴾ (٥) ، ﴿ حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾ (٦) ، ﴿ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكةُ يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ﴾ (٧) ، ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السَّلَمَ ما كنا نعمل من سوء ﴾ (٨) ، ﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أَخْرِجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهونِ بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ﴾ (٩) .

٥ ـ ومن ذلك زبانية جهنم وعلى رأسهم مالك :

﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد ﴾ (١٠) .

---

(١) التحريم : ٤ .
(٢) التكوير : ١٩ ـ ٢١ .
(٣) النجم : ٥ ـ ٩ .
(٤) الزمر : ٦٨ .
(٥) السجدة : ١١ .
(٦) الأنعام : ٦١ .
(٧) الأنفال : ٥٠ .
(٨) النحل : ٢٨ .
(٩) الأنعام : ٩٣ .
(١٠) التحريم : ٦ .

﴿ عليها تسعة عشر * وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ﴾ (١) .

﴿ ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون ﴾ (٢) .

﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرًا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل ﴾ (٣) .

﴿ وقال الذين في النار لخزنة جهنم ﴾ (٤) .

٦ ـ ومن ذلك خزنة الجنة والقائمون على تدبير شؤونها والمُطَمْئِنُون لأهل الإيمان في الآخرة :

﴿ لا يَحْزُنُهُم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون ﴾ (٥) .

﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرًا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾ (٦) ، ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ (٧) .

٧ ـ حملة العرش والحافون له يوم القيامة :

﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ (٨) ، ﴿ وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ (٩) .

٨ ـ ومن ذلك حفظة الإنسان :

﴿ له مُعقِّباتٌ من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ (١٠) .

﴿ وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ﴾ (١١) ، ﴿ إن كل نفس لما عليها حافظ ﴾ (١٢) .

---

(١) المدثر : ٣٠ ، ٣١ .
(٢) الزخرف : ٧٧ .
(٣) الزمر : ٧١ .
(٤) غافر : ٤٩ .
(٥) الأنبياء : ١٠٣ .
(٦) الزمر : ٧٣ .
(٧) الرعد : ٢٣ ، ٢٤ .
(٨) الحاقة : ١٧ .
(٩) الزمر : ٧٥ .
(١٠) الرعد : ١١ .
(١١) الأنعام : ٦١ .
(١٢) الطارق : ٤ .

٩ - ومن ذلك رقيب وعتيد ، وهما وصفان للملكين اللذين يكتبان أعمال الناس :

﴿ إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ (١) .

﴿ وإن عليكم لحافظين * كرامًا كاتبين * يعلمون ما تفعلون ﴾ (٢) ، ﴿ أم يحسبون أنَّا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون ﴾ (٣) .

١٠ - ومن ذلك المبشرون للمؤمنين عند الاحتضار :

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ (٤) .

١١ - ومن ذلك تثبيت المؤمنين :

﴿ إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبِّتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾ (٥) .

﴿ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة مُنزَلين * بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين ﴾ (٦) .

﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مُرْدفين ﴾ (٧) .

١٢ - ومن ذلك الذين يشفعون لبعض المؤمنين يوم القيامة :

﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾ (٨) .

١٣ - ومن ذلك الدعاء والاستغفار للرسول وأهل الإيمان :

---

(١) قٓ : ١٧ ، ١٨ .
(٢) الانفطار : ١٠ - ١٢ .
(٣) الزخرف : ٨٠ .
(٤) فصلت : ٣٠ ، ٣١ .
(٥) الأنفال : ١٢ .
(٦) آل عمران : ١٢٤ ، ١٢٥ .
(٧) الأنفال : ٩ .
(٨) الأنبياء : ٢٨ .

﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا ﴾ [١] .

﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور ﴾ [٢] .

﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ [٣] .

﴿ تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم ﴾ [٤] .

ولننتقل إلى ذكر بعض النصوص النبوية في شأن الملائكة وأعمالها وصفاتها وما إلى ذلك :

---

(١) الأحزاب : ٥٦ .
(٢) الأحزاب : ٤٣ .
(٣) غافر : ٧ .
(٤) الشورى : ٥ .

(٢)

بعض النصوص النبوية

٦٥٩ - * روى البخاري عن جابر بن عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهما أنه سمعَ النبيَّ ﷺ يقول : « ثمَّ فَتَرَ عنِّي الوَحيُ فترةً ، فبَينا أنـا أمشي سمعتُ صوتًـا منَ السماء ، فرفَعتُ بَصَري قِبَلَ السماء فإذا المَلَكُ الذي قد جاءني بحِراءَ قاعدٌ على كُرسيٍّ بينَ السماء والأرض ، فَجُئِثْتُ منه حتَّى هَوَيتُ إلى الأرض ، فجئتُ أهلي فقلت : زمِّلوني زمِّلوني ، فأنزلَ الله تعالى : ﴿ يا أيها المدثر قم فأنذر ﴾ [١] إلى قوله ﴿ والرُّجزَ فاهجر ﴾ » [٢] . قال أبو سلمة : والرجزُ الأوثان .

٦٦٠ - * روى البخاري ومسلم عن عائشةَ رضيَ الله عنها أنَّ الحارثَ بن هِشامٍ سأل النبيَّ ﷺ : كيفَ يأتيكَ الوَحي ؟ قال : « كلُّ ذلك ؛ يأتيني المَلَكُ أحيانًا في مثل صَلْصَلَةِ الجَرَس ، فَيَفصِمُ عني وقد وَعَيْتُ ما قالَ ، وهوَ أشدُّه عليَّ ، ويَتمثَّلُ لي المَلَكُ أحيانًا رجُلاً فيُكلِّمُني ، فأعي ما يقول » .

٦٦١ - * روى البخاري ومسلم عن أنسِ بن مالكٍ عن مالكِ بن صَعْصَعَةَ رضيَ الله عنهما قال : قال النبيُّ ﷺ : « بَينا أنا عندَ البيت بين النائم واليَقْظان - وذكر يعني رجلاً بينَ الرَّجلَين - فأُتيتُ بطِسْتٍ من ذَهَبٍ مَلآنَ حِكْمةً وإيمانًا ، فشقَّ منَ النَّحْرِ إلى مَراقِّ البطنِ ، ثم غَسلَ البطنَ بماء زَمْزَم ، ثمَّ مُلِئَ حكمةً وإيمانًا . وأُتيتُ بدابَّةٍ

---

٦٥٩ - البخاري (٨ / ٦٧٦) ٦٥ - كتاب التفسير ، ١ - باب حدثني يحيى ... إلخ

(١) المدثر : ١ .

(٢) المدثر : ٥ .

(جُئِثْتُ منه) : فَزِعْتُ وخِفتُ .

وقال الحربي : أراد : جُئِثت ، فجعل مكان الهمزة ثاء .

٦٦٠ - البخاري (١ / ١٨) ، ١ - كتاب بدء الوحي ، ٢ - باب حدثنا عبد الله بن يوسف .

مسلم (٤ / ١٨١٦) ٤٣ - كتاب الفضائل ، ٢٣ - باب عرق النبي ﷺ في البرد ، وحين يأتيه الوحي .

٦٦١ - البخاري (٦ / ٣٠٢) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٦ - باب ذكر الملائكة .

مسلم (١ / ١٤٩) ١ - كتاب الإيمان . ٧٤ باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات ، وفرض الصلوات .

وأحمد (٤ / ٢٠٧) .

أبيضَ دُونَ البغلِ وفَوقَ الحمارِ البُراقُ ، فانطلَقْتُ معَ جبريلَ ، حتى أتينا السماءَ الدُّنيا ، قيلَ : من هذا ؟ قال : جبريلُ . قيل : من معك ؟ قال : محمدٌ . قيل : وقد أرسلَ إليه ؟ قال : نعم . قيل : مَرحبًا بهِ ؛ ولنِعمَ المجيء جاء . فأتيتُ على آدمَ فسلمتُ عليه فقال : مَرحبًا بك مِن ابنٍ ونبيٍّ . فأتينا السماء الثانية ، قيلَ : مَن هذا ؟ قال : جبريلُ . قيل : مَن معكَ ؟ قال : محمدٌ ﷺ . قيل : أُرسِلَ إليه ؟ قال : نعم . قيل : مَرحبًا به ولنِعمَ المَجيء جاء . فأتيتُ على عيسى ويحيى ، فقالا : مَرحبًا بك مِن أخٍ ونبيٍّ . فأتينا السماء الثالثة . قيل : من هذا ؟ قيلَ : جبريلُ . قيلَ : مَن معكَ ؟ قال : محمد . قيلَ وقد أرسِلَ إليه ؟ قال : نعم . قيلَ : مرحبًا به ، ولنِعمَ المجيء جاء . فأتيتُ على يوسفَ فسلمتُ ، فقال : مرحبًا بكَ من أخٍ ونبيّ . فأتَينا السماءالرابعةَ ، قيل من هذا ؟ قال : جبريل . قيلَ : من معك؟ قيل : محمد ﷺ . قيل : وقد أُرسلَ إليه؟ قال : نعم . قيل : مَرحبا بهِ ، وَلنِعم المجيءُ جاءَ . فأتيتُ على إدريس فسلَّمتُ عليه فقال : مَرحبًا بك من أخٍ ونبيٍّ . فأتينا السماءَ الخامسة ، قيلَ : من هذا؟ قيل : جبريلُ . قيلَ : ومن معكَ؟ قيل : محمد . قيل : وقد أُرسلَ إليه؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به وَلَنِعْمَ المجيءُ جاء . فأتينا على هارون ، فسلمتُ عليه ، فقال : مرحبًا بك من أخٍ ونبيٍّ . فأتينا على السماء السادسة ، قيل : من هذا ؟ قيل : جبريلُ . قيل : من معك ؟ قيل : محمدٌ ﷺ . قيل : وقد أُرْسِلَ إليه ؟ مَرحَبًا بهِ ، نِعمَ المجيءُ جاء. فأتيتُ عَلى موسى فسلمت عليه فقال : مَرحبًا بكَ من أخٍ ونبيٍّ . فلما جاوَزتُ بكى ، فقيل : ما أبكاك ؟ قال : يارب ، هذا الغلامُ الذى بُعِثَ بعدي يَدخلُ الجنةَ من أُمَّتهِ أفضلُ مما يدخلُ من أمَّتي . فأتينا السماءَ السابعة ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : من معك ؟ قيل : محمد . قيل : وقد أرسلَ إليه ؟ مَرحبًا بهِ وَلَنعمَ المجيء جاء . فأتيتُ على إبراهيمَ فسلَّمتُ عليه فقال : مَرحبًا بكَ منِ ابنٍ ونبيٍّ . فرُفِعَ لي البيتُ المعمور ، فسألت جبريل فقال : هذا البيتُ المعمور ، يُصلي فيه كلَّ يومٍ سبعونَ ألفَ مَلك ، إذا خَرَجوا لم يعودوا إليه آخرَ ما عليهم . ورُفعتْ لي سِدْرَةَ المنتهى ، فإذا نَبقُها كأنهُ قِلالُ هَجر ، ووَرقُها

كأنـه آذانُ الفُيـول ، في أصلِهـا أربعـةُ أنهـارٍ : نَهْرَان بـاطِنـانِ ونهرانِ ظـاهران . فسألتُ جبريل فقال : أما الباطنانِ ففي الجنَّة ، وأما الظـاهرانِ النيلُ والفرات . ثمَّ فُرِضَتْ عليَّ خمسونَ صلاةً ، فـأقبلتُ حتى جئتُ موسى فقـال : مـا صَنعتَ ؟ قلتُ : فُرِضت عليَّ خمسون صلاة . قـال : أنـا أعلمُ بـالنـاسِ منـكَ ، عـالجتُ بني إسرائيل أشدَّ المعالجة ، وإنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطيق ، فـارْجِعْ إلى ربِّـكَ فسَلْـهُ . فرجعتُ فسألتهُ ، فجعلَهـا أربعين ، ثم مثلَـهُ ثمَّ ثلاثين ، ثمَّ مثلـه فجعلَ عشرين ، ثمَّ مثلـه فجعلَ عَشْرًا . فأتيتُ موسى فقال مثله ،فجعلها خمسًا . فـأتيتُ موسى فقـال : مـا صنعتَ ؟ قلتُ : جعلَهـا خمسًـا . فقـال مثلهُ . قلتُ فسلَّمت . فنـودي : إني قـد أمضيتُ فريضتي . وخففتُ عن عبادي ، وأُجْزي الحسنَةَ عَشْرًا » .

أقول : حاول بعض العلماء أن يؤولوا هذا الحديث فـأولوه تـأويلات شتى ، والظـاهر أنّ من أنهار الجنة الفرات والنيل ، فأهل الجنة يختـار لهم من مُسَمَّيـاتِ مـا عرفوا في الـدنيـا مـا يزدادون به أُنسًا . وهناك اتجاهٌ إلى أن سيحـان وجيحـان والفرات والنيل التي ورد ذكرهـا مجتمعة في بعض النصوص قد شرفت بأن نسبت إلى الجنة في الدنيا إشارة إلى أنها ستكون من أنهار المسلمين في الدنيا فلهـا فضلهـا ، ويمكن أن يكون في المسـألـة جانب غيبي يقتضي منـا التسليم ، فقد ذهب القاضي عياض إلى أن أصول سدرة المنتهى في الأرض بـدليل أننـا نشهـد أن النيل والفرات ينبعان من الأرض ، وقد ذكرنـا أن السموات السبع والجنـة والنـار مغيبـة عنا . هذا ولم نذكر قول عياض مؤيدين له إنما ذكرناه كنموذج لاحتمال أن يكون في المسألة جانب غيبي يجب التسليم فيه دون البحث عنه . وقـال القرطبي : (... وقيل إنمـا أطلق على هذه الأنهار أنها من الجنة تشبيهًا لها بأنهار الجنة لما فيها من شدة العذوبـة والحسن والبركـة . وعلى هذا فالنيل والفرات المذكوران في الحـديث نهران موجودان في الجنـة وهمـا غير الفرات والنيـل المـوجـودين على الأرض ، وفي ذلـك إينـاس لأهـل الجنـة وتشريـف للنيـل والفرات الأرضيين) .

٦٦٢ - * روى البخـاريُّ ومسلم عن ابنِ عبـاسٍ رضيَ الله عنهما - عن النبيِّ ﷺ قـال :

---

٦٦٢ - البخاري (٦ / ٣١٤) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٧ - باب إذا قال أحدكم آمين .

« رأيتُ ليلةَ أُسرِيَ بي موسى رجُلاً آدمَ طِوالاً جَعْدًا كأنه من رجالِ شَنوءةَ - ورأيتُ عيسىٰ رجُلاً مَربوعًا ، مربوعَ الخَلْقِ إلى الحُمرةِ والبياضِ ، سَبْطَ الرأس . ورأيتُ مالكًا خازنَ النار ، والدَّجّالَ في آياتٍ أراهُنَّ اللهُ إياه ، فلا تَكُنْ في مِرْيةٍ من لقائه » . قال أنسٌ وأبو بكرة عن النبي ﷺ : « تحرسُ الملائكةُ المدينةَ من الدَّجال » .

أقول : ويبدو أنهم كانوا متميزين بشيء ما في الجسد أو الملبس حتى أصبح يشبه بهم بعض الناس .

٦٦٣ - * روى مسلمٌ عن أبي هُرَيْرةَ ، قَالَ : قال أبو جَهْلٍ : هَلْ يُعَفِّرُ مُحمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أظْهُرِكُم ؟ قَالَ : فَقِيلَ : نَعَمْ . فَقَالَ : وَاللاَّتِ والعُزَّىٰ ! لَئِن رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لأَطَأَنَّ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ ، أوْ لأُعَفِّرنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرابِ . قَالَ : فَأَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي . زَعَمَ لِيطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ . قَالَ : فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَيتَّقي بِيَدَيْهِ . قَالَ : فَقِيلَ لَهُ : مَالَكَ ؟ فَقَالَ : إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نارٍ وَهَوْلاً وَأَجْنِحَةً .

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَوْ دَنَا مِنِّي لاخْتَطَفَتْهُ الْمَلائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا » .

٦٦٤ - * روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قال أبو جهل : لئن رأيتُ محمدًا يُصلي عندَ الكعبةِ لأطأنَّ على عُنُقِه . فبَلَغَ النبيَّ ﷺ فقال : « لو فعلهُ لأخَذَتْهُ الملائكة » . تابعه عمرو بن خالد عن عبيد الله عن عبدِ الكريم .

٦٦٥ - * روى البخاري عن عروة أنَّ عائشةَ رضيَ الله عنها زَوْجَ النبي ﷺ حدَّثَتْهُ أنها

= مسلم (١ / ١٥١) ١ - كتاب الإيمان ، ٧٤ - باب الإسراء برسول الله ﷺ ... إلخ .

(شنوءة) : قبيلة معروفة ويقال : أزْد شنؤة : وهم حي من اليمن . وسميت بذلك من قولك : رجل فيه شنوءة : شنؤة أي : تقزز ، وقال الجوهري التقزز : التباعد من الأدناس .

٦٦٣ - مسلم (٤ / ٢١٥٤) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، ٦ - باب قوله : ﴿ إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ .

٦٦٤ - البخاري (٨ / ٧٢٤) ٦٥ - كتاب التفسير ، ٤ - باب : ﴿ كلا لنسفعنْ بالناصية ... ﴾ .

٦٦٥ - البخاري (٦ / ٣١٢) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٧ - باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة ... إلخ . =

قالت للنبيِّ ﷺ : هل أتى عليكَ يومٌ كان أشدَّ من يوم أُحُدٍ ؟ قال : « لقد لَقيتُ من قومكِ ما لقيتُ ، وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يومَ العَقَبةِ إذ عَرضتُ نفسي على ابنِ عبدِ يَاليل بنِ عبد كُلال فلم يُجبْني إلى ما أردْت . فانطلقتُ وأنا مَهمومٌ ، على وَجهي ، فلم أستَفِقْ إلا وأنا بِقَرنِ الثَّعالب ، فرَفَعتُ رأسي ، فإذا أنا بسَحابةٍ قد أظلَّتني ، فنظرْتُ فإذا فيها جبريلُ ، فناداني فقال : إنَّ الله قد سمعَ قولَ قومِك لك وما رَدُّوا عليك ، وقد بعث اللهُ إليكَ مَلَكَ الجبالِ لتَأمُرَهُ بما شئتَ فيهم ، فناداني مَلَكُ الجبال فسلم عليَّ ثم قال : يا محمدُ ، فقال : ذلكَ فيما شئتَ ، إن شئتَ أن أُطبقَ عليهم الأخشَبَيْن » . فقال النبيُّ ﷺ : « بل ، أرجو أن يُخرجَ الله من أصلابهم من يَعبُدُ الله وحدَهُ لا يُشركُ به شيئًا » .

٦٦٦ - * روى البخاري عن معاذ بنِ رِفاعة بن رافع الزُّرَقي عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر - قال : جاء جبريلُ إلى النبيِّ ﷺ فقال : ما تَعدُّونَ أهلَ بدرٍ فيكم ؟ قال : « من أفضل المسلمين » . أو كلمةً نحوها . قال : وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة .

٦٦٧ - * روى مسلم عن عائشةَ أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ كان جالسًا كاشفًا عن فخذه فاستأذنَ أبو بكر فأذنَ له وهو على حاله ، ثم استأذن عمرُ فأذن له وهو على حاله ، ثم استأذن عثمانُ فأرخى عليه ثيابَهُ ، فلما قاموا قلت : يا رسول الله ، استأذن عليك أبو بكر وعمر فأذِنتَ لهما وأنت على حالك ، فلما استأذن عثمان أرخيت عليك ثيابك . فقال : « يا عائِشةُ ، ألا أستحي من رجل والله إن الملائكة تستحي منه » .

قال النووي : هذا الحديث مما يحتج به المالكية وغيرهم ممن يقول : (ليست الفخذ عورة) . ولا حجة فيه ؛ لأنه مشكوك في المكشوف هل هو الساقان أم الفخذان ، فلا يلزم منه الجزم بجواز كشف الفخذ ، وفي هذا الحديث جواز تدلل العالم والفاضل بحضرةِ منْ يُدِلُّ

= (الأخشبين) : جبلا مكة : أبو قُبَيْس والأحمرُ وجبلا مِنىً . ومنه الأخشب : الجبل العظيم الخشن .

٦٦٦ - البخاري (٧ / ٣١٢) ٦٤ - كتاب المغازي ، ١١ - باب شهود الملائكة بدرًا .

٦٦٧ - مسلم (٤ / ١٨٦٦) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة ، ٣ - باب من فضائل عثمان رضي الله عنه .

وأحمد (٦ / ٦٢) .

عليه من فضلاء أصحابه ، واستحباب ترك ذلك إذا حضر غريب أو صاحب يستحى منه . ا.هـ.

٦٦٨ - * روى أحمد عن حُذَيفَةَ قال : سألتني أمي : منذ متى عهدك بالنبي ﷺ ؟ قال : فقلت لها : منذ كذا وكذا . قال : فنالت مني وسبَّتني . قال : فقلت لها : دعيني فإني آتي النبي ﷺ فأصلي معه المغربَ ثم لا أدعهُ حتى يستغفر لي ولك . قال : فأتيت النبي ﷺ فصليت معه المغرب ، فصلى النبي ﷺ العشاء ثم انفتل ، فَتَبِعْتُه فعرض له عارِض فناجاه ثم ذهب فاتبعتُه فسمع صوتي فقال : « من هذا » ؟ فقلت : حذيفة . قال : « مالك » ؟ فحدثته بالأمر ، فقال : « غفر الله لك ولأمك » . ثم قال : « أما رأيتَ العارضَ الذي عرض لي قُبَيْلُ » . قال : قلت : بلى . قال : « ملك من الملائكة لم يَهبط الأرضَ قَبْلَ هذه الليلة فاستأذن ربه أن يسلِّم عليّ ويبشرني أن الحسنَ والحسين سيدا شباب أهلِ الجنة وأن فاطمةَ سيدةُ نساء أهل الجنة » رضي الله عنهم .

٦٦٩ - * روى أحمد عن وَكيع أنه قال : حدثني عبدُ الله بن سعيد عن أبيه ، عن عائشةَ أو أم سلمةَ ، قال وكيعٌ : شكٌّ هو - يعني عبد الله بن سعيد - أنّ النبي ﷺ قال لإحداهما : « لقد دخل عليَّ البيتَ مَلَكٌ لم يدخل علي قبلها فقال لي : إن ابنك هذا حسين مقتول ، وإن شئتَ أريْتُكَ مِن تربةِ الأرض التي يُقتلُ بها » قال : « فأخرج تربة حمراء » .

٦٧٠ - * روى أحمدُ عن عائشة ، قالت : خرجْتُ يومَ الخَنْدَقِ أقفو آثار الناس . قالت : فسمعتُ وئيدَ الأرض ورائي . [يعني مَسَّ الأرض] . قالت : فالتفتُّ فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابنُ أخيه الحارث بن أوس يحمل مِجنَّةً . قالت : فجلست إلى الأرض فمرّ سعد وعليه دِرْعٌ من حديد ، قد خَرَجَتْ منها أطرافُه ، فأنا أتخوّفُ على أطرافِ سعد . قالت : وكان سعدٌ من أعظمِ الناس وأطولهم . قالت : فمر وهو يرتجز ويقول :

---

٦٦٨ - أحمد (٥ / ٣٩١) وإسناده حسن .

٦٦٩ - أحمد (٦ / ٢٩٤) .

مجمع الزوائد (٩ / ١٨٧) . وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

٦٧٠ - أحمد (٦ / ١٤١) .

مجمع الزوائد (٦ / ١٣٦) . وقال : في الصحيح بعض هذا الحديث عن عائشة متصل الإسناد .

لَبِّثْ قليلاً يُدْرِكِ الهَيْجَا جَمَلْ ... مَا أحسنَ الموت إذا حان الأَجَلْ

قالت : فقمت فاقتحمت حديقةً فإذا فيها نفر من المسلمين ، وإذا فيهم عمر بن الخطاب ، وفيهم رجل عليه سَبْغَة له [يعني مِغْفَرًا] فقال عمر : ما جاء بكِ ؟ لعمري والله إنك لجريئة وما يؤمنك أن يكون بلاءٌ أو يكون تحوّز . قالت : فما زال يلومُني حتى تمنيتُ أنّ الأرضَ انشقّتْ لي ساعتئذٍ فدخلت فيها . قالت : فرفع الرجل السبغة عن وجهه فإذا طلحة بنُ عُبيدِ الله ، فقال : ياعمرُ ! ويحك إنك قد أكثرتَ منذُ اليوم ، وأين التحوّز أو الفرارُ إلا إلى الله عز وجل . قالت : ويرمي سعدًا رجلٌ من المشركين يُقال له ابنُ العَرَقَة بسهم له ، فقال له ، (خُذْهَا وأنا ابن العَرَقَة) فأصاب أكْحَلَهُ فقطعه ، فدعا اللهَ عز وجل سعدٌ فقال : اللهم لا تُمتني حتى تقرَّ عيني من قُريظةَ . قالت : وكانوا حلفاءه ومَوَاليَه في الجاهلية . قالت : فَرَقِئَ كَلْمُه وبعث الله عز وجل الرِّيحَ على المشركين ، فكفى الله عز وجل المؤمنين القتالَ وكان الله قويًا عزيزًا ، فلحق أبو سفيانَ ومن معه بتهامةَ ، ولَحِقَ عيينةُ بنُ بدرٍ ومن معه بنجدٍ ، ورَجعتْ بنو قريظة فتحصنوا في صَياصيهم ، ورَجَعَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينة ، فوضَعَ السلاحَ وأمر بِقُبَّةٍ من أدم فَضُرِبَتْ على سَعدٍ في المسجد . قالت : فجاءه جبريلُ عليه السلام وإن على ثناياه لنقعَ الغُبارِ ، فقال : أقد وضعتَ السلاحَ ، والله ما وضعت الملائكةُ بعد السلاحَ ، اخْرُجْ إلى بني قُريظة فقاتِلْهم .

٦٧١ - * روى مسلم عن عبدِ اللهِ بن عبّاسٍ قال : حدَّثني عُمَرُ بنُ الخطّاب قالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى المُشْرِكينَ وَهُمْ أَلْفٌ ، وَأَصْحَابُهُ ثَلاَثُمائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رجُلاً ، فَاسْتَقْبَلَ نَبيُّ اللهِ ﷺ القِبْلَةَ . ثُمّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ : « اللّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَني . اللّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَني . اللّهُمّ إنْ تَهْلِكْ هذهِ العِصَابَةُ مِنْ أَهلِ الإسْلامِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ » . فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ ، مادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقبلَ القِبْلَةِ ، حَتّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ، ثُمّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ ،

= (سَبغَة) : السابغة الدرع الواسعة .

(فرَقِئ) : رقأ الدم من باب قطع ، أي : انقطع سيلان الدم من الجرح .

٦٧١ - مسلم (٣ / ١٣٨٣) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير ، ١٨ - باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر .

وَقَالَ : يا نَبِيَّ اللهِ [كَفَاكَ] مُناشَدَتُكَ رَبَّكَ ، فَإِنهُ سَيُنْجِزُ لَكَ ما وَعَدَكَ . فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (١) . فأَمَدَّهُ اللهُ بِالْملائِكةِ .

٦٧٢ ـ * روى البخاري عن جابرِ بن عبدِ الله يقول : جاءت ملائكةٌ إلى النبيِّ ﷺ وهو نائم فقال بعضُهم : إنه نائم . وقال بعضُهم : إن العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظانٌ . فقالوا : إن لصاحِبِكم هذا مثلاً . قال : فاضربوا له مثلاً . فقال بعضهم : إنه نائم . وقال بعضهم : إن العينَ نائمة والقلبَ يقظان . فقالوا : مَثَلُهُ كمثل رجلٍ بَنَىٰ دارًا وجَعَلَ فيها مَأْدُبَةً وبَعثَ داعيًا ؛ فمن أجاب الداعيَ دخلَ الدارَ وأكل من المأْدُبَةِ ، ومن لم يُجبِ الداعيَ لم يَدخُلِ الدار ولم يأكل من المأدُبةِ . فقالوا : أَوِّلُوها له يَفْقَهْهَا . فقال بعضهم :إنه نائم . وقال بعضهم : إن العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظانٌ . فقالوا : فالدار الجنةُ والداعي محمدٌ ﷺ ، فمن أطاعَ محمدًا ﷺ فقد أطاعَ الله ، ومن عصىٰ محمدًا ﷺ فقد عصىٰ الله ، ومحمدٌ فَرْقٌ بينَ الناس » .

٦٧٣ ـ * روى أحمد عن أبي سعيد الخدري قال : ذكر رسول الله ﷺ الشفاعة فقال : « إن النـاسَ يُعْرَضون على جِسْرِ جهنَّمَ وعليه حَسَكٌ وكلاليبُ يُخطَفُ الناسَ، وبِجَنْبَتَيْهِ الملائكة يقولون : اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ » .

٦٧٤ ـ * روى مسلم عن عَبْدِ اللهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا » .

---

(١) الأنفال : ٩ .

٦٧٢ ـ البخاري (١٣ / ٢٤٩) ٩٦ ـ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، ٢ ـ باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ .

(محمد فَرْقٌ بين الناس) : يَفْرُق بين المؤمنين والكافرين بتصديق المؤمنين وتكذيب الكافرين له ، أو يَفْرُق بين الحق والباطل .

٦٧٣ ـ أحمد (٣ / ٢٦) .

وهو في البخاري مطولاً عن أبي هريرة (١١ / ٤٤٤) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٥٢ ـ باب الصراط جسر جهنم .

وفي مسلم مطولاً عن أبي سعيد (١ / ١٦٧) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٨١ ـ معرفة طريق الرؤية .

٦٧٤ ـ مسلم (٤ / ٢١٨٤) ٥١ ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها ، ١٢ ـ باب في شدة حر جهنم .

والترمذي (٤ / ٧٠١) ٤٠ ـ كتاب صفة جهنم ، ١ ـ باب ما جاء في صفة النار .

٦٧٥ - * روى أحمد عن عُقْبَةَ بن صَهْبَانَ قال : سمعتُ أبا بَكْرَةَ عن النبي ﷺ قال : « يُحْمَلُ الناسُ على الصراطِ يومَ القيامة فتقادع بهم جَنَبَةُ الصِّراطِ تَقادُعَ الفَراشِ في النارِ » قال : « فينجي الله تبارك وتعالى برحمته من يشاء » . قال : « ثم يُؤْذَن للملائكة والنبيين والشهداء أن يَشْفَعوا فَيَشْفعون وَيُخْرِجون ويَشْفعون ويُخْرِجُون ويشفعون ويخرجون » . وزاد عفان مرة فقال أيضًا : « ويشفعون ويُخْرِجُون مَن كان في قلبه ما يزن ذرةً من إيمان » .

٦٧٦ - * وروى البخاري عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها زَوْجِ النبيِّ ﷺ أنها سمعتْ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّ الملائكةَ تنزلُ في العَنان » - وهو السحابُ - « فتذكر الأمرَ قُضيَ في السماء ، فَتَسْتَرِقُ الشياطينُ السَّمْعَ فتسمَعُهُ فتوحيهِ إلى الكُهَّانِ ، فَيَكْذِبُونَ منها مِائة كِذْبَةٍ مِن عِنْدِ أنفسِهم » .

٦٧٧ - * روى البخاري عن أبي هُريرةَ يَبْلُغُ به النبيَّ ﷺ قال : « إذا قَضَى اللهُ الأمرَ في السماء ضَرَبَتِ الملائكةُ بأجْنحتها خُضْعانًا لقوله ، كأنه سلسلةٌ على صَفوان » ، قال عليٌّ وقال غيره : « صَفوانٍ يَنْفُذُهم ذلك . فإذا فُزِّعَ عن قلوبهم ، قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحقَّ وهو العليُّ الكبير ... » .

٦٧٨ - * روى أبو داود عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا تكلَّم اللهُ بالْوَحْي سَمِعَ أهلُ السماء صَلْصَلَةً كجرِّ السِّلْسِلَةِ على الصَّفَا ، فَيُصْعَقُونَ ،

---

٦٧٥ - أحمد (٥ / ٤٣) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٥٩) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبراني في الصغير والكبير بنحوه ، ورواه البزار أيضًا ، ورجاله رجال الصحيح .

(تقادع بهم) : تميل .

٦٧٦ - البخاري (٦ / ٣٣٨) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١١ - باب صفة إبليس وجنوده .

٦٧٧ - البخاري (٨ / ٣٨٠) ٦٥ - كتاب التفسير ، ١ - باب : ﴿ إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين ﴾ .

(فُزِّعَ عن قلوبهم) : كُشِف عنها الفزع .

٦٧٨ - أبو داود (٤ / ٢٣٥) كتاب السنة باب في القرآن .

والبخاري (١٣ / ٤٥٢) ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٣٢ - باب قول الله : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ .

وهو عنده موقوف على ابن عباس .

(صَلْصَلَة) الصلصلة : صوت الأجرام الصلبة بعضها على بعض .

فلا يَزَالونَ كذلك ، حتَّى يأتِيهُمْ جبريلُ ، فإذا جاء فُزِع عن قُلوبهم ، فيقولون : يا جبريلُ ماذا قال ربك ؟ فيقول : الحقَّ . فيقولونَ : الحقَّ الحقَّ » .

٦٧٩ - * روى الترمذي عن ابن عباس ، أنه قال : لما نزلت آيةُ الدَّيْنِ قال رسول ﷺ : « إن أولَ مَن جَحَدَ آدمُ عليه السلام » أو « أولُ من جحد آدمُ ، إن الله عز وجل لما خَلق آدمَ مسح ظهره فأخرج منه ما هو من ذَراريِّ إلى يوم القيامة فجعل [أي : اللهُ] يَعْرِضُ ذُريتَه عليه فرأى فيهم رجلاً يَزْهَرُ فقال : أي ربِّ ! من هذا ؟ قال : هذا ابنك داود . قال : أي ربِّ كم عُمْرُهُ ؟ قال : ستون عامًا . قال : ربِّ زد في عمره . قال : لا ، إلا أن أزيدَه من عمرك . وكان عمر آدم ألف عام فزاده أربعين عامًا . فكتب الله عزوجل عليه بذلك كتابًا وأشهَدَ عليه الملائكةَ فلما احْتُضِرَ آدمُ وأتته الملائكة ، لِتَقْبِضَهُ قال : إنه قد بقي من عمري أربعون عامًا . فقيل : إنك قد وهبتها لابنك داودَ . قال : ما فعلتُ . وأبرز الله عز وجل عليه الكتابَ وشَهِدَت عليه الملائكةُ » .

٦٨٠ - * روى أبو داود عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « أُذِنَ لي أنْ أُحَدِّثَ عن مَلَكٍ من ملائكةِ اللهِ من حَمَلَةِ العرْشِ : أنَّ ما بينَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إلى عَاتِقِهِ ، مَسيرةَ سَبْعِمائةِ عَامٍ » .

٦٨١ - * روى الطبراني في الأوسط عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أُذِنَ لي أنْ أحدث عن مَلَكٍ من حملة العرشِ ، رجلاهُ في الأرضِ السفلى ، وعلى

---

٦٧٩ - الترمذي (٥ / ٢٦٧) ٤٨ - كتاب التفسير ، ٨ - باب ومن سورة الأعراف .

وأحمد (١ / ٢٥١) .

والمستدرك (٢ / ٥٨٦) . وقال : صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي .

(يزهر) الأزهر : النير ، ورجلٌ أزْهَرُ : أبيضُ مشرقٌ .

٦٨٠ - أبو داود (٤ / ٢٣٢) كتاب السنة ، باب في الجهمية . وإسناده صحيح .

ومجمع الزوائد (١ / ٨٠) . وقال : رواه أبو داود خلا قوله « سبعين عامًا » ، ورواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح . ورواه الضياء في المختارة .

٦٨١ - مجمع الزوائد (١ / ٨٠) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، وقال : (تفرد به عبد الله بن المنكدر) . قلت : هو وأبوه ضعيفان .

قرنهِ العرشُ ، وبينَ شحمةِ أُذنيهِ وعاتقهِ خفقانُ الطير سَبْعَمائةِ عامٍ ، يقولُ ذلكَ الملكُ : سبحانكَ حيثُ كنتَ » .

٦٨٢ ـ * روى أحمد عن صفوان بن عسال رضي الله عنه (رفعه) : « إنَّ الملائكةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ » .

٦٨٣ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تَقْرَبُ الملائكةُ عِيرًا فيها جَرَسٌ ولا بيتًا فيه جرس » .

٦٨٤ ـ * روى مسلمٌ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت : وَاعَدَ رسولَ اللهِ ﷺ جبْريلُ في سَاعةٍ أن يأْتيَهُ ، فجاءَتْ تلْكَ السَّاعَةُ ، وَلَمْ يأْتِهِ . قَالَتْ : وَكَانَ بِيَدِهِ عَصًا ، فَطرَحَهَا مِنْ يَدِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : « ما يُخْلِفُ اللهُ وَعدَهُ ، وَلا رُسُلُهُ » . ثُمَّ التفتَ ، فإذَا جِرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ سَرِيْرٍ ، فَقَالَ : « مَتَى دَخَلَ هَذَا الكَلْبُ ؟ » فَقُلْتُ : وَاللهِ ما دَرَيْتُ بِهِ . فأَمَرَ بِهِ فأُخْرِجَ ، فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « وَعَدْتَني فَجَلَسْتُ لَكَ ، وَلَمْ تأْتني » ؟ فَقَال : مَنَعَنِي الكَلْبُ الذي كَانَ فِي بَيْتِكَ ، إنَّا لاَ نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلا صُورَةٌ .

٦٨٥ ـ * روى البخاري عن عبد الله بن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ : وَعَدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ جِبْرِيلُ أَنْ يَأْتِيَهُ ، فَرَاثَ عَلَيْهِ ، حَتَّى اشْتَدَّ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَخَرَجَ ، فَلَقِيَهُ جِبْرِيلُ ، فَشَكَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ : إِنَّا لا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلا صُورَةٌ .

---

٦٨٢ ـ أحمد (٤ / ٢٣٩) .
وأبو داود (٣ / ٣١٧) كتاب العلم ، باب الحث على طلب العلم .

٦٨٣ ـ مجمع الزوائد (٥ / ١٧٥) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات .
وأحمد (٤ / ٢٣٩) .
وأبو داود (٣ / ٣١٧) كتاب العلم ، باب الحث على طلب العلم .

٦٨٤ ـ مسلم (٣ / ١٦٦٤) ٣٧ ـ كتاب اللباس والزينة ، ٢٦ ـ باب تحريم تصوير صورة الحيوان .

٦٨٥ ـ البخاري (١٠ / ٣٩١) ٧٧ ـ كتاب اللباس ، ٩٤ ـ باب لا تدخل الملائكة بيتًا فيه صورة .
(فَرَاثَ) رَاثَ عليه : إذا أبطأ .

٦٨٦ - * روى مسلم عن ميمونة - زَوْجِ النبيِّ ﷺ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَصْبَحَ عِنْدَهَا يَوْمًا وَاجِمًا ، فَقَالَتْ لَهُ : لَقَدِ اسْتَنْكَرْتَ هيئتك مُنْذُ اليوم . فقالَ : « إنَّ جبريلَ كَانَ وَعَدَنِي أَنْ يَلْقَانِي ، فَلَمْ يَلْقَنِي ، أَمَا واللهِ ما أَخْلَفَنِي » . فَظَلَّ رسولُ اللهِ ﷺ يَوْمَه ذلك عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ جِرْوُ كَلْبٍ تحت فُسْطَاطٍ لَنَا ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ ، ثُمَّ أَخَذَ [بِيَدِهِ] مَاءً ، فَنَضَحَ مَكَانَهُ ، فَلَمَّا أَمْسَى لَقِيَهُ جِبْرِيلُ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ [له] : « كنت وَعَدْتَنِي البَارِحَةَ ؟ » قالَ : أَجَلْ ، وَلكِنَّا لا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ ولا صُورَةٌ . فأَصْبَحَ فأَمَرَ بِقَتْلِ الكلاب يَوْمَئِذ ، حَتَّى إنَّه يأمُرُ بِقَتْلِ كَلْبِ الحَائِطِ الصَّغِيرِ ، وَيَتْرُكُ كَلْبَ الحَائِطِ الكَبِيرِ .

وللنسائي [1] أيضًا في أُخْرَى قَالَتْ : إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ : إِنَّا لا نَدْخُلُ بَيْتًا فيهِ كَلْبٌ وَلا صُورَةٌ ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِ الكلاب ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَأْمُرُ بِقَتْلِ الكَلْبِ الصَّغِيرِ .

٦٨٧ - * روى البخاري ومسلم ، عن ابن عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما قال : سمعتُ أبا طلحة يقول : سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول : « لا تدخلُ الملائكةُ بيتًا فيه كلبٌ ولا صورةُ تماثيلَ » .

٦٨٨ - * روى أبوداود عن عمار رضي الله عنه قال : قدمت على أهلي ليلاً وقد تَشَقَّقَتْ يداي ، فضمَّخوني بالزعفران ، فغدوتُ على رسول الله ﷺ ، فسلمتُ عليه فلم يَرُدَّ عليّ ولم يُرَحِّبْ بي فقال : « اغسل هذا » . قال : فذهبتُ فغسلتُه ، ثم جئت وقد بَقِيَ عليّ منه

---

٦٨٦ - مسلم (٣ / ١٦٦٤) ٣٧ - كتاب اللباس والزينة ، ٢٦ - باب تحريم تصوير صورة الحيوان .
والنسائي (٧ / ١٨٦) ٤٢ - كتاب الصيد والذبائح ، ١١ - باب امتناع الملائكة من دخول بيت فيه كلب .
(١) النسائي (٧ / ١٨٤) ٤٢ - كتاب الصيد والذبائح ، ٩ - باب الأمر بقتل الكلاب .
(واجمًا) الواجمُ : المطرِقُ المُفكِّرُ مِنْ شِدَّةِ الحُزنِ . (فسطاط) الفُسطاطُ : بيتٌ من شعر .
٦٨٧ - البخاري (٦ / ٣١٢) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٧ - باب إذ قال أحدكم « آمين » والملائكة ... إلخ .
مسلم (٣ / ١٦٦٥) ٣٧ - كتاب اللباس والزينة ، ٢٦ - باب تحريم تصوير صورة الحيوان .
وأحمد (٤ / ٢٨) .
والترمذي (٥ / ١١٤) ٤٤ - كتاب الأدب ، ٤٤ - باب ما جاء أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة ولا كلب .
٦٨٨ - أبو داود (٤ / ٧٩) كتاب الترجل ، باب في الخَلُوق للرجال .
وأحمد (٤ / ٣٢) .

شيءٌ فسلمتُ عليه ، فلم يرد عليّ ولم يرحب بي ، وقال : « اغسل هذا عنك » . فذهبت فغسلته ، ثم جئت فسلمت عليه فرد عليّ ورَحَّبَ بي وقال : « إن الملائكة لا تَحْضَرُ جنازَةَ الكافرِ ولا المُتَضَمِّخَ بِزعفرانٍ ولا الجُنُبَ » ورخَّص للجنب إذا نام أو أكل أو شرب أن يتوضأ .

٦٨٩ - * روى أبو داود عن تميم الداري عن النبي ﷺ قال : « أول ما يحاسب به العبدُ يومَ القيامةِ صلاتُه ، فإنْ كان أتمَّ ، كُتِبتْ له تامَّةً ، وإنْ لم يكنْ أتمَّ ، قال اللهُ لملائكتِه : انظُروا هل تجِدونَ لعَبدي منْ تطوُّعٍ فتكَمِّلُونَ بها فريضَتَهُ ؟ ثمَّ الزكاةُ كذلكَ ، ثم تُؤخذُ الأعمالُ على حسب ذلكَ » .

٦٩٠ - * روى أحمد عن عبدِ الله بنِ عامرِ الألْهَاني ، قال : دخل المسجد حابسُ بنُ سعدٍ الطَّائي منَ السَّحَرِ - وقد أدركَ النبي ﷺ - فرأى الناسَ يصلون في مُقَدَّم المسجد فقال : مُراؤون وربِ الكعبة ، أرْعِبُوهم فمن أرعبهم فقد أطاع الله ورَسُوله . فأتاهم الناس فأخرجوهم . قال : فقال : إن الملائكة يصلون من السحر في مقدم المسجد .

٦٩١ - * روى أبو داود عن أبي بن كعب رضي الله عنه قَالَ : صَلى بنَا أو صَلّى لنا رَسُولُ الله ﷺ صَلاَةَ الغَدَاةِ ، ثُمَّ قَالَ :« أشاهِدٌ فلانٌ ؟ » مرّتَيْنِ . قُلْنَا : نَعَمْ ، وَلَمْ يَشْهَدِ الصَّلاَةَ . ثُمَّ قَالَ :« أشَاهِدٌ فُلانٌ ؟» قُلْنَا : نَعَمْ ، ولَمْ يَشْهَدِ الصَّلاَةَ . قَالَ : « إنَّ أثْقَلَ الصَّلاَةِ عَلى المُنَافِقِيْنَ صَلاَةُ العِشَاءِ وَصلاةُ الفَجْرِ ، ولَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِيهما مِنَ

---

٦٨٩ - أبو داود (١ / ٢٢٩) كتاب الصلاة - باب قول النبي ﷺ : « كل صلاة لا يتمها صاحبها ... » .
وأحمد (٤ / ٣٢٠) .
وابن ماجه (١ / ٤٥٨) ٥ - كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ٢٠٢ - باب ما جاء في أول ما يحاسب به العبد .
والمستدرك (١ / ٢٦٢) .

٦٩٠ - أحمد (٤ / ١٠٥) .
مجمع الزوائد (٢ / ١٦) . وقال رواه أحمد والطبراني في الكبير ، وفيه عبد الله بن عامر الألهاني ولم أجد من ذكره .

٦٩١ - أبو داود (١ / ١٥١) كتاب الصلاة ، باب في فضل صلاة الجماعة .
والنسائي (٢ / ١٠٤) ١٠ - كتاب الإمامة ، ٤٥ - باب الجماعة إذا كانوا اثنين .
وأحمد (٥ / ١٤٠) .
والمستدرك (١ / ٢٤٦) .

الرَّغَائب لأَتَيْتُموهُما ، ولَوْ حَبْوًا ، وإنَّ الصَّفَّ الأَوَّلَ عَلى مِثْلِ صَفِّ المَلائِكَةِ ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ فَضِيلَتَهُ لابْتَدَرْتُموه ، وإنَّ صَلاتَكَ مَعَ رَجُلٍ أَزْكَى مِنْ صَلاتِكَ وَحْدَكَ ، وإنَّ صَلاتَكَ مَعَ رجلين أزكى من صلاتك مع رجُلٍ ،وما أكثرت فهو أحب إلى الله » .

٦٩٢ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عنِ النبي ﷺ : « الملائكةُ يَتعاقَبون : ملائكةٌ بالليلِ وَملائكةٌ بالنهار ، ويجتمعون في صلاةِ الفجر وفي صلاةِ العصر ، ثمَّ يَعرُجُ إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم - وهو أعلم - فيقول : كيف تركتم عبادي ؟ فقالوا : تركناهم يُصلُّون ، وأتيناهم يُصَلُّون » .

٦٩٣ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إذا قال الإمامُ : سمعَ اللهُ لمن حَمِدَه . فقالوا : اللهمَّ ربَّنا لكَ الحمدُ . فإنه من وافق قولُهُ قولَ الملائكةِ غُفِرَ لهُ ما تقدمَ من ذَنبهِ » .

٦٩٤ - * روى أحمد عن أبي عبد الرحمن قال سمعت عليًّا رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : « إن العبد إذا جلس في مصلاه بعد الصلاة صلت عليه الملائكةُ ، وصلاتُهم عليه : اللهمَّ اغْفِرْ له ، اللهم ارحمه . وإن جلس ينتظرُ الصلاة صلت عليه الملائكةُ ، وصلاتُهم عليه : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه » .

٦٩٥ - * روى ابن ماجه عن مُطَرِّفِ بن عبدِ الله بنِ الشِّخِّير أن نوفًا وعبدَ الله بنَ عمرو

٦٩٢ - البخاري (٢ / ٣٣) ٩ - كتاب مواقيت الصلاة ، ١٦ - باب فضل صلاة العصر .
مسلم (١ / ٤٣٩) ٥ - كتاب المساجد ، ٣٧ - باب فضل صلاتي الصبح والعصر .
والنسائي (١ / ٢٤٠) ٥ - كتاب الصلاة ، ٢١ - باب فضل صلاة الجماعة .
والموطأ (١ / ١٧٠) ٩ - كتاب قصر الصلاة في السفر ، ٢٤ - باب جامع الصلاة .
٦٩٣ - البخاري (٢ / ٢٨٣) ١٠ - كتاب الأذان ، ١٢٥ - باب فضل « اللهم ربنا لك الحمد » .
مسلم (١ / ٣٠٦) ٤ - كتاب الصلاة ، ١٨ - باب التسميع والتحميد والتأمين .
والموطأ (١ / ٨٨) ٣ - كتاب الصلاة ، ١١ - باب ما جاء في التأمين خلف الإمام .
٦٩٤ - أحمد (١ / ١٤٤) .
مجمع الزوائد (٢ / ٣٦) . وقال : رواه أحمد ، وفيه عطاء بن السائب وهو ثقة ، لكنه اختلط آخر عمره .
وروى البخاري نحوه عن أبي هريرة (١ / ٥٦٤) ٨ - كتاب الصلاة ، ٨٧ - باب الصلاة في مسجد السوق .
٦٩٥ - ابن ماجه (١ / ٢٦٢) ٤ - كتاب المساجد والجماعات ، ١٩ - باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة . وهو صحيح . =

اجتمعا ، فقال نوفٌ : فذكر الحديثَ ، فقال عبدُ الله بنُ عمرو بن العاص : وأنا أُحَدِّثُكَ عَن النبي ﷺ ؛ قال : صلينا مع النبي ﷺ ذاتَ ليلةٍ فعقَّبَ من عقَّبَ ، وَرَجَعَ من رَجَعَ ، فجاء رسول الله ﷺ قبل أن يثورَ الناسُ لصلاة العشاء ، فجاء وقد حَفَزَهُ النَّفَسُ رافعًا أصبعه هكذا ، وعقدَ تسعًا وعشرين وأشار بأصبعه السبابة إلى السماء وهو يقول : « أبشروا معشرَ المسلمين ، هذا ربُّكم عز وجلَّ قد فتح بابًا من أبواب السماء يُبَاهِي بكم الملائكةَ ، يقول : ملائكتي ، انظروا إلى عبادي أدوا فريضةً وهم ينتظرون أخرى » .

٦٩٦ ـ * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال : قال النبيُّ ﷺ : « إذا كان يوم الجمعةِ كان على كلِّ بابٍ من أبوابِ المسجد الملائكةُ يكتُبون الأوَّلَ فالأول ، فإذا جلسَ الإمامُ طَوَوْا الصحفَ وجاءوا يستمعون الذِّكْرَ » .

٦٩٧ ـ * روى البخاري ومسلمٌ عن سَالِمٍ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إذَا رَأَىٰ رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ . فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَىٰ رُؤْيَا أَقُصُّهَا عَلَىٰ النبيِّ ﷺ . قَالَ : وَكُنْتُ غُلَامًا شَابًا عَزَبًا ، وَكُنْتُ أَنَامُ فِي المَسْجِدِ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ . فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ . وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ كَقَرْنَي الْبِئْرِ ، وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُم . فَجَعَلْتُ أَقُولُ : أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ . قَالَ : فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ فَقَالَ لِي : لَمْ تُرَعْ . فَقَصَصْتُهَا عَلَىٰ حَفْصَةَ ، فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ ! لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ » .

= وأحمد (٢ / ١٨٦) .

(عقَّبَ) أي : بقي في المسجد حتى صلى الصلاة اللاحقة .

(حَفَزَه) : أعْجَلَهُ .

٦٩٦ ـ البخاري (٦ / ٣٠٤) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ٦ ـ باب ذكر الملائكة .

٦٩٧ ـ البخاري (١٢ / ٤١٩) ٩١ ـ كتاب التعبير ، ٣٦ ـ باب الأخذ على اليمين في النوم .

مسلم (٤ / ١٩٢٧) ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ، ٣١ ـ باب فضائل عبد الله بن عمر .

وأحمد (٢ / ١٤٦) .

قَالَ سَالِمٌ : فَكَانَ عَبْدُ اللهِ ، بَعْدَ ذَلِكَ ، لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلاً .

٦٩٨ - * روى البخاري عن أُسَيْدِ بنِ حُضَيرٍ ، قال : بينما هو يقرأ من الليل سورة البَقَرَةِ وفَرَسه مَرْبوطٌ عنده إذ جالَتِ الفَرَسُ ، فسَكتَ فسَكَنَتْ ، فقرأ فجالت الفرس ، فسكت وسكت الفرس ، ثم قرأ فجالتِ الفرس ، فانصرفَ . وكان ابنُهُ يحيى قريبًا منها فأشفق أن تُصيبَهُ ، فلما اجْتَرَّهُ رفَع رأْسَه إلى السماء حتَّى ما يراها ، فلما أصبح حدَّث النبيَّ ﷺ فقال له : « اقرأ يا ابنَ حُضَير ، اقرأ يا ابن حضير » قال : فأشفقتُ يارسولَ الله أن تَطأ يحيى ، وكان منها قريبًا ، فرفَعْتُ رأسي فانصرَفْتُ إليه ، فرفعْتُ رأسي إلى السماء فإذا مثلُ الظُّلَّةِ فيها أمثالُ المصابيحِ ، فخرَجْتُ حتى لا أراها . قال : « وتَدري ما ذاك ؟ » قال : لا . قال : « تلكَ الملائكةُ دَنَتْ لصوتِك ، ولَوْ قَرأْتَ لأَصبَحَتْ ينظُرُ النَّاسُ إليها ، لا تتوارى منهم » .

٦٩٩ - * روى أحمد عن أنسٍ أو غيره أن رسول الله ﷺ استأذن على سعدِ بنِ عبادةَ ، فقال : « السلام عليكم ورحمة الله » فقال سعد : وعليك السلام ورحمة الله ، ولم يُسْمِعِ النبيَّ ﷺ ، حتى سلم ثلاثًا وردّ عليه سعد ثلاثًا ، ولم يُسمِعْهُ فرجع النبي ﷺ واتبعه سعد فقال : يارسول الله بأبي أنت وأمي ما سلمتَ تسليمةً إلا هي بأذُني ، ولقد رددتُ عليك ولم أُسْمِعْك ، أحببتُ أن أستَكْثِرَ من سلامِكَ ومن البركة ، ثم أدخلَه البيتَ فقَرَّبَ له زبيبًا ، فأكل نبي الله ﷺ فلما فَرَغَ قال : « أكلَ طعامَكم الأبرارُ وَصَلَّتْ عليكم الملائكةُ وأفطرَ عِندَكم الصائمون » .

وفي رواية لأحمد وأبي داود [1] عن أنس بن مالك ، قال : كان النبي ﷺ إذا أفطر عند أهل بيت قال : « أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرارُ وَتَنَزَّلَتْ عليكم الملائكةُ » .

---

٦٩٨ - البخاري (٩ / ٦٣) ٦٦ - كتاب فضائل القرآن ، ١٥ - باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن .

٦٩٩ - أحمد (٣ / ١٣٨) .

مجمع الزوائد (٨ / ٣٤) .

(١) أحمد (٣/ ٢٠١) .

أبو داود (٣ / ٣٦٧) كتاب الأطعمة ، باب ما جاء في الدعاء لرب الطعام .

٧٠٠ - * روى مسلم عن صفوانَ بن عبدِ الله بنِ صفوانَ قال : أتيتُ الشامَ ، فدخلت على أبي الدرداء فلم أجدْه ووجدتُ أمَّ الدرداء فقالتْ : تريد الحجَّ العامَ . قال : قلت : نعم . فقالت : فادعُ لنا بخيرٍ فإن النبيَّ ﷺ كان يقول : « إن دعوةَ المسلم مُستجابةٌ لأخيه بظهرِ الغيبِ عند رأسه مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كلما دعا لأخيه بخيرٍ قال : آمين ، ولك بمثلٍ » .

٧٠١ - * روى مسلم عن طَلْحَةَ بْنِ عُبَيدِ اللهِ بْنِ كَرِيزٍ ، قَالَ : حَدَّثَتْنِي أُمُّ الدَّرْدَاءِ ، قَالَتْ : حَدَّثَنِي سَيِّدِي ؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ دَعَا لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ : آمِينَ ، وَلَكَ بِمِثْلٍ » .

٧٠٢ - * روى مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِي ﷺ : « أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى . فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا . فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ : أَيْنَ تريدُ ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ . قَالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّها ؟ قَالَ : لاَ . غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ . قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ : بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ » .

٧٠٣ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبادُ فيه إلا مَلَكَانِ يَنْزِلان ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنفِقًا خَلَفًا . ويَقُولُ الآخَرُ : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا » .

٧٠٤ - * روى مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ نَفَّسَ عَنْ

---

٧٠٠ - مسلم (٤ / ٢٠٩٤) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء ، ٢٣ - باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب .
وأحمد (٥ / ١٩٥) .

٧٠١ - مسلم ، الموضع السابق .

٧٠٢ - مسلم (٤ / ١٩٨٨) ٤٥ - كتاب البر والصلة ، ١٢ - باب في فضل الحب في الله .
(تربها) : أي تقوم بإصلاحها ، وتنهض إليه بسبب ذلك .

٧٠٣ - البخاري (٣ / ٣٠٤) ٢٤ - كتاب الزكاة ، ٢٧ - باب قول الله تعالى : ﴿ فأما من أعطى واتقى ﴾ .
مسلم (٢ / ٧٠٠) ١٢ - كتاب الزكاة ، ١٧ - باب في المنفق والممسك .

٧٠٤ - مسلم (٤ / ٢٠٧٤) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء ، ١١ - فضل الاجتماع على تلاوة القرآن .

مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيا ، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يومِ الْقِيَامَةِ . وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ . ومنْ سَتَرَ مُسْلِمًا ، سَتَرَهُ اللهُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ . وَاللهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كان العبدُ في عونِ أخيه . ومَنْ سَلَكَ طريقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا ، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ . وَمَا اجْتَمَعَ قومٌ في بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ ، وَيَتَدَارسُونَهُ بَيْنَهُمْ ، إلا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وحفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَن عِنْدهُ . وَمَنْ بطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » .

٧٠٥ - * روى أحمد عن أبي المُدِلَّة مولى أم المؤمنين ، سمع أبا هريرة يقول : قلنا : يا رسولَ الله إنا إذا رأيناكَ رَقَّتْ قلوبُنا وكنّا أهل الآخرة ، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشَمَمْنا النّساء والأولاد قال : « لو تكونون » أو قال : « لو أنكم تكونون على كل حالٍ على الحالِ التي أنتم عليها عندي لصَافَحتْكُم الملائكة بأكفهم ، ولزارتكم في بيوتكم . ولو لم تُذْنِبوا لجاءَ اللهُ بقَوْمٍ يُذنِبون كي يَغْفِرَ لهم » .

٧٠٦ - * روى الترمذي عنْ أنسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عليهِ وَسَلّم ، قَالَ : « مَنِ ابْتَغَى القَضَاءَ ، وَسأَلَ فيهِ شُفَعَاءَ ، وُكِلَ إِلَى نَفْسِهِ . وَمَنْ أُكْرِهَ عَلَيْهِ ، أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ مَلَكًا يُسَدِّدُهُ » .

٧٠٧ - * روى مالك عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ اختصم إِلَيْهِ مُسْلِمٌ وَيَهُودِيٌّ ، فَرأَى عُمَرُ أَنَّ الْحَقَّ لِلْيَهُودِيِّ فَقَضَى لَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ : وَاللهِ لَقَدْ قَضَيْتَ بِالحَقِّ . فَضَرَبَهُ عُمَرُ بْنُ الْخطّاب بِالدِّرَّةِ ، ثُمَّ قَالَ : وَمَا يُدْرِيكَ ؟ فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ : إِنَّا نَجِدُ أَنَّهُ لَيْسَ قَاضٍ يَقْضِي بِالْحَقِّ ، إلا كَانَ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكٌ وَعَن شِمَالِهِ مَلَكٌ ، يُسَدِّدَانِهِ وَيُوفِّقَانِهِ لِلْحَقِّ - مادامَ مَعَ الْحَقِّ - فَإِذَا تَرَكَ الْحَقَّ عَرجا وتَرَكَاهُ .

---

٧٠٥ - أحمد (٢ / ٣٠٤) . وإسناده لا بأس به .

٧٠٦ - الترمذي (٣ / ٦١٤) ١٣ - كتاب الأحكام ، ١ - باب ما جاء عن رسول الله ﷺ في القاضي .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ، وهو أصح من حديث إسرائيل عن عبد الأعلى .

قال الحافظ في فتح الباري : وله طرق وقد ضعفه بعضهم .

٧٠٧ - الموطأ (٢ / ٧١٩) ٣٦ - كتاب الأقضية ، ١ - باب الترغيب في القضاء بالحق .

٧٠٨ ـ * روى مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « ما جلس قومٌ يذكرونَ الله ، إلا حفَّتْهُمُ الملائكةُ ، وَغَشِيَتهُم الرَّحمة ، ونَزَلَتْ عَليهمُ السَّكِينة ، وذكرهُم اللهُ فيمن عِنْدَهُ » .

٧٠٩ ـ * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: « إذا سَمعتم صياحَ الدِّيكةِ فاسألوا اللهَ من فضلِه ؛ فإنها رأتْ مَلَكًا ، وإذا سمعتم نهيقَ الحمار فتعوَّذوا باللهِ مِنَ الشيطان ، فإنه رأى شيطانًا » .

٧١٠ ـ * روى مسلمٌ عن أبي ذَرٍّ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ : أيُّ الْكَلامِ أفْضَلُ ؟ قالَ : « مَا اصْطَفَى اللهُ لِملائِكَتِهِ أوْ لِعبَادِهِ : سُبحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ » .

٧١١ ـ * روى مسلم عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « تُفتَحُ أبوابُ الجنة في كل اثنين وخميسَ » ـ قال مَعْمَر وقال غيرُ سهيل ـ « وتعوضُ الأعمالُ في كل اثنين وخميس فيغفِر الله عز وجل لكل عبد لا يُشْرِكُ به شيئًا إلا المتشاحِنَيْنِ ، يقول اللهُ للملائكة : ذَروهما حتى يَصْطَلِحا » .

٧١٢ ـ * روى مسلم عن ابن سيرينَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ : « مَنْ أَشَارَ إِلَىٰ أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ ، فَإِنَّ الْمَلائِكَةَ تَلْعَنُهُ ، حَتَّىٰ وإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ » .

---

٧٠٨ ـ مسلم (٤ / ٢٠٧٤) ٤٨ ـ كتاب الذكر والدعاء ، ١١ ـ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن .
وأحمد (٣ / ٤٩) .
والإحسان بترتيب ابن حبان (٢ / ١٠٨) .

٧٠٩ ـ البخاري (٦ / ٣٥٠) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ١٥ ـ باب خير مال المسلم غنمٌ ... إلخ .

٧١٠ ـ مسلم (٤ / ٢٠٩٣) ٤٨ ـ كتاب الذكر والدعاء ، ٢٢ ـ باب فضل سبحان الله وبحمده .

٧١١ ـ مسلم (٤ / ١٩٨٧) ٤٥ ـ كتاب البر والصلة ، ١١ ـ باب النهي عن الشحناء .
وأحمد (٢ / ٤٠٠) .
والموطأ (٢ / ٩٠٨) ٤٧ ـ كتاب حسن الخلق ، ٤ ـ باب ما جاء في المهاجرة .
(المُتشاحِنَيْن) المُتَعادِيَيْن . والمُشاحن : المُعادي .

٧١٢ ـ مسلم (٤ / ٢٠٢٠) ٤٥ ـ كتاب البر والصلة ، ٣٥ ـ باب النهي عن الإشارة بالسلاح .
والترمذي (٤ / ٤٦٣) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، ٤ ـ باب ما جاء في إشارة المسلم إلى أخيه بالسلاح .

٧١٣ ـ * روى أبو داود عن أبي هريرة : أنَّ رجلاً شَتَمَ أبا بكر والنبيُّ ﷺ جالسٌ ، فجعل النبي ﷺ يَعْجَبُ وَيَتَبَسَّمُ ، فلما أكْثَرَ رَدّ عليه بعضَ قوله ، فَغَضِبَ النبيُّ ﷺ وقام ، فلَحِقَه أبو بكر فقال : يا رسولَ الله كان يشتُمُني وأنت جالسٌ ، فلما رددتُ عليه بعضَ قولِه غضبتَ وقُمتَ . قال : « إنه كان معك مَلَكٌ يَرُدُّ عنك ، فلما ردَدْتَ عليه بعضَ قوله وقع الشيطان فلم أكُنْ لأقْعُدَ مع الشيطان » .

٧١٤ ـ * روى أبو داود عن عبدِ الله بنِ نافع ، قال : عاد أبو موسى الأشعرى الحَسَنَ بنَ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال له عليّ رضي الله عنه : أعائدًا جئتَ أم زائرًا ؟ قال : لا ، بل جئتُ عائدًا . قال عليٌّ رضي الله عنه : أما إنه ما من مسلم يَعُودُ مريضًا إلا خرجَ معه سبعونَ ألفَ مَلَكٍ ، كلُّهم يَسْتَغفِرُ له إن كان مصبحًا حتى يمسي ، وكان له خريفٌ في الجنة ، وإن كان ممسيًا خرج معه سبعون ألف ملك ، كلهم يستغفر له حتى يصبح ، وكان له خريف في الجنة .

٧١٥ ـ * روى الترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إني أرى مالا ترونَ ، وأسمعُ مالا تسمعون ، أطَّت السَّماءُ ، وحُقَّ لها أن تَئِطَّ ، ما فيها

---

٧١٣ ـ أبو داود (٤ / ٢٧٤) كتاب الأدب ، باب في الانتصار .

وفيه محمد بن عجلان صدوق لكن اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة . ورواه أبو داود مرسلاً أيضًا . وذكرهما البخاري في تاريخه وقال : المرسل أصحّ .

وأحمد (٢ / ٤٣٦) .

٧١٤ ـ أبو داود (٣ / ٨٥) كتاب الجنائز ، باب في فضل العيادة على وضوء .

وأحمد (١/ ٨١) .

والمستدرك (١ / ٣٥٠) . وهو صحيح .

قوله (وكان له خريف في الجنة) : قال في النهاية : « الخارف جمْع مَخْرف بالفتح وهو الحائط من النخل : أي أنَّ العائد فيما يجوز من الثُّواب كأنه على نخل الجنة يخْترفُ ثمارَها . وقيل : المخارف جمع مَخْرَفة ، وهي سكّةٌ بين صفَّيْن من نخل يخْترف من أيّها شاء : أي يجْتني . وقيل : المخرفة الطريق ، أي أنه على طريق تؤدّيه إلى طريق الجنة » ا . هـ .

٧١٥ ـ الترمذي (٤ / ٥٥٦) ٣٧ ـ كتاب الزهد ، ٩ ـ باب في قول النبي ﷺ : « لو تعلمون ما أعلم ... » .

وابن ماجه (٢ / ١٤٠٢) ٣٧ ـ كتاب الزهد ، ١٩ ـ باب الحزن والبكاء .

وأحمد (٥ / ١٧٣) .

والمستدرك (٢ / ٥١٠) . وهو حديث حسن .

=

موضعُ أربعِ أصابعَ ، إلا وَمَلكٌ واضعٌ جَبهتَهُ لله تعالى ساجدًا ، والله لو تعلمون ما أعلمُ لَضَحِكْتُم قليلاً ، ولَبَكَيْتُم كثيرًا ، وما تَلَذَّذْتُمْ بالنساء على الفُرُشِ ، ولَخَرَجْتُمْ إلى الصُّعُداتِ تَجأرون إلى الله » .

٧١٦ - * روى الترمذي عن زيدِ بن ثابتٍ رضي الله عنه قال : بَيْنَا نحن عند رسولِ اللهِ ﷺ نؤلفُ القرآن من الرقاعِ إذ قال : « طُوبَى للشام » . قيلَ : ولِمَ ذلك يا رسولَ الله ؟ قال : « إن ملائكةَ الرحمن باسِطةٌ أجْنِحَتَها عليه » .

٧١٧ - * روى الترمذي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ماتَ وَلَدُ العبدِ قالَ اللهُ تعالى لملائكتِه : قبضتم ولدَ عبدي ؟ فيقولونَ : نعمْ ، فيقولُ : قَبَضْتُم ثمرةَ فؤادهِ ؟ فيقولونَ : نعمْ . فيقولُ : ماذا قالَ عبدي ؟ فيقولونَ : حَمِدَكَ واسْتَرْجَع ، فيقولُ اللهُ تعالى : ابنُوا لعبدي بيتًا في الجنة ، وسَمُّوهُ بيتَ الحمدِ » .

٧١٨ - * روى أحمد عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « لا تصلي الملائكة على نائحة ولا على مُرِنَّةٍ » .

٧١٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ :

= (الصُّعُدات) : الطُّرُق ، وهي جمع ، وصُعُد : جمع صَعِيد . كطريقٍ وطُرُقٍ وطُرُقاتٍ .

٧١٦ - الترمذي (٥ / ٧٣٤) ٥٠ - كتاب المناقب ، ٧٥ - باب في فضل الشأم واليمن .

وأحمد (٥ / ١٨٥) .

والمستدرك (٢ / ٢٢٩) . وهو صحيح .

٧١٧ - الترمذي (٣ / ٣٤١) ٨ - كتاب الجنائز ، ٣٦ - باب فضل المصيبة إذا احتسب .

وهو حديث حسن .

وأحمد (٤ / ٤١٥) .

٧١٨ - أحمد (٢ / ٣٦٢) .

مجمع الزوائد (٣ / ١٣) . وقال : رواه أحمد وأبو يعلى ، وفيه أبو مرانة ولم أجد من وثقه ولا جرحه ، وبقية رجاله ثقات .

(المرنَّة) المصوتة .

٧١٩ - البخاري (٦ / ٣١٤) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ٧ - باب إذا قال أحدكم « آمين » .

مسلم (٢ / ١٠٦٠) ١٦ - كتاب النكاح ، ٢٠ - باب تحريم امتناعها من فراش زوجها . =

« إذا دعا الرجلُ امرأتَهُ إلى فراشِهِ فأبَتْ ، فباتَ غضبانَ عليها ، لعنَتْها الملائكةُ حتى تُصبحَ » .

٧٢٠ ـ * روى أحمد عن عُقبةَ بنِ عامر يحدث عن النبي ﷺ أنه قال : « ليس من عمل يوم إلا وهو يُخْتَمُ عليه ، فإذا مَرِضَ المؤمن قالت الملائكةُ : يارَبَّنا ، عبدُك فلان قد حَبَسْتَه . فيقول الرب عز وجل : اخْتِمُوا له على مِثْل عملِهِ حتى يبرأ أو يموت » .

٧٢١ ـ * روى البخاري ومسلم عَنْ أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ؛ أنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ : « كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا ، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ ، فَأَتَاهُ فَقَالَ : إنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : لا . فَقَتَلَهُ ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً . ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ ، فَقَالَ : إنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ . وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ ؟ انْطَلِقْ إلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ ، فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ ، وَلا تَرْجِعْ إلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ . فَانْطَلَقَ حَتَّى إذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوتُ . فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلائِكَةُ الْعَذَابِ ؛ فَقَالَتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ : جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إلَى اللهِ . وَقَالَتْ مَلائِكَةُ الْعَذَابِ : إنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ . فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ : قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ ؛ فَإلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى ، فَهُوَ لَهُ . فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ ، فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ » .

= وأحمد (٢ / ١٢٦) .

٧٢٠ ـ أحمد (٤ / ١٤٦) .

والمعجم الكبير (١٧ / ٢٨٤) .

مجمع الزوائد (٢ / ٣٠٣) . وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط وفيه ابن لهيعة ، وفيه كلام .

والمستدرك (٤ / ٣٠٨) .

٧٢١ ـ البخاري (٦ / ٥١٢) ٦٠ ـ كتاب الأنبياء ، ٥٤ ـ باب حدثنا أبو اليمان .

مسلم (٤ / ٢١١٨) ٤٩ ـ كتاب التوبة ، ٨ ـ باب قبول توبة القاتل .

٧٢٢ ـ * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنه أنَّهُ حدَّثَهم أن رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ العبدَ إذا وُضعَ في قبره وتولَّى عنه أصحابهُ ـ وإنَّهُ ليَسْمَعُ قَرْعَ نعالِهم ـ أتاهُ مَلَكان فَيقعِدانِهِ فيقولان : ما كنت تقولُ في هذا الرجُل ؟ لمحمد ﷺ . فأمَّا المؤمنُ فيقولُ : أشهدُ أنهُ عبدُ اللهِ ورسولُهُ . فيقال له : انظرْ إلى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ ، قد أبدَلَكَ اللهُ به مقعدًا منَ الجنةِ ، فيراهُما جميعًا .

قال قتادةُ : وذُكِرَ لنا أنَّهُ يُفْسَحَ لَهُ في قَبرِهِ . ثم رَجَعَ إلى حديثِ أنس قال : « وأمّا المنافِقُ والكافرُ فيقالُ لهُ : ما كُنتَ تقولُ في هذا الرجُلِ ؟ فيقول : لا أدري ، كنتُ أقولُ ما يقولُ الناسُ . فيُقال : لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ . ويُضرَبُ بمِطَارِق من حَديد ضَرْبةً ، فيصيحُ صيحةً يَسْمعُها مَن يَليهِ غيرَ الثَّقَلَيْنِ » .

٧٢٣ ـ * روى مسلم عن أبي هريرة قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « قالَ اللهُ عزَّ وَجَلَّ : إذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَة فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يعْملْ . فَإِذَا عمِلَها فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا . وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَل سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُها لَهُ مَالَم يعْمَلْهَا . فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا » .

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « قَالَتِ الْمَلائِكَةُ : رَبِّ ، ذَاكَ عَبْدُكَ يريدُ أَنْ يعْمل سَيِّئَةً (وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ) فَقَالَ : ارْقُبُوهُ . فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بمثْلِها . وإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً . إِنَّما تَرَكَهَا مِنْ جَرَّاي » .

٧٢٤ ـ * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المدينة يأتيها الدجال فيجدُ الملائكةَ يحرسُونَها فلا يقْرَبُها الدجّالُ ولا الطّاعون إن شاء الله » .

---

٧٢٢ ـ البخاري (٣ / ٢٣٢) ٢٣ ـ كتاب الجنائز ، ٨٦ ـ باب ما جاء في عذاب القبر .
مسلم (٤ / ٢٢٠٠) ٥١ ـ كتاب الجنة ، ١٧ ـ باب عرض مقعد الميت من الجنة ،
وأحمد (٣ / ١٢٦) .

٧٢٣ ـ مسلم (١ / ١١٧) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٥٩ ـ باب إذا هم العبد بحسنة .

٧٢٤ ـ البخاري (١٣ / ١٠١) ٩٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٧ ـ باب لا يدخل الدجال المدينة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٧٢٥ ـ * روى البخاري عن أبي بَكْرَةَ عن النبي ﷺ قال : « لا يَدخلُ المدينـةَ رُعبُ المسيحِ الدجالِ ، ولها يومئذٍ سبعة أبوابٍ على كلِّ بابٍ مَلَكان » .

وبعد فإن ما مر معنا من النصوص كافٍ ليعرفنا على أن الملائكة مخلوقات نورانية متميزة ، فلا هم ذكور ولا هم إناث ولا هم خناثى . وهم مستغرقون في العبادة والطاعة ، ولهم وظائفهم المتعددة . ومن معرفة ماوصف به الملائكة ومن معرفة وظائفهم نعرف دقة الترتيب في المملكة الإلهية ، فزيادة على هذا الترتيب الكوني المدهش وعلى هذا النظام الكوني البديع ، فهناك عالم الملائكة ، وهو جزء قائم بشؤون كثيرة من أمر مملكة الله في الدنيا والآخرة ، ولعل ما مر معنا وسير تفصيل لأشياء كثيرة نتعرف بها على الله ومملكته ومالكيته ، فلننتقل إلى فصل آخر من فصول الغيب لنرى عالمًا آخر مغيبًا عنا وهو عالم الجن والشياطين .

* * *

٧٢٥ ـ البخاري (١٣ / ٩٠) ٩٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٦ ـ باب ذكر الدجّال .

الفصل الخامس

في:

الجن والشياطين

وفيه:

مقدمة ونصوص وتلخيص ونقول ووصلات



المقدمة

نعقد هذا الفصل ههنا لأن الجن والشياطين من أمر الغيب ، واخترنا أن نذكر هذا الفصل هنا ؛ لأن الشياطين وهم جزء من الجن على القول الراجح هم الجهة المقابلة للملائكة من بعض الحيثيات ؛ فالملائكة تفعل الخير وتأمر به وتثبّت عليه ، والشياطين تفعل الشر وتأمر به وتثبّت عليه .

ومن ملاحظات السيد عبد الرزاق نوفل : (فإن لفظ الملائكة قد تكرر في القرآن الكريم ٦٨ مرة وهو نفس العدد تمامًا الذي تكرَّر فيه لفظ الشيطان ، وأن عدد ما ورد في الآيات الشريفة من مختلف صور لفظ الملائكة كملك وملكا وملكني وملائكة هو ٨٨ مرة ، وهو نفس العدد تمامًا أيضًا الذي تكرر فيه مختلف صور لفظ الشيطان كالشياطين وشيطانًا وشياطينهم) ا.هـ .(الجن والملائكة لعبد الرزاق نوفل) .

والجن مكلفون كالإنسان ، وبالتالي فعندهم قدرة على إدراك الخطاب ، قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [١] ، ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ﴾ [٢] .

وقد ذكرت بعض كتب العقائد أن الجن يكلفون من لحظة الولادة ؛ لأنهم مؤهلون لإدراك الخطاب منذ اللحظة الأولى .

ومن آثارهم التي يستأنس بها على وجودهم الصرع الذي لم يزل موجودًا ، وَتَكَلُّمُ الجان على لسان شخص يتلبس به ، وظهورهم لبعض الناس ومخاطبتهم إياهم بالوساوس التي يحسها الإنسان في قلبه كأثر منهم .

* * *

وعالم الجن فيه الكافر والمؤمن والفاسق ، قال تعالى على لسان الجن : ﴿ وأنّا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددًا ﴾ [٣] : أي أديانًا مختلفة .

---

(١) الذاريات : ٥٦ .
(٢) الأنعام : ١٣٠ .
(٣) الجن : ١١ .

﴿ وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون ﴾ [١] : أي الجائرون .

وهل الكافرون منهم هم الشياطين ، أو الشياطين جنس آخر ؟ فالجن مخلوقات هوائية والشياطين مخلوقات نارية : قولان للعلماء ، والراجح أن الشياطين هم كفرة الجن .

ولا خلاف أن رسول الله محمدًا ﷺ أرسل إلى الإنس والجن ، وأنه بلغ الرسالة للإنس والجن ، وقد ذكر القرآن ذلك في أكثر من سورة ، ولكن هل كان الرسل قبل محمد عليه الصلاة والسلام يُرسَلون إلى الإنس والجن حيث أرسلوا ، أو أنه قبل محمد عليه الصلاة والسلام كانت تُرسَل رسل من الجن ؟

قولان للعلماء في ذلك ؛ فابن عباس وآخرون يرون أنه لم يبعث الله رسولاً من الجن ؛ وقال الضحاك وابن حزم وآخرون : إنه قد ابتعث الله من الجن أنبياء ورسلاً ، ويستشهدون على ذلك بقوله تعالى : ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا ﴾ [١] .

* * *

وقد أُلِّفَ أكثر من كتاب في الجن وأحكامها ، منها القديم ومنها الحديث ، عدا ما قاله المفسرون وشُرّاح السنة بمناسبة ورود شيء من ذلك في سياقه ، عدا ما تذكره كتب العقائد في الحديث عنهم على اعتبار أن الجن جزء من عالم الغيب ، والإيمان بوجودهم من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة التي يكفر منكرها ، وممن أفرد التآليف عن الجن قديمًا : ابن القيم في كتابه : « لقط المرجان في أحكام الجان » . والقاضي بدر الدين الشبلي الحنفي في كتابه : « آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان » . وقد حاول عبد الرزاق نوفل في كتابه عن « الجن والملائكة » أن يستأنس في بحثه ببعض معطيات عصرنا التي تشير إلى عالم الجن والشياطين ، فاستأنس بكلام بعض علماء النفس الذين تحدثوا عن الدوافع الخفية التي تدفع الإنسان إلى اتجاهات معينة ، وبكلام بعض علماء الطب بمناسبة العلاج الروحي والنفسي لبعض الأمراض ، وتكلم عن معطيات أخرى ، وربط الشيخ حسن أيوب بين ما

---

(٢) الجن : ١٥ .

(٢) الأنعام : ١٣٠ .

يجرى في عمليات تحضير الأرواح وعالم الجن .

وعلماء الإسلام سلفًا وخلفًا يذكرون حوادثَ يقينية كان للجن حضورهم فيها ، وهناك أعلام من العلماء تتلمذ عليهم أفراد من الجن ، ولابن عابدين ـ من فقهاء الحنفية ـ رسالة في تلمذة الجن على شيخه مولانا الشيخ خالد النقشبندي رحمه الله . وإنه لموضوع حَرِي أن يُتتَبّع وتُتتَبّعَ أخباره في الشرق والغرب ، وفي الكتب القديمة والحديثة ، فذلك يدحض فرية افتراءات الماديين ويلقم الحجرَ للمشركين ، ويكفي المسلم أن يعرف النصوص الواردة في ذلك وأن يفهمها حق الفهم وأن يؤمن بها ، وهذا الكتاب مقصور على مثل هذا .

ونحن سنذكر بعض نصوص القرآن في الجن ، ثم نعقّب ذلك بذكر بعض النصوص النبوية في هذا الشأن ، مع شرح ما لابد من شرحه وبعض التعليقات المختصرة ، ثم نعقب ذلك بتلخيص إجمالي لهذا الموضوع ، ثم بنقل بعض أقوال العلماء .

* * *

(١)

بعض نصوص القرآن في الجن والشياطين

يقرر القرآن أن الجن خُلقوا من نار ، قال تعالى :

﴿ وخلق الجان من مارج من نار ﴾[1]، والمارج : هو اللهب الأزرق الخالي من الدخان.

﴿ والجان خلقناه من قبل من نار السَّموم ﴾ [2] ، ونار السَّموم : هي المرتفعة الحرارة التي تنفذ حرارتها إلى الأجسام .

ويقرر القرآن أن إبليس من الجن ، فالجن خلقت قبل أبينا آدم عليه السلام :

﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ [3] .

ويذكر القرآن قصة إبليس مع أبينا آدم وما ترتب على ذلك من إهباط كلٌّ من إبليس وآدم ، وحواء إلى الأرض ، والبواعث التي بعثت إبليس على هذا الموقف ، ومن ذلك : الكِبْرُ والحسد ، ويحذرنا الله عز وجل أن نستجيب لوسوسة إبليس وجنوده أو لاتِّباع خطواته ، ويعرفنا القرآن على مأتي الشيطان للإنسان وعلى أنواع إضلاله ، وذلك يستغرق حيزًا كبيرًا من القرآن الكريم ومن ذلك :

﴿ لآتينَّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ [4] .

﴿ يا بني آدم لا يَفْتِنَنَّكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة يَنْزِع عنهما لباسهما لِيُرِيَهُما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ﴾ [5] .

﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأَجْلِبْ عليهم بخيلك ورَجِلِك وشاركهم في

(١) الرحمن : ١٥ .
(٢) الحجر : ٢٧ .
(٣) الكهف : ٥٠ .
(٤) الأعراف : ١٧ .
(٥) الأعراف : ٢٧ .

الأموال والأولاد وعِدْهُمْ وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾ [١] .

﴿ ولأضلنهم ولأُمَنِّيَنَّهم ولآمرنهم فَلَيُبَتِّكُنَّ آذان الأنعام ولآمرنهم فَلَيُغَيِّرُنَّ خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليًا من دون الله فقد خسر خسرانًا مبينا * يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾ [٢] .

وتقرر السنة النبوية أنه ما من إنسان إلا وله قرين من الشياطين ، ويذكر القرآن موضوع القرين في أكثر من مكان :

﴿ قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد ﴾ [٣] .

﴿ والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ﴾ [٤] .

﴿ ومن يَعْشُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانًا فهو له قرين ﴾ [٥] .

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ﴾[٦]، أي مَحَلّ أمنيته وهم أفراد أمته .

﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك ﴾ [٧] .

﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ﴾ [٨] .

﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ﴾ [٩] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ﴾ [١٠] .

---

(١) الإسراء : ٦٤ .
(٢) النساء : ١١٩ .
(٣) قّ : ٢٧ .
(٤) النساء : ٣٨ .
(٥) الزخرف : ٣٦ .
(٦) الحج : ٥٢ .
(٧) الحشر : ١٦ .
(٨) الحج : ٣ .
(٩) الأنعام : ١٢١ .
(١٠) المائدة : ٩٠ .

﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ﴾ (١) .

﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان يَنْزَغُ بينهم ﴾ (٢) .

﴿ من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ﴾ (٣) .

﴿ إنما ذلكم الشيطان يُخَوِّف أولياءه ﴾ أي يخوفكم أولياءه ﴿ فلا تخافوهم وخافون ﴾(٤).

﴿ الذي يوسوس في صدور الناس * من الجِنَّة والناس ﴾ (٥) .

﴿ ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾ (٦) .

﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾ (٧) .

﴿ وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل ﴾ (٨) .

﴿ وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ﴾ (٩) .

﴿ وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ (١٠) .

﴿ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾ (١١) .

ويقرر القرآن أن الشيطان يمكن أن يمس الإنسان فيصيبه بالصرع :

﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾ (١٢) .

---

(١) المائدة : ٩١ .
(٢) الإسراء : ٥٣ .
(٣) يوسف : ١٠٠ .
(٤) آل عمران : ١٧٥ .
(٥) الناس : ٥ ، ٦ .
(٦) النور : ٢١ .
(٧) البقرة : ٢٦٨ .
(٨) العنكبوت : ٣٨ .
(٩) الأنعام : ٤٣ .
(١٠) الأنعام : ٦٨ .
(١١) المجادلة : ١٩ .
(١٢) البقرة : ٢٧٥ .

ويقرر القرآن أن للشيطان ذرية ، وهذا يقتضي أن عالم الشياطين فيه تزاوج وتناسل ؛ ففيه الذكر والأنثى :

﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ﴾ [١] .

﴿ فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ﴾ [٢] .

وعالم الشياطين جزء من عالم الجن على القول الراجح ، والجن كلهم مكلفون ومحاسبون ومجزيون بالجنة أو بالنار :

﴿ قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار ﴾ [٣] .

﴿ قل أوحيَ إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا ﴾ [٤] .

﴿ وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قِدَدًا ﴾ [٥] .

﴿ وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به ﴾ [٦] .

﴿ وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قُضِيَ وَلَّوْا إلى قومهم منذرين ﴾ [٧] .

﴿ وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون ﴾ [٨] ، أي الجائرون .

﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [٩] .

فالجن مكلفون ، ومحمد ﷺ قد أرسل إلى الإنس والجن بإجماع ، وهل أرسل قبل محمد إلى الجن رسل منهم ، أو أنّ رسلَ الإنس رسلٌ للجن في الوقت نفسه ؟ قولان للعلماء : والراجح أنه لم يكن في الجن نبوة ولا رسالة وعلى كل الأحوال فالحجة قائمة عليهم :

(١) الكهف : ٥٠ .
(٢) الرحمن : ٥٦ .
(٣) الأعراف : ٣٨ .
(٤) الجن : ١ ، ٢ .
(٥) الجن : ١١ .
(٦) الجن : ١٣ .
(٧) الأحقاف : ٢٩ .
(٨) الجن : ١٤ .
(٩) الذاريات : ٥٦ .

﴿ يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا ﴾ [١] .

وللجن عامة قدرات :

﴿ وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون ﴾ [٢] .

﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ [٣] .

وقال تعالى على لسان الجن :

﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدًا وشهبًا * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابًا رصدًا ﴾ [٤] .

ومن قدراتهم ما ذكره القرآن الكريم بقوله :

﴿ قال يأيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين * قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ﴾ [٥] .

﴿ يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ﴾[٦] .

﴿ ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك ﴾ [٧] .

وينفي القرآن عن الجن معرفة الغيب :

﴿ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ﴾.[٨] .

* * *

---

(١) الأنعام : ١٣٠ .
(٢) النمل : ١٧ .
(٣) الرحمن : ٣٣ .
(٤) الجن : ٨ ، ٩ .
(٥) النمل : ٣٨ ، ٣٩ .
(٦) سبأ : ١٣ .
(٧) الأنبياء : ٨٢ .
(٨) سبأ : ١٤ .

(٢) النصوص النبوية

٧٢٦ - * روى الترمذي عن عبدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ قال اسْتَتْبَعَني رَسُولُ اللهِ ﷺ . قال : فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنا مَكانَ كذا وكذا فَخَطَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ خُطَّةً فقالَ : « كُنْ بَينَ ظَهْرَي هذهِ لا تَخْرُجْ مِنْهَا ، فإنَّكَ إنْ خَرَجْتَ منْهَا هَلَكْتَ » . قالَ : فَكُنت فِيها . قالَ : فَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدَقَّ أَوْ أَبْعَدَ شَيْئًا . أَوْ كَمَا قالَ . ثُمَّ إِنَّهُ ذَكَرَ هنيئًا كَأَنَّهم الزُّطُّ - قالَ : أو كَمَا قالَ عفَّانُ إن شاءَ اللهُ - عَلَيْهِم ثِيابٌ وَلا أَرَى سوءاتِهم ، طِوَالٌ ، قليلٌ لَحْمُهُم . قالَ : فَأَتَوا فَجَعَلُوا يَرْكَبُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ . قالَ : وَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ عَلَيْهِم . قالَ : وَجَعَلُوا يَأْتُونَ فَيَخْتَلُونَ حَوْلِي ويعرضُونَ . قالَ عبدُ اللهِ : فَأُرْعِبْتُ مِنْهُم رُعْبًا شَدِيدًا . قال : فَجَلَسْتُ - أَوْ كَمَا قالَ - فَلَمَّا انْشَقَّ عَمُودُ الصُّبْحِ جَعَلُوا يَذْهَبون - أَوْ كَمَا قالَ - ثُمَّ إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَاءَ ثَقِيلا وَجِعًا أَوْ يَكَادُ أَنْ يَكُونَ وَجِعًا مِمَّا رَكِبوهُ ، قالَ : « إنِّي أَجِدُني ثَقِيلاً » أَوْ كَمَا قالَ . قالَ : ثُمَّ إنَّ هنينا أَتَوْا عَلَيْهِم ثيابٌ بيض طِوَالٌ - أَوْ كَمَا قالَ - وَقَدْ أُغْفِي رَسُولُ اللهِ ﷺ . قالَ عَبْدُ اللهِ: فَأُرْعِبْتُ أَشَدَّ مِمَّا أُرْعِبْتُ في المرَّةِ الأُوْلَى . قالَ عَارِمٌ في حَدِيثِهِ : فَقَالَ بَعْضُهُم لِبَعضٍ : هَلُمَّ فَلْنَضْرِبْ لَهُ مَثَلاً ، أَوْ كَمَا قَالُوا . قالَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ : اضْرِبُوا لَهُمْ مَثَلاً وَنُوَلِّي نَحْنُ أو نَضْرِبُ نَحْنُ ، وتَوَلَّوْنَ أَنْتُم . فقالَ بَعْضُهُم : مَثَلُهُ كَمَثَلِ سَيِّدٍ بَنَى بنيانًا حَصِينًا ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى النَّاس بطعَامٍ - أَوْ كَمَا قالَ - فَمَنْ لَمْ يَأْتِ طَعَامَهُ (أَوْ قالَ لَمْ يَتْبَعْهُ) عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا (أَوْ كَمَا قَالَ الآخَرُون) أَمَّا السَّيِّدُ فَهُو رَبُّ العَالَمِينَ ، وَأَمَّا البُنْيَانُ فَهُوَ الإِسْلام ، وَالطَّعَامُ الجَنَّةُ وهُوَ الدَّاعِي ، فمن اتبَعَهُ كَانَ في الجَنَّةِ - قالَ عَارِمٌ في حديثِهِ : أَوْ كَمَا قَالُوا - وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْه عُذِّبَ أَوْ كَمَا قالَ . ثُمَّ إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : « مَا رَأَيتَ يا ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ ؟ » . قالَ عَبْدُ اللهِ : رَأَيْتُ كَذَا وكَذا . فَقَالَ نبيُّ اللهِ ﷺ : « مَا

---

٧٢٦ - الترمذي (٥ / ١٤٥) ٤٥ - كتاب الأمثال ، ١ - باب ما جاء في مثل الله لعباده .

وروايته له مختصرة . وقال : حسن صحيح غريب .

ومسند أحمد (١ / ٣٩٩) .

مجمع الزوائد (٨ / ٢٦٠) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عمرو البكالي وذكره العجلي في ثقات التابعين وابن حبان وغيره في الصحابة .

خَفِيَ عَلَيَّ شيءٌ مِمَّا قَالُوا » . قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « هُمْ نَفَرٌ مِنَ الملائِكَةِ » . أَوْ قَالَ : « هُمْ مِنَ الملائِكَةِ » . أو كما شاءَ اللهُ .

٧٢٧ ـ * روى مسلم عن علقمة رَحِمَهُ اللهُ ، قال : قلتُ لابنِ مسعودٍ : هل صَحِبَ النبيَّ ﷺ ليلةَ الجنِّ منكم أحدٌ ؟ قال : ما صحبه منَّا أحدٌ ، ولكنَّا كُنَّا مع رسول الله ﷺ ذاتَ ليْلَةٍ ففَقَدناهُ ، فالتمسناه في الأَوديةِ والشِّعابِ ، فقُلْنا : استُطِيرَ ، أو اغْتِيلَ . فبِتْنا بشرِّ لَيْلَةٍ باتَ بها قومٌ ، فلما أصبحنا إذا هُوَ جَاءٍ مِن قِبَلِ حِراءَ . قال : فقُلْنا : يا رسولَ الله ، فَقَدْناكَ ، فطلبناك ، فلم نَجِدْكَ ، فبِتْنَا بشرِّ ليلةٍ باتَ بها قومٌ . قال : « أتاني داعِي الجِنِّ ، فذهَبْتُ معه ، فقرأتُ عليهم القرآن » . قال : فانطَلَقَ بنا ، فأرانا آثارَهم ، وآثارَ نيرانِهِم وسألُوهُ الزَّادَ ، فقال : « لكم كلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسمُ اللهِ عليه يَقَعُ في أيديكم أوفَرَ ما يكونُ لحمًا ، وكلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لدوابِّكم » . فقال رسولُ الله ﷺ : « فلا تستَنْجوا بها ، فإنها طعامُ إخوانِكم » .

وفي رواية [١] بعد قوله : « وآثار نِيرانهم » ، قال الشعبيُّ : وسألُوهُ الزَّادَ ؟ وكانُوا من جِنِّ الجزيرةِ ـ إلى آخر الحديث ،من قول الشَّعْبِي مفصَّلاً من حديث عبد الله .

ورواه الترمذي [٢] ، وذكر فيه قول الشعبي ، كما سبق في هذه الرواية الآخرة ، وزاد فيه : « أو رَوْثَةٍ » .

---

٧٢٧ ـ مسلم (١ / ٣٣٢) ٤ ـ كتاب الصلاة ، ٣٣ ـ باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن .

(١) مسلم : الموضع السابق .

(٢) الترمذي (٥ / ٣٨٢) ٤٨ ـ كتاب التفسير ، ٤٧ ـ باب ومن سورة الأحقاف . وقال : حسن صحيح .

قال النووي : قال الدارقطني : انتهى حديث ابن مسعود عند قوله : « فأرانا آثارهم ، وآثار نيرانهم » وما بعده قول الشعبي ، كذا رواه أصحاب داود الراوي عن الشعبي ، وابن علية ، وابن زريع ، وابن أبي زائدة ، وابن إدريس وغيرهم . هكذا قاله الدارقطني وغيره . ومعنى قوله : إنه من كلام الشعبي ، أنه ليس مرويًّا عن ابن مسعود بهذا الإسناد ، وإلا فالشعبي لا يقول هذا الكلام إلا بتوقيف عن النبي ﷺ .

(استطير) أي : طارت به الجن .

(اغتيل) : قتل سرًّا ، والغيلة : بكسر الغين ، هي القتل خفيةً .

قوله : (لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه) : قال بعض العلماء : هذا لمؤمنيهم ، وأما غيرهم : فجاء في حديث آخر « أن طعامهم : ما لم يذكر اسم الله عليه » .

وفي رواية لمسلم [١] أنَّ ابنَ مسعود قال : لم أكن ليلـةَ الجنّ مع رسول الله ﷺ ، وَوَدِدْتُ أنّي كنتُ معَهُ . لم يزد على هذا .

وروى أبو داود [٢] منـه طرفًا ، قـال : قلتُ لعبـد الله بن مسعودٍ : مَنْ كان منكم ليْلَةَ الجن مع النبيّ ﷺ ؟ فقال : ما كان معه منّا أحَدٌ . لم يَزِدْ على هذا .

٧٢٨ - * روى الطبراني عن الـزبير بن العـوام قـال : صلى بنـا رسـولُ الله ﷺ صـلاةَ الصبحِ في مسجـدِ المدينـة فلمـا انصرف قـال : « أيكم يَتْبَعُني إلى وَفْـدِ الجنّ الليلـةَ ؟ » فأسكت القومُ فلم يتكلم منهم أحدٌ ، قال ذلك ثلاثًـا ، فمر بي يمشي فـأخـذ بيـدي ، فجعلت أمشي معــه حتى خَنَسَتْ عنـا جبـالُ المـدينـة كلُّهـا ، وأفضينـا إلى أرض بَـرَاز فـإذا رجـالٌ طـوال كأنهم الرمـاح مُسْتـذفري ثيـابهم من بين أرْجُلهم ، فلما رأيتُهم غَشِيَتْني رِعـدةٌ شَـديـدةٌ حتى مـا تُمسِكُني رجـلاي من الفَرَقِ ، فلما دنـونـا منهم خَـطَّ لي رسـول الله ﷺ بإبهام رجله في الأرض خطًّا ، فقال لي : « اقعُـدْ في وسطـه » . فلما جلستُ ذهبَ عني كلُّ شيء كنتُ أجِـدُهُ من رِيبـة ، ومضى النبي ﷺ بيني وبينهم فتـلا قـرآنًـا رفيعًـا حتى طلعَ الفجرُ ، ثم أقبلَ حتى مر بي فقال لي : « الحَق » . فجعلت أمشي معه فمضينا غير بعيد فقال لي : « التَفِتْ فانظُرْ هل ترى حيثُ كان أولئك من أحـد ؟ » . قلت : يـارسولَ الله أرى سـوادًا كثيرًا . فخفَضَ رسـولُ الله ﷺ رأسَــه إلى الأرض فَنَظَم عظمًـا بروثــة ثم رمى بـه إليهم ، ثم قـال : « رَشَـدٌ . أولئـك مني ، وفــدُ قـوم هم وفــدُ نصيبين سـألـوني الـزادَ فجعلتُ لهم كل عَظْم وروثـة » . قـال الـزبيرُ : فلا يحل لأحـد أن يستنجي بعظم ولا روثة أبدًا .

---

(١) مسلم (١ / ٣٣٣) نفس الكتاب والباب السابقين .

(٢) أبو داود (١ / ٢٢) كتاب الطهارة ، باب الوضوء بالنبيذ .

٧٢٨ - المعجم الكبير (١ / ١٢٥) .

مجمع الزوائد (١ / ٢٠٩) . وقال : إسناده حسن ، ليس فيه غير بقية وقد صرح بالتحديث .

(خنست) خنس عنه : تأخر ، وبابه دخل ونصر .

(براز) البراز : الفضاء الواسع .

٧٢٩ ـ * روى مسلم عَن عَائِشَةَ ، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « خُلِقَتِ الْمَلائِكَةُ مِنْ نُورٍ . وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ . وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ » .

٧٣٠ ـ * روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي ، يَقُولُ : يَاوَيْلَهُ (وفي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ : يَاوَيْلِي) أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ » .

٧٣١ ـ * روى البخاري عن عائشةَ رضيَ الله عنها زَوْجِ النبيِّ ﷺ أنها سمعتْ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّ الملائكةَ تنزلُ في العَنانِ » وهو السحابُ ـ « فتذكر الأمرَ قُضِيَ في السماء ، فتَسْتَرِقُ الشياطينُ السمعَ فتسمعهُ فتوحيه إلى الكُهّانِ ، فَيكذبونَ منها مائةَ كذبةٍ من عِند أنفُسِهم » .

٧٣٢ ـ * روى البخاري : قال ابن عبّاس رضي الله عنهما : صارتِ الأوثان التي كانت في قوم نُوح في العرب بعد ، أما وَدٌّ فكانت لكلْبٍ بدُومَةِ الجنْدل . وأمَّا سُواعٌ فكانتْ لهُذَيلٍ . وأمَّا يَغوثُ فكانت لمُرادٍ ، ثم لبني غُطيف بالجرف عند سبأ . وأمَّا يَعوقُ فكانت لهَمْدانَ . وأمَّا نَسْرٌ فكانت لحِميرٍ ، لآلِ ذِي الكَلاع . أسماءُ رجالٍ صالحين من قوم نوحٍ . فلمَّا هلكوا أوْحَى الشَّيطانُ إلى قومهم أنِ انْصِبُوا إلى مَجالِسِهِم التي كانوا يَجْلِسونَ أنصابًا وسمُّوها بأسمائِهم فَفَعَلُوا ، فلم تُعْبَدْ ، حتى إذا هَلَكَ أولئكَ وتَنَسَّخ العِلْم عُبِدت.

---

٧٢٩ ـ مسلم (٤ / ٢٢٩٤) ٥٣ ـ كتاب الزهد والرقائق ، ١٠ ـ باب في أحاديث متفرقة .

وأحمد (٦ / ١٥٣) .

٧٣٠ ـ مسلم (١ / ٨٧) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٣٥ ـ باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة .

وأحمد (٢ / ٤٤٣) بلفظ مقارب .

وابن ماجه (١ / ٣٣٤) ٥ ـ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، ٧٠ ـ باب سجود القرآن .

٧٣١ ـ البخاري (٦ / ٣٠٤) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ٦ ـ باب ذكر الملائكة .

٧٣٢ ـ البخاري (٨ / ٦٦٧) ٦٥ ـ كتاب التفسير ، ١ ـ باب : (ودًا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق) .

(دُومة) : بضم الدال ، اسم موضع .

قال في لسان العرب : ويسميه أهل الحديث ذومة بالفتح وهو خطأ .

وقال ابن الأثير : وقد وردت في الحديث ، وتضم دالها وتفتح .

٧٣٣ - * روى مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ . فَأَخَذَه فصرعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ . فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْب . فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً . فَقَالَ : هَذَا حَظ الشَّيْطَانِ مِنْكَ . ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ . ثُمَّ لأَمَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ . وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ (يَعْنِي ظِئْرَهُ) فَقَالوا : إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِل . فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ . قَالَ أَنَسٌ : وَقَد كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ » .

٧٣٤ - * روى البخاري عن عبد الله بن عمرَ قال : ما سمعتُ عمرَ لشيء قطُّ يقول : إني لأظنُّهُ كذا إلا كان كما يَظنّ . بينما عمرُ جالسٌ إذ مرَّ به رَجلٌ جميلٌ فقال عمرُ : لقد أخطأ ظنّي ، أو إنَّ هذا على دِينِه في الجاهلية ، أو لقد كان كاهِنَهم ، عليَّ الرَّجُلَ . فدُعي لهُ ، فقال لهُ ذلك . فقال : ما رأيتُ كاليوم استُقبلَ بهِ رجلٌ مسلم . قال : فإني أعزِمُ عليكَ إلا ما أخبرتَني . قال : كنتُ كاهنَهم في الجاهلية . قال : فما أعجبُ ما جاءتكَ به جنّيّتُك ؟ قال : بَينما أنا يومًا في السوقِ ، جاءتني أعرفُ فيها الفَزَعَ فقالت : ألم تَرَ الجنَّ وإبْلاسَها ، وَيأْسَها من بعدِ إنكاسِها ، ولحوقَها بالقِلاصِ وأحلاسِها . قال عمر : صدق ، بينما أنا نائمٌ عندَ آلهتِهم ، إذ جاء رجلٌ بعجلٍ فذبحَهُ ، فصرَخَ به صارخٌ لم أسْمَع صارخًا قطُّ أشدَّ صوتًا منه يقول : ياجَليح ، أمرٌ نَجيح ، رجلٌ فصيح ، يقول : لا إلهَ إلا أنت . فوَثبَ القومُ . قلتُ : لا أبرَحُ حتى أعلمَ ما وراءَ هذا . ثم نادَى : ياجَليح ، أمرٌ نَجيح ، رجُل فصيح ، يقول : لا إلهَ إلا الله . فقمتُ

---

٧٣٣ - مسلم (١ / ١٤٧) ١ - كتاب الإيمان ، ٧٤ - باب الإسراء برسول الله ﷺ .
وأحمد (٣ / ١٤٩) .

٧٣٤ - البخاري (٧ / ١٧٧) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار ، ٣٥ - باب إسلام عمر بن الخطاب .
(إبلاسها) : الإبلاس : التحير والدهش .
(يأسها) : كأن الجن يأست مما كانت تدركه من بعثة النبي ﷺ .
(إنكاسها) : انقلابها عن أمرها .
(القلاص) : جمع القلوص وهي الناقة الشابة .
(أحلاسها) : الحلس : الكساء الذي يكون على ظهر البعير .
(جليح) : اسم رجل .
(نجيح) : النجيح : السريع ، أو هو الظفر بالمطلوب من النجاح .

=

فما نَشِبْنا أن قيلَ : هذا نبيٌّ .

٧٣٥ ـ * روى مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلا وَقَدْ وكِّلَ بِهِ قَرِينَةُ مِنَ الجِنّ » . قَالُوا : وَإِيَّاكَ ؟ يَارَسُولَ اللهِ ! قَالَ : « وَإِيَّايَ . إلا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلا يَأْمُرُنِي إلا بِخَيْرٍ » .

غَيْرَ أنَّ فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ « وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينَةُ مِنَ الجِنِّ ، وَقَرِينَةُ مِنَ الْمَلائِكَةِ » .

٧٣٦ ـ * روى مسلم : قال عروةُ : إنَّ عَائِشَةَ ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِها لَيْلاً . قَالَتْ : فَغِرْتُ عَلَيْهِ ، فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ . فقالَ : « مَالَكِ ؟ يا عَائِشَةُ ! أَغِرْتِ ؟ » فقلتُ : ومالي لا يَغارُ مِثْلِي عَلى مثلكَ فقَالَ ﷺ : « أَقد جَاءَكِ شَيْطَانُكِ ؟ » قَالَتْ : يَارَسُولَ اللهِ أَوَ مَعِيَ شَيْطَانٌ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » . قُلْتُ : وَمَعَ كُل إِنْسَانٍ ؟ قَالَ : « نَعَم » قُلْتُ : وَمَعَكَ ؟ يَا رَسُولَ اللهِ ! قَالَ : « نَعَمْ . وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عليه حَتّى أَسْلَمَ » .

٧٣٧ ـ * روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَلْيَسْتَنْثِرْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ . فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيَاشِيمِهِ » .

٧٣٨ ـ * روى مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ ؛ قَالَ : ذُكِرَ عِنْدَ رَسُول اللهِ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَةً حَتّى أَصْبَحَ . قَالَ : « ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ » . أَوْ قَالَ : « فِي أُذُنِهِ » .

= (نشبنا) : أي لبثنا .

٧٣٥ ـ مسلم (٤ / ٢١٦٧) ٥٠ ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، ١٦ ـ باب تحريش الشيطان .... إلخ
وأحمد (١ / ٣٨٥) .

٧٣٦ ـ مسلم (٤ / ٢١٦٨) الموضع السابق .

٧٣٧ ـ البخاري (٦ / ٣٣٩) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ١١ ـ باب صفة إبليس وجنوده .
مسلم (١ / ٢١٣) ٢ ـ كتاب الطهارة ، ٨ ـ باب الإيتار في الاستنثار والاستجمار .
والنسائي : (١ / ٦٧) ١ ـ كتاب الطهارة ، ٧٣ ـ باب الأمر بالاستنثار عند الاستيقاظ من النوم .

٧٣٨ ـ مسلم (١ / ٥٣٧) ٦ ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، ٢٨ ـ باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح .

قال النووي :

(بـال الشّيطـان في أذنيـه) اختلفـوا في معنـاه . فقـال ابن قتيبـة : معنـاه أفسـده . وقـال المهلب والطحـاويّ وآخرون : هـو استعـارة وإشـارة إلى انقيـاده للشيطـان وتحكـه فيـه ، وعقـده على قـافيـة رأسـه : عليـك ليـلٌ طـويـل . وإذلالـه لـه ، وقيـل : معنـاه استخف به واحتقره واستعلى عليه . يقـال : لمن استخف بـإنسـان وخـدعـه : بـال في أذنـه . وأصل ذلـك في دابـة تفعل ذلـك بـالأسـد ، إذلالا لـه . وقـال الحربيّ : معنـاه ظهر عليـه وسخر منـه . قـال القـاضي عيـاض : ولا يبعـد أن يكـون على ظـاهره قـال : وخص الأذن لأنها حاسة الانتباه . ا . هـ .

٧٣٩ ـ * روى البخـاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنـه عنِ النبيِّ ﷺ قـال : « التثاؤبُ منَ الشيطان ، فـإذا تَثـاءبَ أحـدُكم فلْيَرُدَّهُ مـا استطـاع ، فـإنَّ أحـدَكم إذا قال : ها ضحِكَ الشيطان » .

٧٤٠ ـ * روى مسلم عن سُهَيْلِ بْنِ أَبي صَالِحٍ ، قَـالَ : سَمِعتُ ابْنًا لأَبي سَعِيدِ الخُدْري يُحَدِّثُ أَبي عَنْ أبيه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِذَا تَثَاوَبَ أَحَدُكُمْ ، فَلْيُمْسِكْ بِيَـدِهِ عَلَىٰ فِيهِ . فإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ » .

٧٤١ ـ * روى مسلم عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « لاَ تَجْعَلُوا بُيُـوتَكُم مَقَابِرَ . إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ » .

٧٤٢ ـ * روى البخـاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه قـال : قَـالَ النبيُّ ﷺ :

---

٧٣٩ ـ البخاري (٦ / ٣٣٨) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ١١ ـ باب صفة إبليس وجنوده .

مسلم (٤ / ٢٢٩٣) ٥٣ ـ كتاب الزهد والرقائق ، ٩ ـ باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب .

٧٤٠ ـ مسلم : الموضع السابق .

٧٤١ ـ مسلم (١ / ٥٣٩) ٦ ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، ٢٩ ـ باب استحباب صلاة النافلة ....

والترمذي (٥ / ١٥٧) ٤٦ ـ كتاب فضائل القرآن ، ٢ ـ باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي .

وقال : حديث حسن صحيح .

وأحمد (٢ / ٢٨٤) .

٧٤٢ ـ البخاري (٢ / ٨٤) ١٠ ـ كتاب الآذان ، ٤ ـ باب فضل التأذين .

« إذا نُودِيَ بالصلاة أدْبَر الشيطـانُ ولـه ضُراط ، فَـإذا قُضِيَ أقبلَ ، فـإذا ثُوِّبَ بهـا أدْبر ، فإذا قُضِيَ أقبل حتَّى يَخْطِر بين الإنسانِ وقلبهِ فيقولُ : اذكُرْ كذا وكـذا . حتى لا يَـدري أثلاثًـا صلَّى أم أرْبعًـا ، فـإذا لم يَـدرِ ثلاثًـا صلَّى أو أربعًـا سَجَـدَ سَجدتَي السَّهْوِ » .

٧٤٣ ـ * روى البخارى عن عبدِ اللهِ بنِ عبد الرحْمن بن أبي صَعْصَعَةَ الأنصاريِّ عن أبيهِ أنـهُ أخبرَهُ أنَّ أبـا سعيـدٍ الخُـدْريَّ رضي اللهُ عنــه قـال لـه : « إنِّي أراكَ تُحِبُّ الغَنَمَ والبادية ، فإذا كنتَ في غَنَمِكَ وباديتكَ فأذَّنت بالصلاةِ فارفعْ صَوتَكَ بـالنـداء ، فـإنـه لاَ يَسمعُ مَـدَى صَوتِ المؤذِّن جنٌ ولا إنسٌ ولا شيءٌ إلا شَهِـدَ لـه يـومَ القيامة » . قال أبو سعيد : سمعتُه من رسولِ اللهِ ﷺ .

٧٤٤ ـ * روى أبو داود عن أنس رضي الله عنـه قـال : قـال رسول الله ﷺ : « رُصُّـوا صفوفكم وقارِبُوا بينها وحاذُوا بالأعناقِ ، فوَالذي نفسي بيـده إنِّي لأرَى الشيَّـاطينَ تدخُلُ مِنْ خَلَلِ الصُّفُوفِ كأنَّها الحذَفُ » .

٧٤٥ ـ * روى البخـاري عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنــه عن النبيِّ ﷺ أنـهُ صلَّى صـلاةً فقال : « إن الشيطانَ عَرَضَ لي فشدَّ عليَّ يَقْطَعُ الصلاةَ عليَّ ، فأمْكَنَني اللهُ منه » .

٧٤٦ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ : « إنَّ عِفريتًا منَ الجنِّ تَفَلَّتَ البارحـةَ ليَقطَعَ عليَّ صلاتي ، فـأمْكَنَني اللهُ منـه ، فـأخَـذْتُـهُ ، فـأردتُ أن

= مسلم (١ / ٢٩١) ٤ ـ كتاب الصلاة ، ٨ ـ باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه .
ومالك (١ / ٦٩) ٣ ـ كتاب الصلاة ، ١ ـ باب ما جاء في النداء للصلاة .

٧٤٣ ـ البخاري (٢ / ٨٧) ١٠ ـ كتاب الأذان ، ٥ ـ باب رفع الصوت بالنداء .

٧٤٤ ـ أبو داود (١ / ١٧٩) كتاب الصلاة ، باب تسوية الصفوف .
والنَّسائي (٢ / ٩٢) ١٠ ـ كتاب الإمامة ، ٢٨ ـ باب حث الإمام على رصّ الصفوف والمقاربة بينها .
وأحمد (٣ / ٢٨٣) .
وابن حبان (٣ / ٢٩٨) كتاب الصلاة ـ باب فرض متابعة الإمام . وهو حديث صحيح .
(الحَذَف) : بفتحتين ، غنم سود صغار من غنم الحجاز .

٧٤٥ ـ البخاري (٣ / ٨٠) ٢١ ـ كتاب العمل في الصلاة ، ١٠ ـ ما يجوز من العمل في الصلاة .

٧٤٦ ـ البخاري (١ / ٥٥٤) ٨ ـ كتاب الصلاة ، ٧٥ ـ باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد .

أربطَـهُ على سـاريـةٍ من سَواري المسجـدِ حتىٰ تَنظروا إليـهِ كلُّكم ، فـذكرتُ دَعوةَ أخي سليمـانَ : ﴿ ربِّ اغْفِرْ لي وهَبْ لي مُلْكًـا لا ينبغي لأحـدٍ مِن بعـدي ﴾ فردَدْتُـهُ خاسِئًا » .

٧٤٧ ـ * روى البزار عن جابرِ بنِ سَمُرَةَ أن النبيَّ ﷺ قال : « إن الشيطانَ عَرَضَ لي فجعل يُلْقي عَلَيَّ شَرَرَ النارِ فلولا دعوةُ أخي سليمانَ لأخذتُه » .

(دعوة سليمان) : قوله تعالى على لسانه : ﴿ قال ربِّ اغفر لي وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب ﴾ [1] .

٧٤٨ ـ * روى الطبراني عن جابر عن النبي ﷺ قال : « دخلتُ البيتَ فإذا شيطـانٌ خلفَ البابِ فَخَنَقْتُهُ حتى وجدت بَرْدَ لِسانِه على يـدي ، فلولا دعوةُ العبدِ الصـالحِ لأصبحَ مربوطًا يراه الناسُ » .

٧٤٩ ـ * روى أحمد عن عياض قال : قلت لأبي سعيد الخدري : أحدنا يصلي فلا يدري كم صلى . فقال : قـال رسول الله ﷺ : « إذا صلى أحـدكم فلا يـدري كم صلى فليسجـد سجدتين وهو جالس ، وإذا جاء أحدَكم الشيطان فقال : إنك قد أحدثت فَلْيَقُل : كذبت . إلا ما وجدَ ريحَه بأنفِه أو سمع صوتَهُ بأُذُنِه » .

= مسلم (١ / ٣٨٤) ٥ ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، ٨ ـ باب جواز لعن الشيطان .
وأحمد (٢ / ٢٩٨) .
(عفريتٌ) : مُتَمَرِّدٌ من إنس أو جانّ .

٧٤٧ ـ كشف الأستار : (٣ / ١٣١) .
مجمع الزوائد (٨ / ٢٢٩) . وقال : ورجاله رجال الصحيح .

(١) ص : ٣٥ .

٧٤٨ ـ مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٩) .

٧٤٩ ـ أحمد (٣ / ٥١ ، ٥٣) .
وأبو داود (١ / ٢٧٠) كتاب الصلاة ، ـ باب من قال يتم على أكبر ظنه .
والترمذي (٢ / ٢٤٣) أبواب الصلاة ، ٢٩١ ـ باب ما جاء في الرجل يصلي فيشك ... إلخ .
وقال : حديث حسن .

٧٥٠ - * روى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال : قال النبيُّ ﷺ : « إذا مرَّ بينَ أحدِكم شيء وهو يُصلي فَلْيمنعْهُ ، فإنْ أبى فَلْيَمْنَعْهُ فإن أبيْ فَلْيُقاتِلْهُ ، فإنما هوَ شيطانٌ » .

٧٥١ - * روى البخاري عن عائشة رضيَ الله عنها : سألتُ النبيَّ ﷺ عنِ التفاتِ الرجلِ في الصلاةِ فقال : « هو اختِلاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشيطانُ من صلاة أحدكم » .

٧٥٢ - * روى البخاري ومسلم عَنْ أبي هُريرةَ ، يَبْلغُ بِهِ النَّبيَّ ﷺ : « يَعْقِدُ الشيطانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأسِ أحَدِكُمْ ثَلاثَ عُقَدٍ إذا نَامَ . بِكُلِّ عُقْدَةٍ يَضْرِبُ عَلَيْكَ لَيْلاً طويلاً . فَإذَا اسْتَيْقَظَ ، فَذَكَرَ اللهَ . انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، وَإذَا تَوَضَّأ ، انْحَلَّتْ عَنْهُ عُقْدَتَانِ . فَإذَا صلَّى انْحَلَّتِ الْعُقَدُ . فَأصْبَحَ نشيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ . وإلا أصْبَحَ خَبيثَ النَّفْسِ كَسْلانَ » .

٧٥٣ - * روى مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ ، قَالَ : لا يَجْعَلَنَّ أَحَدُكُمْ للشَّيْطَانِ مِنْ نَفْسِهِ جزءًا ،

---

٧٥٠ - البخاري (٦ / ٣٣٥) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١١ - باب صفة إبليس وجنوده .

٧٥١ - البخاري (٢ / ٢٣٤) ١٠ - كتاب الأذان ، ٩٣ - باب الالتفات في الصلاة .

وأبو داود (١ / ٢٣٩) كتاب الصلاة ، باب الالتفات في الصلاة .

والنسائي (٣ / ٨) ١٣ - كتاب السهو ، ١٠ - باب التشديد في الالتفات في الصلاة .

وأحمد (٦ / ١٠٦) .

٧٥٢ - البخاري (٣ / ٢٤) ١٩ - كتاب التهجد ، ١٢ - باب عقد الشيطان على قافية الرأس ...

مسلم (١ / ٥٣٨) ٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، ٢٨ - باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح .

وأحمد (٢ / ٢٤٣) .

قال النووي :

(قافية رأس أحدكم) : القافية آخر الرأس . وقافية كل شيء آخره . ومنه قافية الشعر .

(عليك ليلا طويلا) : هكذا هو في معظم نسخ بلادنا ، بصحيح مسلم . وكذا نقله القاضي عن رواية الأكثرين : عليك ليلا طويلاً ، بالنصب على الإغراء . ورواه بعضهم : عليك ليل طويل ، بالرفع . أي بقي عليك ليل طويل . واختلف العلماء في هذه العقد . فقيل : هو عقد حقيقي بمعنى عقد السحر للإنسان ومنعه من القيام . قال الله تعالى : ﴿ ومن شر النفاثات في العقد ﴾ . فعلى هذا هو قول يقوله يؤثر في تثبيط النائم كتأثير السحر . وقيل : يحتمل أن يكون فعلا يفعله كفعل النفاثات في العقد . وقيل : هو من عقد القلب وتصميه . فكأنه يوسوس في نفسه ويحدثه بأن عليك ليلا طويلاً ، فتأخر عن القيام . وقيل : هو مجاز كنى به عن تثبيط الشيطان عن قيام الليل .

٧٥٣ - مسلم (١ / ٤٩٢) ٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، ٧ - باب جواز الانصراف من الصلاة ....

لا يرىٰ إلا أنَّ حقًّا عَلَيْـهِ أنْ لا يَنْصَرفَ إلا عَنْ يَمِينِـه . أكْثَرُ مَـا رَأيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَنْصَرِفُ عَنْ شِمَالِهِ .

٧٥٤ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي اللهُ عنهُ قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إذا دخَـل شهرُ رَمضـانَ فُتِحَتْ أبـوابُ السماء ، وغُلِّقتْ أبـوابُ جهنَّم ، وسُلسِلَتِ الشَّياطينُ » .

٧٥٥ ـ * روى الترمذي عَنْ أبي هُرَيْرَةَ قـال : قـالَ رَسول الله ﷺ : « إذَا كانَ أوَّلُ لَيْلَة مِنْ شهْرِ رَمَضَـانَ صُفِّدَتِ الشيـاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ ، وَغُلِّقَتْ أبْواب النَّـارِ فَلَمْ يُفتَحْ مِنْها بَابٌ ، وَفُتِّحت أبْوَابُ الجَنَّـةِ فَلَم يُغْلَقْ مِنْهـا بَـابٌ ، وَيُنَـادِي مُنـادٍ : يَـابـاغِيَ الْخَيْرِ أقبل ، ويـا باغيَ الشَّرِّ أقْصِرْ ، وَللهِ عُتَقَـاءُ مِن النَّـار . وَذَلِـكَ كُلَّ لَيْلةٍ » .

٧٥٦ ـ * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه قال : وَكَّلَني رسولُ اللهِ ﷺ بحفظِ زكاة رمضَانَ ؛ فأتاني آتٍ فجعلَ يَحثُو مِنَ الطعامِ ، فأخذتُهُ فقلتُ : لأرفعنَّك إلى رسولِ الله ﷺ ـ فذكَرَ الحديثَ ـ فقال : إذا أوَيت إلى فِراشِكَ فاقرأْ آيةَ الكرسيِّ ، لن يَزال عليْك مِنَ الله حافظ ، ولا يَقْرَبُكَ شيطان حتى تُصْبح . فقال النبيُّ ﷺ : « صَدَقَكَ وهو كَذوب ، ذاك شيطان » .

٧٥٧ ـ * روى البخاري عن ابن عباس رضيَ اللهُ عنهما قال : كان النبيُّ ﷺ يُعوِّذُ الحسنَ

قوله : (ينصرف عن شماله) أي : من الصلاة .

٧٥٤ ـ البخاري (٤ / ١١٢) ٣٠ ـ كتاب الصوم ، ٥ ـ باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان ...
مسلم (٢ / ٧٥٨) ١٣ ـ كتاب الصيام ، ١ ـ باب فضل شهر رمضان .
وأحمد (٢ / ٢٨١) .

٧٥٥ ـ الترمذي (٣ / ٦٦) ٦ ـ كتاب الصوم ، ١ ـ باب ما جاء في فضل شهر رمضان .
وابن ماجه (١ / ٥٢٦) ٧ ـ كتاب الصيام ، ٢ ـ باب ما جاء في فضل شهر رمضان .
وابن حبان (٥ / ١٨٣) كتاب الصوم ـ باب فضل رمضان .
والمستدرك (١ / ٤٢١) وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين . وهو حديث حسن .

٧٥٦ ـ البخاري (٦ / ٣٣٥) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ١١ ـ باب صفة إبليس وجنوده .

٧٥٧ ـ البخاري (٦ / ٤٠٨) ٦٠ ـ كتاب الأنبياء ، ١٠ ـ باب حدثنا موسى ... .

والحسينَ ويقول : « إن أباكما كان يُعوِّذ بها إسماعيل وإسحاق : أعوذُ بكلماتِ اللهِ التامَّة ، من كلِّ شيطانٍ وهامَّة ، ومن كل عينٍ لامَّة » .

٧٥٨ ـ * روى البخاري ومسلم عن ابن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما عن النبيِّ ﷺ قال : « أما إنَّ أحدَكم إذا أتى أهْلَهُ وقال : بسمِ الله ، اللّهمَّ جَنِّبْنا الشيطانَ وجنِّبِ الشيطانَ مارزَقتنا ، فُرزِقا ولدًا ، لم يَضُرَّهُ الشيطانُ » .

٧٥٩ ـ * روى البخاري ؛ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه قال : قال رَسولُ اللهِ ﷺ : « يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقول : من خَلَقَ كذا ؟ مَن خَلَقَ كذا ؟ حتى يقول : مَن خَلَقَ ربَّكَ ؟ فإذا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ باللهِ ولْيَنْتَهِ » .

٧٦٠ ـ * روى مالك في الموطأ عن خَالدِ بنِ الْوليدِ ؛ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ : إنِّي أُرَوَّعُ في مَنَامي . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « قُلْ : أَعوذُ بكلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ . مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبادِهِ . ومِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِين . وَأَنْ يَحْضُرُون » .

٧٦١ ـ * روى مالك عن يَحْيَى بْنِ سَعِيد ؛ أَنَّهُ قَالَ : أُسْرِيَ برسُول اللهِ ﷺ فَرَأَى عِفْرِيتًا مِنَ الجِنِّ ، يَطْلُبُهُ بِشُعْلَةٍ مِنْ نَارٍ ، كُلَّمَا الْتَفَتَ رَسُول اللهِ ﷺ رَآهُ . فقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ : أَفَلا أُعلِّمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولُهنَّ . إذا قُلْتَهُنَّ طَفِئَتْ شُعْلَتُهُ ، وَخَرَّ لِفِيهِ ؟ فَقَالَ رَسول اللهِ ﷺ : « بَلَى » . فَقَالَ جِبْرِيلُ : فَقُلْ : أَعُوذُ بِوَجْهِ اللهِ الْكَرِيمِ ، وَبِكَلِمَاتِ اللهِ

---

٧٥٨ ـ البخاري (٦ / ٣٣٥) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ١١ ـ باب صفة إبليس وجنوده .
مسلم (٢ / ١٠٥٨) ١٦ ـ كتاب النكاح ، ١٨ ـ باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع .
وأحمد (١ / ٢١٧) .

٧٥٩ ـ البخاري (٦ / ٣٣٦) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ١١ ـ باب صفة إبليس وجنوده .

٧٦٠ ـ الموطأ (٢ / ٩٥٠) ٥١ ـ كتاب الشعر ، ٤ ـ باب ما يؤمر به من التعوذ . وهو مرسل إلا أنه حسن بشواهده .
(أرَوَّع) : أي يحصل لي روع ، أي فزع .
(التامة) : أي الفاضلة التي لا يدخلها نقص .
(همزات الشياطين) : نزغاتهم بما يوسوسون به .
(وأن يحضرون) : أي أن يصيبوني بسوء ويكونوا معي في مكان ؛ لأنهم إنما يحضرون بالسوء .

٧٦١ ـ الموطأ (٢ / ٩٥٠) ٥١ ـ كتاب الشعر ، ٤ ـ باب ما يؤمر به من التعوذ . مرسلاً .
وأحمد (٣ / ٤١٩) بمعناه . موصولاً بسند حسن .

التَّامَّاتِ اللاَّتي لا يُجاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلاَ فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَشَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا ، وَشَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الأَرْضِ وَشَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَمِنْ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ ، وَمِنْ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ ، إلا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ .

٧٦٢ - * روى البخاري عن عبدِ اللهِ بن أبي قَتَادةَ عن أبيهِ قال : قال النبيُّ ﷺ : « الرؤيا الصالحة منَ الله ، والحُلمُ منَ الشيطان ، فإذا حَلِمَ أحدُكم حُلمًا يَخافُهُ فَلْيَبصُق عن يَسارِهِ ولْيتعوَّذْ باللهِ من شرِّها ، فإنها لاتَضُرُّه » .

٧٦٣ - * روى مسلم عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؛ أَنَّهُ قَالَ : « الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللهِ . وَالرُّؤْيَا السَّوْءِ مِنَ الشَّيْطَانِ . فَمَنْ رَأَىٰ رُؤْيَا فكَرِهَ مِنْها شَيْئًا فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ، لاَتَضُرُّهُ . وَلا يُخْبِرْ بِهَا أَحدًا . فَإن رَأَىٰ رُؤْيَاً حَسَنَةً فَلْيُبشِرْ . وَلا يُخْبِرْ إِلا مَنْ يُحِبُّ » .

٧٦٤ - * روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيرةَ ، عن النَّبي ﷺ ، قَالَ « إذا اقْتربَ الزَّمانُ لَمْ تَكَدْ رُؤيَا الْمُسْلمِ تكْذِبُ . وَأَصْدَقكُم رؤيا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا . وَرُؤيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ . وَالرُّؤْيَا ثَلاثَةٌ : [فالرؤيا] الصَّالحة بُشْرَى مِنَ اللهِ . ورؤيا تحزينٌ من الشيطانِ . وَرُؤيَا ممَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ . فَإِنْ رَأَىٰ أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ ، فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ ، وَلاَ يُحدِّث بِهَا النَّاسَ » .

٧٦٥ - * روى مسلم عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ : إِنْ كُنتُ لأَرَى الرُّؤيَا تُمْرِضُنِي . قال : فَلَقِيتُ أَبَا قَتَادَةَ ، فَقَالَ : وأَنَا كُنْتُ لأَرَى الرُّؤيَا فَتُمْرِضُنِي حَتَّىٰ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « الرُّؤيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللهِ . فَإِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ فَلا يُحَدِّثْ بِهَا إِلا مَنْ يُحِبُّ . وَإِنْ رَأَىٰ مَا يَكْرَهُ فَلْيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاثًا ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وشَرِّهَا . وَلا يُحدِّثْ بِهَا أَحَدًا ، فَإِنَّها لَنْ تَضُرَّهُ » .

---

٧٦٢ - البخاري (١٢ / ٣٩٣) ٩١ - كتاب التعبير ، ١٤ - باب الحلم من الشيطان .... .

٧٦٣ - مسلم (٤ / ١٧٧٢) ٤٢ - كتاب الرؤيا ، ٣ - وحدثني أبو الطاهر ... .

٧٦٤ - مسلم (٤ / ١٧٧٣) ٤٢ - كتاب الرؤيا ، ٦ - وحدثني محمد ... .

٧٦٥ - مسلم (٤ / ١٧٧٢) ٤٢ - كتاب الرؤيا ، ٤ - حدثنا أبو بكر ... .

٧٦٦ ـ * روى البخاري في تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناسُ إن وَعْدَ اللهِ حقٌّ فلا تَغرّنّكمُ الحياة الدّنيا ولا يَغرّنّكم باللهِ الغَرور * إن الشيطانَ لكم عدوٌّ فاتخِذوهُ عدوًّا إنما يَدعو حِزْبَهُ ليكونوا مِن أصحاب السّعير ﴾[فاطر : ٥ ، ٦] . جَمعُهُ : سُعُر . قال مجاهد : الغَرورُ الشيطان .

٧٦٧ ـ * روى مسلم عَنْ أَبي هُرَيْرةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « الْمُؤمنُ الْقَويُّ خَيْرٌ وَأَحبُّ إلى اللهِ مِن المؤمنِ الضّعيفِ . وَفي كُلٍّ خَيْرٌ . احْرِصْ عَلَى مَا ينفعُكَ وَاسْتعنْ باللهِ . وَلاتَعْجِزْ . وَإنْ أَصَابَكَ شيءٌ فَلا تَقُلْ : لَوْ أَني فَعلتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَرُ اللهِ ، وَمَا شَاء فَعَلَ . فَإنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطانِ » .

٧٦٨ ـ * روى البخاري ومسلم عن صفيةَ بنتِ حُيَيٍّ ، قالت : « كان رسولُ اللهِ ﷺ مُعتكفًا ، فأتيتُهُ أزورُه ليلاً فحدَّثتُهُ ثُمَّ قمتُ فانقلبْتُ ، فقامَ معي ليَقْلِبَني ـ وكان سكنُها في دار أُسامَةَ بنِ زيدٍ ـ فمرَّ رجُلانِ منَ الأنصار ، فلما رأيا النبيَّ ﷺ أسرعا فقال النبيُّ ﷺ : « عَلَى رِسْلِكُما ، إنها صفيةُ بنتُ حُيَيٍّ » . فقالا : سبحانَ اللهِ يارسول اللهِ . قال : « إن الشيطانَ يجري منَ الإنسانِ مَجرَى الدمِ ، وإني خَشيتُ أن يَقذِفَ في

---

٧٦٦ ـ البخاري (١١ / ٢٤٩) ٨١ ـ كتاب الرقاق ، ٨ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إن وعد الله حق ﴾ .

٧٦٧ ـ مسلم (٤ / ٢٠٥٢) ٤٦ ـ كتاب القدر ، ٨ ـ باب الأمر بالقوة وترك العجز ...

وأحمد (٢ / ٣٦٦) .

قال النووي :

(المؤمن القوي خير) : المرادُ بالقوة ، هنا ، عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة . فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداما على العدوّ في الجهاد وأسرع خروجًا إليه وذهابًا في طلبه . وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . والصبر على الأذى في كل ذلك . واحتمال المشاق في ذات الله تعالى ، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات ، وأنشط طلبا لها ومحافظة عليها ، ونحو ذلك .

(وفي كل خير) : معناه في كل من القوي والضعيف خير ، لاشتراكهما في الإيمان ، مع ما يأتي به الضعيف من العبادات .

(احرص على ما ينفعك) : معناه احرص على طاعة الله تعالى والرغبة فيما عنده ، واطلب الإعانة من الله تعالى على ذلك ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن الإعانة . ا . هـ النووي .

قوله (قدرُ الله) : يحفظها بعضهم بتشديد الدال : قدَّر الله .

٧٦٨ ـ البخاري (١٣ / ١٥٨) ٩٣ ـ كتاب الأحكام ، ٢١ ـ الشهادة تكون عند الحاكم ...

مسلم (٤ / ١٧١٢) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ٩ ـ باب بيان أنه يستحب لمن رُئِيَ خاليا ... .

قلوبكما سوءًا » ـ أو قال ـ : « شيئًا » .

٧٦٩ ـ * روى مسلم عَنْ جَابِرٍ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى امْرَأَةً . فَأَتَى امْرَأَتَهُ زَيْنَبَ ، وَهِيَ تَمْعَسُ مَنِيئَةً لَهَا . فَقَضَىٰ حَاجَتَهُ ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : « إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ ، فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ . فَإِنَّ ذٰلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ » .

٧٧٠ ـ * روى البخاري عن عبدِ اللهِ بن عمرَ رضي اللهُ عنهما قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ يُشيرُ إلى المشرقِ فقال : « ها إنَّ الفتنة هاهنا ، إنَّ الفتنة هاهُنا ، مِن حيثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشيطان » .

٧٧١ ـ * روى البخاري عن ابنِ عمر رضي الله عنهما قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إذا طَلَعَ حاجبُ الشمس فدَعوا الصلاةَ حتَّى تبرُزَ ، وإذا غابَ حاجبُ الشمسِ فدَعوا الصلاةَ حتَّى تَغيب ولا تَحَيَّنوا بصلاتِكمُ طلوعَ الشمسِ ولا غُروبَها ، فإنها تطلُعُ بينَ قَرنَيْ شيطان » . أو « الشيطان » . لا أدري أيَّ ذٰلكَ قال هشام [أحد الرواة] .

٧٧٢ ـ * روى البخاري عن عُقبةَ بنِ عمرو أبي مَسعود قال : أشارَ رسولُ اللهِ ﷺ بيده نحوَ اليمن فقال : « الإيمانُ يَمانٍ هاهُنا ، ألا إنَّ القَسْوَة وغِلَظَ القلوبِ في الفَدّادينَ عندَ أصولِ أذنابِ الإبلِ حيثُ يَطلُعُ قَرنا الشيطان في ربيعةَ ومُضَر » .

٧٧٣ ـ * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال : أُتِيَ النبيُّ ﷺ برجل قد شربَ ، قال : « اضْرِبُوه » . قال أبو هريرة رضي الله عنه : فمنّا الضاربُ بيدهِ والضاربُ

---

٧٦٩ ـ مسلم (٢ / ١٠٢١) ١٦ ـ كتاب النكاح ؛ ٢ ـ باب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه .... .
(تمعس منيئة) : تَدْبَغ إهابًا ، والإهاب : الجلد . وأصل المَعْس : المَعْكُ والدَّلْكُ .
وأحمد (٣ / ٣٣٠) .
٧٧٠ ـ البخاري (٩ / ٤٣٦) ٦٨ ـ كتاب الطلاق ، ٢٤ ـ باب الإشارة في الطلاق والأمور .
٧٧١ ـ البخاري (٦ / ٣٣٥) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ١١ ـ باب صفة إبليس وجنوده .
٧٧٢ ـ البخاري (٦ / ٣٥٠) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ١٥ ـ باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شَعَفَ الجبال .
(الفدّادين) : أهل الوبر .
٧٧٣ ـ البخاري (١٢ / ٦٦) ٨٦ ـ كتاب الحدود ، ٤ ـ باب الضرب بالجريد والنعال .

بنعلِهِ والضاربُ بثوبه . فلما انصرفَ قال : بعض القوم : أخزاك الله . قال : « لا تقولوا هكذا ، لا تعينوا عليه الشيطانَ » .

٧٧٤ ـ * روى البخاري عن سعدِ بن أبي وقاصٍ قال : « استأذنَ عمرُ على رسول الله ﷺ وعندَهُ نساءٌ من قريشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيستكثرنَهُ عاليةً أصواتُهنَّ ، فلما استأذنَ عمرُ قُمنَ يبتَدِرْنَ الحجابَ ، فأذنَ له رسولُ الله ﷺ ، ورسولُ الله ﷺ يَضْحَكُ ، فقال عمرُ : أضحَكَ اللهُ سِنَّكَ يا رسولَ الله . قال : « عَجِبتُ مِنْ هؤلاء اللائي كُنَّ عندي ، فلما سمعنَ صَوتَكَ ابتدَرنَ الحجابَ » . قال عمرُ : فأنتَ يا رسولَ اللهِ كنتَ أحقَّ أن يَهَبْنَ . ثم قال : أي عدواتِ أنفسهن ، أتَهَبْنَني ولا تَهَبْنَ رسولَ الله ﷺ ؟ قلنَ : نعم ، أنتَ أفظُّ وأغلظ من رسولِ الله ﷺ . قال رسولُ الله ﷺ : « والذي نفسي بيدهِ ، ما لَقِيَكَ الشيطانُ قطُّ سالكًا فجًّا إلا سَلكَ فجًّا غيرَ فجك » .

٧٧٥ ـ * روى البخاري عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت : لما كان يومُ أحدٍ هُزِمَ المشركون ، فصاح إبليسُ : أي عبادَ اللهِ ، أُخراكم ، فرَجعَت أولاهم فاجتلَدت هي وأُخراهم ، فنظرَ حُذَيفةُ فإذا هو بأبيهِ اليمانِ ، فقال : أي عبادَ اللهِ ، أبي أبي . فوالله ما احتَجَزوا حتى قَتَلوه ، فقال حُذيفة : غَفَرَ اللهُ لكم . قال عُروةُ : فمازالت في حذيفة منه بقيةُ خيرٍ حتى لَحِقَ بالله » .

٧٧٦ ـ * روى أحمد عن عبد الله بن مسعود قال : خط لنا رسول الله ﷺ خطًّا ثم قال : « هذا سبيل الله » . ثم خط خطوطًا عن يَمينه وعن شماله ثم قال : « هذه سُبُلٌ » قالَ يزيد : « متفرقة على كل سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليه » . ثم قرأ :﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتَّبعوه ولا تتبعوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بكم عن سبيله ﴾ .

---

٧٧٤ ـ البخاري (٦ / ٣٣٩) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ١١ ـ باب صفة إبليس وجنوده .

٧٧٥ ـ البخاري (٦ / ٣٣٨) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ١١ ـ باب صفة إبليس وجنوده .

٧٧٦ ـ أحمد (١ / ٤٦٥) .

والمستدرك (٢ / ٣١٨) . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٢) . وقال : رواه أحمد والبزار ، وفيه عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف .

٧٧٧ - * روى النسائي عن محمد بن حمزة أنه سمع أباه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « على ظهر كل بعير شيطانٌ فإذا ركبتموها فسموا الله عز وجل ثم لا تقصروا عن حاجاتكم » .

٧٧٨ - * روى أبو داود عن قَطن بن قَبيصة عن أبيه قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : « العيافَةُ والطِّيَرَةُ والطَّرْقُ من الجِبْت » .

٧٧٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرَة عَنْ رَسُولِ الله ﷺ ، فَذكَرَ أحاديثَ مِنْهَا : وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « لايُشِيرُ أَحَدُكُمْ إلىٰ أخيه بالسِّلاح . فإنَّهُ لايدْري أَحَدُكُمْ لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ » .

٧٨٠ - * روى أحمد عن عياض بن حِمَار ، قال : قلتُ : يا رسول الله رجل من قومي يَشْتُمني وهو دوني ، عليَّ بأس أن أنتصر منه ؟ قال : « المُسْتَبَّانِ شيطَانان يتهاذيان ويتكاذَبان » .

٧٨١ - * روى البخاري ومسلم عن هشام بن عامر أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يحل لمسلم أن يهجر مُسلما فوق ثلاثِ ليالٍ ، فإنهما ناكبان عن الحق ما داما

---

٧٧٧ - النسائي في اليوم والليلة . وهو صحيح .

وأحمد (٣ / ٤٩٤) .

٧٧٨ - أبو داود (٤ / ١٦) كتاب الطب ، باب في الخط وزجر الطير . وهو حديث حسن .

وأحمد (٣ / ٤٧٧) .

قال عوف : العيافة زجر الطير ، والطرق : الخط يخط في الأرض ، والجبت : قال الحسن : إنه الشيطان .

(العيافة) : زجرُ الطير والتفاؤل بها ، كما كانت العرب تفعله ، عافَ الطيرَ يَعيفُه : إذا زَجَرَه .

(الطَّرقُ) : الضرب بالعصا ، وقيل : هو الخطُّ في الرمل ، كما يفعله المنجم لاستخراج الضمير ونحوه ، وقد جاء في كتاب أبي داود : « أن الطَّرق : الزَّجر ، والعيافة : الخط » .

(الجبْتُ) : كل ما عُبِدَ من دون الله ، وقيل : هو الكاهن والشيطان .

٧٧٩ - البخاري (١٣ / ٢٣) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٧ - باب قول النبي ﷺ : « من حمل ... » .

مسلم (٤ / ٢٠٢٠) ٤٥ - كتاب البر والصلة والآداب ، ٣٥ - باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم ...

وأحمد (٢ / ٣١٧) .

٧٨٠ - أحمد (٤ / ١٦٢) .

٧٨١ - البخاري (١٠ / ٤٩٢) ٧٨ - كتاب الأدب ، ٦٢ - باب الهجرة وقول رسول الله ﷺ : « لا يحل لرجل .... » .

مسلم (٤ / ١٩٨٤) ٤٥ - كتاب البر والصلة والآداب ، ٨ - باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي .

=

على صِرامِها ، وأولها فيئًا يكون سبقُه بالفيء كفارةً له ، وإنْ سلَّم فلم يقبل وردّ عليه سلامه ردَّتْ عليه الملائكةُ ، وَرَدَّ عَلَى الآخرِ الشيطانُ ، وإن ماتا على صِرامِها لم يدخلا الجنةَ جميعًا أبدًا » .

٧٨٢ ـ * روى البخاري عن سليمان بنَ صُرَدٍ قال : « كنتُ جالسًا معَ النبيِّ ﷺ ورجُلان يَسْتَبّانِ ، فأحدُهما احمرّ وَجهُهُ وانتفخت أوداجُه ، فقال النبيُّ ﷺ : « إني لأعلم كلمةً لو قالها ذَهب عنه ما يجدُ ، لو قال : أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطان ذَهب عنه ما يجدُ » . فقالوا له : إنَّ النبيَّ ﷺ قال : « تَعَوَّذْ باللهِ مِنَ الشيطان » . فقال : وهل بي جُنُون » ؟

أقول : إن الغضب يجر الإنسان من وضع سيئ إلى وضع أسوأ ، فهذا إنسان أحدث فيه الغضب ما أحدث ، ثم استجره الغضب لأن يرد كلام رسول الله ﷺ جهلاً منه ، لأنه ربط بين الاستعاذة والجنون ، والأمر ليس كذلك ، فالاستعاذة من الشيطان مطلوبة في أحوال منها : حالات الغضب ؛ لأن للشيطان دوره في الغضب من ناحية ، ولأنه بالغضب يستجر الشيطانُ الإنسانَ إلى مواقف لا تحمد عقباها دينًا ودُنْيا .

٧٨٣ ـ * روى مسلم عَنْ عُبَيْد بْن عُمير ، قَالَ : قَالتْ أُمُّ سَلَمَةَ : لَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ : غَرِيبٌ وَفِي أَرضِ غُرْبةٍ ، لأَبكِيَنَّهُ بُكَاءً يُتَحدَّثُ عَنْهُ ، فَكُنْتُ قَدْ تَهَيَّأْتُ لِلْبُكاء عَلَيْه إذْ أَقْبَلت امْرأَةٌ مِنَ الصَّعيد تُرِيدُ أَنْ تُسْعِدَنِي فَاسْتَقْبَلها رَسُولَ الله ﷺ وَقَالَ : « أَتريدينَ أَنْ تُدْخِلِي الشَّيطَانَ بيتًا أَخرَجَهُ اللهُ منه » مرتين ، فَكَفَفْتُ عَنِ الْبكَاء فَلَمْ أَبْكِ .

٧٨٤ ـ * روى مسلم عن جَابر ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ

وأحمد (٤ / ٢٠) .

٧٨٢ ـ البخاري (١٠ / ٤٦٥) ٧٨ ـ كتاب الأدب . ٤٤ ـ باب ما ينهى عن السباب واللعن .

٧٨٣ ـ مسلم (٢ / ٦٣٥) ١١ ـ كتاب الجنائز ، ٦ ـ باب البكاء على الميت .

(إن تسعدني) : أي تساعدها على النياحة .

٧٨٤ ـ مسلم (٤ / ١٦٠٦) كتاب الأشربة ، ١٨ ـ باب استحباب لعق الأصابع والقصعة ...

قال النووي :

(لا تدرون في أيه البركة) : معناه ، والله أعلم ، أن الطعام الذي يحضره الإنسان فيه بركة . ولا يدري أن تلك

أَحَدكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا ، فَلْيُمِطْ ما كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى وَلْيَأْكُلْهَا ، وَلا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ . وَلا يَمْسَحْ يَدَهُ بِالْمِنْدِيلِ حَتَّىٰ يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ ؛ فَإِنَّهُ لا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ » .

٧٨٥ ـ * روى مسلم عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : لا تكونَنَّ إن استطعْتَ ، أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ وَلا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا . فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ ، وَبِهَا يَنْصِبُ رَايَتَهُ .

٧٨٦ ـ * روى مسلم عَنْ جَابِرٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ . ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ . فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً . يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ : فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا . فَيَقُولُ : مَا صَنَعْتَ شَيْئًا » . قَالَ : « ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ : مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ » قَالَ : « فَيُدْنِيهِ مِنْهُ ويقول : نعْمَ أَنْتَ » .

٧٨٧ ـ * روى مسلم عن حُذَيْفَة بْنِ الْيَمَانِ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! إِنَّا كُنَّا بِشَرٍّ فَجَاءَ اللهُ بِخَيْرٍ ، فَنَحْنُ فِيهِ . فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هٰذَا الْخَيْرِ شَرٌّ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » . قُلْتُ : هَلْ وَرَاءَ ذٰلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » . قُلْتُ : فَهَلْ وَرَاءَ ذٰلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » . قُلْتُ : كيف ؟ قال : « يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لاَ يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ ، وَلا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي . وَسَيَقُومُ فيهم رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ » . قَالَ : قُلْتُ : كَيْفَ

= البركة فيما أكله أو فيما بقي على أصابعه ، أو فيما بقي في أسفل القصعة ، أو في اللقمة الساقطة . فينبغي أن يحافظ على هذا كله لتحصل البركة . وأصل البركة الزيادة وثبوت الخير والإمتاع به . والمراد هنا ، والله أعلم ، ما يحصل به التغذية وتسلم عاقبته من أذى ، ويقوي على طاعة الله تعالى ، وغير ذلك .

(فليمط) : معناه يُزيل ويُنحي . قال الجوهريّ : حكى أبو عبيد : ماطه وأماطه نحاه ، وقال الأصمعيّ : أماطه ، لا غير . ومنه : إماطة الأذى . ومطت أنا عنه ، أي تنحيت .

(أذى) : المراد بالأذى ، هنا المستقذر من غبار وتراب وقذى ونحو ذلك .

(بالمنديل) : معروف . قال ابن فارس في المجمل : لعله مأخوذ من الندل وهو النقل . قال أهل اللغة : يقال : تندلت بالمنديل . قال الجوهريّ : ويقال أيضًا : تمندلت . قال : وأنكر الكسائي تمندلت ا . هـ .

٧٨٥ ـ مسلم (٤ / ١٩٠٦) ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ، ١٦ ـ باب من فضائل أم سلمة ...

٧٨٦ ـ مسلم (٤ / ٢١٦٧) ٥٠ ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، ١٦ ـ باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه .... .

٧٨٧ ـ مسلم (٣ / ١٤٧٦) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ، ١٣ ـ باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين .... .

أَصْنَعُ يَا رَسول الله ! إنْ أدْرَكْتَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : « تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِير . وَإنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ . وأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ » .

٧٨٨ ـ * روى البخاري عن المغيرة عن إبراهيم عن عَلقمةَ ، قال قَدِمتُ الشامَ ، قالوا : أبو الدرداء ، قال : أفيكم الذي أجارهُ اللهُ من الشيطانِ على لسانِ نبيهِ ﷺ وقال : الذي أجارهُ اللهُ على لسانِ نبيهِ ﷺ ، يعني عمّارًا .

٧٨٩ ـ * روى مسلم عَنِ المِقْدَاد . قَالَ : أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي ، وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وأَبْصارُنا مِنَ الجَهْد . فَجَعَلنا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا عَلَى أَصْحَاب رَسول الله ﷺ ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُنَا ، فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ فَانْطَلَقَ بِنَا إلَى أَهْلِهِ . فَإذَا ثَلاثَةُ أَعْنُزٍ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « احْتَلِبُوا هَٰذَا اللَّبَنَ بَيْنَنَا » . قَال : فَكُنَّا نَحتَلِبُ فَيَشْرِبُ كُلُّ إنْسَانٍ مِنَّا نَصِيبَهُ ، ونَرْفَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَصِيبَهُ . قَال : فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْل فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لا يُوقِظُ نَائِمًا . وَيُسْمِعُ اليَقْظَانَ . قَالَ : ثُمَّ يَأْتِي المَسْجِدَ فَيصَلِّي ، ثُمَّ يأْتِي شرابهُ فَيَشْرَبُ . فَأَتَانِي الشَّيْطَانُ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، وَقَدْ شَرِبتُ نَصِيبي ، فَقَالَ : مُحَمَّدٌ يأتِي الأَنْصَارَ فَيُتْحِفُونَهُ ، وَيُصِيبُ عِنْدَهُم ، مَا بِهِ حَاجَةٌ إلَى هَٰذِه الجُرْعَة . فَأَتيتُها فَشَرِبْتُها . فَلَمَّا أَنْ وَغَلَتْ في بطْنِي ، وَعَلِمتُ أَنَّهُ لَيْس إليْهَا سَبيلٌ . قَالَ : نَدَّمَنِي الشَّيْطَانُ . فَقَالَ : وَيْحَكَ ! مَا صَنَعْتَ ؟ أَشَرِبْتَ شَرَابَ مُحَمَّدٍ ؟ فَيجيءُ فَلاَ يَجِدُهُ فَيدْعُو عَلَيْكَ فَتَهْلِكُ ، فَتذْهَبُ دُنْيَاك وَآخرتُكَ . وَعَلَيَّ شَمْلَةٌ إذا وَضَعْتُها عَلَى قَدَمَيَّ خَرَجَ رأْسِي ، وَإذَا وَضَعْتُهَا عَلَى رَأْسِي خَرَجَ قَدَمَايَ . وَجَعَل لا يَجِيئُنِي النَّوْمُ ، وَأَمَّا صَاحِبَايَ فَنَامَا وَلَمْ يَصْنَعا مَا صَنَعْتُ . قَالَ : فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ ، ثُمَّ أَتَى المَسْجِدَ فَصَلَّى . ثُمَّ أَتَى شَرَابَهُ فَكَشَفَ عَنْهُ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئًا ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إلَى

---

٧٨٨ ـ البخاري (٧ / ٩٠) ٦٢ ـ فضائل الصحابة ، ٢٠ ـ مناقب عمار وحذيفة رضي الله عنهما .

(قالوا : أبو الدرداء) أي أنه سأل من هنا ، فقالوا : فلان . كما وضحت رواية أخرى ، وسأل أبو الدرداء علقمة من أين ؟ فقال : من الكوفة . فقال له : أفيكم .... .

٧٨٩ ـ مسلم (٣ / ١٦٢٥) ٣٦ ـ كتاب الأشربة ، ٣٢ ـ باب إكرام الضيف وفضل إيثاره .

(الجهد) : بفتح الجيم ، هو الجوع والمشقة .

(فليس أحد منهم يقبلنا) : هذا محمول على أن الذين عرضوا أنفسهم عليهم كانوا مقلين ليس عندهم شيء يواسون به .

(ما به حاجة إلى هذه الجرعة) : هي بضم الجيم وفتحها ، حكاهما ابن السكيت وغيره . والفعل منه جَرِعتُ .

(وغلت في بطني) : أي دخلت وتمكنت منه .

السَّماء . فَقُلْتُ : الآنَ يَدْعُو عَلَيَّ فَأَهْلِكُ . فَقَالَ : « اللَّهُمَّ ! أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَني . وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَاني » . قَالَ : فَعَمَدتُ إلى الشَّمْلَةِ فَشَدَدْتُها عَلَيَّ . وَأَخَذْتُ الشَّفْرة فَانْطَلَقتُ إلى الأعْنُزِ أيُّها أسمَنُ فَأَذْبَحُها لرسُولِ الله ﷺ ، فَإذَا هِي حَافِلَةٌ ، وَإذَا هُنَّ حُفَّلٌ كُلُّهُنَّ . فَعَمَدْتُ إلىٰ إنَاءٍ لآلِ مُحمَّدٍ ﷺ مَا كَانُوا يَطمَعُونَ أنْ يَحْتَلِبوا فِيهِ . قَالَ : فَحَلَبْتُ فِيه حَتَّىٰ عَلَتْهُ رَغْوَةٌ فَجِئْتُ إلىٰ رَسول الله ﷺ فَقَالَ : « أَشَرِبْتُمْ شَرَابَكُمُ اللَّيْلَةَ ؟ » قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُول الله ! اشْرَبْ . فَشَرِبَ ثُمَّ نَاوَلَني ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ! اشْرَبْ . فَشَرِبَ ثُمَّ نَاوَلَني . فَلَمَّا عَرَفْتُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَدْ رَوِيَ ، وأَصَبْتُ دَعوَتَهُ ، ضَحِكْتُ حَتَّىٰ أُلْقِيتُ إلى الأرْض . قَالَ : فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ : « إحْدَىٰ سَوْآتِك يَا مِقْدَادُ » . فَقُلْتُ : يَا رَسول الله ! كَانَ مِنْ أمري كَذَا وَكَذَا ، وَفَعَلْتُ كَذَا . فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ : « مَا هَذِهِ إلا رَحْمَةٌ مِنَ الله . أَفَلا كُنْتَ آذَنْتَني ، فَنُوقِظَ صَاحِبَيْنَا فَيُصِيبَانِ مِنْهَا » . قَالَ : فقُلتُ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بالْحقِّ ! مَا أُبَالي إذا أصبتَها وأَصَبْتُهَا مَعَكَ ، مَنْ أصَابَها مِنَ النَّاس .

٧٩٠ ـ * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ الشيْطانَ قد أيِسَ أنْ يَعْبُدَهُ المصلُّونَ ، ولكن في التحريش بينهم » .

٧٩١ ـ * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إن الشيطان يجري من ابن آدمَ مَجْرَى الدم » .

٧٩٢ ـ * روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : إنَّ الشيطان لَيَتَمَثَّلُ في صورة الرجل ، فيأتي القوم فيُحَدِّثُهم بالحديث من الكذب ، فيَتَفَرَّقُون ، فيقول الرجلُ

---

٧٩٠ ـ مسلم (٤ / ٢١٦٦) ٥٠ ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، ١٦ ـ باب تحريش الشيطان ....

وأحمد (٣ / ٣٥٤) .

وزاد مسلم : « في جزيرة العرب » .

(ولكن في التحريش بينهم) : التحريش : الإغراء بين الناس بعضهم ببعض ، أي : ولكنه يسعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن وغيرها .

٧٩١ ـ البخاري (١٣ / ١٥٨) ٩٣ ـ كتاب الأحكام ، ٢١ ـ باب الشهادة تكون عند الحاكم ...

مسلم (٤ / ١٧١٢) ٣٩ ـ كتاب السلام ، ٩ ـ باب بيان أنه يستحب لمن رُئِيَ خاليا بامرأة ....

وأبو داود (٢ / ٣٣٣) كتاب الصوم ، باب المعتكف يدخل البيت لحاجته . وإسناده صحيح .

٧٩٢ ـ مسلم (١ / ١٢) المقدمة ، ٤ ـ باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها .

منهم : سمعتُ رجلاً أعرف وجهَهُ ، ولا أعرفُ اسمَهُ ، يحدِّث كذا وكذا .

٧٩٣ - * روى الطبراني عن عبد الرحمن بن عوف قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الشيطان لعنه الله لن يسلم مني صاحبُ المال من إحدى ثلاث ، أغدو عليه بهن وأروحُ بهن : أخذَهُ من غير حِلّه ، وإنفاقَهُ في غير حقِّهِ ، وأُحَبِّبُهُ إليه فيمنعُهُ من حقّهِ » .

٧٩٤ - * روى ابن ماجه عن عثمان بن أبي العاص ، قال : لَمَّا اسْتَعْمَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الطَّائِفِ جَعَلَ يَعْرِض لِي شَيْء فِي صَلاتِي حَتَّى مَا أَدْرِي مَا أُصَلِّي ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ رَحَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ : « ابْنَ أَبِي الْعَاص » ؟ قُلْتُ : نَعَمْ يَارَسُولَ اللهِ قَالَ : « مَا جاء بِكَ » ؟ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ عَرَضَ لِي شَيْء فِي صَلَوَاتِي حَتَّى مَا أَدْرِي مَا أُصَلِّي . قال : « ذَاكَ الشَّيْطَانُ ، ادْنُ » فَدَنَوتُ مِنْهُ فَجَلَسْتُ عَلَى صُدُورِ قَدَمَيَّ قَالَ : فَضَرَبَ صَدْرِي بِيَدِهِ وَتَفَلَ فِي فَمِي وَقَالَ : « اخْرُجْ عَدُوَّ الله » . فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ قَالَ : « الْحَقْ بِعَمَلِكَ » . قَالَ : فَقَالَ عُثْمَانُ : فَلَعَمْرِي مَا أَحْسَبُهُ خَالَطَنِي بَعْدُ .

٧٩٥ - * روى مسلم عن أبي هريرة : أن النبي ﷺ قال « الْجَرَسُ مِزْمَارُ الشيطان » .

٧٩٦ - * روى البخاري عن جابر رضيَ اللهُ عنه عن النبيِّ ﷺ قال : « إذا اسْتَجْنَحَ الليلُ » - أو « كان جُنحُ الليل - فكفُّوا صبيانكم فإنَّ الشياطينَ تَنْتَشِرُ حينَئذٍ ، فإذا ذَهبَ ساعةٌ منَ العِشاء فَخَلُّوهم ، وأَغلِقْ بابَكَ واذْكُرِ اسْمَ اللهِ ، وأطفِئْ مصباحَكَ واذكر اسْمَ اللهِ ، وأَوْكِ سِقَاءَكَ واذكُر اسم الله ، وخَمِّرْ إناءك واذكر اسم الله » .

---

٧٩٣ - مجمع الزوائد (١٠ / ٢٤٥) . وقال : رواه الطبراني ، وإسناده حسن.

٧٩٤ - ابن ماجه (٢ / ١١٧٤) ٣١ - كتاب الطب ، ٤٦ - باب الفزع والأرق وما يتعوذ منه .

وفي الزوائد : إسناده صحيح ، ورجاله ثقات . ورواه الحاكم وقال : هذا حديث صحيح الإسناد .

٧٩٥ - مسلم (٣ / ١٦٧٢) ٣٧ - كتاب اللباس والزينة ، ٢٧ - باب كراهة الكلب والجرس في السفر .

وأحمد (٢ / ٣٦٦) .

٧٩٦ - البخاري (٦ / ٣٣٦) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١١ - باب صفة إبليس وجنوده .

٧٩٧ ـ * روى البخاري عن جابر بن عبدِ الله رضي اللهُ عنهما ـ رَفَعَهُ ـ قال : « خَمِّروا الآنية ، وأوكوا الأسْقِيَةَ ، وأجيفُوا الأبوابَ ، وأكفئوا صبيانكم عندَ المساء ، فإنَّ للجنِّ انتشارًا وخَطْفَةً ، وأطفئوا المصابيحَ عند الرُّقادِ فإنَّ الفُوَيسِقَةَ ربَّما اجترَّت الفتيلةَ فأحرَقتْ أهلَ البيت » .

٧٩٨ ـ * روى أحمد عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا سمعتم نِباحَ الكلبِ ونَهِيقَ الحمارِ بالليل فتَعَوذُوا بالله فإنهم يرون ما لا ترون » .

* * *

---

٧٩٧ ـ البخاري (٦ / ٣٥٥) ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ، ١٦ ـ باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم ... .

(خمروا) : أي غطوا .

(الفويسقة) : أي الفأرة .

٧٩٨ ـ أحمد (٣ / ٣٥٥) .

وأخرجه البخاري في الأدب . وهو صحيح .

التلخيص

الجن مخلوقات غيبية ، ودليل ثبوت وجودهم : الكتاب والسنة وإجماع العلماء ، وهم مكلفون كالإنس ومُجازَوْنَ مثلهم ، وهم مكلفون منذ النشأة لوجود الإدراك عندهم منذ النشأة ، وقد ذكر ابن عبد البر أن الجن عند أهل اللغة على مراتب : فإن ذكروا الجن خالصًا قالوا جني ، فإن كان مِمَّن يسكن مع الناس سمي عامرًا والجمع عُمّار ، فإن كان ممن يعرض للصبيان قالوا أرواح ، فإن خبث وتمرد قالوا شيطان ، فإن زاد على ذلك قالوا مارد ، فإن زاد على ذلك وقوي قالوا عفريت والجمع عفاريت ، وهناك من ذهب إلى أن الشياطين والجن جنس واحد . فالشياطين منهم مَنْ خبث وتمرد وهذا هو الرأي الراجح ، ومن العلماء من ذهب إلى أن الجن مخلوقات هوائية ، والشياطين مخلوقات نارية ، وقد استنبط العلماء من مجموع النصوص أن الجن يتشكلونَ على خلاف بين العلماء ؛ هل يتشكلون بالصور الشريفة كاملة كصورة الإنسان ، أو لا يستطيعون التشكل إلا بصورة إنسان فيه نوع نقص أو بصورة مخلوقات أخرى ؟ والراجح الأول ؛ فهم يتشكلون بالأشكال الحسنة والقبيحة ، ويأكلون ويشربون وينامون ويتزوجون ويتناسلون ، والشياطين منهم يوسوسون لبني آدم ويحاولون إغواءهم ، فما من أحد من الإنس ذكرًا أو أنثى إلا وله قرين من الشياطين ، وقد يصاب الإنسان بسببهم بنوع من الأمراض كالصرع والجنون والتشنج ، وقد يصلون إلى بعض الناس بنوع من الأذى ، ومن الظواهر المشهورة أنهم قد يتلبسون أجسام بعض الناس وينطقون على ألسنتهم ، ولعل بعض مظاهر تحضير الأرواح تكون من ذلك ، وقد سَخَّر الله عز وجلَ عالم الجن لسليمان عليه السلام فكان ذلك خصوصية له ، وهم لا يعلمون شيئًا عن المستقبل ، لكن قد يعرفون بواسطة بعضهم بعضًا ما جرى وما يجري ، فلا عجب أن يستطيع بعض من لهم صلة بالجن أن يكتشفوا سرقة أو يعرفوا ما جرى في أمكنة بعيدة ، فليس ذلك من علم الغيب .

والتوقي من الجن والشياطين يكون بالذكر والاستعاذة وتلاوة القرآن والصلاة ، ومن أصيب بسبب من الجن فبالإمكان معالجته بتلاوة المعوِّذات وآية الكرسي وقراءة سورة البقرة ، ويصح التداوي بكل شيء تجيزه الفتوى ، والجن في الجملة وإن كانوا مكلفين فهم في

الكرامـة أدنى من بني الإنسـان ؛ لقـولـه تعـالى : ﴿ ولقـد كَرَّمْنـا بني آدم ﴾ [١] ، والجن يستطيعون الصعود إلى طبقـات الجو العليـا ويرصـدون خبر السماء ، قـال تعـالى على لسـان الجن : ﴿ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا ﴾ [٢] ومعنى لمسنا : قصـدنـا كما فسرها العلماء ، وللجن قدرات خارقة نتعرف عليها مما ورد في قصـة سليمـان عليـه السلام في القرآن ، ولو أن المتتبعين لبعض الظواهر الأرضيـة نظروا بعين الإنصـاف لـوجـدوا أن كثيرًا من هذه الظواهر لا تُعَلَّلُ إلا إذا أعطينا للجن دورًا في صنعها ، فقـد قرأت مرة عن منطقـة عُبِّدَتْ وصِيغَتْ صياغَةً لا يمكن أن تكون كذلـك إلا إذا كانت هنـالـك جهـة تشرف عليهـا إشرافًا علويًا ، وَتُوَجِّهُ العاملين على الأرض ، ومثل هذا لا تفسير له في المـاضي إلا أن يكون للجن صلة بهذا الموضوع ، وقصة سليمان عليه السلام في القرآن تعطينـا دليلاً قطعيًـا على أن للجن دخلاً في بعض الأوابد التي أنشأها سليمـان عليـه السلام ، وبـالجملـة فـإنني أميل إلى أن بعض الأوابد الحاضرة التي لا تعلل بطاقة الإنسان قديمًا ، ولا بـإمكانـاتـه العلميـة ، يمكن أن يكون للجن دخل فيها .

ولم تزل البشرية ولا تزال تحدثنا عن ظواهر ليس لهـا تعليل إلا بوجود عـالم من الجن ، ولم يزل أفراد يـوجـدون في كل مكان لهم صلـة بـالجن ، ولم يـزل هنـاك أفراد يَشْكُـونَ من حالات لا تعلل إلا بوجود الجن .

فائدة :

حاول بعض العلماء المربين في هـذه الأمـة أن يوجـدوا قواعـد وضوابـط لتخريج الوارث الكامل أو الولي المرشد ، وقد كتب كثير من العلماء في شروط المرشد الكامل ، ومـا يجب أن يتوافر فيـه من كمالات وصفـات ومعـارف ، ولقـد كان من رأي أحـد شيوخنـا أنـه لا يكـل المرشد - حتى يكون صالحًا للإرشاد - إلا بمعرفته لآلية عمل الشيطان ؛ فإن الـذي يعرف أخلاق الشيطان وخطواته ومداخله على النفس البشرية هو الذي يستطيع أن يجنب نفسه وإخوانه مداخل الشيطان ، ومثل هذا المرشد هو الذي يعرف الكـالات الإنسـانيـة التي إذا تحقق بهـا

---

(١) الإسراء : ٧٠ .   (٢) الجن : ٨ .

الإنسان خرج من أثر الشيطان وكيف يوصل إليها ﴿ **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** ﴾[1] .

إن فقه مداخل الشيطان على الأنفس من أعظم أنواع الفقه ، فإنما يصرف الإنسان عن الله واليوم الآخر الشيطان والنفس والهوى والدنيا .

والشيطان حادي ركب أهل النار .

ولقد حاول شيخنا الذي أشرت إلى فكرته أن يضع سلمًا لمسيرة الإنسان من الحضيض إلى الكمال ، ومما ذكره أن الإنسان غير المعصوم إنْ استوفى كمالاته لم يبق للشيطان عليه مدخل إلا من قبَل شهواته الحسية أو المعنوية .

ومن الشهوات المعنوية حب الجاه الدنيوي والتصدر الدنيوي والرئاسة التي لا يقصد بها وجه الله واليوم الآخر .

* * *

---

(١) الأعراف : ٢٠١ .

نُقولٌ في ما قاله بعض العلماء في الجن

لم تزل أخبار الجن وقصصهم والحديث عنهم ومباشرتهم لخطاب بعض الناس تملأ الكثير من الكتب ؛ ففي كتب العهد القديم والجديد وفي كتب الطب القديمة والحديثة وفي كتب العلماء والمحققين وعند أهل الأديان عامة كلام كثير عن هذا الموضوع ، وقد جاءتنا نصوص الكتاب والسنة بالخبر اليقين .

لقد كتب عباس محمود العقاد كتابًا أسماه « إبليس » ، والعقاد بشكل عام متأثر في بعض كتبه ـ ومنها هذا الكتاب ـ بالدراسات المقارنة ، وهي دراسات تخبط في تيه وضياع وتتراوح وجهات النظر فيها كثيرًا بين طرفي الزاوية . وأهم جوانب الكتاب أنه يعطينا تصورًا عن تصورات الأمم عن الشيطان كما وصلت إلينا ؛ فهو يحدثنا عن الشيطان في الحضارة المصرية والحضارة الهندية ، وحضارات ما بين النهرين ، وحضارة اليونان ، وعن الشيطان في الديانة اليهودية والديانة النصرانية .

ـ ومن كلامه عن الشيطان في الحضارة المصرية .

(وقد شغل « سيت » وظيفة ضرورية في عهود الأزمات التي تنهزم فيها الدولة وتنضب الثروة ويختل نظام الحكم وتضطرب مرافق المعيشة . فقد كان « سيت » يبوء وحده بجريرة ذلك كله ، وكانت عليه وحده تبعة كل آفة لا يستطاع دفعها ، ومن هذه الآفات ريح السموم وعوارض الجفاف والقحط وأوبئة المرض ، وسائر الأمراض التي كانت تنسب من قديم الزمن إلى الجان والعفاريت ، وقد كانت عليه التبعة أيضًا في بقاء السحر الخبيث ؛ لأنه كان على علم واسع بفنونه ، ولم يكن في وسع الكهان والسحرة أن يعالجوا شروره ويبرئوا المرضى من آفاته بغير وسائله وأسراره ، ولهذا كثرت عندهم التمائم والتعاويذ ، ومنها ما بقي إلى اليوم في صور الجعل والحشرات والأساور والقلائد التي لا تصنع للزينة ولكنها تقرن بالأدوية والعقاقير طلبا للشفاء ، ويقول الأطباء الذين كانوا يشتغلون بالطب والسحر : إن الدواء هو الذي يشفي ويبرئ من المرض ، ولكن التمائم والتعاويذ هي التي تمنع « العكوس » من فعل أرواح الشر وأطياف الظلام .

وقد كان الفراعنة أنفسهم يلجأون إلى السحر لمغالبة الأرواح الخفية ، فاستعان رمسيس الثاني بأصحاب التائم والتعاويذ على مداواة أهل بيته ، ولم يفعل ذلك جهلاً منه بالطب ولا تعظيما منه لقدر السحر ، ولكنه فعله إيمانًا بضرورة اختيار الترياق من جنس المرض ، ولكل شيء آفة من جنسه كما قيل من قبل ، ويقال في كل زمان) .

ـ ومن كلام العقاد عن الشيطان في الحضارة الهندية :

(ومن ذلك في هذا الباب عقيدتهم في العفاريت الخبيثة أو العابثة التي يسمونها بالـ « راكشا » وينسبون إليها أعمالاً كأعمال الشياطين في الديانات الأخرى ... فالشياطين في صورة « الراكشا » هم « الشر » الذي أبغضه الآريون وصوروه لأبنائهم في الصورة التي تنفرهم منه وتحذرهم من كيده ...

وليس في الديانة الهندية وفروعها المتشعبة شخصية واحدة تشبه شخصية الشيطان غير الرب الذي يسمونه « المارا » من الموت ...

وهذا الـ « المارا » هو الذي قيل في قصة « بوذا » إنه وسوس له وألح في وسواسه ليشغله عن النسك ويصرفه عن مسلكه من الحكمة وهو مسلك الزهد والاعتدال) . اهـ .

ـ ومن كلام العقاد عن الشيطان في حضارة ما بين النهرين دجلة والفرات وما جاورهما: تحدث عن « الثنوية » التي تفر من باهرمان وهو الروح الخبيث ، وتحدث عن « الزرادشتية » التي تؤمن بـ (يامة) الذي امتلأت نفسه بالخيلاء فسولت له نفسه أن يناظر الإله ... وأن يكاذب نفسه بخيلائه .

ـ إن قضية الشيطان تعتبر قاسمًا مشتركًا في الثقافة الإنسانية وهي من بقايا الحق الذي تحدث عنه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولما حرفت ديانات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بفعل الجهل والهوى والغلو فلقد كان من جملة ما دخل عليه التحريف قضية الشيطان ، ونحن لا يهمنا من الدراسات المقارنة إلا إثبات أن هناك قضايا لها أصولها ، وأن القرآن جاءنا بالحق اليقين في الأصول والفروع وأعطانا الحق واليقين والصواب مفصلاً في كل شيء .

ـ وقد كتب عبد الرزاق نوفل عن الجن والشياطين ، وكان من كلامه :

وتروي النسخ المتداولة من الأناجيل أن سيدنا عيسى قد أخرج الشيطان من كثير من المرضى الذين كان المس قد أصابهم بحالات مرضية وبجنون أيضًا ففي ، إنجيل متى نجد النص :

(وفيما هما خارجان إذا إنسان أخرس مجنون قدموه إليه . فلما أخرج الشيطان تكلم الأخرس فتعجب الجموع قائلين : لم يظهر قط مثل هذا في إسرائيل . أما الفريسيون فقالوا برئيس الشياطين يخرج الشياطين) .

وفي إنجيل مرقس نجد النص :

(وكان في مجمعهم رجل به روح نجس : فصرخ قائلاً آه ما لنا لك يا يسوع الناصري : أتيت لتهلكنا أنا أعرفك من أنت قدوس الله فانتهره يسوع قائلاً : اخرس واخرج منه . فصرعه الروح النجس وصاح بصوت عظيم وخرج منه).

وفي إنجيل لوقا نجد نصًا يشير إلى أن الإنسان قد يمسه أكثر من شيطان إذ يقول :

(وعلى أثر ذلك كان يسير في مدينة وقرية يكرز ويبشر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر وبعض النساء كن قد شفين من أرواح شريرة وأمراض . مريم التي تُدْعَى المجدلية التي خرج منها سبعة شياطين) .

ويمكن أن يستمر مس الشيطان للإنسان سنوات عديدة ففي إنجيل لوقا أن امرأة كان بها روح أضعفها وكانت منحنية بسببها ولم تقدر أن تنتصب ألبتة ثمانية عشرة عاما فوضع سيدنا عيسى يده عليها فاستقامت وقال : (هذه هي ابنة إبراهيم قد ربطها الشيطان ثماني عشرة سنة أما كان ينبغي أن تحل من هذا الرباط في يوم السبت ...

فنجد أبوقراط الذي عرف بأبي الطب يهتم بوسائل العرافة والسحر ومحاربة الشياطين وهو الذي قال عن الصرع الذي وصفوه بأنه المرض المقدس : إنه خال من القداسة .. ثم جالين أمير الأطباء حيث يهتم باتخاذ الجديد من طرق طرد الشياطين ، ثم كرامر واسبرنجر وقد ذاع في زمانها أنها قَاتَلا أكثر من سبعين أميرًا من الشياطين وسبعة ملايين وأربعمائة

وخمسة آلاف وأكثر من الشياطين الأقل درجة منهم .. ولقد كانت الفكرة السائدة والتي ظلت فترة طويلة تبلغ مئات السنين هي المسيطرة على كل وسائل العلاج .. تلك التي كانت تقول بضرب الشيطان لإخراجه من جسد المريض بل وحتى إلى عهد قريب كان الجراح العظيم توماس ويليز من أكبر أطباء التشريح يقرر أن خير علاج لمرضى العقول هو الرَّكْل والقيد . ولذلك كان البروفسور كالين ينادي بأن معظم حالات الاضطرابات والتي لا سبب عضوي لها لا تشفى إلا بشدة الوثاق والضرب ، وقد نادى الدكتور ريل الألماني والأخصائي في الأمراض العقلية بما يسميه العلاج التعذيبي الذي لا يضر .

ويقول العالم كارنجتون عضو جمعية البحوث النفسية الأمريكية في كتابه « الظواهر الروحية الحديثة » عن حالة المس : (واضح أن حالة المس هي على الأقل حالة واقعية لا يستطيع العلم بعدُ أن يهمل أمرها ما دامت توجد حقائق كثيرة مدهشة تؤيدها . وما دام الأمر كذلك فإن دراستها أصبحت لازمة وواجبة لا من الوجهة الأكاديمية فقط بل لأن مئات من الناس وألوفًا يعانون كثيرًا في الوقت الحاضر من هذه الحالة ولأن شفاءهم منها يستلزم الفحص السريع والعلاج الفوري . وإذا ما نحن قررنا مكنة المس من الوجهة النظرية انفتح أمامنا مجال فسيح للبحث والتقصي ويتطلب كل ما يتطلبه العلم الحديث والتفكير السيكولوجي من العناية والحذق والجلد) .

وفي كتاب « تحليل الحالات غير العادية في علاج العقول المريضة » يقول الدكتور بل: (لدينا الكثير الذي يصح أن نميط عنه اللثام ، وعلى الأخص ما كان متعلقًا بحالة المس الروحي باعتباره عاملاً مسببًا للأمراض النفسية والعصبية ولقد ظهر لنا أن المس الروحي أكثر تعقيدًا مما كان يظن أولاً . ولا تتألف الشخصية الماسة من نفس مخلوق غير مجسد ولا من عقله وإرادته فقط بل هما في الواقع شخصية مؤلفة من أشياء كثيرة . والشخصية الماسة المركزية وهي الشخصية التي اصطدمت أولاً بجمع حواس الشخص الممسوس وهي على وجه العموم قليلة المقاومة لإيحاءات الغير ، ومن ثم تصبح هذه الشخصية مطية سهلة لأولئك الذين يرغبون في الاقتراب من أي إنسان بهذه الطريقة التي تبدو كأنها لا شأن لها إلا في الحصول على الترضية الخاصة لمجموع الأرواح الماسة كلها أو بعضها، وبمضي الزمن يزدّاد التضام في هذه العملية حتى يتم في النهاية تلاشي الشخص الممسوس الذي يعمل إلى مثل هذه الحال

تلاشيًا تامًا .. ويظهر أن للأرواح الماسة ثلاث نقط اصطدام رئيسية هي : قاعدة المخ ومنطقة الضفيرة الشمسية والمركز المهين على أعضاء التناسل ، وأما الضجة التي لابد أن تحدث بهذا المس وتفاعلات الشخص الممسوس فيمكن دراستها في مستشفيات الأمراض العقلية .. ومع ذلك فحينما يأتي ممارسو القوة الروحية الحديثون بالعجب العجاب في طرد الشياطين أو الأرواح الماسة ومداواة المرضى والمحزونين فلا يكون نصيبهم من بعض الأطباء إلا نظرة الزراية والاستخفاف) .

ويقول الدكتور جيمس هايسلوب في كتابه عن المس : (إنه تأثير خارق للعادة تؤثر به شخصية واعية خارجية في عقل شخص وجسمه ولا يمكن إنكار مكنة حدوث المس) ويرى بعض الأطباء كالدكتور كارل ويكلاند أن الجنون قد ينشأ من استحواذ روح خبيث على الشخص المريض فيحدث اضطرابًا واختلالا في اهتزازاته وأنه بالكهربائية الاستاتيكية تنظم الاهتزازات وتطرد الشخصية المستحوذة ويعود العقل إلى حالته الطبيعية دون تأثير شخصية ماسة له .

ولذلك فقد اهتم العلمُ الحديثُ بوسائل علاج مثل هذه الحالات وإن اختلفت الألفاظ واللغات التي وردت فيها طرق العلاج من المس فإنها كلها تتفق في الجوهر والأصل ، فالدكتور باورز أستاذ الأمراض العصبية في جامعة مينابوليس بأمريكا يقول في بيان هذا العلاج : كنت في أيام شبابي أضحك ساخرًا مستهزئًا بذلك الرأي القائل بأن الأرواح الخبيثة الشريرة المؤذية غير المتجسدة قد تحدث في ظروف خاصة اضطرابات جسمية أو عقلية خطيرة لبعض الناس ، وكنت أحمل في إحدى يدي كتاب بوخنر المسمى: القوة والمادة ، وفي اليد الأخرى كتاب هكل المسمى: لغز الكون ، وأسخر من الرأي القائل بأن أي روح ابتداء من يسوع المسيح إلى العمة ماريا تستطيع أن تساعد على إزالة بقايا الثوب الطيني الرث البالي الذي نرتديه الآن أو أن تزيل من العقل ذلك السم الروحي الذي يحول التفاعلات العقلية إلى هذيان الأبله المعتوه أو إلى خبل الجنون القاتل أو إلى يأس المالنخوليا المفجع . ولا يستطيع شخص ذكي أن ينكر أن هناك سببًا لمعظم الأمراض التي تصيب الإنسان وآه لو يعرف هذا السبب » ا.هـ من كتاب الجنّ والملائكة .

- ولابن عابدين الفقيه الحنفي المشهور - صاحب حاشية ابن عابدين المساة :« رد المحتار على الدر المختار » وهي أعظم مرجع في فقه الحنفية كتبه المتأخرون - رسالة مطبوعة مع رسائل أخرى طبعت تحت اسم « رسائل ابن عابدين » تحدث فيها عن تلمذة بعض الجن على شيخه خالد الحضرة رحمه الله واسم الرسالة « سل الحسام الهندي لنصرة ملانا خالد النقشبندي » ، ومن كلامه في هذه الرسالة :

(في الطبقات الكبرى عن حرملة أنه قال : سمعت الإمام الشافعي رحمه الله تعالى يقول: من زعم من أهل العدالة أنه يرى الجن أبطلنا شهادته لقوله تعالى : ﴿ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ﴾ [1] إلا أن يكون الزاعم نبيًّا انتهى .. لكن هذا ينافي مامر عن شرح المقاصد من حكاية مشاهدتهم عن كثير من العقلاء وأرباب المكاشفات ، فإن المتبادر أن المراد المشاهدة بدون تشكل إلا أن يكون ذلك من باب الكرامة ، فإن ما صح أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي على مامر فيه من الكلام مبسوطا وكلام الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه في غير أصحاب الكرامات عند عدم التشكل ، وإلا فلا وجه لمنع رؤيتهم لكل أحد عند التشكل .

وصح عن الأعمش أنه قال : تروّح إلينا جنيّ فقلت له : ما أحب الطعامَ إليكم ؟ قال : الأرز . قال : فأتيناهم به فجعلت أرى اللقمَ ترفع ولا أرى أحدا... وفي آثار وأخبار أخرى أن مؤمنيهم يصلون ويصومون ويحجون ويطوفون ويقرؤن القرآن ويتعلمون العلوم ويأخذونها عن الإنس وإن لم يشعروا بهم وكذا رواية الحديث .

تنبيه: قد تحصّل مما ذكرنا سابقًا ولاحقًا جواز رؤية الجن بعد التشكل لكل أحد ، وكذا بدون تشكل لمن شاء الله تعالى من عباده فضلا عن حضورهم في مجالس الذكر وسماع أصواتهم » اهـ .

وقال الشيخ حسن أيوب :

(وذكر صاحب كتاب « آكام المرجان » حكاية عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه :

---

(١) الأعراف : ٢٧ .

هي أن المتوكل أنفذ إليه صاحبًا لـه يعلمـه أن جاريـة بهـا صرع وسـألـه أن يـدعو الله لهـا بالعافية . فأخرج له أحـد نعلي خشب بشراك ـ أي ربـاط ـ من خوص للوضوء فـدفعـه إلى صاحب له وقال له : تمضي إلى دار أمير المؤمنين ، وتجلس عند رأس هذه الجاريـة وتقول لـه (يعني الجني) قال لك أحـد : أيُّما أحبُّ إليـك ، تخرج من هـذه الجـاريـة ، أو تصفع بهـذه النعل سبعين ؟ فمضى إليه وقال له مِثْلَ مـا قـال لـه الإمـام أحمـد . فقـال المـارد على لسـان الجارية : السمع والطاعة . لو أمرنا أحمد ألا نقيم بالعراق ما أقمنا بـه . إنـه أطـاع الله ، ومن أطاع الله أطاعه كل شيء . وخرج من الجارية . وهـدأت ورزقت أولادًا) ا.هـ . « الإيمـان بالرسل والكتب واليوم الآخر » .

ـ وذكر الشيخ أبو بكر جابر الجزائري في كتـابـه : « عقيـدة المؤمن » حـادثـة وقعت في بيت أهله ، قال :

إنه كان لي أخت أكبر مني تدعى « سعدية » وكنا يوما ونحن صغـار نطلع عراجين التمر من أسفل البيت إلى سطحه بواسطة حبل يربط به القِنْو (العرجون) ونسحبـه إلى السطح ونحن فوقـه ، فحصل أن أختي سعـديـة جرت الحبـل ، فضعفت عنـه ، فغلبهـا فـوقعت على الأرض على أحد الجنون [1] ، فكأنها بوقوعها عليه آذته أذىً شديـدًا ، فـانتقم منهـا فكان يـأتيهـا عنـد نومهـا في كل أسبوع مرتين أو ثـلاثًـا ، أو أكثر فيخنقهـا ، فترفس المسكينـة برجليهـا ، وتضطرب كالشاة المذبوحة ولا يتركها إلا بعد أن تصبح أشبه بميتة ، ونطق مرةً على لسـانهـا مصرحًا بأنه يفعل بها هذا لأنها آذته يوم كذا في مكان كذا .. ومازال يأتيها ويعذبها بصرعة تأتيها عند النوم فقط حتى قتلها بعد نحو عشر سنوات من العذاب الذي لا يطاق ، فصرعهـا ليلةً على عادته فـما زالت ترفس برجليهـا وتضطرب حتى مـاتت ، غفر الله لهـا ، ورحمهـا .. آمين .

هذه الحادثة عشتها ، وبعيني رأيتها ، وما راءٍ كمن سمع !!! » ا.هـ .

---

[1] يعني واحدًا من الجنّ .



الوصل الأول

في:

ظاهرة ابن صَيَّاد

وفيه:

مقدمة ونقول ونصوص



المقدمة

إنما ذكرنا هذا الفصل هنا لارتباطه بصلة الشيطان بالإنسان ، فابنُ صياد رجل يهودي الأصل ثم أسلم بعد ذلك في الظاهر ، وكان تجري على لسانه كلمات كُفْرِيَّة ، وكانت له صلة بعالم الجن ، فهو يمثل ظاهرة الوحي الشيطاني للإنسان ، وقد اشتبه أمره على بعض الصحابة حتى ظنوه المسيح الدجال وليس هو يقينًا لكنه يشبهه وكان أمره ملتبسًا ، ولأن هذا اللبس لا يترتب عليه عمل ولا خطر ولا خطأ ، فإن رسول الله ﷺ أبقى هذا الاحتمال مفتوحًا لحكمة يعلمها هو عليه الصلاة والسلام ، ونتوقع أن رسول الله ﷺ أراد بذلك أن يفتح لأمته باب الاجتهاد في فهم الأخبار المستقبلية التي أخبر عنها أنها كائنة بعده إذا وجد المجتهد ما يدعوه لذلك الاجتهاد ، وكان النص أو الأمر يحتمل ذلك .

قال تعالى : ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾ [1] . وإيحاء الشياطين يظهر بمظاهر شتى منها الوسوسة التي يوسوس القرين - إلا من عصم الله - وهذه يحس بها أهل القلوب وأكثر الخلق عنها غافلون ، وإن كان الإنسان لا يخلو عن شعور باطني بدوافع داخلية شريرة ، ولذلك تكلم بعض علماء النفس عن أنواع من الدوافع الغريبة التي تلح عليها هذه الدوافع ، وقد يأخذ إيحاء الشياطين مظهرًا أكثر انكشافًا لدى صاحبه ، وظاهرة ابن صياد تمثل هذا الوضع .

وقد رأينا في البحث السابق أن الجن يمكن أن يتلبسوا جسم الإنسان فيتكلموا على لسانه وهي ظاهرة مرئية مشاهدة ، كما رأينا كيف أن بعض الإنس يكون لهم اتصال بعالم الجن ، وظاهرة ابن صياد تدخل في هذا الموضوع فهو على اتصال بعالم الشياطين من عالم الجن .

يظهر اضطراب بعض أهل التحقيق في تفسير هذه الظاهرة ، وهل ابن صياد هو الدجال الذي يظهر في آخر الزمان أو هو دجال من الدجاجلة ؟ والذي نجزم به قطعًا أنه دجال من الدجاجلة أبقى الرسول ﷺ الباب مفتوحًا للتعليل والتحليل في شأنه ، فهو ظاهرة مهمة تظهر في الحياة البشرية بأجزاء من هذه الظاهرة أو بها كلها .

وهاك تحقيقًا للإمام النووي حول ابن صياد ننقله من شرحه على صحيح مسلم :

---

(١) الأنعام : ١٢١ .

النقول

قال الإمام النووي رحمه الله :

يقال له ابن صياد وابن صائد وسمي بها في هذه الأحاديث واسمه صاف ، قال العلماء : وقصته مشكلة وأمره مشتبه في أنه : هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره ؟ ولاشك في أنه دجال من الدجاجلة . قال العلماء : وظاهر الأحاديث أن النبي ﷺ لم يُوْحَ إليه بأنه المسيح الدجال ولا غيره وإنما أوحي إليه بصفات الدجال وكان في ابن صياد قرائن محتملة فلذلك كان النبي ﷺ لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره ولهذا قال لعمر رضي الله عنه : « إن يكن هو فلن تستطيع قتله » وأما احتجاجه هو بأنه مسلم والدجال كافر ، وبأنه لا يولد للدجال وقد ولد له هو ، وأن لا يدخل مكة والمدينة وأن ابن صياد دخل المدينة وهو متوجه إلى مكة فلا دلالة له فيه ؛ لأن النبي ﷺ إنما أخبر عن صفاته وقت فتنته وخروجه في الأرض . ومن اشتباه قصته وكونه أحد الدجاجلة الكذابين : قوله للنبي ﷺ :(أتشهد أني رسول الله) ، ودعواه أنه يأتيه صادق وكاذب ، وأنه يرى عرشًا فوق الماء ، وأنه لا يكره أن يكون هو الدجال ، وأنه يعرف موضعه ، وقوله : إني لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن وانتفاخه حتى ملأ السكة ، وأما إظهاره الإسلام وحجه وجهاده وإقلاعه عما كان عليه فليس بصريح في أنه غير الدجال . قال الخطابي : واختلف السلف في أمره بعد كبره فروي عنه أنه تاب من ذلك القول ومات بالمدينة وأنهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتى رآه الناس وقيل لهم اشهدوا قال : وكان ابن عمر وجابر فيما رُوي عنهما يحلفان أن ابن صياد هو الدجال لا يشكان فيه فقيل لجابر : إنه أسلم فقال : وإن أسلم . فقيل : إنه دخل مكة وكان في المدينة ، فقال : وإن دخل . وروى أبو داود في سننه بإسناد صحيح عن جابر قال : فقدنا ابن صياد يوم الحرة . وهذا يعطل رواية من روى أنه مات بالمدينة وصلى عليه . وقد روى مسلم أن جابر بن عبد الله حلف بالله تعالى أن ابن صياد هو الدجال وأنه سمع عمر رضي الله عنه يحلف على ذلك عند النبي ﷺ فلم ينكره النبي ﷺ . وروى أبو داود بإسناد صحيح عن ابن عمر أنه كان يقول : والله ، ما أشك أن ابن صياد هو المسيح الدجال . قال البيهقي في كتابه « البعث والنشور » : اختلف الناس في أمر ابن صياد اختلافًا كثيرًا هل هو

الدجال ؟ قال : ومن ذهب إلى أنه غيره احتج بحديث تميم الداري في قصة الجساسة قال : ويجوز أن توافق صفة ابن صياد صفة الدجال كما ثبت في الصحيح أن أشبه الناس بالدجال عبد العزى بن قطن . وليس كما قال وكان أمر ابن صياد فتنة ابتلى الله تعالى بها عباده فعصم الله تعالى منها المسلمين ووقاهم شرها . قال : وليس في حديث جابر أكثر من سكوت النبي ﷺ لقول عمر فيحتمل أنه ﷺ كان كالمتوقف في أمره ثم جاءه البيان أنه غيره كما صرح به في حديث تميم . هذا كلام البيهقي ، وقد اختار أنه غيره وقد قدمنا أنه صح عن عمر وعن ابن عمر وجابر رضي الله عنهم أنه الدجال والله أعلم . فإن قيل : كيف لم يقتله النبي ﷺ مع أنه ادّعى بحضرته النبوة ؟ فالجواب من وجهين ذكرهما البيهقي وغيره ، أحدهما : أنه كان غير بالغ ، واختار القاضي عياض هذا الجواب ، والثاني : أنه كان في أيام مهادنة اليهود وحلفائهم، وجزم الخطابي في معالم السنن بهذا الجواب الثاني ، قال : لأن النبي ﷺ بعد قدومه المدينة كتب بينه وبين اليهود كتاب صلح على أن لا يهاجوا ويتركوا على أمرهم وكان ابن صياد منهم أو دخيلاً فيهم . قال الخطابي : وأما امتحان النبي ﷺ بما خبأه له من آية الدخان فلأنه كان يبلغه ما يدعيه من الكهانة ويتعاطاه من الكلام في الغيب فامتحنه ليعلم حقيقة حاله ويظهر إبطال حاله للصحابة وأنه كاهن ساحر يأتيه الشيطان فيلقي على لسانه ما يلقيه الشياطين إلى الكهنة فامتحنه بإضمار قول الله تعالى : ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾[1] وقال : « خبأت لك خبيئًا » فقال : هو الدخ أي الدخان وهي لغة فيه فقال له النبي ﷺ : « اخسأ فلن تعدو قدرك » أي لا تجاوز قدرك وقدر أمثالك من الكهان الذين يحفظون من إلقاء الشيطان كلمة واحدة من جملة كثيرة بخلاف الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، فإنهم يوحي الله تعالى إليهم من علم الغيب ما يوحي فيكون واضحًا كاملاً ، وبخلاف ما يلهمه الله الأولياء من الكرامات والله أعلم . ا.هـ .

* * *

(١) الدخان : ١٠ .

النصوص النبوية في ابن صياد

٧٩٩ - * روى البخاري ومسلم ، عن عبد الله بن عُمَر رضي الله عنهما ، قال : إنّ عمرَ ابن الخطاب انطلق مع رسولِ الله ﷺ في رَهْطٍ من أصحابه قِبَلَ ابن صياد ، حتى وجده يَلْعَبُ مع الصّبيان عند أُطُمِ بني مَغالةَ ، وقد قاربَ ابنُ صياد يومئذ الحُلُمَ ، فلم يَشْعُر حتى ضرب رسولُ الله ﷺ ظَهْرَهُ بيده ، ثم قال رسولُ الله ﷺ لابن صياد : « أتشهد أنّي رسولُ الله » ؟ فنظر إليه ابنُ صياد ، فقال : أشهدُ أنّك رسولُ الأُميين . فقال ابنُ صياد لرسول الله ﷺ : أتشهد أني رسول الله ؟ فرفضَهُ رسولُ الله ﷺ ، وقال : « آمنتُ بالله وبرُسُلِهِ » . ثم قال له رسولُ الله ﷺ : « ماذا ترى » ؟ قال ابنُ صياد : يأتيني صادق وكاذب . فقال له رسولُ الله ﷺ : « خُلِّطَ عليكَ الأمر » . ثم قال له رسولُ الله ﷺ : « إني قدْ خبَأْتُ لَكَ خبيئًا » . فقال ابن صياد : هو الدُّخُّ . فقال له رسولُ الله ﷺ : « اخسأْ ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَك » فقال عمر بن الخطاب : ذرني يارسول الله أضربْ عُنُقَهُ ، فقال له رسول الله ﷺ : « إنْ يَكُنْه فَلَنْ تُسلَّطَ عليه ، وإن لم يَكُنْهُ ، فلا خَيْرَ لك في قَتْلِهِ » .

وقال سالم : سمعتُ ابنَ عمر يقول : انطلق بعد ذلك رسولُ الله ﷺ وأُبَيُّ بنُ كعبٍ الأنصاري إلى النخل التي فيها ابن صياد ، حتى إذا دخَلَ رسولُ الله ﷺ النخلَ طَفِقَ يتّقي بجذوع النخل ، وهو يَخْتِلُ أن يَسمعَ من ابن صيادٍ شيئًا قبل أن يراه ابنُ صياد ، فرآه رسولُ الله ﷺ وهو مُضْطَجِعٌ على فراشٍ في قطيفة له فيها رَمْرَمَةٌ أو زَمْزَمَةٌ ، فرأت أُمُّ ابن صياد رسولَ الله ﷺ وهو يتّقي بجذوع النخل ، فقالت لابن صياد : يا صاف - وهو اسمُ ابن صياد - هذا محمد ، فثار ابنُ صياد ، فقال رسولُ الله ﷺ : « لو تَرَكَتْهُ بَيَّنَ » .

قال سالم : قال عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ : فقام رسولُ الله ﷺ في الناس ، فأثنى على الله بما هو له أهلٌ ، ثم ذكر الدجالَ ، فقال : « إني لأُنذِرُكُموه ، ما من نبيٍّ إلا قد أَنْذَرَهُ قومه ،

---

٧٩٩ - البخاري (١٠ / ٥٦٠ ، ٥٦١) ٧٨ - كتاب الأدب ، ٩٧ - باب قول الرجل للرجل : اخسأ .

مسلم (٤ / ٢٢٤٤ ، ٢٢٤٥) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٩ - باب ذكر ابن صياد .

(يختل) : الختل : الأخذ عن طريق خفي .

لقد أَنْذَرَه نوحٌ قومَـه ، ولكن أقولُ لكم فيـه قولاً لم يقلـه نبي لقومـه : تعلَّموا أنَّـه أعور ، وإنَّ الله تبارك وتعالى ليس بأعورَ » .

وزاد مسلم (١) : قـال ابن شهـاب : وأخبرني عمرُ بن ثـابت الأنصـاريُّ : أنَّـه أخبَره بعضُ أصحـاب رسول الله ﷺ قـال - يوم حَـذَّرَ النـاس الـدَّجـال - : « إنـه مكتوب بين عينيـه كافرٌ ، يقرؤه كلُّ من كره عَمَلَهُ أو - يقرؤه كلُّ مؤمن » - وقـال : « تعلَّموا أنَّـه لَن يَرَى أحدٌ منكم ربَّه حتى يموت » .

وفي رواية الترمذي (٢) ، أن رسول الله ﷺ مَرَّ بابن صَيَّاد في نَفَرٍ من أصحابه - منهم : عمرُ بنُ الخطاب - وهو يلعبُ مع الغِلمان ، عند أُطُم بني مَغَالَة - وهو غلامٌ - فلم يشعر حتى ضربَ رسولُ الله ﷺ ظَهرَه بيده .. وذكر الحـديث إلى قولـه : « خُلِّـطَ عليـك الأمر » . وقال : ثم قال رسول الله ﷺ : « إني قَدْ خَبَأْت خبيئًا » . وخبأ لـه ﴿ يوم تـأتي السماء بدخـان مبين ﴾ [الـدخـان : ١٠] فقـال ابن صيـاد : هو الدُّخُّ . فقـال رسـولُ الله ﷺ : « اخسأ ، فلن تَعْدُوَ قَدْرَك » . قال عمرُ : يـا رسولَ الله ائـذنْ لي فـأضرب عُنُقَـه . فقـال رسولُ الله ﷺ : « إن يَكُ حقًا فَلَنْ تُسلَّط عليـه ، وإن لا يَـكُ ، فلا خير لـك في قتله » .

وفي رواية لأبي داود (٣) : زاد بعد قوله : « فَلَنْ تُسلَّط عليه » . قال : يعني الدَّجالَ .

٨٠٠ - * روى أحمد عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قـال لابن صيـاد : « مـا ترى » ؟ قال : أرى عرشًا على البحر وحوله الحيتان . قال رسول الله ﷺ : « ترى عرش إبليس » .

---

(١) مسلم (٤ / ٢٢٤٥) ، في الموضع السابق .

(٢) الترمذي (٤ / ٥١٩) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٦٣ - باب ما جاء في ذكر ابن صائد .

(٣) أبو داود (٤ / ١٢٠) كتاب الملاحم ، باب في خبر ابن صائد .

(الأطم) : البناء المرتفع .

(اخسأ) : خسأتَ الكلبَ : إذا طردته .

٨٠٠ - مسند أحمد (٣ / ٦٦ ، ٩٧ ، ٣٨٨) .

مجمع الزوائد (٨ / ٤) . وقال : رواه أحمد ، وفيه علي بن زيد وهو حسن الحديث ، وبقية رجاله ثقات .

٨٠١ - * روى البخاري ومسلم عن محمد بن المنكدِر ، قال : رأيتُ جابرَ بنَ عبد الله رضي الله عنهما يحلف بالله : أنَّ ابنَ صيَّادٍ الدجالُ ، قال : قلتُ أتحْلف بالله ؟ قال : فإني سمعتُ عمر يحلف بالله على ذلك عندَ رسول الله ﷺ ، فلا يُنكِرُهُ .

وفي رواية لأبي داود بسند حسن [1] : أنه قيل لجابر رضي الله عنه :

إنه أسلم . فقال : وإن أسلم . فقيل : إنه دخل مكة وكان بالمدينة . فقال : وإن دخل مكة .

٨٠٢ - * روى مسلم عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ لابن صياد : «ما تُرْبةُ الجنة» ؟ قال : دَرْمَكَةٌ بيضاءُ مِسْكٌ ياأبا القاسم . قال :«صدقت».

وفي رواية [2] : أن ابن صياد سأل النبي ﷺ عن تُربة الجنة ؟ فقال : « دَرْمَكَةٌ بيضاءُ مِسْكٌ خالصٌ » .

والجمع بين الروايتين بأن رسول الله ﷺ أخبره ابتداءً ثم امتحنه بالسؤال ليعرف مدى حافظته .

ونقل القاضي عياض : إن بعض أهل النظر قالوا : الرواية الثانية أظهر .

٨٠٣ - * روى مسلم عن نافع - مولى عبدِ الله بنِ عُمرَ - رضي الله عنهما ، قال : لَقِيَ ابنُ عمر ابنَ صائد في بعضِ طرقِ المدينة ، فقال له قولاً أغضبَهُ ، فانتفخَ حتى ملأ السِّكَّةَ ،

---

٨٠١ - البخاري (١٣ / ٣٢٣) ٩٦ - كتاب الاعتصام ، ٢٣ - باب من رأى ترك النكير من النبي ﷺ حجة ...
مسلم (٤ / ٢٢٤٣) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٩ - باب ذكر ابن صياد .
وأبو داود (٤ / ١٢١) كتاب الملاحم ، باب في خبر الجساسة .

(١) أبو داود (٤ / ١١٩ ، ١٢٠) كتاب الملاحم ، باب في خبر الجساسة .

٨٠٢ - مسلم (٤ / ٢٢٤٣) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٩ - باب ذكر ابن صياد .

(٢) مسلم (٤ / ٢٢٤٣) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٩ - باب ذكر ابن صياد .

(درمكة بيضاء مسك) : معناه أنها في البياض درمكة وفي الطيب مسك ، والدرمك هو الدقيق الحواري الخالص البياض .

٨٠٣ - مسلم : (٤ / ٢٢٤٦) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٩ - باب ذكر ابن صياد .

فدخل ابنُ عمر على حَفْصةَ ـ وقد بلغها ـ فقالت له : رَحِمَك الله ، ما أردتَ من ابن صياد ؟ أما علمتَ أن رسولَ الله ﷺ قال : « إنما يخرج [أي الدجال] من غَضْبَةٍ يَغْضَبُها ؟ » .

وفي رواية (١) : كان نافعٌ يقولُ : ابنُ صياد قال : قال ابنُ عمرَ : لقيته مرتين ، فلقيته مع قومه ، فقلت لبعضهم : هل تُحدِّثون أنه هو ؟ قالوا : لا والله . قال : قلتُ : كَذَبْتُموني ، والله لقد أخبرني بعضُكم أنه لن يموتَ حتى يكونَ أكثرَكم مالاً وولدًا ، وكذلك هو زعموا اليومَ ، قال : فتحدَّثنا ، ثم فارقتُه . قال : فلقيتُهُ لَقْيَةً أخرى ، وقد نفرت عينُه . قال : فقلتُ : متى فَعَلَتْ عَيْنُك ما أرى ؟ قال : لا أدري . قلت : لا تدري وهي في رأسِك ؟ قال : إن شاء الله خلقها في عصاك هذه . قال : فنخر كأشدِّ نَخيرِ حمار سمعتُ . قال : فزعم بعض أصحابي أني ضربْتُهُ بعصًا كانتْ مَعي حتى تكسَّرتْ ، وأما أنا : فوالله ما شَعرتُ . قالوا : وجاء حتى دخل على أم المؤمنين ، فحدَّثها ، فقالت : ما تريد إليه ؟ ألم تعلم أنه قد قال : « إنَّ أوَّل ما يبعثه على الناس غَضْبةٌ يغضبها ؟ » .

٨٠٤ ـ * روى أبو داود ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال : فقدنا ابن صيَّاد يوم الحرَّة .

٨٠٥ ـ * روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : صَحِبْتُ ابنَ صياد إلى مكة ، فقال لي : أما قد لقيتُ من الناس ، يَزعُمُون أني الدجال ؟ ألستَ سمعتَ رسول الله ﷺ يقول : « إنه لا يولد له » ؟ قال : قلت : بلى . قال : فقد وُلِدَ لي ، أوَليس سمعتَ رسول الله ﷺ يقول : « لا يدخُلُ المدينةَ ولا مكةَ » ؟ قال : قلت : بلى . قال : فقد وُلِدْتُ بالمدينة ، وها أنا ذا أريدُ مكةَ . ثم قال في آخر قوله : أما والله إني لأعْلَمُ مَولدَهُ ومكانَه ، وأين هو . قال : فلَبَسني .

= مسلم (٤ / ٢٢٤٦ ، ٢٢٤٧) في الموضع السابق .

٨٠٤ ـ أبو داود (٤ / ١٢١) كتاب الملاحم ، بابٌ في خبر ابن صياد .

وإسناده صحيح . وصحح الحافظ في الفتح إسناده وقال : وهذا يضعف ما تقدم أنه مات بالمدينة ، وأنهم صلَّوا عليه وكشفوا عن وجهه .

٨٠٥ ـ مسلم (٤ / ٢٢٤١ ، ٢٢٤٢) ٥٢ ـ كتاب الفتن ، ١٩ ـ باب ذكر ابن صياد .

وفي رواية [١] : قال : قال لي ابن صائد ـ وأخذتني منه ذَمامة ـ هذا عَذَرتُ الناسَ ، مالي ولكم يا أصحابَ محمد ؟ ألم يقل نَبيُّ الله : « إنّه يهودي » . وقد أسلمتُ . وقال : « لا يولَد له » . وقدَ وُلدَ لي . وقال : « إنَّ الله حَرَّم عليه مكة » . وقدْ حَجَجْتُ ؟ قال : فمازال حتى كاد أن يأخذ فيَّ قولُهُ . قال : فقال له : أما والله إني لأَعْلَمُ الآن حيث هو ، وأعرف أباه وأمه . قال : وقيل له : أيسُرُّك أنك ذاك الرجلُ ؟ قال : فقال : لو عُرِضَ عليَّ ما كَرِهتُ .

وفي رواية [٢] قال : خرجنا حُجَّاجًا ـ أو عُمَّارًا ـ ومعنا ابن صائد ، قال : فنزلنا منزلاً ، فتفرّق الناس ، وبقيتُ أنا وهو ، فاستوحشتُ منه وحشة شديدة مما يقال عليه ، قال : وجاء بمتاعه فوضعه مع متاعي ، فقلتُ : إنَّ الحرَّ شديدٌ ، فلو وضعتَه تحت تلك الشَّجَرةِ ؟ قال : ففعل . قال : فَرُفِعتْ لنا غنم فانطلق فجاء بِعُسّ ، فقال : اشْرَبْ أبا سعيد . فقلت : إنَّ الحرَّ شديدٌ ، واللبنَ حارٌّ ، ما بي إلا أني أكْرَهُ أن أشربَ عن يده ـ أو قال : آخذ عن يده ـ فقال : أبا سعيد ، لقد هممتُ أن آخذ حَبْلاً فأعلّقه بشجرة ثم أَخْتَنِقَ مما يقولُ لي الناسُ ، يا أبا سعيد ، مَنْ خَفي عليه حديثُ رسول الله ﷺ ما خَفيَ عليكم مَعشَرَ الأنصار ، ألستَ من أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ ؟ أليس قد قال رسول الله ﷺ : « هو كافر » ؟ وأنا مسلم . أو ليس قد قال رسول الله ﷺ : « هو عقيم لا يولَدُ له ولد » . وقد تركتُ ولدي بالمدينة ؟ أو ليس قد قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل المدينةَ ولا مكة » . وقد أقبلتُ من المدينة ، وأنا أريدُ مكة ؟ قال أبو سعيد : حتى كِدْتُ أن أعْذِرهُ ، ثم قال : أما والله إني لأعرفُهُ ، وأعرف مولده ، وأين هو الآن ؟ قال : قلتُ له : تَبّاً لك سائر اليوم .

---

(١) مسلم (٤ / ٢٢٤٢) في الموضع السابق .

(ذمامة) : الذّمامة ، بالذال المعجمة : الحياء والإشفاق من الذم ، والمذمّة : العار ، وبالدال المهملة : قبح الوجه ، والمراد الأول .

(٢) مسلم (٤ / ٢٢٤٢ ، ٢٢٤٣) في الموضع السابق .

(العُسّ) : قدح ضخم يشرب فيه .

(التبّ) : الخسار والهلاك .

٨٠٦ - * وروى الترمذي الرواية الآخرة إلى قوله : وقد تركتُ ولدي بالمدينة . وقال : ألم يقل رسول الله ﷺ : « إنَّه لا تحلّ له مكة » ؟ ألستَ من أهل المدينة ، وهو ذا أنطلقُ معكَ إلى مكةَ ؟ قال : فوالله ما زال يَجيءُ بهذا ، حتى قلتُ : فلعله مكذوبٌ عليه . ثم قال : يا أبا سعيد ، والله لأُخْبِرنَّك خَبَرًا حقًّا ، والله إني لأعرفه ، وأعرف والدَهُ ، وأين هو الساعةَ (أي : الآن) من الأرض ؟ فقلتُ له : تبًّا لك سائر اليوم .

٨٠٧ - * روى أبو داود عن نافع - مولى عبد الله بن عمر - أنَّ ابنَ عمر رضي الله عنهما كان يقول : والله ما أَشُكُّ أن المسيحَ الدَّجالَ ابنُ صَيَّاد .

٨٠٨ - * وروى أحمدُ عن أبي ذرٍّ ، أنه كان يقول - في ابن صياد - هو الدَّجال . وقال : قالت أمه : حملتُه اثنى عشر شهرًا ، فلما وقع ، صاح صياح ابن شهرين ، وكان يَشِبُّ في اليوم الواحد شبابَ الصبي لشهرٍ .

روى الطبراني [1] عن أبي ذر ؛ لأن أَحْلفَ عَشْرَ مراتٍ أن ابنَ صائد هو الدجال أحب إلى من أن أحلف مرة واحدة أنه ليس به .

أقول : وعلى الفرض أن ابن صياد هو الدجال ، فهذه الفترة التي قضاها تمثل ظاهرة لها صلة بالجن والشياطين ، لأنها فترة ما قبل خروجه . وإنما جزمت بأن ابن صياد غير الدجال لحديث تميم الداري الذي سير معنا والذي فيه أنه رأى الدجال في جزيرة من الجزر ، فكيف يجتمع ذلك مع أن ابن صياد الدجال ، خاصة وقد أقر الرسول ﷺ تميمًا الداري على رؤيته ؟ .

---

٨٠٦ - الترمذي (٤ / ٥١٦ ، ٥١٧) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٦٣ - باب ما جاء في ذكر ابن صائد .

٨٠٧ - أبو داود (٤ / ١٢٠) كتاب الملاحم ، باب في خبر ابن صائد .

وإسناده صحيح .

٨٠٨ - مسند أحمد (٥ / ١٤٨) . وسنده حسن .

(١) المعجم الكبير (١٠ / ١٣٤) .

مجمع الزوائد (٨ / ٤) وقال : إسناده حسن .

وصححه الحافظ في الفتح . وقال : ومن حديث ابن مسعود نحوه لكن قال : سبعًا . بدل : عشر مرات .

قال ابن كثير في النهاية :

(قال بعض العلماء : إن ابن صياد كان بعض الصحابة يظنه الدجال وهو ليس به إنما كان رجلا صغيرًا) .

(وقد كان ابن صياد من يهود المدينة ولقبه عبد الله ويقال صاف وقد جاء هذا وهذا وقد يكون أصل اسمه صاف ثم تسمّى لما أسلم بابن عبد الله وقد كان ابنه عمارة بن عبد الله من سادات التابعين وروى عنه مالك وغيره وقد قدمنا أن الصحيح أن الدجال غير ابن صياد وأن ابن صياد كان دجالا من الدجاجلة ثم تاب بعد ذلك فأظهر الإسلام والله أعلم بضميره وسيرته) .

(والأحاديث الواردة في ابن صياد كثيرة ، وفي بعضها التوقف في أمره هل هو الدجال أو لا ؟ فالله أعلم ويحتمل أن يكون هذا قبل أن يُوحَى إلى رسول الله ﷺ في شأن الدجال وتعيينه ، وقد تقدم حديث تميم الداري في ذلك وهو فاصل في هذا المقام) .

[وقال :] (وسنورد من الأحاديث ما يدل على أنه ليس بابن صياد والله تعالى أعلم وأحكم) .

(والمقصود أن ابن صياد ليس بالدجال الذي يخرج في آخر الزمان قطعًا وذلك لحديث فاطمة بنت قيس الفهرية فإنه فيصل في هذا المقام والله أعلم) ا . هـ من النهاية .

* * *

الوصل الثاني

في

تحضير الأرواح



أخذت ظاهرة تحضير الأرواح حيزًا كبيرًا من تفكير الناس في عصرنا وفي القرن الماضي وذلك أن الناس أرادوا أن يتعلقوا بشيء غيبي بعد أن وصلت موجة الدعوة المادية إلى ذروتها وموجة التشكيك إلى غايتها ، ولو أن الناس عرفوا حقيقة النبوة والرسالة وعرفوا القرآن والسّنة وما فيهما من معجزات وعرفوا الولاية لأهل الولاية لما احتاجوا إلى التمسك بالظنيات والوهميات ولكن وضع العصر وما جرى فيه جعل الكثيرين يهتمون بالظواهر التي تدحض فرية المادية ومن ههنا أقبلوا على تتبع ظاهرة التَّلَبَاثي وظاهرة التنويم المغناطيسي وظاهرة الأحلام وظاهرة تحضير الأرواح ، وكلها ظواهر تثبت أن في الإنسان وفي الكون خفايا غيبية وإن اختلفت في الناس منازع التحليل والتعليل . والذين تحدثوا عن ظاهرة تحضير الأرواح اختلفوا فمنهم : من نفاها كلية واعتبروها شعوذة وكذبًا ، ومنهم : من أثبتها وأخذ يتلقى عنها وكأنها وحي معصوم ، وهؤلاء وهؤلاء أفرطوا فمن أعطى العصمة في أمر الغيب لغير الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فقد كفر ، ومن اعتبر أن هناك جهة يتلقى عنها تشريعًا غير الوحي وما بني عليه باجتهاد من أهله فقد كفر . والظاهر أن مجموع ما يجري في حوادث تحضير الأرواح يثبت أن هناك شيئًا غير عادي يحدث فما هو التعليل الصحيح ؟ .

يذهب الشيخ حسن أيوب في رسالته : « مع رسل الله وكتبه واليوم الآخر » أن كل ما يظهر من ظواهر في عمليات تحضير الأرواح يمكن أن تُعلل بأنها من آثار عمل الجن والشياطين وينفي إمكانية أن تكون روح من أرواح الإنس يمكن أن يكون لها علاقة بهذا الشأن ، والذي ذهب إليه هو الذي ترتاح له النفس ويطمئن القلب ، ومن كلامه :

(يمكن للجني أن يقلد أية شخصية حية أو ميتة بعد موتها ، لأن أعمار الجن تصل أحيانًا إلى مئات السنين ، كما ثبت ذلك في بعض الأحاديث والآثار ، كما أن تكليم الجني للإنسان على لسان إنسان آخر أمر ثابت وتحريك الجني لقلم يكتب ، أو سلسلة ترسم بوساطة قلم ، أو لأثاث حجرة ليكسر أو لغير ذلك مما نسمع عنه أمر ممكن وواقع فيما مَضى ويقع الآن كثيرًا ، والمتتبع لهذا الأمر يجد الغرائب التي لا شك فيها) ا . هـ .

ومن كلام الشيخ سعيد رمضان البوطي في كبرى اليقينيات عن تحضير الأرواح :

(وكما أن في النّاس أشرارًا دأبهم الكـذب والتلاعب بعقـول النـاس ، فـإن في الجن أيضًـا كذلك ، فمن أين لك أن الذي ينـاجيـك أو يكتب لـك جواب أسئلتـك من قـاع السلـة ، ليس شيطانًا مريدًا جاء ليلبس عليك دينك ويلهو بمخادعتك ويلتذ بالكـذب عليـك ؟ أو لم تقرأ أن أكثر أسباب الحماقة في المنحرفين أو المجانين الذين ادعوا أنهم أنبياء أو عظماء إنمـا هو هواجس من هؤلاء الشياطين ، إذ هتفوا في أعماق أفئدتهم أو على طبلـة آذانهم أنهم أحبـاء الله وعظماؤه .. وأنّ الله قـد أكرمهم بإسقـاط تكاليفـه عنهم ، فَرَبَـا الغرورُ في أوداجهم وثقلت رؤوسهم الفارغة بالخديعة وراحت تهتز منهم الأعطاف) .اهـ.

* * *

الفصل السادس

في:

الإيمان بالكتب

وفيه:

مقدمة ووصل



المقدمة

ـ الإيمان بالكتب التي أنزلها الله عز وجل هو الركن الثالث من أركان الإيمان ، والكتب التي أنزلها الله عز وجل غير محصورة بعدد معروف ، لكن القرآن الكريم نص على أربعة منها ، ونص على صحف إبراهيم وموسى ، فكما أن الرسل عليهم الصلاة والسلام غير محصورين بعدد على القول الراجح ، لكنه ـ أي القرآن ـ حدثنا عن خمسة وعشرين منهم تفصيلاً فكذلك الكتب ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ كان النّاسُ أمةً واحدةً فبعثَ اللهُ النّبيينَ مبشرين ومنذرينَ وأنزل معهُمُ الكتابَ بالحقِّ ليحكم بينَ النّاسِ فيما اختلفُوا فيه ﴾ [1] .

قال الفخر الرازي عند هذه الآية نقلاً عن القاضي : (ظاهر الآية يدل على أنه لا نبي إلا معه كتاب منزل فيه بيان الحق طال ذلك الكتاب أم قصر ، ودُوِّنَ ذلك الكتاب أم لم يُدَوَّنْ ، وكان ذلك الكتابُ مُعْجِزاً أم لم يكن ، كذلك لأن كون الكتاب منزلاً معهم لا يقتضي شيئاً من ذلك) . ا.هـ.

وقال تعالى : ﴿ لقدْ أرسلنَا رُسُلَنَا بالبيناتِ ﴾ ـ أي بالمعجزات على القول الراجح ـ ﴿ وأنزلنا معهم الكتابَ والميزانَ ليقومَ النّاسُ بالقسط ﴾ [2] . وأخبرنا جل جلاله عن المسيح عليه السلام : ﴿ وإذْ عَلَّمْتُكَ الكتابَ والحكمةَ والتوراةَ والإنجيلَ ﴾ [3] ، فسر بعض العلماء الكتاب في الآية الأخيرة بالكتابة والخط واحتمل لها تفسيراً آخر أنه المفروض ؛ أخذاً من قوله تعالى : ﴿ إنّ الصلاةَ كانتْ على المؤمنيْن كتاباً موقوتاً ﴾ [4] : أي فريضة مؤقتة بوقت ، فالكتاب يأتي بمعنى المكتوب وهو المفروض ، والحكمة معناها وضع الأمور في مواضعها ، فقد آتى الله عز وجل المسيح علم المفروضات على العباد ، وأوتي الحكمة في الأقوال والأفعال ، وأوتي التوراة حفظاً وفهماً ، وأنزل عليه الإنجيل كتاباً متميزاً .

والرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم يعرفون فرائض الله بتعريف الله إياهم ،

---

(١) البقرة : ٢١٣ .
(٢) الحديد : ٢٥ .
(٣) المائدة : ١١٠ .
(٤) النساء : ١٠٣ .

وكذلك كتابهم سواء دُوِّنَ أو لم يُدَوَّنْ ، كبيرًا كان أو صغيرًا ، نقل إلى النَّاس باللفظ والمعنى أو بالمعنى دون اللفظ .

لكنّ القرآن خص بالذكر التوارة والإنجيل والزبور والقرآن وصحف إبراهيم وموسى ؛ فهذه لفظها ومعناها من الله عز وجل ، وخص القرآن من بينها بأنه معجز ، كما خُصَّ بخصائص أخرى ، منها أن الله تولى حفظه : ﴿ إنَّا نحنُ نزَّلنا الذكرَ وإنَّا لهُ لحافِظُونَ ﴾ [1] . وقامت هذه الأمة بتوفيق الله لها بحفظ كتابها ، بينما كلف أهل الكتب الأخرى بأن يتولوا حفظها فلم يقوموا بحق الله عز وجل : ﴿ بِمَا اسْتُحْفِظُوا من كتابِ اللهِ وكانوا عليهِ شهداءَ ﴾ [2]

ـ والظاهر أن الأسفار الخمسة الأولى من أسفار العهد القديم ـ وهي تعتبر عند اليهود التوراة ـ قد اختلطت فيها صحف موسى مع التوراة مع السيرة الذاتية لموسى عليه السلام مع قومه ومع فرعون ، وهذا واضح من أدنى قراءة لهذه الأسفار ، هذا مع التبديل والتحريف والزيادة والنقص مما تدل عليه أدلة كثيرة ، وفي كتابنا الرسول ﷺ ، وفي تفسيرنا بَرْهَنَّا على ذلك من خلال نصوص هذه الأسفار ، ويكفينا ماشهد به القرآن عنهم : ﴿ يُحرِّفون الكَلِمَ عن مواضِعِهِ ﴾ [3] ، ﴿ يُحرفونَ الكَلِمَ من بعدِ مواضِعِهِ ﴾ [4] ، ﴿ فويلٌ للذينَ يكتُبونَ الكتابَ بأيْدِيهم ثمَّ يقولونَ هذَا من عندِ اللهِ ليشتَروا بهِ ثمناً قليلاً ﴾ [5] وهناك شيء آخر غير التوراة أنزل بمناسبات أخرى .

ـ والظاهر أن الأناجيلَ الحالية قد أختلط فيها كذلك ماهو من الإنجيل وماهو سيرة ذاتية للمسيح عليه الصلاة والسلام مع التحريف والتبديل ، فالأناجيل المعتمدة عند نصارى اليوم مكتوبة بأقلام مدرسة بولس الذي حرف دين المسيح ، وهناك أناجيل أخرى لم تُعتمد واندرست ، وكل ماوصلنا مما يسمى إنجيلاً نجده وكأنه سيرة ذاتية للمسيح عليه الصلاة والسلام فيه مقاطع ؛ نُحسُّ بأنه بالإمكان أن تكون من الإنجيل ، ولكننا لا نستطيع الجزم .

---

(١) الحجر : ٩ .
(٢) المائدة : ٤٤ .
(٣) النساء : ٤٦ .
(٤) المائدة : ٤١ .
(٥) البقرة : ٧٩ .

ـ والظاهر أن الزبور الحالي قد اختلط فيه ما هو وحي رباني بما هو إنشاد لداود بما هو قصائد أخرى قالها غير داود ، يظهر ذلك بأدنى تأمل ، فهنا مزامير لا تُذكر نسبتها وهناك مزامير تذكر أن داود قالها بمناسبات ، وهناك مزامير أخرى تُنسب لقائليها .

ـ والراجح أن هناك بقية من صحف موسى في الأسفار الخمسة مخلوطة بغيرها .

ومن هٰهنا نعرف رحمة الله عز وجل إذ خص محمداً ﷺ بكتابه الحاكم والمهين والمعجز والمحفوظ لتفيء البشرية إليه ، ويكون حجة على المكلفين ، وجعل فيه من الخصائص مالا يحاط به .

وتوجد عند أُمَمٍ كثيرة غير اليهود والنصارى أسفار دينية قد تكون بعض أصولها مروية عن الأنبياء ، ولكن ذلك لا نستطيع الجزم به ، وإن كنا نجزم أنه ما من أمة إلا وقد أرسل لها من يبلغها دعوة الله : ﴿ وإنْ من أمّةٍ إلا خَلا فيها نذيرٌ ﴾ [1] . وهؤلاء الرسل جميعًا بعثوا بتبيان المفروض على الناس ، وتعليم الحكمة في التعامل مع الخالق والمخلوق ، وبعثوا بتزكية الأنفس : ﴿ هَل لكَ إلى أنْ تَزَكّىٰ * وأهديَكَ إلى ربّكَ فتَخْشَى ﴾ [2] ، ﴿ وابْعَثْ فيهم رسُولاً منهُم يتلو عليهم آياتِك ويُعَلّمُهُم الكتابَ والحِكمَةَ ويزكّيهم ﴾ [3] .

وهذا كله يتم عبر تبليغ الوحي ؛ سواء أشبه هذا الوحي الأحاديث القدسية في شريعتنا ، أو أشبه السُّنة النبوية ثم سجله الناس عن أنبيائهم وحرفوه فيما بعد ، ويحتمل أن يكون الله عز وجل قد أنزل كتبًا أخرى غير الذي ذكره لنا ؛ فقد قال الله عز وجل : ﴿ فبعثَ اللهُ النبيينَ مُبَشّرينَ ومُنْذِرينَ وأنْزَلَ مَعَهُمُ الكتابَ ﴾ [4] ، قال الفخر الرازي : (وللوحي خصائص وللكتب السماوية خصائص وسمات وخُصَّ القرآنُ بمزيد من هذه الخصائص والسمات) ، وقد ذكرت في القرآن الكريم خصائصه وصفاته فهو : محكم ، مثاني ، حق ، عدل ، مفصل ، يفرق بين الحق والباطل ، يبين كلَّ شيء يحتاجه المكلف في أمر دنياه وأخراه وفيه الهداية والرحمة ، وآياته على نوعين : محكمة ومتشابهة ، وفيه عرض لآيات الله في الكون والنفس ، وفيه علم الساعة ، وهو أعلى كتاب ، وأحكم كتاب ، وفيه الإنذار

---

(١) فاطر : ٢٤ .
(٢) النازعات : ١٨ ، ١٩ .
(٣) البقرة : ١٢٩ .
(٤) البقرة : ٢١٣ .

والتبشير ، وهو الحكم الفصل لكل ما اختلف فيه الناس ، وهو شفاء لما في الصدور من أمراض وشكوك وأسئلة وحَيْرةٍ ، وهذا وغيره تجده في القرآن الكريم مما وصف الله عز وجل كتابه ، كما سنرى ذلك .

وكلمة الإنجيل تعني البشارة ، والنصوص القرآنية تذكر أن عيسى عليه السلام جاء مبشراً برسول اسمه أحمد ، وقد وصف الله عز وجل رسالة عيسى بصفات تنطبق ضرورةً على الإنجيل ، كما وصف الإنجيل بصفات ، ومن خلال ذلك تتحدد معالم الإنجيل : ﴿ وإذْ قالَ عيسى ابنُ مريمَ يابني إسْرَائيلَ إنّي رسولُ اللهِ إليكُم مصدّقاً لما بينَ يَدَيَّ من التوراةِ ومُبشرًا برسُولٍ يأتي من بَعْدِي اسْمُهُ أحْمَدُ ﴾ [١] ، ﴿ وآتيناهُ الإنجيلَ فيه هُدًى ونورٌ مُصَدّقًا لما بَيْنَ يديهِ من التوراة وهُدًى وموعِظَةً للمُتّقين ﴾ [٢] ، ﴿ أنّي قدْ جِئْتُكُم بآيةٍ من رَبّكُمْ ﴾ [٣] .

وأما الزبور فلم يأت له وصف قرآني ولكن اسمه يوحي بأنه أقرب إلى الأنشودة والتذكير ، قال ﷺ : « لقد أوتي مزماراً من مزامير آل داود » [٤] . والمراد بالمزمار هنا : الصوت الحسن .

﴿ ولقدْ كَتَبْنا في الزَّبُورِ من بَعْدِ الذِّكْرِ أنّ الأرضَ يرِثُها عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [٥] .

والمزامير الموجودة الآن في العهد القديم منها ما هو منسوب لداود ومنها ماهو منسوب لغيره ، ويظهر من قراءتها وكأن بعضها عليه طابع الوحي ، وبعضها نشيد لداود ، نفسه وبعضها نشيد لغيره ، والله أعلم .

---

(١) الصف : ٦ .
(٢) المائدة : ٤٦ .
(٣) آل عمران : ٤٩ .
(٤) البخاري (٩ / ٩٢) - ٦٦ - كتاب فضائل القرآن - ٣١ - باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن .
ومسلم (١ / ٥٤٦) - ٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - ٣٤ - باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن .
والترمذي (٥ / ٦٩٣) - ٥٠ - كتاب المناقب - ٥٦ - باب في مناقب أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .
وقال : هذا حديث غريب .
والنسائي : (٢ / ١٨٠) - ١١ - كتاب الافتتاح - ٨٣ - باب تزيين القرآن بالصوت .
(٥) الأنبياء : ١٠٥ .

وأما التوراة فقد وصفت في القرآن بأوصاف جامعة :

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التوراةَ فِيهَا هُدًى ونورٌ يحكُم بِهَا النَّبِيُّونَ الذينَ أَسْلَمُوا للَّذِينَ هَادُوا والربَّانِيُّونَ والأحبارُ ﴾ [١] ، ﴿ وكَتَبْنَا لهُ في الألواحِ مِن كُلِّ شيءٍ مَوعِظَةً وتَفْصِيلاً لكلِّ شيءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وأْمُرْ قَومكَ يَأْخُذُوا بأَحْسَنِهَا ﴾ [٢] .

وأما صحف إبراهيم وموسى فقد ذُكِرَ بعضُ ما فيها بقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى * وذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بل تُؤْثِرُونَ الحياةَ الدُّنْيَا * والآخرةُ خيرٌ وأبْقَى * إنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ [٣] .

وقد وردت إشارة إلى بعض ما في صحف إبراهيم بقوله تعالى : ﴿ وإِبْرَاهِيمَ الذِي وَفَّى * ألا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ... ﴾ [٤] .

ولم تصلنا كل أخبار الرسل السابقين وما أنزل عليهم وما بلغوه أقوامهم إلا ما جاء في القرآن والسنة ، أما ماسوى ذلك فالأدلة الواضحات والتحقيقات القاطعات تشهد على التحريف والتبديل ، ومن هٰهنا تكفل الله عز وجل بحفظ القرآن الكريم ليبقى الحجة القطعية على الخلق في كل مابعث به الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فقد تضمن ذلك كله الآيات والفروض والحكمة وتزكية النفس وزاد على ذلك ، وقد جعله الله معجزاً لتقوم به الحجة على الخلق جميعاً : ﴿ وأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بالحقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بينَ يَدَيْه من الكِتَابِ ومُهَيْمِنًا عَلَيه ﴾ [٥] .

وقد جاء بالأحكام التي تسع الزمان والمكان وخفف فيه عن المكلفين ماشدد على أمم سابقة عقوبة لهم : ﴿ الذينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الذي يَجِدُونَه مَكْتُوبًا عِنْدَهُم في التَّوراة والإنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ ويَنْهَاهُم عَنِ المُنْكَر ويُحِلُّ لهم الطَّيِّبَاتِ ويُحَرِّمُ عليهمُ الخَبَائِثَ ويَضَعُ عَنْهُم إِصْرَهُم والأَغْلالَ التي كَانَتْ عَلَيْهِم ﴾ [٦] .

* * *

(١) المائدة : ٤٤ .
(٢) الأعراف : ١٤٥ .
(٣) الأعلى : ١٤ ـ ١٩ .
(٤) النجم : ٣٧ ، ٣٨ .
(٥) المائدة : ٤٨ .
(٦) الأعراف : ١٥٧ .

والإيمان بالقرآن يدخل فيه الإيمان بحروفه وقراءاته ومضمونه ، ويدخل فيه الإيمان بالسنة شارحة الكتاب : ﴿ وأنزلنا إليكَ الذكرَ لتبينَ للناسِ ما نُزِّلَ إليهِم ولعلَّهُم يتفكَّرون ﴾[1] .

ـ وأسهل طريقة لنتعرف على خصائص القرآن أن نعرف ما وصف الله عز وجل به كتابه ، أو ما سماه به ، أو ما وصف به رسولُ ﷺ كتابَ الله وسماه به ، وقد أحصى الإمام الزركشي في كتابه (البرهان) ثمانية وأربعين اسمًا ؛ من ذلك أنه روح : ﴿ وكذلِكَ أوْحَيْنَا إليكَ رُوحًا مِنْ أمرِنَا ﴾[2] ، ومن ذلك النور : ﴿ قدْ جَاءَكُم من اللهِ نُورٌ وكِتابٌ مُبِينٌ ﴾[3] ، ومن ذلك الذكر : ﴿ إنَّا نحنُ نَزَّلْنَا الذكْرَ وإنَّا له لحَافِظُون ﴾[4] ، ﴿ ومن أعرضَ عن ذِكْري فإنَّ له معيشةً ضَنْكًا ﴾[5] ، ومن ذلك الهدى : ﴿ إنَّ هذا القُرْآنَ يَهْدِي للتي هِي أقْومُ ﴾[6] ، ومن ذلك حبل الله : ﴿ واعْتَصِمُوا بحَبلِ الله جَمِيعًا ولا تفرَّقُوا ﴾[7] ، ومن ذلك الحق : ﴿ والذي أُنزِلَ إليكَ من ربِّكَ الحقُّ ﴾[8] ، ﴿ لا يَأْتِيه البَاطِلُ من بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِه ﴾[9] ومن ذلك الشفاء : ﴿ قُلْ هُو للَّذينَ آمنُوا هُدًى وشِفَاءٌ ﴾[10] ، ومن ذلك الموعظة والرحمة : ﴿ قد جَاءَتْكُم مَوعِظَةٌ من ربِّكُم وشِفَاءٌ لما في الصُّدُورِ وهدًى ورحمَةٌ للمُؤمِنِينَ ﴾[11] ، ومن ذلك المبين : ﴿ قد جَاءَكُم مِن اللهِ نُورٌ وكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾[12] ، ﴿ ونَزَّلْنَا عَليكَ الكِتابَ تِبيَانًا لِكُلِّ شيءٍ ﴾[13] ومن ذلك أحسن الحديث : ﴿ اللهُ نَزَّلَ أحسَنَ الحَدِيثِ كِتابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ منهُ جُلودُ الذين يَخْشَونَ رَبَّهُم ثمَّ تلينُ جُلودُهُم وقلوبُهم إلى ذِكْرِ الله ذلكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِه من يَشَاء ﴾[14] ، ومن ذلك الحكم : ﴿ كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ من لَدُنْ حَكِيمٍ

---

(١) النحل : ٤٤ .
(٢) الشورى : ٥٢ .
(٣) المائدة : ١٥ .
(٤) الحجر : ٩ .
(٥) طه : ١٢٤ .
(٦) الإسراء : ٩ .
(٧) آل عمران : ١٠٣ .
(٨) الرعد : ١ .
(٩) فصلت : ٤٢ .
(١٠) فصلت : ٤٤ .
(١١) يونس : ٥٧ .
(١٢) المائدة : ١٥ .
(١٣) النحل : ٨٩ .
(١٤) الزمر : ٢٣ .

خَبِيرٍ ﴾ [1] . فكتاب اجتمعت فيه هذه الخصائص وغيرها مع عجز البشر أن يأتوا بأقصر سورة من سوره أو ثلاث آيات من آياته ففيه دليل أنه من الله عزوجل .

ـ إنك عندما تنظر إلى القرآن ككل تجده مدهشًا بما اجتمع فيه من تناسق وتوافق وتكامل وبما فيه من كمال في الأسلوب والفصاحة والمعاني : ﴿ أفلا يَتَدبَّرُونَ القرآنَ ولو كانَ من عندِ غيرِ اللهِ لوجَدُوا فيه اخْتِلافًا كَثيرًا ﴾ [2] .

ـ والقرآن فيه إعجاز ومعجزات ، فإعجازه قدر مشترك فيه ، وذلك وحده معجزة محسة قامت بها الحجة على العالمين ، إذ عجز المخاطبون وهم عاجزون إلى الأبد أن يأتوا بسورة من مثله : ﴿ وإنْ كُنتم فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ وادْعُوا شُهَدَاءكُم مِن دُونِ اللهِ إنْ كُنْتُم صَادِقِينَ ٭ فَإنْ لَم تَفْعَلُوا ولَنْ تَفْعَلُوا فاتَّقُوا النَّارَ التِي وَقُودُها النَّاسُ والحِجَارَةُ أُعِدَّتْ للكَافِرِين ﴾[3] . فالعجز عن الإتيان بأدنى سورة من سوره هو مظهر إعجازه ، وهناك زيادة على الإعجاز معجزات تظهر حيثما وجدت شيئًا يستحيل أن يكون مصدره بشريًا كالآيات التي تتحدث عن كونيات لم يكتشفها الإنسان إلا مؤخرًا ، وكإخباره عن الغيوب السابقة واللاحقة ، وأسرار وحدته إلى غير ذلك من أمور أطنب الكتّاب في شرحها وتحدثنا عن بعضها في كتابنا (الرسول) ﷺ وفصلنا الكثير منها في التفسير .

ـ والحديث عن أسباب الإعجاز يطول وقد لا يدرك كل إنسان هذه الأسباب ولكن الحجة قائمة على البشر بالعجز وفي ذلك الكفاية ، والأسهل على الخلق أن يتعرفوا على معجزاته ، فقيام الحجة بها على العرب والعجم وكل مكلف لا يتمارى فيه ، فمن معجزاته أنه قدم للمكلفين هداية كاملة في العقائد والعبادات والتشريع والأخلاق والآداب ومن معجزاته أنه قدم تصوراً عجيبًا عن الكون والحياة وعن الزمان والمكان بما لم تعرف أبعاده إلا في عصرنا : ﴿ وإنَّ يومًا عند ربِّك كَألْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّون ﴾ [4] ، ﴿ والسماءَ بنيناهَا بأيدٍ وإنَّا

---

(١) هود : ١ .
(٢) النساء : ٨٢ .
(٣) البقرة : ٢٣ ، ٢٤ .
(٤) الحج : ٤٧ .

لَمُوسِعُونَ ﴾ [١] ، ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ۞ وإنه لَقَسَمٌ لو تعلمون عظيم ﴾ [٢] ، ﴿ أولم يَرَ الذينَ كفَرُوا أنَّ السماواتِ والأرضَ كانتا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ [٣] ومن معجزاته ما حدثنا به عن كونيات لم تعرف إلا في عصرنا ، ومن معجزاته ما أخبر به عن مستقبلٍ ووقع ، ومن معجزاته ما أخبر به عن أمم سالفة ولم يكن العرب يعرفونها ، ومن معجزاته تَضَمُّنُه لكل ما في كتب أهل الكتاب من معان مع أن محمدًا ﷺ كان أُمِّيا ، ومن معجزاته التناسب في جميع ما تضمنه ظاهرًا وباطنًا من غير اختلاف فيه ، ومن معجزاته وفاؤه بحاجات البشر في الهداية في كل شيء ، ومن معجزاته التصرف في الأمثال والتصوير مما لا يخطر على قلب بشر : ﴿ قُل لو كانَ البَحْرُ مِدَادًا لكلماتِ ربِّي لَنَفِدَ البحرُ قبل أن تَنْفَدَ كلماتُ ربِّي ولو جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [٤] .

- ولا شك أن لمعاني القرآن دخلاً في إعجازه ، ومع المعاني اجتمعت فصاحة لا مثيل لها ، وبلاغة لا مثيل لها ، وأسلوب لا مثيل له ، ونظم لا مثيل له ، وجزالة لا تصح من مخلوق بحال ، وحسن بيان بالغ ذروة الكمال ، وتصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به عربي حتى يقع منهم الاتفاق على إصابته في وضع كل كلمة وكل حرف في موضعه ، هذا مع ماجتمع فيه من خصائص وصفات مع ما وجد فيه من روح وحياة كل ذلك عوامل في الإعجاز ، والأمر أوسع من ذلك .

وبعد ، فالإيمان بالكتب يشمل :

- الإيمان الإجمالي بكل كتاب أنزله الله عز وجل على كل نبي ورسول ، والإيمان التفصيلي بما سماه الله عز وجل لنا وذكره ، وهي : القرآن وهو أفضلها ثم التوراة وهي تالية له بالفضل ثم الإنجيل ثم الزبور ثم صحف إبراهيم وموسى .

- ومقتضى الإيمان بالكتب الاعتقاد بأنها وحي من الله عز وجل للرسل الذين أنزلت عليهم هذه الكتب .

---

(١) الذاريات : ٤٧ .
(٢) الواقعة : ٧٥ ، ٧٦ .
(٣) الأنبياء : ٣٠ .
(٤) الكهف : ١٠٩ .

ـ وأن الكتب السابقة على القرآن ضاعت أو حُرِّفت أو بُدِّلَتْ أو غُيِّرَتْ أو اختلطت بغيرها وجاء القرآن مؤكدًا لثوابتها وذاكرًا التكليفات المستمرة وناسخًا للأحكام الخاصة .

﴿ وأنزلْنا إليكَ الكِتابَ مُصَدِّقًا لما بَيْنَ يَدَيْهِ من الكِتابِ ومُهَيمِنًا عَلَيْه ﴾ (١) .

﴿ ولقَدْ وَصَّيْنَا الذينَ أُوتُوا الكِتابَ من قَبْلِكُم وإيَّاكُم أنِ اتَّقُوا الله ﴾ (٢) .

﴿ الذين يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الذي يجدُونَه مكْتُوبًا عِندَهُم في التوراةِ والإنجيلِ يأمُرُهُم بالمَعْرُوفِ ويَنْهاهُم عن المُنْكَرِ ويُحِلُّ لهم الطَّيِّباتِ ويُحَرِّمُ عليهِمُ الخَبائِثَ ويَضَعُ عنهُم إصْرَهُم والأغلالَ التي كانَتْ عَلَيْهِم ﴾ (٣) .

ـ الإيمان بالقرآن يقتضي الإيمانَ بعموم الخطاب فيه للمكلفين من الإنس والجن جميعًا ويقتضي الإيمان بخلود هذا الخطاب وأن المكلفين من الإنس والجن مخاطبون به حتى يرث الله الأرض ومن عليها وأنه شامل كامل ، وأنه الكتاب الوحيد الذي لم يداخله تغيير ولا تبديل ، وأنه حاكم وناسخ لكل كتاب سابق .

هذا وقد مرت معنا نصوص في القسم الأول من هذا الكتاب عن القرآن وستأتي نصوص في أقسام لاحقة في سياقاتها فلنكتفِ بما ذكرناه هنا كي لا يخلو هذا القسم من تذكير بكل مايلزم في باب العقائد .

* * *

(١) المائدة : ٤٨ .
(٢) النساء : ١٣١ .
(٣) الأعراف : ١٥٧ .



الوصل

في:

التعريف على كتب بعض أهل الأديان

وفيه:

مقدمة وتعريفات ونصوص



المقدمة

لقد رأينا فيما مر اتجاهًا نقله الفخر الرازي رحمه الله يفيد أنه ما من رسول إلا وأنزل معه كتاب ، وذلك قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحدةً فبعثَ اللهُ النَّبيِّينَ مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ وأَنْزلَ معهُم الكِتابَ بِالحقِّ ليحكُم بينَ النَّاسِ فِيما اخْتَلفُوا فيه ﴾ (١) .

كما أن ظاهر قوله تعالى : ﴿ لقدْ أرسَلنا رُسُلَنا بالبينَاتِ وأنزلنا معهُمُ الكتابَ والميزانَ ليقومَ النَّاسُ بالقسطِ ﴾ (٢) ؛ فإذا أخذنا بظاهر هذا القول وعرفنا أنه مامن أمة إلا وقد أرسل لها رسول أو أكثر ، فالمفروض أن تكون هناك كتب كثيرة ذات أصل سماوي ، وقد خص القرآن بالذكر التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وصحف إبراهيم وصحف موسى ، فكان القول الذي ذكره الفخر الرازي ،إن تخصيص هؤلاء بالذكر لا ينفي أن تكون هناك كتب أخرى ، هذا مع أن الآيتين اللتين صدَّرنا بهما هذا الوصل يمكن أن يحملا على محامل أخرى ، كأن يراد بالكتاب المكتوب بمعنى المفروض ، فيكون المعنى : وأنزل معهم المفروضات على أممهم ، إلا أن المتتبع للدراسات المقارنة الحديثة يرجح أن تكون هناك كتب أخرى ذات أصول سماوية ، ولكنَّ هل هي كتبٌ أنزلت من السماء ككتب ، أو أنها الوحي الذي أنزل على رسل جمعه أقوامُهم في كتب ، فيكون المعنى الثاني هو المراد ؟ الأمر يحتمل .

وأيا كان الأمر فليس هناك كتاب ديني في العالم يستطيع أصحابه أن يدّعوا أنه منقول تواتراً من هذا العصر إلى صاحب رسالة إلا القرآن الكريم ، ومن هٰهنا كان القرآن هو الحجة على كل التراث المنسوب إلى الله ورسله عليهم الصلاة والسلام .

ولا شك أن كل كتاب قام عليه دين بعد القرآن الكريم فإنه مكذوب على الله عز وجل لأن محمدًا ﷺ خاتمَ النَّبيين بنص القرآن : ﴿ ولكِنْ رَسُولَ اللهِ وخَاتَمَ النَّبِيينَ ﴾ (٣) ، وإذ جعل الله عزَّ وجلَّ القرآن مفصلاً لكل شيء ، ومصدقًا للوحي الحق الذي سبقه ، ومهيمنًا عليه ، فإنَّه يغني عن كل كتاب سابق ، ويشهد ببطلان كل ماخالفه من أخبار ، وينسخ

---

(١) البقرة : ٢١٣ .　(٢) الحديد : ٢٥ .

(٣) الأحزاب : ٤٠ .

كل تشريع لم يقره ، أما الأخبار التي لا تعارضه فليس على المسلم أن يصدقها أو يكـذبهـا إذا كان مما يـدخل في دائرة إمكانيـة القبول ، أمـا التشريعـات السّـابقـة على تشريعنـا حتى ولو صحت نسبتها إلى نبي ـ وأنّى يكونُ ذلك ـ فلا تدخل ضمن دائرة-التكليف ولو سكت عنهـا شرعنـا ، إلا إذا نص عليهـا ، وحتى في ذلـك فـإن الأصوليين مختلفون فيما لو قصَّ الله علينـا شرع غيرنا دون أن ينسخه ، هل يعتبر شرعًـا لنا أو لا ؟ والقول المشهور أن شرع من قبلنـا شرع لنا مـالم ينسخـه شرعنـا ولكن بشرط أن يـأتينـا عن طريق الوحي المنزل على رسولنـا عليه الصلاة والسلام .

ولكي يكون عند المسلم تصور عن الكتب الدينية القديمة فإننا نذكر شيئًا عنها :

ا ـــ التعريف بكتب الهند الدينية

١ ـ كتب « الڤيـدا » وهي أقـدم الكتب الـدينيـة عنـد اليهـود ، وهي أربعـة كتب : (الريج فيدا) و (الياجور ڤيدا) و (السـامـا فيـدا) و (أثـار فيـدا) وهـذه الكتب هي أصول الديانة الهندوسية ، ولا يعرف من وضعها ، وهذا نموذج مترجم عن السنسكريتيـة من الكتاب الأول يتحدث عن الإله الأعلى :

(هو الأعلى من كل شيء وهو الأسنى إله الآلهة ذو القوة العليا الذي أمام قدرته الغـالبـة ترتعد الأرض والسماوات العالية أيها النـاس استمعوا لشعري إنما هو إنـدرا إلـه الكون . هو الذي قهر الشياطين في السحاب ، وأجرى الأقمـار السبعـة الصـافيـة الكبـار ، واقتحم كهوف الكآبة والأكدار ، وأخرج البقرات الجيلـة من الأرحـام ، وأضـاء النـار القـديمـة من البرق في الغمام . ذلك هو إنـدرا البطل الجسور الجيّش المتقـدم للهيجـاء ينـاديـه للنصرة يومَ الحربِ الأعزاءُ بصيته الذائع يهتفون ، والأذلاءُ يـذكرون اسمـه بشفـاههم ويهمسون . وقـائـد الجيش على العجلة الحربية يدعو ويستنصر إنـدرا إلـه الحرب . الأرضُ والسماءُ تعترفـان بسلطـانـه وكماله ، والجبال المرتعدة تَخرُّ له وتسجد لجلاله . هو الذي يرسل صواعق السماء على أعدائـه فلتُهْدَ إليه السكائب المقدسة فإنـه يقبل هـذه الخمر : خمر سومـا ويستمع للشعر وأغـاني الولاء لـه . البقرات وأفراس الوغي لـه القُرَى والمسـاكن وعجـلات الحرب هـو يرفـع الشمس بيـده

اليمنى ويفتح الأبواب الحمر من شفق الفجر فيمزق السحاب الأحمر تمزيقاً ويرسل شآبيب المطر لنصدق به تصديقاً) [١] ا . هـ .

ويعتقد الباحثون أن « الڤيدا » جاءت مع الشعوب الآرية التي غزت الهند ، وهناك خلاف بين الباحثين حول منشأ الآريين الغزاة للهند ، هل هو تركستان أو أوربا، وفي كلا الحالتين فإن الاحتمال الأكبر أن تكون الأصول السماوية الصحيحة للڤيدا قد نزلت على هذه الشعوب ثم حملتها إلى الهند ثم تتابع إرسال الرسل إلى الهند ، وإن كنا لا نستطيع التحديد الجازم فيمن هو رسول وفيما هو وحي سماوي .

٢ ـ (قوانين مانو) وهي التي سجل فيها أقسى نظام طبقي في العالم ، وهذا نَسَقَهُ « بوذا » بعد ذلك في ديانته .

٣ ـ (المهابهارتا) وهي قصيدة طويلة ، ومؤلفها شخص اسمه « وياس » ، وهي أشبه بالإلياذة والأوديسة عند اليونان .

٤ ـ (كينا) وهو منسوب إلى رجل اسمه « كرشنة » وكرشنة عند الهنود كالمسيح عند المسيحيين بعد تحريف ديانتهم ، حتى إن كثيراً مما وصف به المسيح عليه السلام موصوف به كرشنة مما يعتقد معه أن أحد الجانبين أخذ من الآخر ، ومن كلام كرشنة في هذا الكتاب :

« لقد أضَلّت كلمات ويدا عقلك ، فصرت لا تفهم قيمة الفرض وما يتبعه من الواجبات، والذين يتمسكون بألفاظ ويدا وحدها ، ويرونها كل شيء ، يركبون شططاً ، إنهم إنما يجرون وراء أهوائهم النفسية . يمنون أنفسهم بالجنة ، لأنهم حريصون على لذائذ الحياة ، فيقومون بطقوس يرونها تضمن لهم الجنة ، ولذلك تبلبلت عقولهم ، وتشعبت سُبُلُهم ، وضلت أعمالهم ، فهم في حيرة وارتباك ، يجرون وراء شهواتهم ، ولا يستطيعون حصر أفكارهم في نقطة واحدة » .

« أما أنت ، فكن فوق القشور الويدية . لا تقلقك أفكار الراحة أو التعب ، النجاح أو الخيبة ، بل كن مطمئناً منشرحاً في روحك ، والعاقل الذي وصل إلى الحقيقة ، ليست

---

(١) « أديان الهند الكبرى » للدكتور / أحمد شلبي .

الكتب الويدية لـه إلا كبئر في مكان ذي أنهار ، فعليك أن تقوم بواجبك ، لأنه واجب عليك ، واجمع عقلك على هذه النقطة وحدها .. » .

« اعلم أن أشد أعداء الإنسان اثنتان : الشهوة والغضب. وهما اللذان يدفعانه إلى الذنوب ، وكما يغطي الدخان النار ، ويكدر الغبار صفاء المرآة ؛ كذلك الشهوة والغضب يغطيان عقل الإنسان ، فعلى الإنسان أن يقتل هذين العدوين » .

« والذي يقوم بواجبه كما قلت ، يبزغ نور العرفان في داخله كما تبزغ الشمس في السماء ، فيرى ربه بعين قلبه ، ويسعد بالنجاة بعد أن تذهب ذنوبه وتحل محلها الحسنات » ا. هـ [1]

٥ ـ (بوجاواسفسها) ولا يعرف مؤلف هذا الكتاب ، وهو منظومة شعرية تحتوي على أربعة وسبعين ألفًا من الأبيات .

٦ ـ (رامابانا) ولا يعرف مؤلفه ولا تاريخ تأليفه ، وهو أقرب إلى أن يكون كتابا في أنظمة الحكم . هذه هي أهم كتب الديانة الهندوسية [2] .

أما الديانة البوذية ، فالمعروف أنها لم تسجل في حياة بوذا ، وقد ظهر الاختلاف الكبير بين أتباعه فعقدوا مجلسًا كبيرًا بعد زمن من وفاته عام (٤٨٣ ق‌م) ، وطلبوا من ثلاثة من أكبر تلامذته أن يتحدثوا عن موضوع رئيسي من تعاليم بوذا ، فتحدث أحدهم عن العقائد وآخر عن الشريعة وآخر عن الحكايات ،وهي مع ذلك بقيت تتناقل شفهيًا حتى عهد الإمبراطور آسوكا عام (٢٤٢ ق‌م) ومن ههنا فإننا لا نستطيع الثقة بما سجل بعد هذه السنين الطويلة ، وكان التحريف والتبديل والجهل عوامل انتقلت بالبوذيين من إعتبار بوذا حكيًا ابتداءً إلى تأليهه في النهاية ، فحدث عندهم ما حدث عند النصارى بينما يروي أتباعه عنه هذه الحكاية : (أن أحد تلاميذه قال له مرة : إنني أيها السيد أؤمنّ بكل قلبي أنه لم يوجد قط ، ولا يوجد الآن ، ولن يوجد إلى آخر الدهر مرشد أعظم قدرًا وأكثر عقلا من مرشدنا المبارك .

---

(١) « أديان الهند الكبرى » للدكتور / أحمد شلبي .

(٢) راجع « أديان الهند الكبرى » لأحمد شلبي .

فأجاب بوذا : هل أنت قد عرفت كل العارفين الذين سبقوني ؟ وهل عرفت كل العارفين الذين يأتون بعدي ؟

فأجاب التلميذ : لا ياسيدي فلم يتيسر لي ذلك .

قال بوذا : هل عرفتني كل المعرفة ؟ وتوغلت في نفسي كل التوغل ؟

فقال التلميذ : لا ياسيدي وكيف لي ذلك ؟

فقال بوذا : فَلِمَ إذًا أسرفت في قولك وجعلتني خير الناس وأنت لا تعرفني ولا تعرف الناس ؟)[1] ا .هـ .

ب ـ التعريف ببعض كتب الصين الدينية

لانعرف شيئًا عن أديان الصين القديمة إلا عن دينين لازالا موجودين حتى الآن : الطاوية المنسوبة لـ (لوتس) والكونفوشيوسية المنسوبة « لكونفوشيوس » ، وقد جُمِعَت آراء لوتس وأحاديثه في كتاب اسمه « كتاب الأخلاق » وهو يدعو إلى القناعة والزهد والتسامح المطلق ومقابلة السيئة بالحسنة ، وقد اجتمع به كونفوشيوس في أُخريات حياته ، ويدعي أنه لم يوافقه على بعض آرائه ، والكونفوشيوسية أكثر انتشارًا وقد جمع تلاميذ كونفوشيوس آراءه في كتاب « الحوار » وهوَ مترجم إلى اللغة العربية .

والمعروف عنه أنه لخص كثيرًا من الكتب الصينية القديمة ، ولا نعرف أنه تُرْجِمَ منها شيءٌ إلى اللغة العربية ، فلربما استطاع الدارس أن يلمح فيها شيئًا يوصل إلى استئناس في شأن أديان الصين القديمة .

جـ ـ التعريف ببعض كتب الفرس الدينية

المشهور من كتب الفرس الدينية كتاب « الزندافستا » المنسوب إلى « زرادشت » ، ويذكر أبو الكلام أزاد في رسالته عن ذي القرنين أن الرواية الفارسية تذكر أن صحيفة زرادشت

---

(١) المرجع السابق .

الـدينيـة دونت في جلود اثني عشر ألف ثـور بحبر من الـذهب ، واحترقت أيـام حرب الإسكندر ، فيقول أبو الكلام :

(ولما تأسست الإمبراطورية الساسانية بعد خمسمائة سنة من الإسكندر ، حاول الفرسُ لَمَّ شعث الدين الزرادشتي من جديد ، فكما جمع عزرا التوراة بعد أسر بابل ، كذلـك يقـال إن أردشيربايكان أمر بجمع كتاب أوستا من جديد إلا أن خصوصيات الدين الحقيقية كانت قد تحرفت بتغيرات وإضافات كثيرة ، ومسخت حقيقتها ، فالدين الزرادشتي في شكله الجديد ، لم يكن دينا خالصا ، بل أصبح خليطا من المجوسية القديمة ، واليونانية ، والزردشتية . وقـد زاد الطين بلة الموبذون والمفسرون بحواشيهم وشروحهم وتفاسيرهم التي ذهبت بـالـدين بعيـدًا عن أصله)[١] . ا هـ .

ويقول البستـاني في دائرة معـارفـه : «ولـزرادشت كتـاب آخر في الرؤيـا صنعتـه علمـاء القرن الثاني والأول قبل الميلاد » . ا هـ .

أقول : وفيما تبقى من « الزندافستا » الحالية بشارة واضحة برسولنا عليـه الصلاة والسلام ذكرها العقاد في كتابه مطلع النور ونقلناها في كتابنا (الرسول ﷺ) وهذا يشهد لرسـالـة زرادشت والله أعلم .

د ـ التعريف ببعض الكتب اليهودية الدينية

الكتب الدينية لليهود قبل المسيح عليه السلام تتألف من قسمين رئيسيين :

أولاً : أسفار العهد القديم .

ثانيًا : التلمود ، وتختلط في أسفار العهد القـديم السير الـذاتيـة للأنبيـاء بنصوص الوحي بالتـاريخ اليهودي . ويكاد المؤرخون والمحققون يجمعون أن أكثر أسفـار العهـد القـديم كتبت بعد مئات السنين من تـاريخ أحـداثها أو وجودهـا يقول (ويل ديورانت) : « ويبـدو أن أسفار التوراة الخمسة قد أخذت صورتها الحاضرة حوالي عـام ٣٠٠ ق ـ م » ، ويقرر (ويلز)

(١) رسالة ﴿ ويسألونك عن ذي القرنين ﴾ .

« أن أسفار العهد القديم جمعت لأول مرة في بابل وظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد » .

وقد جمعت هذه الأسفار من الروايات الشفهية المتوارثة ولذلك داخلها الخلط والخبط وأكبر مثال على ذلك أنك تجد زبور داود مختلطًا بما هو وحي ليس منسوبًا لأحد وبما هو قصائد منسوبة لداود قالها في مناسبات وبما هو قصائد منسوبة لغير داود .

وأما التلمود فهو الروايات الشفهية التي تناقلها الحاخامات جيلاً بعد جيل وقد ابتدأ تدوين التلمود بعد مائة وخمسين سنة من عهد المسيح ثم تكامل تدوينه من بعد ويعتبره بعض اليهود أقوى إلزامًا من التوراة ومن هذا كله ندرك صعوبة معرفة ما هو وحي صحيح من مجموع هذا التراث [١] .

هـ ـ التعريف ببعض كتب النصارى الدينية

أنزل الله على المسيح عليه السلام إنجيلاً واحدًا ، وكان للمسيح عليه السلام سيرة ذاتية ، والأناجيل الحالية المعتمدة عند النصارى يختلط فيها ما هو سيرة ذاتية للمسيح بعظاته بما يمكن أن يعتبر من الإنجيل بما زاده المحرفون وكل ذلك من خلال رواية مدرسة بولس الذي حرف دين المسيح واختلف مع الحواريين وخالفهم ولم يكن هو من تلاميذ المسيح عليه السلام . وهذه الأناجيل الأربعة كتبت بعد سنة ٦٣ ميلادية ، وكانت هناك أناجيل أخرى ورسائل للحواريين وكل ذلك ألغاه مجمع نيقية عام ٣٢٥ ميلادية حيث تغلب فكر بولس ومدرسته القائلَيْن بألوهية المسيح ، جاء في كتاب المسيحية لأحمد شلبي عن أسفار العهد الجديد بما في ذلك الأناجيل الأربعة :

(إن هذه السبعة والعشرين سفرا أو الرسالة الموضوعة من قبل ثمانية كتّاب لم تدخل في عداد الكتب المقدسة باعتبار مجموعة هيئتها بصورة رسمية إلا في القرن الرابع بإقرار مجمع نيقية العام وحكمه (سنة ٣٢٥ م) لذلك لم تكن أيٌّ من هذه الرسائل مقبولة ومصدقة لدى الكنيسة وجميع العالم العيسوي قبل التاريخ المذكور ، ثم جاء من الجماعات العيسوية في الأقسام المختلفة من كرة الأرض ما يزيد على ألفي مبعوث روحانيٍّ ومعهم عشرات الأناجيل

---

(١) راجع « اليهودية » لأحمد شلبي .

ومئات الرسائل إلى نيقية لأجل التدقيق ، وهناك تمّ انتخاب الأناجيل الأربعة من أكثر من أربعين أو خمسين إنجيلاً وتمّ انتخاب الرسائل الإحدى والعشرين من رسائل لا تعد ولا تحصى وصودق عليها ، وكانت الهيئة التي اختارت العهد الجديد هي تلك الهيئة التي قالت بألوهية المسيح . وكان اختيار كتب العهد الجديد على أساس رفض الكتب المسيحية المشتملة على تعاليم غير موافقة لعقيدة نيقية وإحراقها كلها ، حتى عمل بهذه الأناجيل الأربعة ، مع أنه لو صح نسبة الأناجيل إلى أصحابها لكانت أسبق من الرسائل ، ويؤكد هذا الكاتب : أن الأناجيل الأربعة لم تكن موجودة في زمن الحواريين الخمسة أو الستة الذين كتبوا تلك الرسائل لأن الرسائل لا تبحث عن محتويات هذه الأناجيل قطعًا ولا تشير إليها » [1] ا .هـ .

و ـ التعريف ببعض كتب الصابئة الدينية

وعند صابئة العراق الحاليين كتاب يتكتمون عليه ويدعون نسبته إلى شيث بن آدم وإدريس عليهم السلام .

هذا العرض السريع لبعض الكتب الدينية المعروفة في العالم ترينا أنه لا يوجد غير القرآن كتابًا إلهيًا قطعي النسبة إلى الله ومنقول لنا نقلاً قطعيًا ، قال تعالى عن القرآن : ﴿ إنّا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [2] فقد تعهد جل جلاله بحفظ القرآن وكلف بحفظه المسلمين ، أما غير القرآن فقد كلف أصحابه بحفظه ولم يتعهد بحفظه فقصر أصحاب ذلك بالحفظ بل بدلوا وغيروا .

فائدة :

ذكر القرآن الكريم صحف إبراهيم عليه السلام وقد تعرض لذلك الشيخ عبد الرحمن حبنكة في كتابه العقيدة الإسلامية فذكر ما يلي :

(لقد أخبرنا القرآن بأخباره الصريحة عن الصحف الأولى وذكر منها صحف إبراهيم عليه

(١) « المسيحية » للدكتور أحمد شلبي .

(٢) الحجر : ٩ .

السلام ولكن هذه الصحف مفقودة فلا يعرف منها شيء إلا بعض حقائق في الدين ، أشار القرآن إلى أنها مما تضمنته هذه الصحف .

ا ـ فمن ذلك قوله تعالى في سورة (النجم) :

﴿ أم لم يُنَبَّأ بِمَا في صُحُفِ مُوسَى * وَإبراهِيمَ الَّذي وَفَّى * ألا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزرَ أُخرى * وَأن لَيْسَ للإنسانِ إلا مَا سَعَى * وأنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرىٰ * ثُمَّ يُجزاه الجَزَاءَ الأوفَىٰ * وَأنَّ إلَى رَبِّكَ المُنتَهَىٰ * وأنَّهُ هُوَ أضْحَكَ وَأبْكَى * وأنَّهُ هُوَ أماتَ وأحْيَا * وأنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأُنثَىٰ * من نُطفَةٍ إذا تُمنَىٰ * وأنَّ عَلَيْهِ النَّشأةَ الأُخرىٰ * وأنَّهُ هُوَ أغنَىٰ وَأقْنَىٰ * وأنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعرىٰ * وَأنَّه أهْلَكَ عَاداً الأُولى * وَثَمُود فما أبقى * وقوم نُوحٍ من قبل إنهم كانوا هُم أظلم وأطغىٰ * والمؤتفِكة أهوىٰ * فغشَّاها ما غَشَّىٰ ﴾ [١] .

أقنى : أعطى من الرزق والأموال ما يُقتنى ويدخر . الشِّعرى : نجم وضَّاء يقال له : مِرْزَم الجوزاء ، ويسمى الشعرى العَبُور ، وقد عبدته طائفة من العرب . المؤتفكة : هي قرى قوم لوط ، وسميت هذه القرى مؤتفكة لأنها ائتفكت بأهلها ، أي انقلبت . أهوى : أي أوقعها وأسقطها ـ بعد رفعها عن أماكنها ـ من الأرض إلى الفضاء .

فهذه الحقائق الدينية التي أعلنتها هذه الآيات مما أنزله الله في صحف إبراهيم وموسى ؛ كما هو ظاهر في مدلول الآيات .

ب ـ ومن ذلك قوله تعالى في سورة (الأعلى) :

﴿ قد أفلَحَ مَن تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ اسمَ رَبِّه فَصَلَّىٰ * بَل تُؤثِرونَ الحَيَاة الدُّنْيَا * والآخِرَةُ خَيرٌ وأبْقَىٰ * إنَّ هٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولى * صُحُفِ إبراهِيمَ وَمُوسى ﴾ [٢] .

وننهي هذا الوصل بذكر نصوص تحدد الموقف من روايات اليهود والنصارى ومن باب أولى غيرهم ونذكر فيها بأدب المسلم في التمسك بالقرآن الكريم وإهمال ما عداه إلا لضرورة الخدمة الإسلامية :

---

(١) النجم : ٣٦ ـ ٥٤ .

(٢) الأعلى : ١٤ ـ ١٩ .

(النصوص)

٨٠٩ - * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تُصَدِّقوا أهل الكتاب بما يُحَدِّثونكم عن الكتاب ، ولا تُكَذِّبوهم ، وقولوا : آمَنَّا بالله وما أُنزل إلينا ، لأن الله تعالى أخبر أنَّهُمْ كَتَبوا بأيديهم ، وقالوا : هذا من عند الله » .

وفي رواية (1) قال : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعِبْرانية ، ويفسِّرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال النبيُّ ﷺ : « لا تُصَدِّقوا أهل الكتاب .. » وذكر الحديث .

٨١٠ - * روى البخاري عن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال : يا مَعْشَرَ المسلمين ، كيف تسألونَ أهلَ الكتابِ عن شيءٍ ؟ وكتابُكم الذي أنزل الله على نَبِيِّكم أحْدَثُ الكُتُبِ باللهِ ، تقرؤونه مَحْضًا لم يُشَبْ ، وقد حَدَّثَكم اللهُ أن أهلَ الكتاب بَدَّلُوا كتابَ الله ، وغَيَّرُوه ، وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا : هذا من عند الله ، ليشتروا به ثمنًا قليلاً ؟ أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مَسألتِهم ؟ ولا والله ، ما رأينا مِنْهُمْ رجلاً قطُّ يسألكم عَنِ الذي أُنزل عليكم .

٨١١ - * روى البخاري عن حُمَيْدِ بن عبدِ الرحمنِ رحمه الله ، قال : سمعتُ معاويةَ رضي الله عنه يحدِّثُ رَهْطًا من قريش بالمدينة - وذكر كَعْبَ الأحبار - فقال : إن كان لَمِنْ أصدق هؤلاء المحدِّثين الذين يُحدِّثونَ عن الكتاب ، وإنْ كُنَّا مع ذلكَ لَنَبْلُو عليهِ الكَذِبَ .

أقول : إن كعبًا من الثقات إلا أن الكذب يطرأ على رواياته عن أهل الكتاب بسبب كذبهم هم . لا أنه كان يتعمد الكذب عليهم أو على غيرهم .

---

٨٠٩ - البخاري (١٣ / ٣٣٣) - ٩٦ - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - ٢٥ - باب قول النبي ﷺ : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء » .

(1) البخاري (٨ / ١٧٠) - ٦٥ - كتاب التفسير - ١١ - باب ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ﴾ .

٨١٠ - البخاري (١٣ / ٣٣٣) - ٩٦ - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - ٢٥ - باب قول النبي : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء » .

٨١١ - البخاري ، الموضع السابق .

٨١٢ - * روى أحمد عن ابن أبي نَمْلَةَ الأنصاري ، أن أباه أبا نملة الأنصاري أخْبَرَهُ أنَّهُ بَيْنَما هُوَ جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جَاءَه رجلٌ مِنَ الْيَهودِ ، ومُرَّ بجنَازةٍ ، فَقَالَ : يا مُحَمَّدُ هَلْ تَتَكَلَّمُ هَذِهِ الجِنَازَةُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « اللهُ أعْلَمُ » . فَقَالَ اليَهُودِيُّ : إنَّهَا تَتَكَلَّمُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَا حَدَّثَكُمْ أهْلُ الكِتَابِ ، فَلا تُصَدِّقُوهُمْ ، ولا تُكَذِّبُوهُمْ ، وقُولُوا : آمَنَّا باللهِ و كُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، فَإنْ كَانَ بَاطِلاً لَمْ تُصَدِّقُوه ، وإنْ كَانَ حَقًّا لَمْ تُكَذِّبُوهُ » .

قال البغوي : وهذا أصل في وجوب التوقف عما يشكل من الأمور والعلوم . فلا يُقضى فيه بجواز ولا بُطلان ، وعلى هذا كان السلف . اهـ .

٨١٣ - * روى أحمد عن جابر بن عبد الله عَنْ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ أتَاهُ عُمَرُ ، فَقَالَ : إنَّا نَسْمَعُ أحَادِيثَ مَنْ يَهُودَ تُعْجِبُنَا ، أفَتَرَى أنْ نَكْتُبَ بَعْضَهَا . فَقَالَ : « أمُتَهَوِّكُونَ أنْتُمْ كَمَا تَهَوَّكَتِ الْيَهُودُ والنَّصَارَى ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِها بَيْضَاءَ نَقِيَّةً ، ولَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إلا اتِّبَاعِي » .

قال البغوي : قوله : « أمُتَهَوِّكُونَ » أي : متحيِّرون أنتم في الإسلام ، لا تعرفون دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى !!

وقوله : « بيضاءَ نَقيَّةً » أراد المِلَّةَ ، لذلك جاء بالتأنيث ، كقوله سبحانه وتعالى :

---

٨١٢ - أحمد (٤ / ١٣٦) .

وأبو داود (٣ / ٣١٨) - كتاب العلم - باب رواية حديث أهل الكتاب .

وشرح السنة (١ / ٢٦٨) .

قال الشيخ شعيب محقق شرح السنة :

(وابن أبي نملة ، وثقه ابن حبان ، وأخرج حديثه في « صحيحه » : رقم (١١٠) موارد ، ويشهد له حديث أبي هريرة عند البخاري [الذي سبق] فيتقوى به . ا.هـ .

٨١٣ - أحمد (٣ / ٣٨٧) .

وشرح السنة (١ / ٢٧٠) .

قال الشيخ شعيب محقق شرح السنة : حديث حسن ... [وفيه] مجالد ضعيف ، وله شاهد بنحوه من حديث عبد الله بن شداد عند أحمد ٣ / ٤٧٠ ، ٤٧١ وفي سنده جابر الجعفي ، وآخر من حديث عمر عند أبي يعلى ، وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي ، وهو ضعيف ، وانظر « مجمع الزوائد » ١ / ١٧٣ ، ١٧٤ . ا.هـ .

﴿ وذلك دِينُ القَيِّمة ﴾[1] أي : تفسير المِلَّة القَيِّمة الحنيفية .

ورُوِيَ[2] أنَّ كعب الأحبار جاءَ إلى عُمَرَ بمُصْحَف ، فقال : ياأميرَ المؤمنين في هذا التَّوراة ، أفأقرؤها ؟ فقال : إن كنتَ تعلمُ أنها التَّوراة التي أُنزِلتْ على موسى يوم طُور سيناء فاقرَأها ، وإلا فلا .

أقول :

لم ننقل هاهنا كثيرًا من النصوص الحديثية المتعلقة بالقرآن لأنها ستأتي معنا في القسم اللاحق : قسم العبادات الرئيسية أثناء الكلام عن تلاوة القرآن وتفسيره فلتراجع هناك .

* * *

---

(١) البينة : ٥ .

(٢) شرح السنة (١ / ٢٧١) .

الفصل السابع

في:

الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام

وفيه:

مقدمة ونصوص ومسائل وفوائد وضلالات



المقدمة

معرفة الرسل هي التي تتحقق بها معرفة الله عز وجل فمالم يعرف الإنسان الرسل عليهم الصلاة والسلام ويؤمن بهم ويسلم لهم ويطيعهم فإنه لا يعرف الله عز وجل ، ولا يقوم بحقوقه ، ولذلك نجد آية في كتاب الله أقامت بيعة الرسول مقام بيعة الله ، كما نجد آية أخرى أقامت طاعة الرسول ﷺ مقام طاعة الله : ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ﴾ [١] . ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [٢] .

لقد ذكرنا أن الله عز وجل له الصفات العليا والأسماء الحسنى وله الربوبية والألوهية والمالكية ولا نعرف مقتضيات وتفصيلات حقوق هذه المعاني إلا من خلال الرسل عليهم الصلاة والسلام :

فالعبادة والعبودية ، والتشريع ، والطريق إلى رضوان الله تعالى لا سبيل إلى معرفتها إلا بالرسل عليهم الصلاة والسلام :

﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾ [٣] .

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾[٤] .

ومن ههنا وغيره فإن الذين لا يؤمنون برسل الله ليسوا مؤمنين ، بل الكفر بواحد من الرسل كفر بالله وكفر بالرسل بآن واحد :

﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً * أولئك هم الكافرون حقًا ﴾[٥] .

ولذلك كان الإيمان بالرسل هو الركن الرابع من أركان الإيمان وكان الدخول في الإسلام بالنطق بمجموع الشهادتين ، وإنما يعرف الرسول ﷺ بصفاته وبالمعجزات التي يظهرها الله

---

(١) الفتح : ١٠ .
(٢) النساء : ٨٠ .
(٣) النحل : ٢ .
(٤) الأنبياء : ٢٥ .
(٥) النساء : ١٥٠ ، ١٥١ .

على يديه والتي قد يكون منها النبوءات التي تتحقق ، وبالثمرات الطيبة الخيرة ، ورسولنا ﷺ كان له من الصفات أرقاها ومن المعجزات أكثرها وأخلدها وأظهرها ومن النبوءات ما يتحقق في الجيل بعد الجيل ومن الثمرات أحلاها وأطيبها وأعذبها ، وقد بشرت به الرسل السابقون وقد تعرضنا لذلك تفصيلا في كتابنا« الرسول » صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

وقد أعطانا القرآن الكريم تصوراً كاملاً عن موضوع الرسل عليهم الصلاة والسلام .

ـ مما ذكره أن النبوة والرسالة قائمة على الاصطفاء فليس للكسب فيها مدخل ، وإنْ كان الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أصفى الناس قلبًا وأعلاهم استعداداً قال تعالى : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾[١] ، ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس ﴾[٢] ، ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أنْ أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾[٣] . وقال في حق إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام : ﴿ وإنهم عندنا لمن المُصْطَفَيْنَ الأخيار ﴾[٤] وقال في حق إبراهيم عليه السلام : ﴿ ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾[٥] ، وقال في حق موسى عليه السلام : ﴿ إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ﴾[٦] ﴿ وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ﴾[٧] .

ـ ومما ذكره القرآن أنه ما من أمة إلا وقد أرسل لها رسول ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾[٨] ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾[٩] ، ﴿ وماكان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آياتنا وماكنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون ﴾[١٠] ، ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾[١١] .

---

(١) الأنعام : ١٢٤ .
(٢) الحج : ٧٥ .
(٣) النحل : ٢ .
(٤) ص : ٤٧ .
(٥) البقرة : ١٣٠ .
(٦) الأعراف : ١٤٤ .
(٧) طه : ١٣ .
(٨) النحل : ٣٦ .
(٩) فاطر : ٢٤ .
(١٠) القصص : ٥٩ .
(١١) إبراهيم : ٤ .

وقد ختم الله النبوة والرسالة بمحمد ﷺ وجعله رسولاً للعالمين من الإنس والجن ﴿ ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ [١] ، ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرًا ونذيرًا ﴾[٢] ، وكما أنه رسول الله إلى كافة الإنس فهو رسول إلى الجن : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ﴾ [٣] ﴿ إن هو إلا ذكرٌ للعالمين ﴾ [٤] ﴿ قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا ﴾ [٥] ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ﴾ [٦] .

- ومما ذكره القرآن أنه لم يقصص علينا نبأ المرسلين فقال : ﴿ منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾ [٧] .

﴿ ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليمًا ﴾ [٨] .

والقول الراجح عند العلماء أن عدد الرسل الذين ذكروا في القرآن خمسة وعشرون على خلاف في ذي الكفل والراجح أنه رسول .

والرسل الذين ذكرهم القرآن هم :

آدم - إدريس - نوح - هود - صالح - إبراهيم - لوط - إسماعيل - إسحاق - يعقوب - يوسف - أيوب - شعيب - موسى - هارون - يونس - داود - سليمان - إلياس - اليسع - ذو الكفل - زكريا - يحيى - عيسى - محمد - عليهم الصلاة والسلام جميعًا .

- وصف القرآن بعض الرسل بأنهم أولوا عزم لكثرة ماصبروا وتحملوا وماقاموا به قال تعالى : ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ [٩] وهم المخصوصون بالذكر في سورة الأحزاب : ﴿ ولقد أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى

---

(١) الأحزاب : ٤٠ .
(٢) سبأ : ٢٨ .
(٣) الأحقاف : ٢٩ .
(٤) التكوير : ٢٧ .
(٥) الأعراف : ١٥٨ .
(٦) آل عمران : ٨٥ .
(٧) غافر : ٧٨ .
(٨) النساء : ١٦٤ .
(٩) الأحقاف : ٣٥ .

ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا ﴾ [١] .

وهم في الفضل عند أهل العلم على الترتيب التالي :

محمد - إبراهيم - موسى - عيسى - نوح عليهم الصلاة والسلام .

ومما ميز الله به الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام الوحي :

﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي ﴾ [٢] .

﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ﴾ [٣] .

﴿ وماأرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم ﴾ [٤] .

- والوحي الذي خص به النبيون والمرسلون هو كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه مخاطبًا به ذلك النبي بأنه نبي ، وطرائق ذلك ماذكره القرآن : ﴿ وماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه مايشاء ﴾ [٥] ، فهناك الإلقاء المباشر في قلب الرسول ﷺ وهناك الكلام المباشر من الله عز وجل من وراء حجاب وهناك الوحي بواسطة المَلَك ، وصور المَلَك بالوحي كثيرة والرسول الرئيسي المكلف بالوحي هو جبريل عليه السلام : ﴿ نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ [٦] .

- والعقل والنقل متضافران على أن الرسل عليهم الصلاة والسلام لابد أن يتصفوا بأربع صفات رئيسية : الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة .

والصدق هو مطابقة الخبر للواقع ، قال تعالى : ﴿ وصدق الله ورسوله ﴾ [٧] .

وقال : ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ [٨] .

---

(١) الأحزاب : ٧ .
(٢) الكهف : ١١٠ .
(٣) النساء : ١٦٣ .
(٤) الأنبياء : ٧ .
(٥) الشورى : ٥١ .
(٦) الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤ .
(٧) الأحزاب : ٢٢ .
(٨) الحاقة : ٤٤ - ٤٧ .

﴿ فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ [١] .

وأما الأمانة فهي العصمة ومعناها حفظ ظواهرهم وبواطنهم عن التلبس بمعصية فهي في اصطلاح العلماء القيام بالتكليف وهو الأمانة بمعناها العام : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ﴾ [٢] .

واتصافهم بالأمانة هو مقتضى التكليف الإلهي باتباعهم والاقتداء بهم :

﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [٣] .

﴿ وماأرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ﴾ [٤] .

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ [٥] .

﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ﴾ [٦] .

﴿ وماأريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴾ [٧] .

﴿ إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ﴾ [٨] .

ومعنى الفطانة القدرة على إقامة الحجة ومايستتبع ذلك من وفور عقل وقوة فهم وسرعة بديهة لأن مهمتهم إقامة الحجة بدين الله على المكلفين من خلق الله :

﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ [٩] .

﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ﴾ [١٠] .

﴿ يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا ﴾ [١١] .

---

(١) الأنعام : ٣٣ .
(٢) الأحزاب : ٧٢ .
(٣) آل عمران : ٣١ .
(٤) النساء : ٦٤ .
(٥) الأحزاب : ٢١ .
(٦) الممتحنة : ٤ .
(٧) هود : ٨٨ .
(٨) الأنبياء : ٩٠ .
(٩) النساء : ١٦٥ .
(١٠) الأنعام : ٨٣ .
(١١) هود : ٣٢ .

ومعنى التبليغ إيصال رسالات الله إلى من أمروا بتبليغهم إياها :

﴿ الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله ﴾ [١] .

﴿ يأيها الرسول بلغ ماأنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ [٢] .

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [٣] .

ـ ومن قوله تعالى : ﴿ وماأرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم ﴾ [٤] أخذ العلماء أنه لم تكن نبوة ولا رسالة في جنس الإناث ، أما خطاب الملائكة لمريم عليها السلام فلم يكن بوصف النبوة بل كان كرامة لها من الله بوصف الصديقية ، قال تعالى : ﴿ وأمُّه صِدّيقة ﴾ [٥] ، وأما قوله تعالى : ﴿ وأوحينا إلى أم موسى ﴾ [٦] ؛ فيحتمل أنه إلهام أو خطاب بواسطة مَلَك ولكن ليس بوصف النبوة بل هو كرامة وولاية .

ـ وقد جعل الله عز وجل العلامة على صدق الرسول هي المعجزة الخارقة للعادة التي يعجز المخاطبون عن الإتيان بمثلها قال تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ﴾ [٧] فما من رسول إلا وقد أوتي معجزة تقوم بها الحجة على المخاطبين برسالته وقد يكون للرسول معجزة واحدة وقد تكون له معجزات كثيرة ، والمعجزة الرئيسية لرسولنا ﷺ هي القرآن ، وهي معجزة فيها معجزات ، ولكنه مع القرآن أُوتي معجزات أخرى كثيرة عليه الصلاة والسلام .

ومن وظائف الرسل عليهم الصلاة والسلام :

١ ـ إقامة العدل : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ [٨] .

٢ ـ الدعوة إلى الله : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ [٩] .

---

(١) الأحزاب : ٣٩ .
(٢) المائدة : ٦٧ .
(٣) النحل : ١٢٥ .
(٤) الأنبياء : ٧ .
(٥) المائدة : ٧٥ .
(٦) القصص : ٧ .
(٧) الحديد : ٢٥ .
(٨) الحديد : ٢٥ .
(٩) يوسف : ١٠٨ .

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ [١] .

٣ ـ تعليم الكتاب والحكمة وتزكية الأنفس وتعليم الناس مالا يعلمونه إلا بواسطة الوحي مما يحتاجون إليه :

﴿ وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ﴾[٢].

﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ [٣] .

ـ شرح الكتاب للناس :

﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ [٤] .

٥ ـ التبشير والإنذار :

﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ [٥] .

ـ والرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يتفاضلون عند الله ، قال تعالى :

﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾ [٦] .

﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ﴾ [٧] .

ـ كما أن أمم المرسلين تتفاضل : فقد فضل الله بني إسرائيل على عالم زمانهم :

﴿ ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴾ [٨] .

ـ وقد جعل الله عز وجل أمة محمد خير الأمم :

---

(١) النحل : ١٢٥ .
(٢) البقرة : ١٢٩ .
(٣) البقرة : ١٥١ .
(٤) النحل : ٤٤ .
(٥) النساء : ١٦٥ .
(٦) البقرة : ٢٥٣ .
(٧) الإسراء : ٥٥ .
(٨) الدخان : ٣٢ .

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [١] .

ـ وبعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام تقوم الحجة على المكلفين فيطالبون بالأصول والفروع ويستحقون العذاب في الدنيا والآخرة إذا عاندوا :

﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ [٢] .

﴿ وماكنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ [٣] .

﴿ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً ﴾ [٤] .

ـ ومن قوله تعالى :

﴿ وماأرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون * وماجعلناهم جسدًا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ﴾ [٥] .

وأمثال ذلك بحث العلماء موضوع مايجوز على الرسل عليهم الصلاة والسلام من أحكام البشرية :

﴿ وماأرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ﴾ [٦] .

﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجًا وذرية ﴾ [٧] .

ـ ودعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام واحدة هي الدعوة إلى التوحيد والعبادة والعبودية والاستسلام لله عز وجل فيما أوحاه إلى أنبيائه .

﴿ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحًا والذي أوحينا إليك وماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ [٨] .

---

(١) آل عمران : ١١٠ .
(٢) النساء : ١٦٥ .
(٣) الإسراء : ١٥ .
(٤) طه : ١٣٤ .
(٥) الأنبياء : ٧ ، ٨ .
(٦) الفرقان : ٢٠ .
(٧) الرعد : ٣٨ .
(٨) الشورى : ١٣ .

﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ [١] .

﴿ وماأرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [٢] .

﴿ واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ماكان لنا أن نشرك بالله من شيء ﴾ [٣] .

﴿ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ﴾ [٤] .

ولكن تفصيلات العبودية لله قد تختلف من شريعة إلى شريعة والشريعة الخاتمة والناسخة لما خالفها هي شريعة محمد ﷺ :

﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ... ﴾ [٥] .

وأعظم مظاهر الرحمة الإلهية إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام وأعظم ماتمثلت به هذه الرحمة بعثته لمحمد ﷺ :

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [٦] .

ومن مظاهر هذه الرحمة تخليص الإنسان من عبودية غير الله وتعريفه للناس كيف يتعاملون وتعريفه للناس على الحق والعدل ومكارم الأخلاق وتعريفه للناس على مايصلحهم ويذرون ما يضرهم وتعريفه للإنسان على مكانته وعلى ظواهر الوجود وبواطنه وعلى ما غاب عنه وتحقيقه بما يستأهل به الجنة ويقيه عذاب النار وبمحمد ﷺ وجدت القدوة الكاملة للإنسان .

ـ ونصوص الكتاب والسنة التي تتحدث عن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كثيرة

---

(١) البينة : ٥ .
(٢) الأنبياء : ٢٥ .
(٣) يوسف : ٣٨ .
(٤) يوسف : ٤٠ .
(٥) المائدة : ٤٨ .
(٦) الأنبياء : ١٠٧ .

وهي تأتي في سياقات متعددة وقد ذكرنا لك أمهات من معاني القرآن وهانحن نعرض عليـك بعض نصوص السنة الواردة في الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وهناك نصوص أخرى تـأتي في سياقاتها من هذا الكتاب .

* * *

النصوص النبوية في ذكر الأنبياء

٨١٤ - * روى أحمد عن أبي ذر قال : أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد فجلست فقال : « يا أبا ذر هل صليتَ ؟ » فقلت : لا . قال : « قم فصل » . قال : فقمت فصليت ثم جلست . فقال : « يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن » . قال : قلت : يارسول الله للإنس شياطينٌ ؟ قال : « نعم » . قلت : يا رسول الله الصلاة ؟ قال : « خيرٌ موضوعٌ ، من شاء أقل ومن شاء أكثر » . قال : قلت يا رسول الله فالصوم ؟ قال : « فرضٌ مَجْزِيٌّ وعند الله مَزِيدٌ » . قلت : يا رسول الله فالصدقة ؟ قالَ : « أضعافٌ مُضاعفةٌ » . قال : قلت : فأيها أفضلُ ؟ قال : « جُهْدٌ من مُقِلٍّ أو سرٌّ إلى فقير » . قلت ؟ يا رسول الله : أيُّ الأنبياء كان أولَ ؟ قال : « آدم » . قلت : يا رسول الله ونبي كان ؟ قال : « نعم نبي مُكَلَّمٌ » . قلتُ : يارسول الله ، كم المرسلون ؟ قال : « ثلاثمائةٍ وبضعةَ عشَرَ جما غفيرًا » . أو قال مرة : « خمسة عشر » . قلت : يا رسول الله ، آدم نبي ؟ قال : « نعم مكلم » . قال : قلت يارسول الله ! أيما أنزل عليك أعظم ؟ قال : « آيةُ الكُرسِيِّ ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ »[1] .

٨١٥ - * روى الطبراني عن أبي أمامة أن رجلا قال : يا رسول الله أنبيًا كان آدم ؟

---

٨١٤ - أحمد (٥ / ١٧٨) .

وروى النسائي صَدْرَهُ (٨ / ٢٧٥) - ٥٠ - كتاب الاستعاذة - ٤٨ - باب الاستعاذة من شر شياطين الإنس .

وموارد الظمآن (٥٠٨) - ٣٤ - كتاب علامات النبوة - ١ - باب في عدد الأنبياء والمرسلين وما نزل من الكتب .

وذكره مطولاً الحاكم في المستدرك (٢ / ٥٩٧) . وسكت عنه . قال الذهبي : فيه السعدي وليس بثقة .

أقول : وإخراج الحاكم وابن حبان للحديث يفيد تصحيحها للحديث ، لكن الذهبي تعقب الحاكم وذكر أن أحد رواة الحديث ليس بثقة ، ومن العلماء من حكم بضعف الحديث وبعضهم حكم بوضعه . والقول الراجح عند العلماء أن تؤمن بالأنبياء والمرسلين دون تقييد ذلك بعدد حتى لا تخرج أحدًا منهم أو تدخل أحدًا فيهم بسبب التقييد مادام ثبوت النصوص الواردة في ذلك محل خلاف .

(١) البقرة : ٢٥٥ .

٨١٥ - المعجم الكبير (٨ / ١٣٩) .

مجمع الزوائد (٨ / ٢١٠) . وقال : رجاله رجال الصحيح غير أحمد بن خليد الحلبي وهو ثقة . قلت : ورواه ابن حبان (٢٠٨٥) ، وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١ / ١٠١) : وهذا على شرط مسلم ولم يخرجه . وقال في المجمع (١ / ١٩٦) : ورجاله رجال الصحيح . بعد أن نسبه إلى الأوسط . ا .هـ .

قال : « نعم » . قال : كم كان بينه وبين نوح ؟ قال : « عشرةُ قرونٍ » . قال : كم كان بين نوحٍ وإبراهيمَ ؟ قال : « عشرة قرون » . قال : يا رسولَ الله كم كانت الرسلُ ؟ قال : « ثلاثمائةٍ وثلاثةَ عشَرَ » .

أقول : هذا حديث آحاد ، لا يكفي لتحديد ما أطلقه المتواتر أو سكت عنه ، سواء في ذلك عدد الرسل ، أو الزمن بين الرسل عليهم الصلاة والسلام ، والقرن قد يراد به الجيل وقد يراد به مئة سنة ، والظاهر أن المراد بالقرن هنا هو الجيل ، لأن الناس كانوا يعمرون كثيرًا في أول حياة البشرية كما رأينا من قبل ، لذلك - وعلى كل حال - فالذي رجّحه أئمة علماء العقائد وهم أئمة هذا الشأن أنه لا يحد الرسل ولا الأنبياء بعدد ، كي لا نرتكب خطيئة إدخال أحدٍ من الرسل ليس منهم ، أو إخراج أحدٍ وهو منهم بحديث آحاد قد يكون وهم راويه أو نسي إلى غير ذلك مما يحتمل في حديث الآحاد .

٨١٦ - * روى البزار عن أبي موسى رفعه : « لما أخرج الله آدمَ من الجنة زوّده من ثمار الجنة ، وعلَّمه صنعةَ كلِّ شيء ، فثماركم هذه من ثمارِ الجنة غير أن هذه تَغَيَّرُ ، وتلك لا تغير » .

٨١٧ - * روى الطبراني عن عِمرانَ بنِ حُصَيْنٍ وسَمُرَةَ بن جُنْدُبٍ أن النبي ﷺ قال : « وَلَدُ نوحٍ ثلاثةٌ ؛ فسامٌ أبو العربِ ، وحامٌ أبو الحبشةِ ، ويافثُ أبو الرومِ » .

٨١٨ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « اختَتَنَ إبراهيمُ بالقَدُّومِ » . وقال بعضهم : مُخَفَّفًا ، وقال أبو الزِّناد : « القَدُّوم » مشددة : موضع .

---

٨١٦ - كشف الأستار (٣ / ١٠٢) . قال في المجمع (٨ / ١٩٧) : رواه البزار والطبراني ورجاله ثقات .

٨١٧ - الطبراني (١٨ / ١٤٥) . قال في المجمع (١ / ١٩٣) : رجاله موثقون .

والمستدرك (٢ / ٥٤٦) وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي ، وضعفه بعضهم .

٨١٨ - البخاري (١١ / ٨٨) - ٧٩ - كتاب الاستئذان - ٥١ - باب الختان بعد الكبر ونتف الإبط .

مسلم (٤ / ١٨٣٩) - ٤٣ - كتاب الفضائل - ٤١ - باب من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ .

(بالقَدُوم) : القَدُومُ - بالتخفيف - : آلة النجار معروفة ، وبالتشديد : اسمُ موضع ، وقيل : هو بالتخفيف أيضًا

وزاد في رواية (١) ، قال : « اختتن إبراهيمُ وهو ابنُ ثمانين سنةً » .

٨١٩ ـ * روى البزار عن أبي هريرةَ رفعه : « إن في الجنـة قصرًا من دُرَّةٍ ، لا صـدعَ فيه ولا وهن ، أعده الله لخليله إبراهيمَ نزلاً » .

٨٢٠ ـ * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قـال : « إن إبراهيمَ عليه السلام يرى أباه يومَ القيـامـةِ ، عليـه الغَبَرَةُ والقَتَرَةُ » .

وفي رواية (٢) : قال : « يَلْقى إبراهيمُ أباه آزرَ يومَ القيامـة وعلى وجـهِ آزرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ ، فيقولُ لـه إبراهيمُ : أَلَمْ أَقُلْ لـك : لا تَعْصِني ؟ فيقولُ لـه أبوه : فـاليـومَ لا أعْصِيكَ ، فيقولُ إبراهيمُ : يـاربِّ ، إنـك وعـدتَني أن لا تُخْزِيَني يوم يُبْعَثُون ، فأيُّ خِزْيٍ أَخْزَى من أبي الأبعد ؟ فيقول الله : إني حَرَّمتُ الجنـةَ على الكافرين ، ثم يقالُ : يا إبراهيمُ ، ما تحتَ رجْلَيْكَ ؟ فنظر ، فإذا هو بِذِيخٍ مُتلطِّخ ، فيؤخذُ بقوائِمهِ ، فَيُلْقَى في النار» .

٨٢١ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « رَحِمَ اللهُ لُوطًا ، لَقَد كان يأوي إلى رُكنٍ شديدٍ ، ولو لَبِثْتُ في السجنِ مـا لَبِثَ يوسفُ ، ثم أتاني الداعي ، لأَجَبْتُ » .

وللبخاري(٣) أيضًا أنه ﷺ قال : « يغفِرُ الله للُوطٍ ، إنْ كان ليَأْوي إلى رُكنٍ شديـد» .

---

(١) البخاري : الموضع السابق .

٨١٩ ـ كشف الأستار (٣ / ١٠٢) .

مجمع الزوائد (٨ / ٢٠١) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والبزار بنحوه ، ورجالهما رجال الصحيح .

٨٢٠ ـ البخاري (٨ / ٤٩٩) ـ ٦٥ ـ كتاب التفسير ـ ١ ـ باب ﴿ ولا تخزني يوم يبعثون ﴾ .

(٢) البخاري (٦ / ٣٨٧) ـ ٦٠ ـ كتاب الأنبياء ـ ٨ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾ .

(القَتَرة) : غبرة معها سواد .

(بذيخ) الذِّيخ : ذكر الضباع ، والأنثى : ذيخة .

٨٢١ ـ البخاري (٦ / ٤١٨) ـ ٦٠ ـ كتاب أحاديث الأنبياء ـ ١٩ ـ باب قول الله تعالى :﴿ لقد كان في يوسف وإخوته آياتٌ للسائلين ﴾ .

مسلم (١ / ١٣٣) ـ ١ ـ كتاب الإيمان ـ ٦٩ ـ باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة .

(٣) البخاري (٦ / ٤١٥) ـ ٦٠ ـ كتاب أحاديث الأنبياء ـ ١٥ ـ باب ﴿ ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون ﴾ .

=

٨٢٢ - * روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود ، قال أُعطيَ يوسفُ وأُمه ثُلُثَي حسن الناسِ في الوجه والبياض وغيرِ ذلك . فكانت المرأة إذا أتته غطى وجهه مخافة أنْ تَفْتَتِنَ .

٨٢٣ - * روى أحمد عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس الخبر كالمعاينة إن الله عز وجل أخبر موسى عليه السلام بما صنع قَومُه في العِجْل فلم يلق الألواحَ فلما عاين ما صَنَعوا ألقى الألواحَ فانكسرت » .

٨٢٤ - * روى البخاري عن أُبيِّ بنِ كعبٍ أنهُ سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول : « إن موسى عليه السلام قال لفتاهُ : آتِنا غداءنا . قالَ : أرأيت إذ أوَينا إلى الصخرة فإني نسيتُ الحُوتَ وما أنسانيه إلا الشيطانُ أن أذكُرَه . ولم يَجِدْ موسى النَّصَبَ حتى جاوَزَ المكانَ الذي أمرَ اللهُ به » .

٨٢٥ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أُرْسِلَ مَلَكُ الموت إلى موسى ، فلما جاءه صَكَّهُ فَفَقَأَ عينَه ، فرجع إلى ربه ، فقال : أرْسَلْتَني إلى عبدٍ لا يريد الموتَ ، فردَّ الله إليه عينَه ، فقال : ارْجِعْ إليه ، فقل له : يضعْ يده على مَتْنِ ثَوْرٍ فله بكل ما غطَّتْ يدُه من شعرةٍ سَنَةٌ ، قال :

= والترمذي نحوه (٥ / ٢٩٣) - ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ١٣ - باب « ومن سورة يوسف ».

٨٢٢ - المعجم الكبير (٩ / ١١١) .

قال في المجمع (٨ / ٢٠٣) : رواه الطبراني موقوفاً ورجاله رجال الصحيح .

٨٢٣ - أحمد (١ / ٢٧١) .

وكشف الأستار (١ / ١١١) .

مجمع الزوائد (١ / ١٥٣) . وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح وصححه ابن حبان .

٨٢٤ - البخاري (٦ / ٣٣٦) - ٥٩ - كتاب بدء الخلق - ١١ - باب صفة إبليس وجنوده .

(النصب) : التعب .

٨٢٥ - البخاري (٣ / ٢٠٦) - ٢٣ - كتاب الجنائز - ٦٨ - باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها .

مسلم (٤ / ١٨٤٢) - ٤٣ - كتاب الفضائل - ٤٢ - باب من فضائل موسى ﷺ .

والنسائي (٤ / ١١٨) - ٢١ - كتاب الجنائز - ١٢١ - باب نوع آخر .

(الصَّك) : الضرب باليد ، كاللَّطم ونحوه .

(فَقَأ) : عَيْنَهُ : إذا بَخَصَهَا وَقَلَعها . =

أيْ ربِّ ، ثم ماذا ؟ قال : ثم الموت ، قال : فالآن ، فسأل الله أنْ يُدْنِيَه من الأرضِ المقدسة رَمْيةً بحَجرٍ » . قال رسولُ الله ﷺ : « فلو كنتُ ثَمَّ لأَرَيْتُكُم قبَره إلى جانب الطريق عند الكَثِيبِ الأحمر » .

ولمسلم [1] قال : « جاء مَلَكُ الموتِ إلى موسى ، فقال له : أَجِبْ ربَّك ، قال : فلطم عينَ مَلَكِ الموت ، ففقأها .... » ثم ذكر معناه .

قال الحافظ في الفتح : قال ابن خزيمة : أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث ، وقالوا : إن كان موسى عرفه فقد استخف به ، وإن كان لم يعرفه فكيف لم يقتص له من فقء عينه ، والجواب أن الله تعالى لم يبعث ملك الموت لموسى وهو يريد قبض روحه حينئذ ، وإنما بعثه إليه اختبارًا ، وإنما لطم موسى ملك الموت ، لأنه رأى آدميًا دخل داره بغير إذنه ، ولم يعلم أنه ملك الموت ، وقد أباح الشارع فقء عين الناظر في دار المسلم بغير إذن ا . هـ وانظر بقية كلام الحافظ في « الفتح » .

٨٢٦ - * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنما سُمي الخَضِر ، لأنه جلس على فَرْوَةٍ بَيْضاءَ ، فإذا هي تَهْتَزُّ من خَلْفِه خضراءَ » .

أقول :

ذكرنا هذه الرواية هنا لأن هناك من يذهب إلى أن الخضر عليه السلام كان نبيًا ، والخلاف في شأنه معروف ، فهناك من رجَّح ولايته وهناك من رجح نبوته وهناك من يرى أنه لا زال حيًا وهناك من يرى أنه لا تصح هذه الدعوة والبخاري من هؤلاء وبنى ذلك على بعض النصوص العامة التي تنفي بقاء أحدٍ ممن على وجه الأرض بعد فترة حددها

= (الكثيب) : المجتمع من الرَّمْلِ .

(١) مسلم ، الموضع السابق .

٨٢٦ - البخاري (٦ / ٤٣٣) - ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء - ٢٧ - باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام .

والترمذي (٥ / ٣١٣) - ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ١٩ - باب « ومن سورة الكهف » .

وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(فروة) : الفروة : قِطْعة نبات مجتمعة يابسة .

رسول الله ﷺ .

٨٢٧ - * روى البزار عن أبي الدَّرْدَاء قال وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر داودَ ﷺ قال : « كان أعبدَ البشرِ » .

٨٢٨ - * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : « خُفِّفَ على داودَ القرآنُ ، فكان يَأمُرُ بِدَوَابِّهِ أن تُسرَجَ ، فيقرؤه قبل أن تُسرجَ دوابُّه ، ولا يأكل إلا من عَمَل يديه » .

وفي رواية[1] مختصرًا قال : « إنَّ داودَ عليه السلام كان لا يأكلُ إلا من عمل يديه » .

قوله (خفف على داود القرآن) : قال ابن حجر :

قيل المراد بالقرآن القراءة ، والأصل في هذه اللفظة الجمع وكل شيء جمعته فقد قرأته ، وقيل المراد الزبور وقيل التوراة ، وقراءة كلِّ نبيٍّ تطلق على كتابه الذي أوحي إليه ،... وإنما ترددوا بين الزبور والتوراة لأن الزبور كله مواعظ ، وكانوا يتلقون الأحكام من التوراة . قال قتادة : كنا نتحدث أن الزبور مائة وخمسون سورة كلها مواعظ وثناء ، ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ، بل كان اعتماده على التوراة ، أخرجه ابن أبي حاتم وغيره . وفي الحديث أن البركة قد تقع في الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير ا.هـ « الفتح » .

(لا يأكل إلا من عمل يده) : دليل على أنه أفضل المكاسب ، فكان ينسج الدروع ويبيعها ولا يأكل إلا من ثمن ذلك مع كونه كان من كبار الملوك .

٨٢٩ - * روى الطبراني عن أبي الدَّرْدَاء أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه : « لقد قبض

---

٨٢٧ - مجمع الزوائد (٨ / ٢٠٦) وقال : رواه البزار في حديث طويل ، وإسناده حسن .

٨٢٨ - البخاري (٦ / ٤٥٣) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٣٧ - باب قوله تعالى ﴿ وآتينا داود زبورًا ﴾ .

(١) البخاري (٤ / ٣٠٣) - ٣٤ - كتاب البيوع - ١٥ - باب كسب الرجل وعمله بيده .

٨٢٩ - مجمع الزوائد (١ / ١٩١) وقال : رواه الطبراني ورجاله موثقون .

الله روح داود عليه السلام من بين أصحابه فما فُتِنوا ولا بَدّلوا ولقد مَكَثَ أصحابُ المسيح على سننه وهديه مائتي سنةٍ » .

أقول :

قوله : (من بين أصحابه) لا يشترط فيها أنه أثناء القبض كان أصحابه حوله بل يفيد أن أصحابه لم يغيروا بعد أن قبض من بينهم .

وقوله (مكث أصحاب المسيح على سننه وهديه مائتي سنة) : هذا يفيد أن الغلبة بقيت للدين الصحيح للمسيح عليه السلام عند المنتسبين إليه مائتي سنة بعد رفعه إلى السماء ثم بعد ذلك تغلبت مدرسة بولس الذي حرف دين المسيح ومن يومها حتى الآن فإن الغلبة لمدرسة بولس ، وقد فرضت ديانة بولس من خلال أباطرة الرومان على النصارى فرضًا ..

ولاحقوا مخالفيها حتى لم يبق منهم إلا القليل وقد لقي سَلمان الفارسي آخرهم قبل أن يأتي إلى المدينة المنورة .

٨٣٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضي الله عنهُ أنه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقول : « كانت امرأتان معها ابناهما ، جاء الذئبُ فذهبَ بابن إحداهُما ، فقالت هذه لصاحِبتها : إنما ذهبَ بابنكِ . وقالت الأخرى : إنما ذَهَبَ بابنكِ . فتحاكمتا إلى داودَ ، فقضى به للكبرى ، فخرجتا على سليمانَ بن داودَ ، فأخبرتاه ، فقال : ائتوني بالسِّكِّين أشُقُّه بينهما . فقالتِ الصغرى : لا تفعل رَحِمَكَ اللهُ ، هو ابنُها . فقضى به للصغرى » .

قال أبو هريرة : والله إنْ سمعتُ بالسِّكين إلا يومئذ ، وما كنا نقول إلا المُدْيَةَ .

٨٣١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال :

---

٨٣٠ - البخاري (٦ / ٤٥٨) ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٤٠ - باب قوله تعالى : ﴿ ووهبنا لداود سليمان ﴾ .

مسلم (٣ / ١٣٤٤) - ٣٠ - كتاب الأقضية - ١٠ - باب بيان اختلاف المجتهدين .

والنسائي (٨ / ٢٣٤) ٤٩ - كتاب القضاة - ١٤ - باب حكم الحاكم بعلمه .

٨٣١ - البخاري (٦ / ٤٥١) - ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء - ٣٥ - باب قول الله تعالى : ﴿ وإن يونس لمن المرسلين ﴾ . =

« قال الله تعالى : لا ينبغي لعبدٍ لي » ـ وفي رواية : « لعبدي أن يقول : أنا خيرٌ من يونُسَ بنِ متّى » .

وللبخاري [١] : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « من قال : أنا خيرٌ من يونس بن متّى . فقد كَذَبَ » .

قال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ...** ﴾ يخبر تعالى أنه فَضَّل بعضَ الرسل على بعض ، كما قال تعالى : ﴿ **ولقد فضّلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا** ﴾ وقال هٰهنا : ﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله** ﴾ يعني موسى ومحمدًا صلى الله عليهما وسلم وكذلك آدم كما ورد به الحديث المروي في صحيح ابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه ﴿ **ورفع بعضهم درجات** ﴾ كما ثبت في حديث الإسراء حين رأى النبي ﷺ الأنبياء في السماوات بحسب تفاوت منازلهم عند الله عز وجل (فإن قيل) فما الجمع بين هذه الآية وبين الحديث الثابت في الصحيحين عن أبي هريرة قال : استبَّ رجل من المسلمين ورجل من اليهود ، فقال اليهودي في قسم يقسمه : لا والذي اصطفى موسى على العالمين . فرفع المسلم يده فلطم بها وجه اليهودي فقال : أي خبيث ؟ وعلى محمد ﷺ ؟ فجاء اليهودي إلى النبي ﷺ فاشتكى على المسلم فقال رسول الله ﷺ : « لا تفضلوني على الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى باطشًا بقائمة العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور ؟ فلا تفضلوني على الأنبياء » . وفي رواية : « لا تفضلوا بين الأنبياء » . فالجواب من وجوه (أحدها) : أن هذا كان قبل أن يعلم بالتفضيل وفي هذا نظر . (الثاني) : أن هذا قاله من باب الهضم والتواضع . (الثالث) : أن هذا نهي عن التفضيل في مثل هذه الحال التي تحاكوا فيها عند التخاصم والتشاجر . (الرابع) : لا تفضلوا بمجرد الآراء والعصبية . (الخامس) : ليس مقام التفضيل إليكم وإنما هو إلى الله عز وجل وعليكم الانقياد والتسليم له والإيمان به) . ا . هـ (تفسير القرآن العظيم) .

= مسلم (٤ / ١٨٤٦) ٤٣ ـ كتاب الفضائل ـ ٤٣ ـ باب في ذكر يونس عليه السلام .

(١) البخاري (٨ / ٢٦٧) ـ ٦٥ ـ كتاب التفسير ـ ٢٦ ـ باب ﴿ إنا أوحينا إليك ... ﴾ .

٨٣٢ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ : بينما يهودي يعرضُ سلعته أُعطي بها شيئًا كَرِهَهُ ، فقالَ : لا والذي اصطفى موسى على البشر . فسمعَهُ رجلٌ من الأنصار فقام فلطَم وجْهَهُ ، وقال : تقول والذي اصطفى موسى على البشر ، والنبي ﷺ بين أظهُرنا ؟ فذهبَ إليه فقال : يا أبا القاسم : إن لي ذِمةً وعهدًا ، فما بالُ فلانٍ لَطَمني ؟ فقال : « لم لطَمْتَ وجهه » ؟ فذكره ، فغضب ﷺ حتى رُئيَ في وجهه ، ثم قال : « لا تُفَضِّلوا بين أنبياء اللهِ ، فإنه ينفَخُ في الصور فيَصْعَقُ من في السموات ومن في الأرض إلا من شاءَ الله ، ثم يُنفَخُ فيه أخرى ، فأكونُ أولَ من يُبعَثُ ، فإذا موسى آخذٌ بالعرش ، فلا أدري أُحوسِبَ بصعقة الطور أم بُعِثَ قَبلي ؟ ولا أقولُ إن أحدًا أفضلُ من يونسَ بن متى » .

قال ابن كثير في النهاية : (فقوله أم جوزي [وفي رواية : أحوسب وهي عندنا] بصعقة الطور يدل على أن هذا الصعق الذي يحصل للناس يوم القيامة ، سببه تجلي الرب تعالى لعباده لفصل القضاء ؛ فيصعق الناس من العظمة والجلال ، كما صعق موسى يوم الطور . حين سأل الرؤية . ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًا وخر موسى صعقًا ﴾ ؛ فموسى عليه الصلاة والسلام يوم القيامة إذا صعق الناس ، إما أن يكون جُوزي بتلك الصعقة الأولى فما صعق عند هذا التجلي ، وإما أن يكون صعق أخف من غيره ، فأفاق قبل الناس كلهم . والله أعلم .) ا .هـ .

٨٣٣ - * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « بينما أيوبُ يغتسِلُ عُرْيانًا خرَّ عليه رِجْلُ جَرادٍ من ذهب ، فجعل يَحْثي في

---

٨٣٢ - البخاري (١١ / ٣٦٧) - ٨١ - كتاب الرقاق - ٤٣ - باب نفخ الصور .

مسلم (٤ / ١٨٤٤) - ٤٣ - كتاب الفضائل - ٤٢ - باب من فضائل موسى ﷺ .

وأبو داود (٤ / ٢١٧) - كتاب السنة - باب في التخيير بين الأنبياء .

والترمذي (٥ / ٣٧٣) - ٤٨ - كتاب التفسير - ٤١ - باب « ومن سورة الزمر » .

٨٣٣ - البخاري (٦ / ٤٢٠) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٢٠ - باب قول الله تعالى : ﴿ وأيوب إذ نادى ربه ﴾ .

والنسائي (١ / ٢٠١) - ٤ - كتاب الغسل - ٧ - باب الاستتار عند الاغتسال .

(خرَّ) : إذا سقط من فوق .

(رِجْل جَرَادٍ) : الرِّجْل : القطيع من الجراد .

(يحثي) : : يجمع .

ثوبه ، فناداه ربُّه : يا أيوبُ ، ألم أكن أغْنَيْتُك عما ترى ؟ قال : بلى يارب ، ولكنْ لا غِنى لي عن بَرَكَتِكَ » .

٨٣٤ ـ * روى البزار ، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « إن نبيَّ الله أيوبَ كان في بلائه ثماني عشرة سنة فرفضه القريبُ والبعيدُ إلا رجلان من إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان إليه . فقال أحدهما لصاحبه : تعلم والله لقد أذنبَ ذنبًا ما أذنبه أحدٌ . قال صاحبُه وما ذاك ؟ قال : منذ ثماني عشرة سنة لم يَرحَمْهُ اللهُ فيكشف اللهُ عنه . فلما راحا إليه لم يَصْبِر الرجل حتى ذكرَ ذلك له . قال أيوبُ : ما أدري ما تقول إلا أن الله يعلم كنت أَمُرُّ على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرْجعُ إلى بيتي فأُكَفِّر عنهما كراهية أن يُذكرَ اللهُ إلا في حقٍّ ». قال : « وكان يخرجُ إلى حاجته فإذا قضى حاجته أمسكت امرأتهُ بيده حتى يَبلُغَ . فلما كان ذات يومٍ أبطأ عليها وأوحي إلى أيوبَ في مكانه أن ﴿ **اركض برجلك هذا مغتسلٌ باردٌ وشراب** ﴾ فاستَبْطأتْه فتلقتْه تنظرُ وأقبلَ عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو على أحسنِ ما كان ، فلما رأتْه قالت : أي باركَ اللهُ فيك هل رأيتَ نبي الله هذا المبتلى ، والله على ذلك ما رأيتُ أحدًا أشبه به مذ كان صحيحًا منك . قال : فإني أنا هو . وكان له أَنْدَرَانِ أَنْدَرُ القمحِ وأَنْدَرُ الشعيرِ ، فبعثَ الله سحابتين فلما كانت إحداهما على أَنْدَرِ القمح فَرَّغَت فيه الذهبَ حتى فاضَ وأفْرغَت الأخرى على أنْدَرِ الشعيرِ الورِقَ حتى فاض » .

٨٣٥ ـ * روى أبو داود عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « لا أدري : تُبَّعٌ أَلَعِينٌ هو ؟ » ـ وفي نسخة : « اللعين هو ـ أم لا ؟ ولا أدري عُزيرٌ نبيٌّ هو ، أم لا ؟ » .

---

٨٣٤ ـ كشف الأستار (٣ / ١٠٧) .

مجمع الزوائد (٨ / ٢٠٨) ـ وقال : رواه أبو يعلى والبزار ، ورجال البزار رجال الصحيح .

(الأَنْدَرُ) : البَيْدَرُ . وهو المكان الذي يفصل فيه الحب عن قشه بواسطة الدياس قديمًا .

(الورق) : الفضة .

٨٣٥ ـ أبو داود (٤ / ٢١٨) ـ كتاب السنة ـ باب في التخيير بين الأنبياء وسنده صحيح .

ومما نسبه ابن الأثير في جامعه إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما هـذا القول ـ الـذي يدخل تحت قوله جل جلاله : ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ ـ :

(إنَّ أهلَ فارسَ لما ماتَ نبيُّهم : كتبَ لهم إبليسُ المجوسيةَ) .

وقد نسب ابن الأثير في جامعه هذا النص لأبي داود والظـاهر أنـه موجود في نسخـة من نسخ كتاب أبي داود ولا يوجد في كل نسخه .

٨٣٦ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ما من بني آدمَ من مولودٍ إلا نَخَسَهُ الشيطان حين يولَـدُ ، فَيَسْتَهِلُّ صـارخًـا من نَخْسِـهِ إيَّاه ، إلا مريمَ وابنَها » .

وفي روايـة [1] : « إلا والشيطـان يمسـه حين يولَـد ، فيستهلُّ صـارخًـا من مسِّ الشيطـان إياه ، إلا مريمَ وابنَها » . ثم يقول أبو هريرةَ : اقرؤوا إن شئتم ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [2] .

وللبخـاري [3] قـال : « كلُّ ابن آدم يَطْعُنُ الشيطـانُ في جَنْبَيـهِ بـإِصْبَعَيْـه حين يولَد ، غيرَ عيسى ابنِ مريم ، ذهب يَطْعُنُ فطعن في الحجاب » .

ولمسلم[4] قال : « كل بني آدم يمسُّه الشيطان يوم ولدته أمـه ، إلا مريمَ وابنَهـا » .

٨٣٧ ـ * روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قـال : يُلَقَّى عيسى حُجَّتَـه ، لَقَّـاه

---

٨٣٦ ـ البخاري (٦ / ٤٦٩) ـ ٦٠ ـ كتاب الأنبياء ـ ٤٤ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب مريم ﴾ .

مسلم (٤ / ١٨٣٨) ـ ٤٣ ـ كتاب الفضائل ـ ٤٠ ـ باب فضائل عيسى عليه السلام .

(١) البخاري (٨ / ٢١٢) ـ ٦٥ ـ كتاب التفسير ـ سورة آل عمران : ٢ ـ باب ﴿ وإني أعيذها بك وذريتها ... ﴾ .

مسلم ، الموضع السابق .

(٢) آل عمران : ٣٦ .

(٣) البخاري (٦ / ٣٣٧) ـ ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ـ ١١ ـ باب صفة إبليس وجنوده .

(٤) مسلم ، الموضع السابق .

(فيستهلُّ صارخًا) : : الاستهلال : صياح المولود عند الولادة ، والصّراخ : الصّياح والبُكاء .

وقوله: « فطعن في الحجاب » أي : في المشية ، وهي التي يكون فيها المولود .

٨٣٧ ـ الترمذي (٥ / ٢٦٠) ـ ٤٨ ـ كتاب التفسير ـ ٦ ـ باب « ومن سورة المائدة » وهو حديث حسن صحيح .

الله في قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللهُ يا عيسى ابنَ مريم أأنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوني وَأُمّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ قال أبو هريرة عن النبي ﷺ : « فَلَقَّاهُ الله ﴿ سُبْحَانَكَ ما يكون لي أنْ أقولَ ما لَيْسَ لي بِحَقّ ﴾ » الآية كلها (١) .

٨٣٨ - * روى مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « حِينَ أُسْرِيَ بِي لَقِيتُ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ » فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ « فَإِذَا رَجُلٌ » حَسِبْتُهُ قَالَ : « مُضْطَرِبٌ رَجِلُ الرَّأْسِ . كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ » . قَالَ : « وَلَقِيتُ عِيسَى » فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ « فَإِذَا رَبْعَةٌ أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ » (يَعْنِي حَمَّامًا) قَالَ : « وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ . وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ » . قَالَ : « فَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ وَفِي الآخَرِ خَمْرٌ . فَقِيلَ لِي : خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ . فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ . فَقَالَ : هُدِيتَ الْفِطْرَةَ » أَوْ « أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ » .

٨٣٩ - * روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لا واللهِ ، ما قال النبيُّ ﷺ لعيسى أحمرُ ، ولكن قال : « بينما أنا نائمٌ أطوفُ بالكعبة ، فإذا رجل آدمُ سَبِطُ الشعر يُهادَى بينَ رجُلَين يَنطِفُ رأسه ماءً » أو « يُهراقُ رأسهُ ماءً - فقلتُ : مَن هذا ؟ قالوا : ابنُ مريم . فذهبتُ فإذا رجُلٌ أحمرُ جسيمٌ جَعدُ الرأسِ أعوَرُ عينهِ اليمنى كأنَّ عينَهُ عنبةٌ طافية ، قلت : مَن هذا ؟ قالوا : هذا الدجال . وأقربُ الناس بهِ شَبَهًا ابنُ قَطَن » . قال الزُّهريُّ : رجُلٌ من خُزاعة هلكَ في الجاهلية .

---

(١) المائدة : ١١٦ .

٨٣٨ - مسلم (١ / ١٥٤) - ١ - كتاب الإيمان - ٧٤ - باب الإسراء برسول الله ﷺ .

(مضطرب) : هومفتعل من الضرب . صرّح به ابن الأثير في النهاية .

(رجل الرأس) : أي رجل الشعر أي قد سرحه ودهنه .

قوله : (فإذا ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس) :

قال النووي : أما الربعة فيقال : رجل ربعة ومربوع أي بين الطويل والقصير . وأما الديماس فقال الجوهري في صحاحه في هذا الحديث : قوله خرج من ديماس ، يعني في نضارته وكثرة ماء وجهه كأنه خرج من كِنٍّ . لأنه قال في وصفه : كأن رأسه يقطر ماء . ا .هـ .

٨٣٩ - البخاري (١٢ / ٤١٧) - ٩١ - كتاب التعبير - ٣٣ - باب الطواف بالكعبة في المنام .

مسلم (١ / ١٥٦) - ١ - كتاب الإيمان - ٧٥ - باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال .

قال ابن حجر : قوله (رجل الشعر) بكسر الجيم أي قد سرحه ودهنه ، وفي رواية مالك « له لمة قد رَجَّلَها فهي تقطر ماء » وقد تقدم أنه يحتمل أن يريد أنها تقطر من الماء الذي سرحها به أو المراد الاستنارة وكنى بذلك عن مزيد النظافة والنضارة ، ووقع في رواية سالم الآتية في نعت عيسى « أنه آدم سبط الشعر » وفي الحديث الذي قبله في نعت عيسى « أنه جعد » والجعد ضد السبط فيمكن أن يجمع بينهما بأنه سبط الشعر ووصفه لجعودة في جسمه لا شعره والمراد بذلك اجتماعه واكتنازه ، وهذا الاختلاف نظير الاختلاف في كونه آدم أو أحمر ، والأحمر عند العرب الشديد البياض مع الحمرة ، والآدم الأسمر ، ويمكن الجمع بين الوصفين بأنه أحمر لونه بسبب كالتعب وهو في الأصل أسمر ، وقد وافق أبو هريرة على أن عيسى أحمر فظهر أن ابن عمر أنكر شيئًا حفظه غيره ، وأما قول الداودي إن رواية من قال « آدم » أثبت فلا أدري من أين وقع له ذلك مع اتفاق أبي هريرة وابن عباس على مخالفة ابن عمر . وقد وقع في رواية عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة في نعت عيسى « أنه مربوع إلى الحمرة والبياض » . والله أعلم .... .

قوله : (لا والله ماقال رسول الله ﷺ لعيسى أحمر) اللام في قوله « لعيسى » بمعنى عن وهي كقوله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرًا ماسبقونا إليه ﴾ وقد تقدم بيان الجمع بين ماأنكره ابن عمر وأثبته غيره ، وفيه جواز اليمين على غلبة الظن لأن ابن عمر ظن أن الوصف اشتبه على الراوي وأن الموصوف بكونه أحمر إنما هو الدجال لا عيسى ، وق.. ذلك أن كلا منهما يقال له المسيح وهي صفة مدح لعيسى وصفة ذم للدجال كما تقدم ، وكأن ابن عمر قد سمع سماعاً جزماً في وصف عيسى أنه آدم فساغ له الحلف على ذلك لما غلب على ظنه أن من وصفه بأنه أحمر واهم . ا . هـ .

٨٤٠ ـ * روى البخاري ومسلم ، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَقَدْ رَأَيْتُنِي في الْحِجْرِ ، وَقُرَيْشٌ تَسأَلُني عَنْ مَسْرَايَ ، فَسَأَلَتْني عَنْ أَشْيَاءَ

---

٨٤٠ ـ البخاري (٨ / ٣٩١) ـ ٦٥ ـ كتاب التفسير ـ ٣ ـ باب ﴿ أسرى بعبده ليلاً ﴾ .

ولفظه مختصر عن جابر .

مسلم (١ / ١٥٦) ـ ١ ـ كتاب الإيمان ـ ٧٥ ـ باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال . واللفظ له .

مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا ، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ » . قال : « فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ . مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ . وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ . فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي . فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَائِمٌ يُصَلِّي . أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ . وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ قَائِمٌ يُصَلِّي . أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ » (يَعْنِي نَفْسَهُ) « فَحَانَتِ الصَّلاةُ فَأَمَمْتُهُمْ . فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلاةِ قَالَ قَائِلٌ : يَامُحَمَّدُ ! هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ . فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِالسَّلامِ ».

٨٤١ - * روى البخاري ومسلم ، عن ابنِ عبّاسٍ رضي اللهُ عنهما قال : قال النبيُّ ﷺ : « رأيتُ عيسى وموسى وإبراهيمَ ، فأما عيسى فأحمرُ جَعْدٌ عَريضُ الصدرِ ، وأما موسى فآدَمُ جَسيمٌ سبطٌ كأنه مِن رجالِ الزُّطِّ » .

٨٤٢ - * روى البخاري ومسلم ، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيدهِ ليوشِكَنَّ أنْ يَنزلَ فيكم ابن مريمَ حَكَماً مُقسِطًا ، وإمامًا عدلاً ، فيَكسرَ الصليبَ ، ويقتُلَ الخنزيرَ ، ويضعَ الجزيةَ ، ويَفيضَ المالُ حتى لا يقبلَهُ أحدٌ ، وحتى تكونَ السجدةُ الواحدةُ خيرًا منَ الدنيا وما فيها » .

٨٤٣ - * روى الطبراني ، عن أبي هُرَيْرةَ أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل عيسى ابن مريم فيمكثُ في الناس أربعين سنة » .

٨٤٤ - * روى أحمد ، عن أبي هريرةَ عن النبي ﷺ قال « إني لأرجو إن طال بيَ

---

٨٤١ - البخاري (٦ - ٤٧٧) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٤٨ - باب قول الله : ﴿ واذكر في الكتاب مريم ﴾ .

مسلم (١ / ١٥٣) - ١ - كتاب الإيمان - ٧٤ - باب الإسراء برسول الله ﷺ .

والرواية في مسلم مختلفة ، وليس فيها ذكر عيسى عليه السلام .

(الزُّطّ) : جيل أسمر من السند ، له خصائص مميزة عن البشر .

٨٤٢ - البخاري (٤ / ٤١٤) - ٣٤ - كتاب البيوع - ١٠٢ - باب قتل الخنزير .

مسلم (١ / ١٣٥) - كتاب الإيمان - ٧١ - باب نزول عيسى ابن مريم .

٨٤٣ - مجمع الزوائد (٨ / ٢٠٥) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات .

٨٤٤ - أحمد (٢ / ٢٩٨) .

عُمُرٌ أن ألقى عيسى ابن مريم ﷺ فإن عجل بي موتٌ فمن لقيه منكم فليُقرئْهُ مني السلام».

٨٤٥ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « أنا أَوْلَى الناسِ بابنِ مريمَ في الدنيا والآخرة ، ليس بيني وبينه نَبِيٌّ ، والأنبياءُ إخْوَةٌ ، أبناءُ عَلاتٍ ، أُمَّهاتُهم شَتَّى ودِينُهم واحدٌ » .

٨٤٦ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد رفعه : « لا تُخَيِّروا بين الأنبياء » .

أقول :

الإجماع منعقد على أن محمداً ﷺ أفضل النبيين والمرسلين ، والنصوص في ذلك كثيرة والقرآن نص على تفضيل بعض المرسلين على بعض : ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورًا ﴾ [1] . وما ورد في المنع من ذلك فهو محمول على التواضع وهضم النفس أو على ما يفهم من انتقاص المفضل عليه أو على ما يفهم من عصبية للمفضل على المفضل عليه، أو عندما لا يكون هناك نص يذكر التفضيل أو ما يوهم نقص مرتبة المفضل عليه .

٨٤٧ - * روى البزار عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « الأنبياءُ أحياءٌ في قبورهم يصلون » .

= مجمع الزوائد (٨ / ٢٠٥) . وقال : رواه أحمد مرفوعًا وموقوفًا ، ورجالها رجال الصحيح .

٨٤٥ - البخاري (٦ / ٤٧٨) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٤٨ - باب قول الله : ﴿ واذكر في الكتاب مريم ﴾ .

مسلم (٤ / ١٨٣٧) - ٤٣ - كتاب الفضائل - ٤٠ - باب فضائل عيسى عليه السلام .

وأبو داود (٤ / ٢١٩) - كتاب السنة - باب في التخيير بين الأنبياء .

وهو عنده مختصر .

(أبناء عَلات) : إذا كان الإخوة لأب واحدٍ ، وأمّهاتٍ شتى ، كانوا أبناءَ عَلاتٍ ، وإذا كانوا لأم واحدة وآباءٍ شتّى ، فهم أبناءُ أخياف . وإذا كانوا لأب واحد ، وأم واحدة ، فهم أعيان .

٨٤٦ - البخاري (١٢ / ٢٦٣) - ٨٧ - كتاب الدّيات - ٣٢ - باب إذا لطم المسلم يهوديًا .

مسلم (٤ / ١٨٤٥) - ٤٣ - كتاب الفضائل - ٤٢ - باب من فضائل موسى

وأبو داود (٤ / ٢١٧) ، الموضع السابق .

وهو عنده مختصر .

(١) الإسراء : ٥٥ .

٨٤٧ - كشف الأستار (٣ / ١٠٠) .

مجمع الزوائد (٨ / ٢١١) وقال : رواه أبو يعلى والبزار ، ورجال أبي يعلى ثقات . =

المسائل والفوائد

- بعض العلماء يعتبر مقام الرسالة والنبوة واحداً ، فكل نبي رسول وكل رسول نبي ، وبعضهم جعل وصف الرسالة فيه معنى زائد على معنى النبوة فالنبوة تحصل بمجرد الوحي على إنسان اصطفاه الله عز وجل للنبوة وأعلمه أنه نبي أما الرسالة فتكون بعد الأمر بالإنذار والتبليغ وهل هناك أنبياء يقتصر تكليفهم على أنفسهم ؟ هناك من جوز ذلك . وهناك تعريفات أخرى تحدد صفات من ينطبق عليه وصف النبوة والرسالة بآن واحد فيتصف بالنبوة من كان تابعًا لرسول ولم يأت بإنذار جديد أو تبليغ جديد ولو نزل عليه وحي ، فالنبي مهمته العمل والفتوى بشريعة رسول سابق له .

- الوحي الذي تثبت به النبوة هو ماكان خطابًا مباشرًا من الملك أو من الله عز وجل في حالة اليقظة أما ماكان من رؤى أو إلهامات قبل ذلك فلا تثبت به النبوة وأما بعد النبوة فالرؤى والإلهامات من جملة الوحي .

- من مباحث علماء التوحيد : مايجب للرسل ومايستحيل في حقهم ومايجوز عليهم .

ويخصون بالذكر مما يجب عليهم : الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة ، ويخصون بالذكر مما يستحيل عليهم أضداد الصفات الكذب والمعصية والكتمان والغفلة والبلادة ، ويذكرون من الجائزات في حقهم الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية ، مما لا يخالف شرعاً ولا مروءة معتبرة شرعًا ولا مما يتناقض مع مقامهم ، فيجوز في حقهم الأكل والشرب وإتيان النساء الحلال والنوم بعيونهم لا بقلوبهم والأمراض غير المنفرة ، ومما مر ندرك أن المراد بالأمانة العصمة عن التلبس بمنهيٍّ عنه ولو نهي كراهة أو خلاف الأولى فأفعالهم وأقوالهم وأحوالهم دائرة بين الواجب والمندوب وهم قبل النبوة معصومون عن كل ماينفر عنهم ، فهم معصومون عن الكبائر وعن المنفرات .

- من شروط النبوة والرسالة : الحرية فلم يعرف أن الله ابتعث نبيًّا غير حر ـــ والذكورة والبشرية : فلم يبعث الله عز وجل رسلاً من الجن لا للبشر ولا للجن ولم يبعث رسولاً من الملائكة إلى البشر ليعيش معهم كما يشترط أن يكون النبي أو الرسول خاليًا من

الأمراض المنفرة لأن وجود هذه أو هـذه يمنع من الإفـادة منـه ويمنع من القربى منـه وذلـك يتنـاقض مع الحكـة من إرسـال الرسل وبعثـة الأنبيـاء عليهم الصلاة والسلام فـلا يصـح أن تتلّبس امرأة نبي أو رسول بالزنى ، وما ورد من اسرائليات في حق أيوب تصفه بالمرض المنفر فـذلـك غير صحيح ، ومن شروط الرسـالـة أن يكون الرسـول أعلم من جميـع من بعث إليهم بأحكام الشريعة المبعوث بها أصلية أو فرعية :

﴿ يايحيىٰ خـذ الكتـاب بقوة وآتينـاه الحكم صبيًّا ﴾[1] ، ﴿ ويعلمـه الكتـاب والحكـة والتوراة والإنجيل ﴾[2] .

ـ وإرسـال الرسل ليس واجبـا على الله كا زعم قوم ولا مستحيـلاً كا زعم قـوم ، بـل هـو جائز في حقه وقد اختار أن يرسل فأرسل فوجب الإيمان .

ـ ومـا ورد في الكتـاب والسنـة من كلام حول مؤاخـذة الله الرسل عليهم الصلاة والسلام على بعض أعمـال عملوهـا أو تصرفـات فعلوهـا ، فبعضهـا محمول على أنـه كان قبـل النبـوة ، وبعضها محمول على أنه من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وبعضها محمول على أنه كان اجتهادًا منهم حيث جاز لهم الاجتهاد ولم يوافقوا الصواب عنـد الله عز وجل ، فـأخبرهم الله عز وجل بما هو الصواب عنده ، وعلى هذا فالمسلم مكلف أن ينفي المعصيـة عن الرسل عليهم الصلاة والسلام بالمعنى الذي تحمل عليه في بقية الخلق ، وأن يفهم النصوص على ضوء ذلك .

ـ قـد يخص بعض الأنبيـاء بخصوصيـة لا تقتضي أفضليـة ، وقـد يخصون بخصـوصيـة مـع الأفضليـة ، وممـا خص بـه رسولنـا عليـه الصلاة والسلام أفضليتـه على جميع الخلـق ، وعمـوم رسالته إلى الإنس والجن ، وأنـه خـاتم النبيين والمرسلين ، وأن شريعتـه مهينـة وحـاكـة على الشرائع قبلها وناسخة لكل مـا نـاقضها ، وممـا خصـه الله بـه نصره بـالرعب مسيرة شهر بسير الإبل ، وجعله الأرض له ولأمته مسجداً وطهوراً ، وحل الغنائم له ولأمته وإعطاؤه الشفاعة العظمى يوم القيامة .

ـ نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان لا يتناقض مع ختم النبوة بمحمد ﷺ ؛ لأنـه

---

(١) مريم : ١٢ .

(٢) آل عمران : ٤٨ .

عليه الصلاة والسلام يأتي تابعاً لشريعة محمد ﷺ ، فهو من هذه الحيثية واحد من أمته ، ومن أهم الكتب التي ألفت في نزول المسيح عليه السلام آخر الزمان كتاب « التصريح بما تواتر في نزول المسيح » للشيخ أنور الكشميري جمع فيه الشيخ « ٧٥ » حديثًا في رفع عيسى ونزوله ، وأضاف محققه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة عشرة أحاديث سكت عنها المؤلف وخمسة وعشرين أثراً عن الصحابة ، فمن أنكر نزوله عليه الصلاة والسلام فقد كفر لأن نزوله متواتر .

ـ التحقيق أن الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أفضل من الملائكة بإطلاق بمن في ذلك رؤساء الملائكة كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومالك ورضوان ... .

ـ المعجزة هي التي تثبت صدق الرسول ومن تعريفات العلماء للمعجزة :

أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي الذي هو دعوى الرسالة أو النبوة مع عدم المعارضة وقال السعد : هي أمر يظهر بخلاف العادة على يد مدعي النبوة عن تحدي المنكرين على وجه يعجز المنكرين عن الإتيان بمثله فحقيقة الإعجاز إثبات العجز .

وقال الشيخ أبو الحسن : هي فعل من الله أو قائمة مقام الفعل يقصد بمثله التصديق .

فخرج بذلك السحر والكهانة والشعوذة والعاديات العجيبة لأنها من عالم الأسباب وخرج بذلك الكرامة للأولياء ، والمعونة للعوام والاستدارج للفساق ، والإهانة وهي ما يظهر على يد الفاسق أو الكافر تكذيبًا له ، ويخرج بذلك الخارقة التي لا توافق دعوى النبوة بل ترافقها دعوى واضحة البطلان كما يحدث للدجال ، ومن أخطاء أهل العصر وصف ما يجري على يد غير الرسل عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات .

ـ المعجزة الرئيسية لرسولنا عليه الصلاة والسلام هي القرآن وله معجزات أخرى كثيرة منها : نبع الماء من بين أصابعه ، وانشقاق القمر ، وحنين الجذع ، وتكثير الطعام القليل ، وشفاء المرضى والمصابين واستجابة الدعاء والإخبار عن مغيبات كثيرة وقعت ومنها إسراؤه ومعراجه ، ومعجزات أخرى كثيرة ذكرنا بعضها في قسم السيرة من هذا الكتاب وكثير منها مثبوت في هذا الكتاب أثناء سياقات أبحاثه فقد كانت أدلة رسالته وأعلام نبوته ظاهرة في أموره كلها عليه الصلاة والسلام .

الوصل الأول

في:

رفع خطأ التوهم بأن الرسل لم يبعثوا إلا
في بقعة من الأرض وإلى بعض الأمم

وفيه:

مقدمة ونقول



المقدمة

قال تعالى : ﴿ وإنْ من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ [١] .

لقد ذكرت الآية التي صدرنا بها هذا البحث أنه ما من أمة إلا بعث الله لها رسولاً ، وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وماأرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ [٣] .

فدل هذا على أن الأمة ذات اللسان الواحد أرسل لها رسول بلسانها ثم ختم الله الرسالات بمحمد ﷺ الذي أرسله إلى الناس كافة بهذا القرآن المعجز ليكون حجة الله على العالمين ﴿ ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ [٤] ، ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾[٥] ، بعض هؤلاء الرسل قص الله علينا من أخبارهم وبعضهم لم يقصص علينا من أخبارهم ، قال تعالى : ﴿ منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾[٦].

والأمم التي أرسل لها رسولٌ كثيرة ، قال عليه الصلاة والسلام : « إنكم تُتِمُّون سَبعينَ أمةً أنتم خيرُها وأكرَمُها على الله » [٧] وعلم الآثار والحفريات الحديثة ودراسة التاريخ القديم والتعرف على الأديان البائدة والباقية كشف لنا عن بقايا من أديانِ حقٍّ اختلط بها باطل كثير وضلال كثير .

وليس عندنا ميزان نتعرف به على الحق في الأديان البائدة أو الباقية إلا هذا القرآن وإلا السنة الثابتة عن رسول الله ﷺ ، فالقرآن منقول عن رسولنا تواتراً ينقله جيل عن جيل ، وقد تولى الله حفظه ، والسنة النبوية الثابتة منقولة لنا بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى رسول ﷺ دون انقطاع مع دقة في التحقيق تشمل السند والمتن ، لذلك عرفوا

---

(١) فاطر : ٢٤ .
(٢) النحل : ٣٦ .
(٣) إبراهيم : ٤ .
(٤) الأحزاب : ٤٠ .
(٥) إبراهيم : ١ .
(٦) غافر : ٧٨ .
(٧) أحمد (٥ / ٣) .
والترمذي (٥ / ٢٢٦) ٤٨ ـ كتاب التفسير ٤ ـ باب : ومن سورة آل عمران .
ابن ماجه (٢ / ١٤٣٣) ٣٧ ـ كتاب الزهد ٣٤ ـ باب صفة محمد ﷺ . وهو حديث حسن .

الحديث الصحيح بأنه : ماتصل سنده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى رسول الله ﷺ ، وسَلِمَ من الشذوذ والعلة . والشذوذ : هو أن يخالف الثقة من هو أوثق منه أو أن يخالف الثقة الثقات ، والعلة هي عيب خفي يدركه الحذاق في الرواية وذلك شيء انفرد به دين محمد ﷺ بأن نصوصه محفوظة منقوله بأسانيد متصلة ، بينما لا يستطيع أهل أي دين أن يثبتوا أن لهم أسانيد متصلة إلى المصدر الأول لدياناتهم . فمن المعروف تاريخياً أن اليهود أعادوا كتابة كتبهم من مروياتهم الشفهية بعد السبي إلى بابل ، وأن الأناجيل المعتمدة عند النصارى لا يوجد منه واحد متصل السند إلى المسيح عليه السلام ، وأن آثار بوذا سجلت حوالي سنة « ٣٥٠ » قبل الميلاد ، بينما كان ميلاد بوذا على القول الراجح حوالي سنة « ٥٦٠ » قبلَ الميلاد (أبو زهرة ـ مقارنات الأديان) .

والمعروف أن آثار زرادشت أحرقها الإسكندر المقدوني : (دائرة معارف البستاني) ، وليس عند البراهمة أسانيد متصلة إلى رسول ، وهكذا قلْ في كل دين من الأديان ، ومن هنا نقول : إن الميزان الذي نعرف به ماإذا كان هناك بقية من حق في دين من الأديان إنما هو القرآن والسنة النبوية ، ووجود شيء من ذلك في دينٍ لا يعني بالضرورة أن هذا الدين أصوله سماوية بل قد يكون تسلل إليه من دين سماوي ، والملاحظ أن الدراسة المتعمقة لكثير من نصوص الديانات المندثرة أو الباقية تثبت وجود بعض الموافقات لبعض معاني القرآن والسنة وهذا يؤكد شيئين :

الشيء الأول : أن أصول هذه الديانات كانت سماوية .

والشيء الثاني : أن كل أمة قد أرسل لها رسول ، إلا أننا لا نستطيع أن نجزم برسالة أحد ونبوته إلا إذا جاءنا ذلك عن طريق الكتاب والسنة ، وذلك لاحتمالات أن يكون بعض من نسب إليهم بقايا الحق هذه من المجددين أو من المتأثرين بآثار الأنبياء أو من أهل الباطل الذين حاولوا إنشاء ديانات هي مزيج من أفكار ومن بقايا أديان متوارثة قديمة .

ومن أجل أن يكون عندك تصور ماعن بقايا حق توافق بعض نصوص الكتاب والسنة في بعض الديانات المندثرة أو الباقية ، فإننا ننقل لك بعض النقول عن الديانات المصرية والهندية والفارسية والصينية ، أما النصرانية واليهودية فقد أكثرنا من أمثال هذه النقول عن كتبها في التفسير :

النقول

١ ـ الديانات المصرية القديمة

نجد في الديانات المصرية القديمة فكرة الروح وخلودها وعودتها إلى الجسد مرة أخرى وفكرة اليوم الآخر والحساب .

ومن كلام أحد المتتبعين لتاريخ الديانات المصرية القديمة وهو « ماسبيرو » :

« وكان إله المصريين واحداً فرداً ، كاملاً ، عالماً ، بصيراً ، لا يدرك بالحس ، قائماً بنفسه ، حيًّا ، له الملك في السموات والأرض ، لا يحتويه شيء ، فهو أب الآباء ، وأم الأمهات ، لا يفنى ، ولا يغيب يملأ الدنيا ، ليس كمثله شيء ، ويوجد في كل مكان » اهـ (مقارنات الأديات للإمام أبي زهرة) .

ومما ورد في كتاب الموتى وهو كتاب مقدس عند المصريين القدماء : « ... إنني حامل الحقيقة ، إنني لم أخن أحداً ، ولم أغدر بأحد ، ولم أجعل أحداً من ذوي قرابتي في ضنك ، ولم أقم بدنية في موئل الحقيقة ، ولم أمازج عملي بشر قط ، وجافيت الضر والأذى ، ولم أعمل باعتباري رئيس أسرة ماليس من عمل ربها ، ولم أكن سببًا في خوف خائف ، ولا إعواز معوز ، ولا ألم متألم ، ولا بؤس بائس ، لم أقدم على مالا يليق بالآلهة فلم أجع أحداً ، ولم أبك أحدًا ، ولم أقتل نفسًا ، وماحرضت أحداً على قتل أو خيانة ، ولم أكذب ، ولم أسلب المعابد ذخائرها ، ولا المومياء طعامها . ولم أرتكب أمراً لا يليق مع كاهن في كهنوته ، ولم أغل في الأسعار ولم أطفف الكيل والميزان ، ولم أسرق الماشية من مرعاها ، ولم أصد طير الآلهة ، ولم أدفع الماء في عهد الفيضانات ، ولم أحول مجرى ترعة ، ولم أطفئ الشعلة في ساعتها ، ولم أخدع الآلهة في قرابينها المختارة ، فأنا نقي ، أنا نقي ، أنا نقي » اهـ (مقارنات الأديان لأبي زهرة) .

أقول : لاشك أن بعض الكلام الذي مر معنا عن الديانة المصرية القديمة لا يتفق مع الكتاب والسنة ، ولكن قسمًا منه يتفق مع نصوص الكتاب والسنة من حيث المعنى ، وهذا كافٍ للتدليل على ماذكرناه ولقد حدثنا القرآن عن رسالتين في مصر : رسالة يوسف ورسالة

موسى عليهما السلام ، ومما قال في يوسف عليه السلام على لسان مؤمن آل فرعون : .

﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فمازلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً ﴾ [1] راجع (مقارنات الأديان لأبي زهرة) .

وواضح من نصوص القرآن أن الوثنية والشرك وادعاء الألوهية من قبل بعض حكام مصر كان موجوداً وواضح من الدراسات التاريخية والآثار وجود الشرك والوثنية في الديانات المصرية القديمة كما مرّ معنا من قبل ، ولكن ماذكرناه من موافقات مع نصوص الكتاب والسنة في الآثار المصرية ومانسب إلى « أخناتون » من كلمات توحيدية يُشير إلى ماذكرناه من وجود رسالات سماوية خوطِبت بها مصر .

٢ ـ بعض الديانات الهندية

ا ـ الديانة البرهمية :

أقدم الديانات الهندية المعروفة ذات النصوص هي : « الديانة البرهمية » التي ترجع إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وفي أحد كتبها وهو « الساماڤيدا » بشارة برسولنا محمد ﷺ كما حقق ذلك « عبد الحق فديارتي » في كتابه : « محمد في الأسفار الدينية العالمية » ونقله « العقاد » في كتابه : « مطلع النور » ونقلناه في كتابنا : « الرسول ﷺ » .

ومن أشهر من تتبع الديانة البرهمية بحق وفهم ودراسةٍ لنصوصها : « أبو الريحان البيروني » من المؤرخين المسلمين وهو حجة بإجماعٍ فيها ، ومن تحقيقاته عن أصول الديانة البرهمية قبل أن يطرأ عليها ماطرأ ماذكره بقوله :

« واعتقاد الهند في الله سبحانه وتعالى أنه الواحد الأزلي ، من غير ابتداء ولا انتهاء ، المختار في فعله القادر الحكيم الحي المحيي المدبر . المنفرد في ملكوته عن الأضداد والأنداد ، لا يشبه شيئًا ولا يشبهه شيء ، ولنورد لك شيئًا من كتبهم لئلا تكون حكايتنا كالشيء المسموع فقط ، قال السائل في كتاب باتنجل من هذا المعبود الذي ينال التوفيق بعبادته ؟ .

---

(١) غافر : ٣٤ .

قال المجيب : هو المستغني بأزليته ووحدانيته عن فعل ، لمكافأة عليه براحة تؤمل وترتجى ، أو شدة تخاف وتتقى ، والبريء عن الأفكار ، لتعاليه عن الأضداد المكروهة والأنداد المحبوبة ، والعالم بذاته سرمداً ، إذ العلم الطارئ يكون ما لم يكن بمعلوم ، وليس الجهل بمتجه عليه في وقت ما أو حال ، ثم يقول السائل بعد ذلك : فهل له من الصفات غير ماذكرت ؟ فيقول المجيب : العلو التام في القدر لا المكان ، فإنه يجل عن التمكن ، وهو الخير المحض التام الذي يشتاقه كل موجود ، وهو العلم الخالص عن دنس الهوى والجهل . قال السائل : أفتصفه بالكلام ، أم لا ؟ قال المجيب : إذا كان عالماً فهو لا محالة متكلم .

قال السائل : فإن كان متكلمًا لأجل علمه ، فما الفرق بينه وبين العلماء الحكماء الذين تكلموا من أجل علومهم ؟ قال المجيب : الفرق بينهم هو الزمان فإنهم تعلموا فيه وتكلموا بعد أن لم يكونوا عالمين ولا متكلمين ، ونقلوا بالكلام علومهم إلى غيرهم ، فكلامهم وإفادتهم في زمان ، إذ ليس للأمور الإلهية بالزمان اتصال ، فالله سبحانه وتعالى عالم متكلم في الأزل ، وهو الذي كلم براهم وغيره من الأوائل على أنحاء شتى ، فمنهم من ألقى إليه كتابًا ، ومنهم من فتح له بواسطة بابًا ، ومنهم من أوحى إليه فنال بالفكر ماأفاض عليه . قال السائل : فمن أين له هذا العلم ؟ قال المجيب : علمه على حاله في الأزل ، وإذ لم يجهل قط فذاته عالمة ، لم تكتسب علمًا لم يكن له ، كما قال في « بيذ » الذي أنزل على براهم : احمدوا وامدحوا من تكلم ببيذ ، وكان قبل بيذ .

قال السائل : كيف تعبد من لم يلحقه الإحساس ؟ قال المجيب : تسميته تثبت أنيته فالخبر لا يكون إلا عن شيء ، والاسم لا يكون إلا لمسمى ، وهو إن غاب عن الحواس فلم تدركه ، فقد عقلته النفس ، وأحاطت بصفاته الفكرة .

وهذه هي عبادته الخالصة ، وبالمواظبة عليها تنال السعادة . » . ا . هـ (مقارنات الأديان لأبي زهرة) .

أقول :

إن الكلام الذي مرّ معنا فيه مايُعترَض عليه ، ولكن فيه الكثير مما يوافق الكتاب

والسنة ، وفيه مايدل على أن براهما قد أنزل عليه كتاب ، فإذا صحّ النقل فإن براهما يكون رسولاً قد غلا فيه قومه ، ألهوه كما فعل النصارى بالمسيح ابن مريم عليه السلام .

ويؤكد « فريد وجدي » في دائرة معارفه ماذكره « البيروني » مستدلا بذلك على أن فكرة التثليث الموجودة حاليًا عند البراهمة ليس لها وجود في الكتب البرهمية القديمة .

ب ـ الديانة البوذية :

ومن الديانات الهندية القديمة : « الديانة البوذية » التي جاءت كما يبدو لتصحيح ماحدث من انحراف في الديانة البرهمية ، والمتكلمون عن بوذا يصفونه بصفات الأنبياء ابتداء بنزول الوحي عليه ، ثم يغلون فيه غلو النصارى في المسيح ابن مريم عليه السلام حتى إن أبا زهرة في كتابه (مقارنات الأديان) أثبت التوافق بين كثير من عبارات البوذيين في بوذا وعبارات النصارى في المسيح ابن مريم ولا نستطيع أن نعتمد على الروايات المأثورة عن بوذا لأنها كما قلنا سجلت بعد وفاته بفترة طويلة ولا نستطيع أن نجزم بشيء في أمره لكن بعض مانسب إليه يتفق مع الوحي الذي أنزله الله عز وجل على رسولنا ومن ذلك مثلاً :

أن من تعاليم بوذا : أن على الإنسان أن يكون مقيداً نفسه بثمانية أمور : .

(ا) الاتجاه الصحيح المستقيم : بأن يتجه إلى أي أمر يريده اتجاهًا صحيحًا مستقيمًا خاليًا من كل سلطان للشهوة واللذة وماتبعثه من أماني وأحلام فاسدة ، فيجتهد عند الاتجاه إلى أي أمر في أن يخلص إرادته من شائبة اللذات أو الشهوات ، ومايتصل بها من آمال تبعثها وأحلام تثيرها ، وفي الجملة ينقي نفسه من كل مايتصل باللذة عند الاتجاه .

(ب) الإشراق الصحيح المستقيم : وذلك أن الإنسان عند الاتجاه إلى أمر من الأمور اتجاها مستقيًا خاليًا من شوائب اللذات ، تعتريه نورانية تجعله يستطيع الوصول إلى حقائق الأشياء من غير أن يرنق نظره أي درن من أدران اللذة ، ولا يرين على عقله ماتثيره من أهواء .

(ج) التفكير الصحيح المستقيم : وذلك أن العقل إن خلا من شوائب اللذة ، ونال الإشراق الصحيح كان تفكيره مستقيًا ، وكانت العمليات العقلية التي يقوم بها في التفكير في

هـذا الأمر مستقيمـة لا تـؤثر فيهـا نـزعـة هـوى ، ولا جـوح شهـوة ، ولا اضطراب الأمـاني والأحلام في قلبه .

(د) ولا شك أن هذه المستقيمات الثلاثة السابقـة : الاتجـاه المستقيم والإشراق المستقيم ، والتفكير المستقيم يترتب عليهـا أمر رابع مستقيم ، وهـو اطمئنـان العقـل والقلب إلى فكرة خاصة من بين مايعرض لهـا من الأفكار والآراء والأنظـار . وذلـك هو الإيمـان المستقيم ، أو الاعتقاد المستقيم الذي يصحبـه ارتيـاح واطمئنـان ، وبـه يصير القلب في روح وريحـان من النعيم المعنوي .

(هـ) والذي يتم الأمور الأربعة السابقة لفظ مستقيم ، وذلك بأن يكون نطق الإنسان بما انتهى إليه من فكره مطابقاً تمام المطابقة لاعتقاده ، ولما ارتاح إليه ، وعمر قلبه بـالسرور به .

(و) السلوك المستقيم : وذلك هو الأمر السادس الذي لابد منـه لسلوك المر الوسـط ، والسلوك المستقيم مايكون مطـابقـاً لكل مـاقـام بـالقلب من اعتقـاد فيكون العمل على وفق العلم ، فلا مجافاة بينهما ، ولا مناقضة ، بل يكون كل منهما مؤكداً للآخر أو متماً له .

(ز) الحيـاة الصحيحـة : بـأن يكون قوامهـا هجر اللـذات هجراً تـامـاً وأن يكون كل مايجري فيها متطابقـاً مع السلوك القويم ، والعلم الصحيح ، ولا يشـذ فيهـا شيء عن مقتضى هذا السلوك وأحكامه .

(ح) الجهد الصحيح : وذلك بـأن تكون كل الجهود التي يبـذلهـا الإنسـان في سبيل أن تكـون الحيـاة مستقيمـة سـائرة على مقتضى السلوك ، والعلم والحق ، ومنـع كل مـالـه صلـة باللذات ، أو من شأنه أن يثير دواعيها . ويحفز إليها .

هذه هي الأمور التي لو تمت على وجـه مستقيم سـار الشخص على الجـادة ، وسلـك المر الوسط الذي يوصل إلى حياة سعيدة خاليـة من الآلام خلوهـا من دواعيهـا ، وهي الشهوات واللذات . اهـ (مقارنات الأديان لأبي زهرة) .

ومن وصايا بوذا :

(ا) لا تقتل أحدا ؛ ولا تقض على حياة حي .

(ب) لا تأخذ مالاً لا يقدم إليك ، فلا تسرق ولا تغضب .

(جـ) لا تكذب ، ولا تقل قولاً غير صحيح .

(د) لا تشرب خمراً ، ولا تتناول مسكراً ما .

(هـ) لا تزن ، ولا تأت أي أمر يتصل بالحياة التناسلية إذا كان محرماً .

(و) لا ترقص ، ولا تحضر مرقصًا ولا حفل غناء . ا . هـ (مقارنات الأديان - لأبي زهرة) .

ومن الروايات عنه كما نقل ذلك فريد وجدي في دائرة معارفه :

« كما أنه لا فرق بين جسم الأمير وجسم المتسول الفقير كذلك لا فرق بين روحيهما كل منهما أهل لإدراك الحقيقة والانتفاع بها في تخليص نفسه ... » .

« ومما يريك مذهب البوذية في صورته الحقيقية ما حدث من المحاورة بينه وبين أحد تلامذته ، وكان ذلك التلميذ أراد التحول إلى قبيلة « سرونا بارنتا » للمكث بين ظهرانيهم ودعوتهم للبوذية ، فعلم البوذة أن تلك القبيلة المشهورة بالشراسة وسوء الجوار لا يلينها إلا الثابت الضليع فأراد أن يحول تلميذه عن عزمه ، فقال له :

إن رجال قبيلة « سرونا بارانتا » الذين تود أن تسكن بين ظهرانيهم متحمسون قساة سريعو الغضب ، وأهل حمية وجحود ، فإذا اتفق يابورنا ووجه إليك أولئك الناس ألفاظًا بذيئة خشنة وقحة ثم غضبوا عليك وسبوك فماذا كنت قائلاً ؟

فأجابه : أقول لا شك أن هؤلاء قوم طيبون لينو العريكة لأنهم لم يضربوني بأيديهم ولم يرجموني بالأحجار .

فقال البوذة : وإن ضربوك بأيديهم ورجموك بالأحجار فماذا كنت قائلاً ؟

قال التلميذ : أقول إنهم طيبون لينون إذ لم يضربوني بالعصي ولا بالسيوف .

فقال البوذة : وإن ضربوك بالعصي والسيوف فماذا كنت قائلاً ؟

قال التلميذ : أقول إنهم طيبون لينون إذ لم يحرموني الحياة نهائيًا .

فقال البوذة : وإن حرموك الحياة فماذا كنت قائلاً ؟

قال التلميذ : أقول إنهم طيبون لينون إذ خلصوا روحي من سجن هذا الجسد السيئ بلا كبير ألم .

فقال له البوذة عند ذلك : أحسنت يابورنا إنك تستطيع بما أوتيته من الصبر والثبات أن تسكن في بلاد قبيلة سرونا باراتنا فاذهب إليهم يابورنا ! وكما تخلصت فخلصهم وكما وصلت إلى الساحل فأوصلهم معك . وكما تعزيت فعزهم معك وكما وصلت إلى مقام النيرفانا الكاملة فأوصلهم إليها مثلك .

فذهب بورنا إليهم وكانت النتيجة أن آمنوا كلهم بالبوذة واتبعوا مذهبه » . اهـ وجدي .

أقول : وقد خالط الديانة البوذية ماخالطها ولكن الشذرات التي نقلناها توحي بأن لهذه التعاليم صلة برسالة سماوية .

٣ - الديانة الزرادشتية

يرجح « أبو الكلام أزاد » في كتابه عن « ذي القرنين » أن زرادشت قد عاصر ذا القرنين الذي يرجح أنه (قورش) الفاتح الفارسي المشهور ، وأن قورش كان على ديانة زرادشت ، وعلى هذا فإن ظهور زرادشت يكون في القرن السادس قبل الميلاد ، ويفرق أبو الكلام أزاد بين الزرادشتية والمجوسية فالمجوسية أقدم من الزرادشتية ، وقد جاء زرادشت ليخرج الناس من ضلالها ، ولكنها في النهاية امتزجت مع الديانة الزرادشتية وأفسدتها ، ويذكر أبو الكلام أزاد أن أساس الدين الزرادشتي :

« صدق النية وصدق القول وصدق العمل » وذلك يتفق مع الوحي الذي أنزله الله على

رسولنا عليه الصلاة والسلام ومما يذكره أبو الكلام أزاد عن الدين الزرادشتي : الإيمان باليوم الآخر ، ويذكر أبو الكلام شهادة المؤرخين على بعد الزرادشتية عن الوثنية ، ويؤكد أبو الكلام أن الزرادشتية لا تقول بألوهية اثنين بل تقول بألوهية الله وتحارب الشيطان أما الثنوية فطرأت طروءاً بعد ذلك على الديانة الفارسية .

وقد نقل أبو الكلام بعض الكتابات المنحوتة في الصخر والتي لا زالت موجودة حتى الآن والتي سجلها دارايوش خليفة قورش وابن عمه والذي يعتقد أنه كان على دين زرادشت الصحيح مانصه :

« إن الإله العلي ، أهورامزدا ، هو الذي خلق الأرض ، ورفع السماء ، وفتح سبل السعادة على البشر ، وهو الذي أقام دارايوش وحده حاكمًا على الكثيرين ، وجعله واضع الشرائع لهم » .

ويقول في كتابة أخرى : « يعلن دارايوش للناس قاطبة بأن أهورا مزدا ، قد وهبني الملك بفضله ورحمته ، وقد نجحت بتوفيقه تعالى في تدعيم الأمن والسلام في الأرض ، وإني أبتهل إلى أهورامزدا إلهي ، أن يرعاني أنا ، وأسرتي ، وجميع البلاد التي جعلني حاكماً عليها . يارب ، أهورامزدا ، اسمع دعائي واستجبه ! » .

الدعوة إلى الصراط المستقيم :

وكذلك يقول الملك :

« يأيها الإنسان ، أمرك أهورامزدا ألا تخوض قط في الشر ، ولا تحيد عن الصراط المستقيم أبداً ، واحذر الإثم في جميع الأحوال » . ا . هـ (ويسألونك عن ذي القرنين) .

ويدلل أبو الكلام على أن أصول الزرادشتية سماوية : أن المسلمين عاملوا المجوس معاملة أهل الكتاب باستثناء الزواج منهم وأكل ذبائحهم .

٤ـ الديانات الصينية

لا تزال في الصين ديانتان رئيسيتان هما الكونفوشيوسية والطاوية والكونفوشوسية نسبة إلى كونفوشيوس ، والطاوية ؛ نسبة إلى لوتس الذي أدركه كونفوشيوس في أخريات حياته ولا نستطيع الجزم بشيء حول الرجلين هل هما تابعان لرسالة سابقة أو لهما دور آخر ، ولكن الثابت أن كثيراً مما روي عن كونفوشيوس يتفق مع معان إسلامية فهل كان ذلك أثراً عن دين سماوي استفاد منه كونفوشيوس أو كان هو له وضع ما ؟ لا نستطيع الجزم بشيء ، والمعروف من سيرته تجواله لنشر دعوته والتزامه بالعبادة وتمسكه بالعدل والفضيلة ... وقد دون تلاميذه آراءه ولا ندري هل السند متصل أو لا ، أو كانت هذه كل آرائه ، وهل كان النقل دقيقاً وقد ترجم أهم الكتب التي تدون آراءه تحت اسم الحوار إلى اللغة العربية ، ترجمه محمد مكين ، والمعروف أن كونفوشيوس لخص كثيراً من الكتب السابقة عليه التي تمثل معارف الصين ، ومما نسب إلى كونفوشيوس :

« انصرفت إلى طلب العلم ، وأنا في الخامسة عشرة من سني ، وفي الثلاثين التزمت جادة الفضيلة ، وفي الأربعين لم يكن في نفسي أي ريب في حقائق الأشياء وعلمت القضاء والقدر وأنا في الخمسين ، وأصغت أذني إلى كل الحق عارفاً فاهماً له وأنا في الستين ، ولم أتجاوز حدود السلوك القويم وأنا في السبعين » .

« السياسة هي الإصلاح فإن جعلت صلاح نفسك أسوة حسنة لرعيتك ، فمن الذي يجترئ على الفساد » ؟ .

« إن أخلاق الرؤساء كالريح ، وأخلاق المرءوسين كالعشب ، وإلى أية جهة هبت الريح مال العشب » .

« من يعلم الحق دون من يولع بطلبه ؛ ومن يولع بطلبه دون من يطمئن إليه دائماً » فالمراتب عنده ثلاث :

(١) معرفة للحق مجردة (٢) وشوق إلى الحق ومحبة له (٣) وعمل به وارتياح النفس إلى العمل به ، مهما يكتنفها في العمل به من صعاب وشدائد ثم يقسم الناس بالنسبة للمعرفة

إلى أربع درجات : الدرجة الأولى درجة رجل وهبته السماء المعرفة ، وأوتي الإلهام ، وهي أعلى الدرجات ، والثانية درجة رجل لم يؤت إلهاما ولكن فيه ذكاء ؛ فتعلم ووصل إلى أقصى مايتعلمه من لم يؤت إلهامًا ، والدرجة الثالثة درجة الرجل الذي لم يؤت ذكاء ، بل فيه غباء ، يطلب المعرفة ، وينال منها بمقدار طاقته ، والدرجة الدنيا وهي الدرك الأسفل . رجل حائر بائر فيه غباء وبلادة فلم يعرف ولم يحاول معرفة » .

« الرجل الكامل الخلق يطلب الفضيلة ؛ والرجل الناقص الخلق يطلب اللذة ، والرجل الكامل الخلق يفكر في اجتناب الرذيلة وأداء الواجب ، والرجل النَاقص يفكر في كسب المنافع ... والرجل الكامل الخلق واقف على البر ، والرجل الناقص الخلق واقف على الربح ».

« الرجل غير الفاضل لا يستطيع أن يبقى في الفاقة أو الثروة طويلاً ، أما ذو الفضيلة فهو مستريح في فضيلته ، حريص عليها » .

« ذو الفضيلة يستبشر بالماء الجاري ؛ وذو الفضيلة يستبشر بالجبل الراسي ؛ وذو الفضيلة نشيط ، ورزين ، ومعمر . فالفضيلة عنده روضة فيها الراح والريحان ، والسر والاطمئنان ، أما ذو الرذيلة فهو في شقاء وبلبال مستمر ؛ وينزل عليه غضب السماء جزاء ماقدمت يداه واقترفت نفسه ؛ ولذا يقول : « يولد الإنسان مستقيما فمن فقد الاستقامة واستمر حيا ؛ فنجاته من الموت من حسن حظه » .

« انظر إلى أعمال الناس ، ولاحظ بواعثها ، وراقب ما إليه يستريحون فأين يخفي الناس سرائرهم ! ! أين يخفي الناس سرائرهم !! .. » .

ولقد قال أحد تلاميذه : « أراقب نفسي وأسائلها كل يوم هل خانت عندما تولت شئون الناس ؟ هل كذبت عندما عاملت ؟ هل كانت غافلة عن العمل بما تلقته من العلوم ؟ » .

« إذا عزم المتعلم على طلب الطريقة الموافقة للفطرة السلية وهو يأبى الملبس الخَلِق ، والمطعم الجَشِب فهو غير خليق بأن يُحاضرَ » .

« ... ثمرة الآداب حسن العشرة ، وإنما تستحسن سنة السلف الصالح. لاشتمالها على هذه

الصفـة التي تراعى في جميع الشئون صغيرهـا وكبيرهـا ، ولكن لو روعي حسن المعـاشرة من غير أن يضبط بالفضيلة ما استقامت الأمور » .

« الرجل الفاضل لا يتحيز ، والرجل الفاضل لا يتعصب » .

« واجبُ الـولـد البرِّ بـأبـويـه إذا كان داخـلَ المنزل ، والاحترامُ لـذوي الأسنـان إذا كان خارجه ، والصدق في أقواله ، والرحمة بالناس في كل أفعـالـه ، وأن يتقرب إلى الفضلاء وإذا كان لديه فراغ من الوقت زجاه في كتب الأخلاق » .

« من الناس من نستطيع محادثتـه في العلم ، ولا يمكن أن نحملـه على السير معنـا بمقتضى الفطرة ، ومنهم من نستطيع أن نسير بهم على الفطرة من غير أن يكـونـوا ذوي قـدم ثـابتـة فيهـا ، منهم من يكـون ذا خلـق قـويم شـديـد التمسـك بـالفطرة والكمـال الإنسـاني ، ولكن لا يمكننا مشاورته في تقدير الشئون » .

« ... يقول في وصف آراء أستاذه وأثرهـا في نفسـه : « إذا رفعتُ إلى آراء الأستـاذ النظرَ رأيتها أعلى مما كنت أعتقد ، وهي ملء نفسي ، وتحيط بي ، وتستغرق كل حسي ، والأستـاذ يرشد الناس بالتـدريج إرشـادًا حسنًـا ، وقـد وسع بـالعلوم مجـال فكري . وضبـط بـالآداب سلوكي ، حتى أني لو رغبت في ترك آرائه ماطاوعتني نفسي » .

« أتظنون أني أخفي عليكم شيئًا ، مامن أمر أعمله إلا فيه إرشـادكم ، وهـذه هي طريقتي في التربية » .

« لا يمكن أن أعاشر الطيور والوحوش ، فلو لم أعاشر هذه الأمة ، فمن الـذي أعـاشره ؟ لو كانت البلاد تحت سيادة عادلة ماكنت في حاجة إلى محاولة لإعادة نظامها » .

« إذا كان واجب كل شخص من آحاد الأمة أن يعتزل في كهف من الكهوف ، فمن الذي يبقى في المدن يعمرها ، وفي الأرض يفلحها ويزرعها ، وفي الصنائع يمهر فيهـا ، ومن الـذي ينسل ويعمل ليبقى الكون عـامراً ببني الإنسـان ؟ وإذا كان الاعتزال مقصـوراً على الحكمـاء والفضلاء فمن الذي يربي الإنسان ويؤدبه ؟ أم يترك الناس حائرين لا هادي ولا مرشد » .

« إن في الفصل بين المتخاصمين كفيري من الناس ، ولكن السياسة الحكيمة أن تهذب الرعية ، حتى لا تكون مخاصمة » .

« إن الحاكم إذا شغف بالآداب الفاضلة لا يجترئ أحد من رعيته على إهانة غيره ، وإذا شغف بالصدق لا يجترئ أحد على الكذب ، ومن هذه حاله أقبل عليه الناس حاملين أولادهم على ظهورهم » .

« إن كان سلوك الرئيس مستقيمًا أطاعه المرءوسون من غير أن يأمرهم ، وإن كان غير مستقيم لم يطيعوه ولو أمرهم ... » .

« الرعية إذا قدتها بالأحكام الصارمة والعقوبات الزاجرة فستحاول التخلص منها وهي غير مستحية من مخالفتها ، وإذا قدتها بالفضائل وأصلحتها بالآداب تستحي من ارتكاب الجرائم وهي صالحة » .

سأله أحد تلاميذه عن ضروريات السياسة فقال : « من ضروريات السياسة الأقوات الكافية وذخائر الحرب الواقية ، وثقة الرعية » .

فقال التلميذ « لو اضطررنا إلى حذف واحد من هذه الثلاثة فبأيها نبتدئ بالحذف ؟ قال : « احذفوا ذخائر الحرب » قال : « لو اضطررنا إلى حذف أحد هذين الأمرين فأيها تحذف ؟ وأيها تبقي ؟ » .

قال : « احذفوا الأقوات ، فإن الموت حظ الإنسان منذ الغابر من الأزمان ؛ ولكن السياسة لا تقوم إلا بثقة الرعية » .

سأله أحد تلاميذه قائلاً : كيف يجعل الحاكم رعيته يجلونه ويثقون به مخلصين ويتواصون بالخير فيا بينهم ؟ .

فقال مجيبًا : « إذا قابلهم بالسمت والوقار أجلوه . وإذا كان بارا بوالديه شفيقًا على قومه أخلصوا له ، وإذا رفع الصالحين وأعان العاجزين تواصوا بالخير » .

ولقد سأله أمير مقاطعته قائلاً : « كيف تكتسب طاعة الرعية ؟ » فأجابه بقوله : « إذا أعلي الصالحون وأبعد الطالحون أطاعت الرعية ، وإذا أقصي الصالحون ، وأدني الطالحون

عصت الرعية ... » .

« ... لو تداولت أيدي الصالحين شئون الدولة لمدة قرن واحد لتهذب الظالمون جميعًا ، ولاستغنى الحاكم عن عقوبة الإعدام ... » .

« آمن بالحق ، وأحب العلم ، واتبع الفطرة ، ولا تقم في مملكة سادتها الفوضى واطلب المنصب إذا كانت البلاد محكومة بسياسة حكيمة ، واعتزل إذا كانت تحت سياسة غاشمة ، فمن العار أن تفتقر وتبتعد ، والبلاد تحت سياسة عادلة ، ومن العار أن تغنى وتعتز والبلاد تحت سياسة غاشمة » .

« لا يكن همك أن تتولى المنصب ، بل ليكن همك مايؤهلك لهذا المنصب ، ولا تهتم بجهل الناس قدرك ، بل اهتم بالفضل الذي تريد أن يعرفوك به » .

« من يخدم الأمراء فليجعل العناية بأداء الواجب في المحل الأول ، وأمر الراتب في المحل الثاني » .

ذكر أحد تلاميذه أن وزيراً من الوزراء تولّى رياسة الوزارة ثلاث مرات ، فلم يظهر على وجهه أمارة الابتهاج في واحدة منها ، واستقال ثلاث مرات ، فلم يبد في واحدة منها على وجهه الاكتئاب بل كان يخبر الوزير الجديد بجميع ماحصل في شئون الدولة في عهده ، فقال كونفوشيوس : « قد كان مخلصًا » .

ناقشته تلاميذه في اعتزاله مناصب الدولة قال لهم : « لماذا يهمكم أن يفقد أستاذكم منصبه !! إن البلاد قد خلت من العدل والاستقامة من زمن بعيد ، وستتخذ السماء أستاذكم ناقوساً لها ... » .

قال فيه أحد تلاميذه : « إن رتبة الأستاذ « كونفوشيوس » لا يمكن أن يصل إليها أحدكما ، إن السماء لا يمكن أن يصعد إليها أحد : لو كان للأستاذ حظ من الإمارة أو الرياسة لصدق عليه قول القائل : إن أقام الرعية قاموا سراعا وإن هداهم سارعوا وإن أراحهم آووا منه إلى ظل وارف وإن عاش عاش جليلاً وإن مات لقيت بموته النفوس حسرات فكيف يمكن أن يصل إلى رتبته غيره !! » اهـ . (مقارنات الأديان لأبي زهرة) .

٥ ـ ديانات مابين الرافدين

لقد بعث نوح عليه السلام في بلاد مابين الرافدين ، وبعث إبراهيم عليه السلام في مدينة أور من بلاد الرافدين ثم هاجر إلى بلاد الشام ، وقد بعث يونس عليه السلام في الموصل من بلاد مابين الرافدين ، ولا زال في بلاد مابين الرافدين أصحاب دين يسمون الصابئة ، وهم يزعمون أنهم ينتسبون إلى إدريس عليه السلام ، وإدريس كان قبل نوح عليه السلام ولذلك فإنه من المستبعد أن تسلم لهم هذه النسبة ، على أن القرآن ذكر الصابئة القدماء في جملة أهل الأديان السماوية ابتداء ، قال تعالى :

﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (١) .

على أن علماء التفسير مختلفون هل المراد بالصابئة هنا قدماء صابئة أهل العراق ممن كانوا على دين صحيح ، أو المراد بهم كل من ترك الدين الباطل إلى الدين الحق ، ولعله من المفيد استكمالاً لأخذ تصور عام أن نذكر شيئًا عما قدمته الحفريات الأثرية عن رسالة نوح عليه السلام وعن بعض ماقيل في الصابئة كأهل دين :

أ ـ بعض ماتذكره الحفريات عن نوح عليه السلام وقصة الطوفان :

إن كثيرًا من الكتب الدينية السابقة قد تحدثت عن قصة نوح عليه السلام وقصة الطوفان ، كما أن قصة الطوفان ذكرت في كثير من الألواح التي عثر عليها أثناء التنقيب عن الآثار ولا زالت المحاولات حتى يومنا هذا جادة في محاولة العثور على بقايا سفينة نوح على جبل أرارات .

ولكن الألواح التي تحدثت عن الطوفان كتبت بعد آلاف السنين من حادثة الطوفان . وقد رأينا أن الحفريات تثبت أن بين ساراجون الملك ونوح عليه السلام قد حكمت بعض الأسر في بلاد الرافدين خمسة وعشرين ألفًا من السنين ، ومع عدم الثقة في دقة ماتقدمه لنا ألواح الحفريات ، فإن هناك قاسمًا مشتركًا بينهما وهو إثبات حادثة الطوفان ، وكنموذج على ذلك ننقل ماكتبه العقاد في كتابه إبراهيم عليه السلام قال :

---

(١) البقرة : ٦٢ .

(وتؤلف قصة الطوفان البابلية من اثني عشر فصلا على حسب البروج : وراوي القصة يسمى (اسدبار) وقد عبر بحر الموت ليصعد إلى السماء ويلقى زستور الذي ارتفع إليها بعد نجاته من الطوفان ، والباقي من ألواح هذه القصة في المتحف البريطاني يحكيها على هذا المثال :

« ابنِ بيتاً واصنع سفينة تحفظ النبات والحيوان ، واخزن البذور واخزن معها بذور الحياة من كل نوع تحمله السفينة ، وليكن طولها ستمائة قدم في ستين عرضا .. وتدخل السفينة وتحكم إغلاقها ، وتضع في وسطها الحبوب والمتاع والأزواد والخدم والجند ، وتضع فيها كذلك أجناس الوحش لتحفظ ذريتها .. .

... وقال الله ليلا : إني سأرسل السماء مدرارا ، فادخل إلى جوف السفينة ، وأغلق عليك بابها . وتغطى وجه الأرض وهلك كل ما عليه من الأحياء ، وفار الماء حتى بلغ السماء ، ولم ينتظر أخ أخاه ولم يعرف جار جاره . ستة أيام وست ليال ، والريح تعصف والأنواء تطغى ، ثم كان اليوم السابع فانقطع المطر وسكنت العاصفة التي ماجت كموج الزلزال . سكنت العاصفة وانحسر البحر وانتهى الطوفان ، وعج البحر بعد ذلك عجيجة ، واستحال الناس طينا وطفت أجسادهم على وجه الماء .

ثم استوت السفينة على جبل نيزار .. وأرسلت أنا الحمامة فذهبت وعادت ولم تجد من مقر تهبط عليه ، فأرسلت عصفور السمانة فعاد وما هبط على مكان ، وأرسلت الغراب فراح ينهش الجثث الطافية ولم يرجع ، ثم أطلقت الحيوانات في الجهات الأربع وبنيت على رأس الجبل مذبحا فقربت لديه قربانا وفرقته في آنية سبعة وفرشت حوله الريحان .. » .

وقد علم المنقبون أن هذه القصة منسوخة من مصدر قديم أقدم منها ، فهذه الألواح لا يقل تاريخها عن ألفين وخمسمائة سنة ، والمصدر الذي نقلت منه يرجع إلى أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد .

وعلم المنقبون في جميع آثار الأرض التي كشفت في العالم القديم أو العالم الجديد أن قصة الطوفان عامة لا تنفرد بها الآثار البابلية ، ولا يقل تاريخها في القدم عن تاريخه) اهـ . العقاد (إبراهيم أبو الأنبياء) .

ب ـ الصابئة :

حاول الأستاذ عبد الرحمن حبنكة أن يعطينا تصورًا عن صائبة العراق في كتابه : « العقيدة الإسلامية » فقال ·

(يقول المؤرخون : إن أمة السريان أقدم الأمم ، وملتهم هي ملة الصابئين ـ نسبة لصابي أحد أولاد شيث ـ ، ويذكر الصابئون أنهم أخذوا دينهم عن شيث وإدريس ، وأن لهم كتابًا يعزونه إلى شيث ويسمونه : « صحف شيث » ، ويتضمن هذا الكتاب على مايذكرون الأمر بمحاسن الأخلاق ، والنهي عن الرذائل .

وأصل دينهم التوحيد وعبادة الخالق جل وعلا . وتخليص النفوس من العذاب في الآخرة بالعمل الصالح في الدنيا ، والحض على الزهد في الدنيا ، والعمل بالعدل .

قالوا : وللصابئين عبادات منها : سبع صلوات في اليوم والليلة : خمس صلوات منهنّ توافق صلوات المسلمين ، والسادسة صلاة الضحى ، والسابعة صلاة يكون وقتها في الساعة السادسة من الليل . وصلاتهم تشبه صلاة المسلمين من حيث النية وعدم خلطها بشيء من غيرها .

ولهم صلاة على الميت بلا ركوع ولا سجود .

وعندهم صيام شهر قري من السنة ، ويصومون من ربع الليل الأخير حتى غروب قرص الشمس .

ويعظمون بيت مكة .

قال ابن حزم : والدين الذي انتحله الصابئون أقدم الأديان على وجه الدهر ، وقد كان الغالبَ على الدنيا إلى أن أحدثوا فيه الحوادث) ا . هـ (العقيـدة الإسلامية) .

وقد تحدث العقاد في كتابه : « إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام » عن الصابئة ، وكان من كلامه :

تدين بعقائد الصابئة ملة يبلغ عدد أبنائها ستة آلاف بين رجل وامرأة وطفل ، ولا يجاوز بها المبالغ في عددها عشرة آلاف .

وهي على قلة عددها تستقل بلغة « مقدسة » خاصة ، [عندهم] ولها كتابة أبجدية خاصة ، وأحكام دينية في معيشتها لا تشبه في جملتها دينًا واحداً ولكنها تشبه في بعض

أجزائها كل دين .

ومن ثم كان لها شأنها في الدراسات الدينية .

ففيها ولا شك عقائد سابقة لجميع الأديان الكتابية ، وعقائد سابقة لدين الخليل . بل فيها - على رأي بعض الباحثين - بقية من الديانتين المختلفتين في عصر الخليل ، لأن الصابئة يدينون بمذاهب مختلفة يرد بعضها على بعض ، ولا سيا مذاهب الكواكب والأصنام ، مما تواترت الأخبار بالاختلاف عليه بين قوم إبراهيم ومن حاربوهم واضطروهم إلى الهجرة من بلادهم .. .

ويقول رايت Wright صاحب كتاب المطالعة العربية إن حروفهم الأبجدية تشبه الحروف النبطية ، وإن لغتهم تشبه لغة التلمود الذي كتب في بابل ، ويقولون هم إن لغتهم الأولى سريانية وإنهم كانوا بمصر على عهد الفراعنة الأول وتلقوا ديانتهم الأولى عن أحبارهم ثم هجروها حين تحول أهلها عن الدين القويم .

والمحقق من أمرهم أنهم يرجعون إلى أصل قديم ، لأن استقلالهم باللغة الدينية والكتابة الأبجدية ، لم ينشأ في عصر حديث ولهذا يفهم الدارسون للأديان أن تحقيق لغتهم وكتابتهم يؤدي إلى جلاء الغوامض عن كثير من تاريخ الكلدان في الزمن الذي قام فيه الخليل بدعوته ، ويؤكد هذا الفهم أن هؤلاء الصابئة يقيمون في الأقاليم الجنوبية من العراق حيث أقام الخليل في رواية العهد القديم ، ومنهم فئة تحج إلى حاران التي هاجر إليها ، وينسب إليها الصابئة الحرانيون . .

ومع استقلال الصابئة باللغة الدينية والكتابة الأبجدية ، يشتركون مع أصحاب الأديان في شعائر كثيرة ، ولا يعرف دين من الأديان تخلو عقيدة الصابئة من مشابهة له في إحدى الشعائر .. فهم يشبهون البراهمة والمجوس والأورفيين أصحاب النحل السرية ، كما يشبهون اليهود والنصارى والمسلمين ، أو كما يشبهون الفلاسفة وأصحاب المذاهب العقلية في تفسير الوجود والموجودات .

وهم كما يشبهون الجميع يخالفون الجميع .

فمن مشابهتهم للبراهمة أنهم يتحرجون من ملامسة غيرهم ، ويتطهرون إذا لمسوا غريبًا في

حالة من حالات العبادة .

ومن مشابهتهم لأصحاب العقائد الأورفية ـ أو السرية ـ أنهم يكتمون كتبهم أشد الكتمان ، ولا يباشرون شعائرهم مع الغرباء ، ويتقاسمون الخبز المقدس علامة على الأخوة الروحية ، ويعتقدون أن الكون كونان وأن الخلق خلقان . فالكون الظاهر غير الكون الباطن ، ولكل مخلوق في العلانية صورة محجوبة في عالم الغيب .. حتى آدم وبنوه منهم أهل ظاهر وأهل باطن لا يراهم من يعيشون في العلانية .

ومن مشابهتهم للمجوس أنهم يتوجهون إلى قطب الشمال وإلى الكواكب عامة ، ولكنهم لا يعبدونها ، بل يحسبونها من مظاهر الروحانيات التي لا تبرز للعيان . .

ومن مشابهتهم للمسيحيين أنهم يدينون بالعماد ، ويبجلون يوحنا المعمدان أو يحي المغتسل . ولكن التعميد أعم عندهم من التعميد في المسيحية ، ويندر منهم من يسكن بعيدا من الأنهار لحاجتهم كل يوم إلى العماد ، وإلى التطهر بالماء .

ومن مشابهتهم للمسلمين أنهم يقيمون الصلاة مرات في اليوم ، ويقولون إنها فرضت عليهم سبعًا ثم أسقطها يوحنا عنهم وأدخل بعضها في بعض واكتفى منها بثلاث ، ولكنهم لا يسجدون في صلاتهم بل يكتفون بالقيام والركوع ، وهم يتوضأون قبل الصلاة ويغتسلون من الجنابة ويعرفون نواقض الوضوء ولكنهم يغالون فيها .

وعندهم ذبائح كذبائح اليهود ، ويوم في ختام السنة كيوم اليهود . ولكنهم يحرمون الختان ولا يبنون لهم هيكلاً قائمًا ، بل يبنون الهيكل من القصب كما تبنى الخيام ، موقوتاً عند الحاجة إليه في الأعياد . فكأنها بقية أو أصل لعيد الظلال وللهيكل المنقول .

ومنهم مَن يحرم الطعام الذي حرمه أتباع فيثاغورس كالبصل ، ويضيفون إليه أنواعًا من الخضر كالكرنب ولحوم الحيوان ذي الذنب ، لأنهم يستوحون الغيب في الرؤيا ، وهذه الأطعمة تمنع الرؤيا الصادقة .

والمشهور عن الصابئة أنهم يوقرون الكعبة في مكة ، ويعتقدون أنها من بناء هرمس أو إدريس عليه السلام ، وأنها بيت زحل أعلى الكواكب السيارة ، وينقل عنهم عارفوهم أنهم قرأوا صفة محمد عليه السلام في كتبهم ، ويسمونه عندهم ملك العرب ، لأن الشائع فيهم أنهم

لا يؤمنون بالأنبياء إلا فرقة واحدة تذكر شيثًا وإدريس وإبراهيم ويحيى المغتسل ، ويحسبونهم تارة من الأنبياء وتارة من عباد الله الخلص الذين وصلوا بالرياضة والعبادة إلى مقام الزلفى والإلهام .

وقد كان الباحثون يعجبون لتنويه القرآن الكريم بهذه الملة مع قلة عددها وخفاء أمرها ، ولكن الدراسات الحديثة بينت للباحثين العصريين شأن هذه الملة في دراسات الأديان كافة ، فعادوا يبحثون عن عقائدها الآن وعقائدها في عصر الدعوة الإسلامية ، وثبت لهم أنها تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتؤمن بالحساب والعقاب ، وأن الأبرار يذهبون بعد الموت إلى عالم النور « آلمي دنهورو » وأن المذنبين يذهبون إلى عالم الظلام « آلمي دهشوخا » ويلبثون فيه زمنًا على حسب ذنوبهم ، ثم ينقلون منه إلى عالم النور ..

ولهم كتاب يسمونه (كنزة) ولعله من مادة الكنز التي تفيد معنى النفاسة والكتمان ، لأنهم يقدسونه ويخفونه فلا يطلعون أحدا على أسراره . .

إلا أن المتفق عليه أن اللغة التي كتب بها كتاب الكنزة وغيره من الكتب المقدسة عندهم هي لغة سامية الأصل قريبة من السريانية ، وتكفي نظرة في مصطلحاتهم للجزم بهذه الصلة الوثيقة بين لغتهم واللغة العربية الحديثة فضلاً عن القديمة المهجورة .

ولم يتيسر حتى اليوم كشف الستار عن بواطن معتقداتهم وشعائرهم ، لأنهم يصطنعون التقية ويوجبونها ، ومن ذاك أنهم يحرمون الصيام باطنًا كما اشتهر عنهم ، ولكنهم يصومون جهراً ، ويروي ابن النديم في الفهرست أنهم يصومون ثلاثين يوماً مفرقة على أشهر السنة ، وقد يتنفلون بصيام أيام النسيء الخمسة ، ويروي عنهم أيضا أنهم يصومون خمسة أسابيع يأكلون فيها الطعام نهارا وليلا ويجتنبون أكل اللحوم المباحة لهم وهي غير ذات الذنب ، ويقال إن الصيام بنوعيه قديم عندهم يرجع إلى أيام البابليين . ا هـ . (إبراهيم أبو الأنبياء) .

وبعد :

لقد ذكرنا هذا الوصل ليكون القارئ على بصيرة في فهم موضوع الرسالة ، فلقد غلب على بعض الناس فهمٌ أن الرسالات لم تكن إلا في منطقتنا من هذا العالم ، وهذا غلط ، كما أن هناك ناسًا قد يسارعون في نسبة النبوة والرسالة إلى أحد دون تحقيق ودون عرض على

النصوص ، كما أن هناك ناسًا يغـالطون ويغلطون فيـذكرون أن عقيـدة التوحيـد كانت نتيجـة تطور ، وهم بـذلـك ينفون رسـالات الله إلى الأمم ، وينسـون أن أول رسـول هـو آدم عليـه الصلاة والسلام ، فالتوحيد هو الأصل دائمًا ثم يحدث الانحراف .

ومما يذكر في هذا الوصل وغيره ، ندرك رحمـة الله ونعمتـه على البشريـة إذ أرسل محـمداً ﷺ بهذا الكتاب ، وبهذا الدين الكامل الذي أخرج النـاس جميعًـا بمـا في ذلـك بقـايـا أهل الأديان من الظلمات إلى النور .

قال تعالى : ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد * الله الذي له مافي السموات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شـديـد * الـذين يستحبون الحيـاة الـدنيـا على الآخرة ويصـدون عن سبيل الله ويبغونهـا عوجًا أولئك في ضلال بعيد ﴾ (١) .

لقد قلنا من قبل : إن الله عز وجل قد بعث محمداً ﷺ ليكسر استراريـة أهل الأديـان وغيرهم على الكفر ، كما جاء ذلك في قولـه تعـالى : ﴿ لم يكن الـذين كفروا من أهل الكتـاب والمشركين منفكين حتى تـأتيهم البينـة * رسول من الله يتلو صحفًا مطهرة * فيهـا كتب قيمة ﴾ (٢) .

ومع هـذا الإرسـال وقيـام الحجـة بـه بهـذا القرآن الخـالـد المعجز فـإن الكثيرين لازالـوا مستمرين على ماورثوه من كفر وضلال ، ولذلك حكمته .

ومن حكمته : أن الله عز وجل خلق النـار وخلق لهـا أهلهـا ، وقـال تعـالى : ﴿ لأملأن جهنم من الجِنة والناس أجمعين ﴾ (٣) .

ومن حكمته : أن يزداد أهل الإيمـان يقينًـا عنـدمـا يقـارنون ويـدرسون ويكتشفون أن حقائق القرآن هي التي ترجع الناس إلى فطرهم وحقائق أديانهم قبل التحريف والتبديل .

ولكن إذا كان في استراريـة أهل الكفر على كفرهم حِكَم فهـذا شيء ، وأن نقوم بحق الله في الدعوة إلى دينـه الحق شيء آخر ، فقـد أوجب الله عز وجل علينـا أن نـدعو وأن نبلغ ،

---

(١) إبراهيم : ١ ـ ٣ .

(٢) البينة : ١ ـ ٣ .

(٣) السجدة : ١٣ .

وأعلمنا أن أهل الكتاب في شك من أمرهم ولذلك فإن علينا أن ندعوهم وتقيم الحجة عليهم ، والشأن شأنهم أن يختاروا الجنة على النار ، أو النار على الجنة . قال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ * وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ * فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾[1] .

* * *

---

(١) الشورى : ١٣ ـ ١٥ .



الوصل الثاني

في :

وراثة الأنبياء وكرامات الأولياء

وفيه :

مقدمة ونصوص



المقدمة

إن قلب المؤمن يحتاج إلى تثبيت مستمر ، ولقد قال الله عَزّ وجل : ﴿ وقال الذين كفروا لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ﴾ [1] ، قال الله تعالى : ﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك ﴾ [2] . وتثبيت فؤاد المؤمن إنما يكون بملازمة الذكر والطاعات ، وبالاجتماع على القرآن والذكر ، والكينونة مع أهل العلم والصدق ، وتلقي الهداية على الأولياء المرشدين ، ورؤية كرامات الأولياء وسيما الصالحين والانتساب لأهل الحق والعدل ، إلى غير ذلك من وسائل جعلها الله أسباباً لتثبيت أفئدة المتقين .

ومن أهم مايصلح به حال الإنسان ويقوم به دين الله أن يوجد الورّاث الكاملون للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، الذين اجتمع لهم علم وولاية وإرشاد ، قال الله تعالى : ﴿ ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشداً ﴾ [4]. فهذه الآية تدل على أن الغاية في الهداية هو الولي المرشد ، فإذا ماوجد الوارث الكامل أصبح بالإمكان أن يتخرج على يديه النماذج العليا من البشر وهم الصدّيقون والشهداء والصالحون ، وفي هذا الجو توجد الكرامات والمعونات وتوجد الأجواء الإسلامية الصافية ، ومن هٰهنا كان من أهم مايحرص عليه المسلم أن يكون وارثًا نبويًا كامّلا ، بأن يكون عالمًا وليًا مرشدًا ، ومن أهم مايحرص عليه المسلم أن يتتلمذ على أمثال هؤلاء ، وأن يعيش في أجوائهم وأن يحبهم هو وإخوانهم في الله ، وقد حسّن الهيثمي الحديث الذي يقول : « كن عالمًا أو متعلمًا أو مستمعًا أو محبًا ولا تكن الخامسة فتهلك : أن تبغض العلم وأهله » [5] .

إن النبوة قد انقطعت وإنما يصلح حال البشر بوجود ورّاث الأنبياء وكرامات الأولياء ، فبذلك تستمر أحوال الأنبياء ظاهرة في الأمة ، وعن ذلك ينبثق كل خير ، وبقدر مايتولى ورّاث الأنبياء قيادة الأمة وريادتها وتلقين الناس آيات الله وتفهيمهم إياها ، وتلقينهم

---

(١) الفرقان : ٣٢ .
(٢) هود : ١٢٠ .
(٣) آل عمران : ٧٩ .
(٤) الكهف : ١٧ .
(٥) مجمع الزوائد (١ / ١٢٢) .

الحكمة ، لأنفس الناس وتعليم الناس الفقهين الكبير والأكبر فإن الآمر يكون مستقيمًا .

أما إذا آل أمر الدعوة والتعليم والإرشاد إلى من ليس له في الوراثة الكاملة قَـدَمٌ فـإنّ أمر الإسلام ينقص بقدر نقصان مقام الوراثة ، والوراثة الكاملة كما قلنا علم وولاية وإرشاد .

إن الأمـة الإسلاميـة بحـاجـة إلى أن تجـدد أمر الإسلام في حيـاتهـا وفي أنفسهـا وعلى كل مستوى ، ومن تجـديـد أمر الإسـلام أن نجـدد حيـاة وحيـويـة كثير من المعـاني التي ذكرهـا القرآن ، ومفتاح ذلك كله هو وجود الوارث الكامل . فكما حدثنا القرآن الكريم عن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وعن معجزاتهم فقد حـدثنـا عن الصفوة المختـارة من أتبـاعهم ، فحـدثنـا عن الرّبّـانيين وعن الرِّبّيين وعن الحـواريِّين والسـابقين ، وعن أهـل اليمين وعن الصديقين والشهداء والصالحين ، وعن الأولياء المرشدين وعن الأوليـاء عـامـة ، وعن المؤمنين والمتقين والمحسنين والشاكرين ، كما حدثنا عن كرامات تجري لهؤلاء أو على أيديهم ، وبالكلام عن هؤلاء تستكمل الصورة المضيئة الوضيئة للحياة البشرية ولحياة القدوة والصفوة .

﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ومـاضعفوا ومـااستكانوا والله يحب الصابرين ۞ ومـا كان قولهم إلا أن قـالـوا ربنـا اغفر لنـا ذنـوبنـا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنـا على القوم الكافرين ۞ فـآتـاهم الله ثواب الـدنيـا وحسن ثواب الآخرة ﴾ [1] .

﴿ ماكان لبشر أن يؤتيـه الله الكتـاب والحكم والنبوة ثم يقول للنـاس كونوا عبـادًا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تُعلِّمون الكتاب وبما كنتم تدرُسُون ﴾ [2] .

﴿ يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بمـا استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾ [3] .

﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئـك مع الـذين أنعم الله عليهم من النبيين والصـديقين والشهداء والصالحين ﴾ [4] .

---

(١) آل عمران : ١٤٦ - ١٤٨ .

(٢) آل عمران : ٧٩.

(٣) المائدة : ٤٤ .

(٤) النسـاء : ٦٩ .

﴿ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم ﴾ [١] .

﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ﴾ [٢] .

﴿ ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا ﴾ [٣] .

﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ [٤].

﴿ إن المتقين في جنات وعيون * آخذين ماآتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين * كانوا قليلاً من الليل مايهجعون * وبالأسحار هم يستغفرون * وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ﴾ [٥] .

﴿ والسابقون السابقون * أولئك المقربون * في جنات النعيم ﴾ [٦] .

﴿ فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم ﴾ [٧] .

﴿ إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون * والذين هم بآيات ربهم يؤمنون * والذين هم بربهم لا يشركون * والذين يؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون * أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾ [٨] .

﴿ ياأيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي ﴾ [٩] .

إن من علامات الإسلام وحيويته أن يوجد أمثال هؤلاء الذين ذكرتهم هذه الآيات ، وكما قلنا من قبل فإن مفتاح وجودهم هو الوارث الكامل الذي اجتمع له علم وولاية وإرشاد ، فعلم بلا ولاية ولا إرشاد لا يفترق فيه صاحبه كثيراً عن علماء القانون وهواة الدارسين إلا إذا صحت نيته فإنه مأجور ، وعلم وإرشاد بلا ولاية مفيد ولكن لا تحيا به القلوب ، وإرشاد بلا علم وولاية ضلال وتضليل ، وولاية وعلم بلا إرشاد ولاية قاصرة إن كان

---

(١) الحديد : ١٩ .
(٢) العنكبوت : ٩ .
(٣) الكهف : ١٧ .
(٤) يونس : ٦٢ ، ٦٣ .
(٥) الذاريات : ١٥ ـ ١٩ .
(٦) الواقعة : ١٠ ـ ١٢ .
(٧) الواقعة : ٨٨ ، ٨٩ .
(٨) المؤمنون : ٥٧ ـ ٦١ .
(٩) الفجر : ٢٧ ـ ٣٠ .

لصاحبها عذر في ترك الإرشاد ، وإلا فلا ولاية في هذه الحالة .

ومقامُ الولاية مقامٌ ذكره القرآن وذكرته السنة ولعله من المناسب أن نقف وقفة نتحدث فيها عن الأولياء - نفعنا الله بهم - وكراماتهم ، والأولياء هم الذين تحققوا بسلامة اعتقاد وحسن عمل على ضوء علم صحيح واتباع صحيح .

وفي الحديث الذي رواه البخاري [١] : « مَنْ عادَى لي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْب ، وماتَقَرَّبَ إليَّ عَبْدي بشَيءٍ أَحَبَّ إليَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عليه ، ولا يَزالُ عَبْدي يَتَقَرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ حتى أُحِبَّهُ ، فإذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بهِ وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به ويَدَهُ التي يَبْطِشُ بها ورِجْلَهُ التي يَمْشِي بها ، ولَئِنْ سَأَلَني لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ » . فالذي يقوم بالفرائض الظاهرة والباطنة ويكثر من النوافل هو مظنة استجابة الدعاء وتلبية الحاجات ومَظِنَّة أن يعاقب مؤذيه في الدنيا والآخرة ، وهو مظنة تنزل الرحمات عليه وعلى من يحيط به قال تعالى : ﴿ إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ [٢] ، ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ﴾ [٣] ، وهم مكرمون بالبشارات ومؤيدون بالرؤى المبشرات ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ [٤] .

روى الطبراني ، عن حذيفة بن أسيد قال : قال رسول الله ﷺ : « ذهبت النبوة فلا نبوة بعدي إلا المبشرات : الرؤيا الصالحة يراها الرَّجُل أو ترى له » [٥] .

وفي رواية لابن ماجه [٦] : « ذهبت النبوة وبقيت المبشرات » .

وليس كل من ظهرت على يده خوارق العادة أو استجيب دعاؤه وليًّا ، فقد يستجيب

---

(١) البخاري (١١ / ٣٤٠) - ٨١ - كتاب الرقاق - ٣٨ - باب التواضع .

(٢) الأعراف : ٥٦ . (٣) الأعراف : ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٤) يونس : ٦٢ - ٦٤ .

(٥) المعجم الكبير (٣ / ١٧٩) . وهو حديث حسن .

مجمع الزوائد (٧ / ١٧٣) . وقال : رواه الطبراني والبزار ، ورجال الطبراني ثقات .

(٦) ابن ماجه (٢ / ١٢٨٣) - ٣٥ - كتاب تعبير الرؤيا - ١ - باب الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له .

وهو عنده عن أم كُرْز .

الله لكافر أو فاسق : ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ﴾ [١] ، ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً ﴾ [٢] ، وإنما نصف بالكرامة من اجتمع له صلاح واستقامة ، فعندئذ إذا ظهرت على يده خارقة أو حدث توفيق خاص أو استجيب دعاؤه فذلك في حقه كرامة ، فوصف الكرامة يتحقق إذا اجتمع بصاحبها صفات معينة ولذلك قالوا في تعريفها : (الكرامة هي أمر خارق للعادة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح يلتزم بمتابعة النبي ﷺ مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح) .

والمعونة عندهم صفة لتوفيق إلهي أو تفريج كرب أو خرق لعادة إذا ظهرت على يد عبد مستور الحال ، فإذا ما ظهرت الخارقة على يد فاسق أو كافر فهي استدراج ، فالعبرة للموصوف في إعطاء الصفة للخارقة . وقد حدث لبس في موضوع الولاية ، فإذا ظهرت خارقة على يد إنسان فهناك من يعطيه صفة الولاية ، ويرتب عليها عصمة وطاعة ومتابعة بصرف النظر عن الالتزام الشرعي أو العلم بالشريعة ، ولذلك نجد كثيراً من الناس طمحت أبصارهم ليُعْرَفوا بالولاية فيكون لهم احترام وتصدر جاه واتباع ، فالتبس الأمر على العامة ، مع أنه في الأصل قد يكون الإنسان وليًّا وليس كاملاً من كل الجهات ، وقد يكون وليًّا ولكن لا يُتجاوز به مقامه في العلم والمتابعة ، ألا ترى إلى مالكٍ رحمه الله يقول : « إن من شيوخي من أستسقي الله به ولا أقبل حديثه » .

وقال ابن عطاء : ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه .

فالولاية ثابتة بنصوص الكتاب والسنة ولكن من هو الولي ؟ .

إنه الذي يتولى الله في العبادة والطاعة من غير تخلل معصية ، مع جوازها عليه ، ويتولاه الله بالرعاية والعناية ، فهو عارف بالله وصفاته ، مواظب على الطاعات مجتنب للمعاصي ، غير منهمك باللذات والشهوات المباحة ، وإذا ارتكب معصية أو حدثت له غفلة أحدث توبة .

والكرامة ثابتة بنصوص الكتاب والسنة ، فهذا القرآن يذكر لنا عن مريم عليها السلام :

---

(١) النمل : ٦٢ . (٢) الإسراء : ٦٧ .

﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ﴾ [1] .

ويذكر قصة صاحب سليمانَ إذ أتى بعرش بلقيسَ قبل أن يرتد طرف سليمانَ إليه ، ويذكر قصة أصحاب الكهف ونومتهم الطويلة وبقاء حياتهم بلا طعام ولا شراب ، وهذه السنة الثابتة تذكر حادثة عمر مع سارية ، وإضاءة العصا لأسيد بن حضير وعباد بن بشر ، ومارزق الله خبيباً من الرزق وهو أسير بمكة ، ولكن لا نصف أحدًا بالكرامة إلا إذا كان مَظْهَرًا للاستقامة .

ومع وجود الكرامة والولاية فلا يَتَجَاوَزُ بالولي مقامه ومؤهلاته ، فإن كان أهلاً للإمامة قُدّمَ ، وإن كان أهلاً للعلم أُخِذَ منه ، ومايظهر منه أو له يوزن بميزان الشريعة . فالشريعة معصومة ، ومَنْ سوى الأنبياء فليس بمعصوم : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾ [2] .

لقد كان للخَضِر مقامه العظيم في الولاية على رأي من يقول بولايته ، ولكن الإمامة والرسالة كانت لموسى عليه الصلاة والسلام ، فهو الذي طولب قومه باتباعه والتلقي عنه والأخذ منه ، وهذا شيء ، وأن نُقَدِّم لمن عرفناه بالولاية أو من هو مظنتها الاحترامَ والأدب والتوقير شيء آخر ، فأدبنا مع أمثال هؤلاء مؤكد واحترامنا لهم مطلوب ، والمسلم الحكيم يضع كل شيء في محله .

وإذا فما نعرف به الولي : استقامته وظهور الكرامة على يده ، وشيء آخر هو حب أهل الصلاح له وثناؤهم عليه .

ولنعد إلى مابدأنا به هذا الوصل : فالمطلوب هو الوارث الكامل ، الذي من صفاته الولاية ، ومن صفاته الأخرى العلم والإرشاد ، والقيام بمهام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وبذلك تستقيم الحياة البشرية .

---

(١) آل عمران : ٣٧ .

(٢) الجاثية : ١٨ .

النصوص

٨٤٨ - * روى البخاري ومسلم عن عبدِ الرحمٰنِ بن أبي بَكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قال : إنَّ أصحابَ الصُّفَّةِ كانُوا نَاسًا فُقَراءَ ، وإنَّ النبيَّ ﷺ قال مرَّة : « مَنْ كَانَ عنده طعامُ اثنين فليَذْهَبْ بثالثٍ ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أرْبَعَةٍ ، فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ ، بسَادِسٍ » - أوْ كَمَا قَالَ - وإنَّ أبَا بَكرٍ جَاءَ بثَلاثَةٍ ، وانطلَق النبيُّ ﷺ بعَشْرَةٍ ، قَال : فَهُوَ أنا وَأبي وَأُمِّي - وَلا أدري هَلْ قَالَ : وامْرَأتي - وخادم [بين] بيتنا وَبيتِ أبي بَكْرٍ ، وَإنَّ أبَا بَكْرٍ تَعَشَّى عِنْدَ النبيِّ ﷺ ، ثُمَّ لَبِثَ حتى صَلَّى العِشَاءَ ، ثُمَّ رجَعَ فَلَبِثَ حَتَّى تَعَشَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ - وفي رِوَايةٍ : حَتَّى نَعَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ - فَجَاءَ بَعْدَ مَامَضى مِنَ الليلِ ماشَاءَ اللهُ ، قَالَت لَهُ امْرأتُهُ : ماحَبَسَكَ عَنْ أضْيَافِك - أو قَالت : ضَيفِك - ؟ فقَال أوَ مَاعَشَّيْتِيهِم ؟ قَالَتْ : أبَوْا حَتَّى تَجِيءَ ، وقَدْ عَرَضُوا عَلَيهم [فَغَلَبُوهُم] . قَالَ : فَذَهَبْتُ أنا فَاخْتَبأْتُ ، فَقَالَ : يَاغُنْثَر . فَجَدَّعَ وسَبَّ ، وَقَالَ : كُلُوا ، لا هَنِيئًا . وَقَال : والله لا أطعمُهُ أبَدًا . قَالَ : وايمُ اللهِ ، ماكُنَّا نأخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إلا رَبَا مِنْ أسْفَلِهَا أكْثَرَ مِنْهَا ، حَتَّى شَبِعُوا ، وَصَارَتْ أكْثَر مِمَّا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِك ، فَنَظَرَ إلَيْهَا أبو بَكْرٍ ، فَإذَا هِي كَمَا هِيَ ، أوْ أكْثَرُ ، فَقَال لامْرَأتِه : ياأُخْتَ بني فِراس ، مَاهَذا ؟ قَالَتْ : لا ، وقُرَّةِ عَيْنِي ، لهِي الآنَ أكْثَرُ مِنْهَا قَبْلَ ذَلِك بِثَلاثِ مَرَّاتٍ . فأكل منهَا أبو بَكْرٍ وَقَال : إنَّما كَانَ ذَلِكَ مِنْ الشَّيطَانِ - يعْنِي يَمِينَهُ - . ثُم أكَل مِنْهَا لُقْمَةً ، ثُمَّ حَمَلَهَا إلى النبيِّ ﷺ ، فأصْبَحَتْ عِنْدَهُ . قَالَ : وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ ، فَمَضَى الأجَل فَتَفَرَّقْنَا اثْنَي عَشَر رَجُلاً ، مَعَ كُلِّ رجلٍ مِنْهُم أُنَاسٌ - واللهُ أعلم كَم مع كلِّ رَجُلٍ ؟ - فَأكَلُوا مِنْهَا أجْمَعُونَ . أوْ كَمَا قَالَ .

---

٨٤٨ - البخاري (٢ / ٧٥) - ٩ - كتاب مواقيت الصلاة - ٤١ - باب السمر مع الضيف .

مسلم (٣ / ١٦٢٧ ، ١٦٢٨) - ٣٦ - كتاب الأشربة - ٣٢ - باب إكرام الضيف وفضل إيثاره .

(غُنْثَر) : روي بضم الغين وفتحها ، وهو من الغثارة ، وهي الجهل .

وقيل : هو من الغَنْثَرة ، وهي شرب الماء من غير عطش ، وذلك من الحمق ، وقيل : « غنثر » كلمة يقولها الغَضِبُ إذا ضاق صدره من شيء جرى على غير ما أراده ، قال بعض أهل اللغة : أحسبه الثقيل الوخِم .

وقد ذكر الزمخشري : إنها رويت بالعين المهملة مفتوحة والتاء المعجمة بنقطتين ؛ وهو الذباب الأزرق ، شبُّهه به تحقيرًا له ، ويجوز أن يكون شبَّهه به لكثرة أذه » .

(فجدَّع) : المجادعة : المخاصمة .

(ربا) : الشيء يربو : إذا زاد وارتفع .

وفي رواية [١] قال : جَاءَ أَبُو بَكْرٍ بضَيْفٍ لَهُ ـ أو أضيافٍ له ـ فَأَمْسَى عِنْدَ النبيِّ ﷺ ، فَلَمَّا جَاءَ ، قَالَتْ لَهُ أُمِّي : احتُبِسْتَ عَنْ ضَيفك ـ أَوْ أَضْيَافِكَ ـ اللَّيْلَةَ . فَقَالَ : أما عَشَّيْتِيهِمْ ؟ فَقَالَتْ : عَرَضْنَا عَلَيْه ـ أَوْ عليهم ـ فَأَبَوْا . (أو أبَى) . فغَضِبَ أَبُو بَكْرٍ ، فَسَبَّ وجَدَّع ، وحَلَفَ لا يَطْعَمُه ، فَاخْتَبَأْتُ أنا فَقَال : يَاغُنْثَر ، فَحَلفتْ المرْأَةُ لا تَطعَمُهُ ، فَحَلَفَ الضَّيفُ ـ أَو الأَضْيَافُ ـ أَنْ لاَ يَطْعَمَهُ ـ أَوْ لا يَطْعَمُوهُ ـ حَتَّى يَطْعَمَهُ ، فقَالَ أَبُو بَكْرٍ : هذه مِن الشَّيْطَانِ . فَدعا بِالطَّعَامِ فَأَكَلَ وَأَكَلُوا ، فَجعلُوا لا يَرْفَعُونَ لُقْمَةً إلا رَبَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا أكْثَرَ مِنْها ، فَقَالَ : يَاأُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ ، مَاهَذا ؟ فَقَالَتْ : وقُرَّةِ عيني إِنَّها الآنَ لأكْثَر [مِنها] قَبْلَ أَنْ نأْكُلَ . فأَكَلُوا ، وبَعَثَ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فذكر أنَّه أكَلَ مِنْها .

وَفي أُخرَى [٢] : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ تَضَيَّفَ رَهطًا ، فَقَال لعَبْدِ الرحمٰن : دُونك أَضْيَافَك ، فَإِنِي منطَلِقٌ إِلى النبيِّ ﷺ ، فافْرُغْ مِنْ قِراهُم قَبْلَ أن أَجِيءَ . فانْطَلَقَ عَبْدُ الرحمٰنِ ، فَأَتَاهُم بِما عِنْدَهُ ، فَقَال : اطْعَمُوا . فَقَالُوا : أين ربُّ منزلِنَا ؟ قَال : اطعَمُوا . قَالُوا : مَانَحْنُ بِآكِلِينَ حَتَّى يَجيءَ رَبُّ مَنْزِلنا . قَالَ : اقْبَلُوا عَنَّا قِرَاكُم ، فَإِنَّهُ إِنْ جَاءَ وَلَمْ تَطْعَمُوا لنَلْقَيَنَّ مِنْه . فَأَبَوْا ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يَجِدُ عليَّ ، فَلَمَّا جَاء تَنَحَّيْتُ عَنْهُ ، قَالَ : مَاصَنَعْتُم ؟ فَأَخْبَرُوه ، فَقَالَ : يَاعَبْدَ الرحمن فسَكَتُّ ، فَقَالَ : يَاغُنْثَرُ ، أَقْسَمْتُ عَلَيكَ إِنْ كُنْتَ تَسْمَعُ صَوتي لما جِئْتَ . فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ : سَلْ أَضْيَافَكَ . فَقَالُوا : صَدَقَ ، أَتَانَا بِه . فَقَالَ : إِنَّما انْتَظَرْتُمُوني ، واللهِ لا أَطعَمُهُ اللَّيْلَةَ . فَقَالَ الآخَرونَ : وَاللهِ لا نَطْعَمُهُ حَتَّى تَطْعَمَهُ . قَالَ : لَمْ أَرَ في الشَّر كاللَّيْلَةِ ، وَيْلَكُم ، مَالكُم لا تَقْبَلُون عنَّا قِراكُم ؟ هَاتِ طَعَامَكَ . فَجَاءَ بِه فَوضَعَ يَدَهُ ، فَقَالَ : بسم الله ، الأُولى للشَّيْطَانِ . فَأَكَلَ وَأَكَلُوا .

زادَ في روَايَة : [٣] فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدا عَلَى النبيِّ ﷺ ، فَقَالَ : يَارَسُولَ اللهِ ، بَرُّوا وحَنِثْتُ . قَال : وأَخبرهُ ، فَقَالَ : « بَلْ أَنْتَ أَبَرُّهم وَأَخْيَرُهُم » قَالَ : وَلَمْ تبلغني كَفَّارَةٌ .

---

(١) البخاري (١٠ / ٥٣٥) ـ ٧٨ ـ كتاب الأدب ـ ٨٨ ـ باب قول الضيف لصاحبه : والله لا آكل حتى تأكل .

(٢) البخاري (١٠ / ٥٣٤) ـ ٧٨ ـ كتاب الأدب ـ ٨٧ ـ باب ما يكره من الغضب والجزع عند الضيف .
ومسلم (٣ / ١٦٢٩) ـ ٣٦ ـ كتاب الأشربة ـ ٣٢ ـ باب إكرام الضيف .

(٣) مسلم : الموضع السابق .
(بَرَّ) : الرَّجُلُ فهو بارٌّ : إذا صَدَق .
(حَنِثَ) : في اليمين : إذا نقض ما حلف عليه وخالفه .

وفي رِوايَة أبي دَاوُدَ[١] قَالَ : نَزَلَ بِنَا أضْيَافٌ لَنَا ، وكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَتَحَدَّثُ عِنْدَ رَسُولَ الله ﷺ ، فقال : لا أَرْجعنَّ إليك حتى تفرُغ من ضيافة هؤلاء ، وَمِنْ قِراهُم . فأتاهم بقراهم ، فقالوا : لا نَطْعَمُه حتى يأتي أبو بكرٍ . فَجَاءَ فَقَالَ: مَافَعَلَ أضْيافكُم ؟ أفرغتُم مِنْ قِرَاهُم ؟ قَالُوا : لا . قُلْتُ : قَدْ أتيْتُهمْ بقِراهُم ، فَقَالُوا : لا نَطْعَمُهُ حتّى يجيء . فَقَالُوا : صَدَقَ ، قَدْ أتَانَا بِهِ ، فَأَبَيْنَا حَتّى تَجيءَ . قَالَ : فَمَا مَنَعَكُم ؟ قَالُوا : مَكَانَكَ . قَالَ : فَوالله لا أطْعَمُهُ اللَيْلَةَ . قَالَ : فَقَالُوا : ونَحْنُ ، والله لأنْطعَمُهُ حتّى تَطْعَمَهُ . قَالَ : مَارَأيْتُ فِي الشّرِّ كالليْلة قَطُّ . قَالَ : قَرِّبُوا طَعَامَكُم . قَالَ : فَقَرَّبَ طَعَامَهُم ، ثُمَّ قَالَ : بِسمِ اللهِ. فطعِم وطعِموا ، فأُخْبِرتُ أنّه أصْبَحَ ، فَغَدا عَلَى النبيِّ ﷺ ، فأخْبَرَهُ بالذي صَنَعَ وصَنَعُوا ، فَقالَ : « بل أَنْتَ أَبَرُّهُم وَأَصْدَقُهُم » .

زاد في رواية [٢] قال : ولم يَبْلغني كفَّارة .

* * *

---

(١) أبو داود (٣ / ٢٢٧) ـ كتاب الأيمان والنذور ـ باب فين حلف على طعام .

(٢) مسلم (٣ / ١٦٣٠) : الموضع السابق .



الفصل الثامن

في:

القصص النبوي

وفيه:

مقدمة وفقرتان



المقدمة

مناسبة هذا الفصل للذي قبله واضحة ، وأما مناسبته لباب الإيمان بالغيب فلأن القصص النبوي يشبه القصص القرآني والله عز وجل قال عن قصة نوح في القرآن : ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ﴾ [1] ، وقال تعالى عن قصة الاقتراع على كفالة مريم : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ﴾ [2] فما قصه الله عز وجل من أنباء الأولين هو من فصول الإيمان بالغيب ، وكذلك ما قصَّهُ علينا رسول الله ﷺ ، وكما أن القصص القرآني تجتمع فيه الحقيقة والتربية والتثبيت والقدوة : ﴿ وكُلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ﴾ [3] ، فإن القصص النبوي تجتمع فيه هذه المعاني كلها .

وسنذكر في هذا الفصل فقرتين :

الفقرة الأولى : في الموقف من القصص بإطلاق وما يراد به .

الفقرة الثانية : في القصص النبوي .

---

(١) هود : ٤٩ .

(٢) آل عمران : ٤٤ .

(٣) هود : ١٢٠ .

الفِقْرة الأولى

في :

الموقف من القصص بإطلاق و مّايراد به

وفيـه :

مقدمة ونصوص

المقـدمة

تطلق كلمة القَصَص ويراد بها قَصُّ القصة أي التحديث بها ، وهـذا لا حرج فيـه ، قـال تعـالى : ﴿ نحن نَقُصُّ عليـك أحسن القصص بمـا أوحينـا إليـك هـذا القرآن ﴾ [(١)] وهنـاك خلاف بين الفقهاء حول جواز قراءة القصص المخترع ، فقـد أجـاز فقهـاء الحنفيـة قراءة قصـة عنترة وأشبـاههـا ، وتطلق كلمـة القصص في الاصطلاح الشرعي ويراد بهـا الوعـظ ، وتطلق ويراد بهـا التوجيـه مطلقًـا ، وتطلق ويراد بهـا خطبـة الجمعـة ، وتطلق ويراد بهـا التصـدر للفتوى لأنها تستتبع محادثة وقصة .

ولا شك أن ضبط القصص بالمعاني الأربعـة الأخيرة مطلوب شرعًـا لمـا يترتب عليـه من آثار حسنة أو سيئة ، فقد يعظ الناس من هو مبتدع ، وقد يوجه إنسـان النـاس إلى مـا هو فتنة ، وخطبة الجمعة قد يقوم بهـا مبتـدع أو خطيب فتنـة ، وإذا لم يتعين الخطيب ، فقـد يؤدي ذلك إلى الفوضى ، والتصدر لإفتاء النـاس من غير أهلـه قـد يؤدي إلى إضلالهم ، وكل ذلك يجب أن يُحتاط له ومن هٰهنا أوجب الشارع ألا يقص بهذه المعاني الأربعة إلا صـاحب الحق في ذلك ، وهو الأمير بحق أو من أمَّره الأمير بحقّ .

والأصل في الإمرة في الإسلام أن تكون عن فقه ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنـه : تنفقهوا قبل أن تسودوا .

فـإذا انفصلت الإمرة عن الفقـه فَمَن الأمير حكمًـا ؟ هـل هـو الفقيـه ؟ أم ولي الأمر الجاهل ؟

---

(١) يوسف : ٣ .

مذهب ابن عباس : أن أولي الأمر في الأمة الإسلامية حكمًا هم الفقهاء .

ولذلك نقول بمناسبة موضوعنا : إنه إذا وَلِّيَ الأمرَ العالمُ الفقيه العادل ، فإنه هو الذي يضبط أمر الوعظ والتوجيه وخطب الجمعة ، والتصدر للإفتاء ، يضبط ذلك : بأن يقوم هو بنفسه في هذه الشؤون أو يعيِّن لها من يقوم بها ، فإذا لم يوجد مثل هذا الأمير ، فالأصل أن يقوم العلماء المجازون عن أشياخهم بهذا الشأن ، ومن ثَمَّ فقد وجدت الإجازة عند العلماء وهي بمثابة الأمر لمن يأخذها بالقيام بالوعظ والتوجيه ، والخطبة والإفتاء ، ومنذ فقدت الخلافة الراشدة تنازع هذا الحق أولياء الأمور والعلماء ، فولي الأمر يعتبر أن من حقه التدخل في هذه الشؤون بسيف السلطة ، والعلماء يعتبرون أن هذا الحق لهم بسيف الحق .

والذي نراه من وجهة النظر الشرعية أنه حيثما كان تدخل ولي الأمر في هذه الشؤون بالعدل والحق فهو نافذ الأمر ، ولمن عيَّنَه أن يقوم بهذه الشؤون مبرورًا مأجورًا .

ولمن أجيز من أشياخ الحق والعدل والعلم والعمل أن يقوم بهذه الشؤون إذا فتح لهم طريق بذلك ، وإجازتهم له تكون من باب الأمر له من أهله .

وبذلك يدخل في الحديث : « لا يَقُصُّ على الناس إلا أمير أو مأمور » [١] ، فهو بعد الإجازة من شيوخه أمير ومأمور معًا .

وأما فيما سوى هذه الشؤون الأربعة فكل مسلم مجاز من الشارع نفسه ، بل مأمور أن يعلم ما تعلمه من الحق ، وأن يبلغ عن الشارع ولو آية ، وأن يدعو إلى الله على بصيرة ، وأن يأمر بمعروف وينهى عن المنكر ويدعو إلى الخير ، فهذا كله مطلوب من المسلم لا يحتاج فيه إلى إذن ولا استئذان .

وحصر حق القصص بمعانيه الأربعة بالأمير والمأمور في كل من المعاني التي ذكرناها نوع من التأديب للمجتمع الإسلامي ، فلا يَتَطاول إنسان لغير مقامه فيسيء الأدب ، ويعرف كل إنسان حدوده ، وتَنْضبط الأنفس فلا تدفعها نوازع الهوى إلى الكلام وما يجره ذلك من رغبة في التصدر والرياء ، ويحال بذلك بين الغلط وتسربه إلى الناس .

---

(١) أبو داود (٣ / ٣٢٣) ـ كتاب العلم ـ باب في القصص .
وابن ماجه (٢ / ١٢٣٥) ٣٣ ـ كتاب الأدب ـ ٤٠ ـ باب القصص .

النصوص

٨٤٩ - * روى أبو داود عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « لا يَقُصُّ إلا أميرٌ ، أو مأمور ، أو مختالٌ » .

قال ابن الأثير : (لايقصُّ إلا أمير أو مأمور إلخ) أراد بهذا الخَطَب ، وذلك : أن الأمراء كانوا يتولَّونها بأنفسهم ، فيقصُّون فيها على الناس ويعظونهم ، فأما المأمور : فهو من يقيمه الأمير ويختاره الأئمة ، فينصبونه لذلك ، ولا يكادون يختارون إلا رضيًّا من الناس ، فاضلاً ، وما سوى ذلك فلا يكاد ينتدب له من الناس إلا مُراءٍ مختال ، فإن المختال ينصب نفسه لذلك من غير أن يأمره أحدٌ من أولي الأمر ، طلبًا للرياسة ، فهو يرائي بذلك ويختال وقيل : أراد به الفتوى في الأحكام . اهـ .

أقول : لقد قال الله عز وجل : ﴿ **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم** ﴾ [١] فهذا يدل على أنّ مَنْ فَقُهَ عليه أنْ يُفقِّهَ ، ولا يحتاج ذلك إلى إذن ، ويدل عليه حديث الأشعريين الذي يأتي في جزء العلم : « ما بالُ أقوامٍ لا يُفقِّهون جيرانهم ... » [٢] كما يدل عليه قوله تعالى : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه** ﴾ [٣] . فقد أخذ الله العهد على العالم أن يعلم ، وعلى الجاهل أن يتعلم وهذا لا يحتاج إلى إذن أحد ، وقد يحتاج إلى إجازة من العلماء من أجل أن يُعْرَفَ أن القائم بذلك ثقة مأمون ، وكما أن العلم والتعليم من أهلهما لا يحتاجان إلى إذن فإن الدعوة إلى الله لا تحتاج إلى إذن من أحد ، قال تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ [٤] ، وقال رسول الله ﷺ : « بلغوا عني ولو آية » [٥] . ولذلك فإن الكثير من شراح الحديث خصصوا هذا

---

٨٤٩ - أبو داود (٣ / ٣٢٣) - كتاب العلم - باب في القصص .

وهو حديث صحيح .

(١) التوبة : ١٢٢ .

(٢) مجمع الزوائد (١ / ١٦٤) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه بكير بن معروف : قال البخاري : ارم به . ووثقه أحمد في رواية وضعفه في أخرى ، وقال ابن عدي : أرجو أنه لا بأس به .

(٣) آل عمران : ١٨٧ .   (٤) آل عمران : ١٠٤ .

(٥) البخاري (٦ / ٤٩٦) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٥٠ - باب ما ذكر عن بني إسرائيل
والترمذي (٥ / ٤٠) - ٤٢ - كتاب العلم - ١٣ - باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل .

الحديث بأن المراد به خطبة الجمعة أو التصدر للفتوى . أقول : وهذا التخصيص يحتاج إلى تخصيصٍ ؛ لأن ذلك إنما يكون عندما تكون حكومة إسلامية راشدة وعدلٌ وقسطٌ ورغبة في تعميم الإسلام صافيًا نقيًا ، أما إذا اختلط الأمر فحتى هذا التخصيص يجب أن يُنْقَلَ إلى ورثة الأنبياء من العلماء فعنهم تؤخذ الإجازة وعنهم يتلقى الأمر ، لكن هذا قد يحدث فوضى ، فما جاء من قبل السلطة الرسمية مما يدخل في باب المعروف الأصل أن تقبله ، وما كان فيه شذوذ أو باطل أو دعوة إلى ضلالة وأمكن لعلماء الإسلام أن يقولوا كلمة الحق فهم أصحاب الأمر والإجازة في كل شيء ، ومع أننا نرى أن العلم والدعوة لا يحتاجان إلى إذن بشر فإننا نفضل إحياء سنة العلماء في الإجازة فلا يتصدر أحد لعلم أو تربية أو دعوة أو إفتاء أو خطبة إلا بإجازة من عالم ثقة ، ولا يدخل في ذلك الحالات العفوية والطارئة واليومية العابرة وحالات الضرورة وحالات وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحالات وجوب التبليغ ، فالواجب لا يحتاج إلى إذن أو إجازة من أحد .

٨٥٠ ـ * روى الطبراني : عن عبادةَ بن الصامتِ عن النبي ﷺ قال : « لا يقصُّ إلا أميرٌ أو مأمورٌ أو مُتكلفٌ » .

٨٥١ ـ * روى أحمد عن عبدِ الجبارِ الخَولاني ، قال : دخلَ رجلٌ من أصحابِ النبي ﷺ المسجد فإذا كعبٌ يقصُّ ، قال : من هذا ؟ قالوا : كعب يقص . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يقص إلا أميرٌ أو مأمورٌ أو مُختالٌ » . قال : فبلغ ذلك كعبًا فما رُئِيَ بعد يقصُّ .

أقول : كعب عالم ومن حقه أن يقصّ ولكن ترك اجتهاده خوف اللبس .

٨٥٢ ـ * روى ابن ماجه عن ابن عمر قال : لَمْ يَكُنِ القَصَصُ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلا زَمَنِ أَبِي بَكْرٍ وَلا زَمَنِ عُمَرَ .

---

٨٥٠ ـ مجمع الزوائد (١ / ١٩٠) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وإسناده حسن .

٨٥١ ـ أحمد (٤ / ٢٣٣) .

مجمع الزوائد (١ / ١٩٠) . وقال : رواه أحمد ، وإسناده حسن .

٨٥٢ ـ ابن ماجه (٢ / ١٢٣٥) ـ ٣٣ ـ كتاب الأدب ـ ٤٠ ـ باب القصص .

وإسناده حسن .

(القصص) المراد بالقصص هنا : الوعظ ، فكأن مجالس الوعظ لم تكن في تلك العهود إلا ما كان يقوم به رسول الله ﷺ والخليفتان من بعده من توجيه .

٨٥٣ ـ * روى البخاري عن ابن عمرو أن النبي ﷺ قال : « بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي معتمدًا فليتبوأ مَقْعَدَهُ مِنَ النار » .

٨٥٤ ـ * روى الطبراني عن ابن مسعودٍ قال : لا تُمِلُّوا الناسَ فيَمَلُّوا الذِّكْرَ .

٨٥٥ ـ * روى أحمد ، عن الشَّعبي قال : قالتْ عائشةُ لابن أبي السائب قاصِّ أهلِ المدينة :ثلاثًا لَتُتابِعَنِّي عليهن أو لأُناجِزَنَّكَ . قال : وما هنَّ ، بل أتابِعُكِ أنا يا أمَّ المؤمنين . قالت : اجْتَنِبِ السَّجْعَ في الدعاء ، فإن رسولَ الله ﷺ وأصحابَه كانوا لا يفعلون ذلك . وقُصَّ على الناس في كل جُمُعَةٍ مرة ، فإن أبيتَ فثنتين ، فإن أبيتَ فثلاثٍ ولا تُمِلَّن الناسَ هذا الكتابَ ولا أُلْفِيَنَّكَ تأتي القومَ وهم في حديثهم فتقطعَ حديثَهم ، ولكن اتركهم فإذا حَدَّوْكَ عليه وأمَرُوك به فَحَدِّثْهم .

---

٨٥٣ ـ البخاري (٦ / ٤٩٦) ـ ٦٠ ـ كتاب الأنبياء ـ ٥٠ ـ باب ما ذكر عن بني إسرائيل .

٨٥٤ ـ المعجم الكبير (٩ / ١٣٥) .

مجمع الزوائد(١ / ١٩١) . وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وإسناده صحيح .

٨٥٥ ـ أحمد (٦ / ٢١٧) .

مجمع الزوائد (١ / ١٩١) : وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح ، ورواه أبو يعلى بنحوه .

(قاصّ أهل المدينة) : المراد بقاصّ المدينة هنا : واعظها .

الفِقْرة الثانية

في :

القصص النبوي

وفيها :

نصـوص

٨٥٦ ـ * روى أبو داود عن عبدِ الله بن عمرو بنِ العاصِ رضي الله عنهما قال : كان نبيُّ الله ﷺ يحدثنا عن بني إسرائيل حتى يصبحَ ، ما يقوم إلا إلى عُظْمِ صلاةٍ .

٨٥٧ ـ * روى أحمد عن عِمرانَ بنِ حصينٍ قال : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُنَا عامَّة ليله عَن بَني إسْرائيل لا يَقُومُ إلا إلى عُظْمِ صَلاَة .

ورواه ابن خزيمة وقال : « فالنبي ﷺ قد كان يحدثهم بعد العشاء عن بني إسرائيلَ ليتعظوا مما قد نالَهم من العقوبة في الدنيا مع ما أعد الله لهم من العقاب في الآخرة لما عصوا رسلهم ولم يؤمنوا ، فجائز للمرء أن يحدث بكل ما يعلم أن السامع ينتفع به من أمر دينه بعد العشاء ، إذ النبي ﷺ قد كان يَسْمُرُ بعد العشاء في الأمر من أُمور المسلمين مما يرجع إلى منفعتهم عاجلاً وآجلاً ، دينًا ودنيا ، وكان يحدث أصحابه عن بني إسرائيل لينتفعوا بحديثه ، فدل فعله ﷺ على أن كراهة الحديث بعد العشاء بما لا منفعة فيه دينًا ولا دنيا ، ويخطر ببالي أن كراهته ﷺ الاشتغال بالسمر لأن ذلك يُثبط عن قيام الليل ، لأنه إذا اشتغل أول الليل بالسمر ثقل عليه النوم آخر الليل فلم يستيقظ ، وإن استيقظ لم ينشط للقيام » اهـ .

٨٥٨ ـ * روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « قال سليمانُ بنُ داودَ عليهما السلام : لأَطُوفَنَّ الليلةَ بمائة امرأةٍ ، تَلِدُ كلُّ امرأةٍ غلامًا يُقاتلُ في سبيل الله . فقال له المَلَكُ : قُل إن شاءَاللهُ . فلم يَقُلْ ونَسِيَ ، فأطافَ بِهِنَّ ، ولم تَلِدْ

---

٨٥٦ ـ أبو داود (٣ / ٣٢٢) ـ كتاب العلم ـ باب الحديث عن بني إسرائيل .

٨٥٧ ـ أحمد (٤ / ٤٣٧) .

مجمع الزوائد (٨ / ٢٦٤) . قال : وفي رواية يعني الفريضة المكتوبة . رواه أحمد وإسناده حسن .

٨٥٨ ـ البخاري (٩ / ٣٣٩) ـ ٦٧ ـ كتاب النكاح ١١٩ ـ باب قول الرجل : لأطوفنّ .

منهُن إلا امرأةً نِصفَ إنسان » .

قال النبيُّ ﷺ : « لو قال إن شاءَالله لم يَحْنَثْ ، وكان أرْجَى لحاجَتِهِ » .

٨٥٩ ـ * روى مسلم عن صهيبٍ رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « كان مَلِكٌ فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحِرٌ ، فلما كَبِرَ قال للملك : إني قد كَبِرْتُ ، فابعثْ إليَّ غلامًا أُعلِّمه السحرَ . فبعث إليه غلامًا يُعلِّمه ، وكان في طريقه إذا سَلَكَ راهبٌ ، فقعد إليه وسمع كلامه ، فكان إذا أتى السَّاحر مرَّ بالراهب وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه ، فشكا ذلك إلى الراهب ، فقال : إذا خشيتَ الساحر فقل : حبسني أهلي . وإذا خشيتَ أهلك ، فقل : حبسني الساحر ، فبينما هو كذلك إذْ أتى على دابَّةٍ عظيمةٍ قد حبستِ الناسَ ، فقال : اليومَ أعلمُ : السَّاحرُ أفضل ، أم الراهبُ أفضل ؟ فأخذ حجرًا ، فقال : اللَّهمَّ إنْ كان أمرُ الراهب أحبَّ إليك من أمر الساحر فاقتلْ هذه الدَّابة ، حتى يمضيَ الناسُ . فرماها ، فقتَلها ، ومضى الناسُ ، فأتى الراهبَ فأخبره ، فقال له الراهب : أيْ بُنَيَّ ، أنتَ اليومَ أفضلُ مني ، وقد بلغ من أمْرِك ما أرى ، وإنَّك ستُبْتَلى ، فإن ابتُليتَ فلا تدلَّ عليَّ . وكان الغلامُ يُبرِئ الأكْمَهَ والأبرصَ ، ويداوي الناسَ من سائر الأدْواء ، فسمع جليسٌ للملك ـ كان قد عمي ـ فأتاه بهدايا كثيرةٍ ، فقال : ما هاهنا لك أجمعُ إنْ أنت شَفَيتَني . قال : إني لا أشفي أحدًا ، إنما يشفي الله عز وجل ، فإن آمَنْتَ بالله دعوتُ الله فشفاك . فآمَنَ به ، فشفاه الله ، فأتى الملك ، فجلسَ إليه كما كان يجلس ، فقال له الملك : مَن رَدَّ عليك بَصرَك ؟ قال : ربي . قال : ولك رَبٌّ غيري ؟ قال : ربي وربُّك الله . فأخذه ، فلم يزلْ يعذِّبُهُ ، حتى دلَّ على الغلام ، فجيء بالغلام ، فقال له الملك : أي بُنَيَّ ، قد بلغ من سحْرِكَ ما تُبْرِئ الأكْمهَ والأبرصَ ، وتفعلُ وتفعلُ ؟ قال : فقال : إني لا أشفي أحدًا ، إنما يشفي الله . فأخذه ، فلم يزلْ يعذِّبُه ، حتى دَلَّ على الراهب ، فجيء بالراهب ، فقيل له : ارجع عن دِينِكَ . فأبى ، فدعا بالمنشار ، فوضَع المنشار على مَفْرِق رأسه ، فشقَّه به حتى وقع شِقَّاهُ ، ثم جيء بجليس الملك ، فقيل له : ارجع

---

٨٥٩ ـ مسلم (٤ / ٢٢٩٩) ـ ٥٣ ـ كتاب الزهد والرقاق ـ ١٧ ـ باب قصة أصحاب الأخدود .

(بالمنشار) أشَرْتُ الخشبة بالمنشار : إذا شققتُها ، ووشرتُها بالميشار ـ غير مهموز ـ لغة فيه ـ والميشار والمنشار سواء. =

عن دِينك . فـأبى ، فَوضَع المنشـار في مَفرق رأسـه ، فشقّـه بـه حتى وقع شقـاه ثم جيء بالغلام ، فقيل له : ارجع عن دينِكَ ، فأبى ، فدفعه إلى نَفَر من أصحابـه ، فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا ، فاصعَـدوا بـه الجبل ، فـإذا بلغتم ذِرْوتَـه ، فإن رجع عن دِينه ، وإلا فاطرحوه . فذهبوا بـه ، فصَعِـدوا بـه الجبل ، فقـال : اللهم اكفنيهم بما شئتَ ، فرجف بهم الجبلُ فسقطوا ، وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم الله . فدفعه إلى نفر من أصحـابـه ، فقال : اذهبوا به فاحملوه في قُرْقُورٍ ، وتوسّطوا بـه البحر ، فـإن رَجعَ عن دِينـه ، وإلا فـاقـذفـوه . فـذهبـوا بـه ، فقـال : اللهم اكفنيهم بمـا شئتَ . فـانكفـأَتْ بهم السفينةُ ، فغَرِقُوا ، وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك : مـا فعل أصحـابـك ؟ قال : كفانيهم الله . فقال للملـك : إنـكَ لستَ بقـاتلي حتى تفعلَ مـا آمرك بـه . قال : ما هو ؟ قال : تجمع الناس في صعيدٍ واحدٍ ، وتصلُبُني على جِذْع ، ثم خـذْ سَهْمًـا من كِنـانتي ، ثم ضع السهم في كَبِـدِ القوس ، ثم قل : بسم الله ربِّ الغلام ، ثم ارمِ ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني . فجمع الناسَ في صعيدٍ واحدٍ ، وصلبه على جذع ، وأخذ سهمًا من كنـانتـه ، ثم وضع السهم في كَبِـدِ القوس ، ثم قـال : بسم الله ربِّ الغلام . ثم رمـاه ، فوقع السهم في صـدغِـهِ ، فوضع يـده في صُدغـه ، في موضِع السهم ، فمات فقال الناسُ : آمنَّا بربِّ الغلام . آمنَّا بربِّ الغلام ، آمنَّا بربِّ الغلام ، فـأُتِيَ الملـك ، فقيل لـه : أرأيتَ مـا كنت تحـذر ؟ قَدْ والله نـزل بـك حَذَرُك ، قد آمن الناسُ . فأمر بالأخدود بأفواه السكك ، فخُـدَّتْ ، وأَضرَم فيهـا النيرانَ ، وقـال : من لم يرجع عن دينـه فـأقحمـوه فيهـا ـ أو قيـل لـه : اقْتَحِم .

= (قُرقُور) القرقُور : سَفينة صغيرة .

(فانكفأت) السفينة ، أي: انقلبت ، ومنه : كفأتُ القدر : إذا كببتُها .

(الصعيد) : وجه الأرض ، وأراد : أنه جمعهم في أرض واحدة منبسطةٍ ليشاهدوه .

(من كنانتي) الكنانة : الجعبة التي يكون فيها النشاب .

(كبد القوس) : : وسطها ، والمراد به : موضع السهم من الوَتَرِ والقوس .

(بالأخدود) الأُخدود : الشق في الأرض ، وجمعه الأخاديد .

(السكك) : جمع سِكة ،وهي الطريق .

(أضرَمتَ) : النار : إذا أوقدتها وأثرتها .

(اقتحم) : الاقتحام : الوقوع في الشيء من غير روية ولا تَثَبُّتٍ . =

ففعلوا ، حتى جاءت امرأةٌ ، ومعها صبيٌّ لها ، فتقاعَسَت أن تقع فيها ، فقال لها الغلام : يا أُمّه ، اصبري ، فإنكِ على الحق » .

وفي رواية الترمذي [1] قال : كان رسولُ الله ﷺ : إذا صلى العصر هَمَسَ - والهمس في بعض قولهم : تَحرُّك شفتيه ، كأنه يتكلم - فقيل له : يا رسول الله ، إنك إذا صَلَّيتَ العصر همستَ ؟ قال : « إن نَبيًّا من الأنبياء كان أُعجبَ بأُمَّتهِ ، قال : مَنْ يقوم لهؤلاء ؟ فأوحى الله إليه : أن خَيِّرْهُمْ بين أن أنتقِمَ منهم ، وبين أن أُسَلِّطَ عليهم عَدُوَّهم . فاختاروا النِّقمة ، فسَلَّطَ اللهُ عليهم الموتَ ، فماتَ في يومٍ سبعون ألفًا » .

وكان إذا حدَّث بهذا الحديث حدَّث بهذا الحديث الآخر ، قال : « كان ملك من الملوكِ ، وكان لذلك الملك كاهِنٌ يَكْهَنُ له ، فقال الكاهن : انظروا لي غلامًا فهِمًا - أو قال : فَطِنًا - لَقِنًا فأُعلِّمه عِلْمي هذا ، فإني أخاف أن أموتَ ، فَيَنْقَطِعَ منكم هذا العلم ، ولا يكونَ فيكم مَنْ يَعْلَمُهُ » . قال : « فنظروا له على ما وَصفَ ، فأمروه أن يَحْضُرَ ذلك الكاهن ، وأن يختلف إليه ، فجعل يختلف إليه ، وكان على طريق الغلام راهب في صَوْمَعَةٍ » قال معمر [أحد رواة الحديث] : أحْسِبُ أنَّ أصحاب الصوامع كانوا يومئذ مسلمين - قال : « فجعل الغلامُ يسأل ذلك الراهبَ كلَّما مرَّ به ، فلم يزل حتى أخبره ، فقال : إنما أعْبُدُ الله » . قال : « فجعل الغلام يمكثُ عند الراهب ، ويبطىء عن الكاهن ، فأرسل الكاهنُ إلى أهل الغلام : أنه لا يكادُ يحضُرني . فأخبر الغلامُ الراهبَ بذلك ، فقال له الراهب : إذا قال لك الكاهن : أين كنتَ ؟ فقل : عند أهلي . وإذا قال لك أهلُكَ : أين كنتَ ؟ فأخبرهم أنَّك كنتَ عند الكاهنِ » . قال : « فبينما الغلام على ذلك ، إذ مَرَّ بجماعة من الناس كثيرٍ ، قد حَبَسَتْهُمْ دابةٌ - فقال بعضهم : إن تلكَ الدابةَ كانت أَسَدًا - فأخذ الغلامُ حَجَرًا ، فقال : اللهمَّ إن كان ما يقول الراهب حقًّا فأسألك أن أقْتُلَهُ . ثم رَمَى به ، فقتل الدابة ، فقال الناس : مَنْ قتلها ؟ فقالوا : الغلام . ففزع الناسُ ،

= (فتقاعست) التقاعس : التأخُّر والمشي إلى وراء .

(١) الترمذي (٥ / ٤٣٧) - ٤٨ - كتاب التفسير - ٧٧ - باب « ومن سورة البروج » .

(الهمس) : الكلام الخفيُّ الذى لا يكاد يسمع .

(اللقِن) : الرجل الفَهِم الذكي .

=

وقالوا : قد عَلِمَ هذا الغلامُ علماً لم يعلمْه أحدٌ » . قال : « فسمع به أعمى ، فقال له : إن أنتَ رددتَ بصري ، فلك كذا وكذا . قال : لا أريد منك هذا ، ولكن أرأيتَ إن رَجَعَ إليك بصرُك أتؤمنُ بالذي ردَّه عليك ؟ قال : نعم » . قال : « فدعا الله ، فردَّ عليه بَصَرَهُ ، فآمَنَ الأَعْمى ، فبلغ الملكَ أمْرُهم ، فدعاهم ، فأُتيَ بهم ، فقال : لأقتُلَنَّ كُلَّ واحدٍ منكم قِتْلَةً لا أقتُلُ بها صاحبه . فأمر بالراهب والرجل الذي كان أعمى ، فوضع المنشار على مفرِق أحدهما فقتله ، وقَتل الآخر بقِتْلَةٍ أخرى ، ثم أمَرَ بالغلام ، فقال : انطلِقوا به إلى جبل كذا وكذا ، فألقوهُ من رأسه . فانْطلقوا به إلى ذلك الجبل ، فلما انتهَوْا إلى ذلك المكان الذي أرادوا أن يُلقُوهُ منه ، جعلوا يتهافتون من ذلك الجبل ، ويَتَرَدَّوْنَ ، حتى لم يبق منهم إلا الغلام ، ثم رجع ، فأمر به الملك أن ينطلقوا به إلى البحر فيلقوه فيه ، فانطلقوا به إلى البحر ، فغرَّق الله الذين كانوا معه ، وأنجاه ، فقال الغلام للملك : إنَّك لا تقتلني حتى تصلُبَني وترميَني ، وتقول إذا رميتني : بسم الله ربِّ هذا الغلام . قال : فأمر به فصُلب ، ثم رماه فقال : بسم الله ربِّ هذا الغلام » . قال : « فوضع الغلام يده على صُدغِه حين رُمِيَ ، ثم مات ، فقال الناسُ ، لقد عَلِمَ هذا الغلامُ علمًا ما علمه أحدٌ ، فإنا نؤمن برب هذا الغلام » . قال : « فقيل للملك : أَجَزِعْتَ أن خالَفكَ ثلاثةٌ ؟ فهذا العالَمُ كلُّهم قد خالَفُوكَ » . قال : « فخَدَّ أُخدُودًا ثم ألقى فيها الحطبَ والنارَ ، ثم جمع الناسَ ، فقال : مَنْ رَجعَ عن دِينه تركناه ومن لم يرجع ألقيناه في النار . فجعل يُلقيهم في تلك الأخدود » قال : « يقول الله تبارك وتعالي : ﴿ قُتِلَ أصحابُ الأخدود * النارِ ذاتِ الوَقُودِ ﴾ » حتى بلغ - ﴿ العزيز الحميد ﴾[1] . قال « فأما الغلام : فإنه دُفن » . قال : فَيُذْكَر أنه أُخْرِجَ في زَمن عمر بن الخطاب وإصبَعُهُ على صُدْغِهِ ، كما وضعها حين قُتِل .

أقول : قوله : « إذا خشيت الساحر فقل : حبسني أهلي ، وإذا خشيت أهلك فقل : حبسني الساحر » ؛ يفيد أنه في حالة قسوة الظروف وفي الأحوال الصعبة

(التهافت) : الوقوعُ في الشيء مثل التساقط .

(١) البروج : ٤ - ٨ .

الاستثنائية يَتَوَسَّع في الكلام ليحمي الإنسان نفسه . وقوله : « فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الراهب » ، مع أن الراهب أوصاه ألا يدل عليه ، يفيد : أنه تحت العذاب يمكن أن يفشي أصدق الصديقين الأسرارَ المؤتمن عليها بما يؤدي إلى قتل الأولياء ، وهو في ذلك معذور ، بدليل أن الغلام لم ينقص مقامه عند الله فبقيتْ الكرامات تجري على يده بعد ذلك .

وفي الحديث عبر كثيرة مهمة في فقه الدعوة خاصة في مثل الظروف والأوضاع الموجودة في كثير من البلدان . اهـ .

٨٦٠ - * روى مسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « لم يتكلَّمْ في المهد إلا ثلاثةٌ : عيسى بنُ مريم ، وصاحبُ جُرَيج ، وكان جريجٌ رَجُلاً عابدًا ، فاتخذ صومعةً ، فكان فيها ، فأتته أُمُّهُ وهو يصلي ، فقالت : يا جريج . فقال : ياربِّ ، أمِّي وصلاتي . فأقبل على صَلاَتِه ، فانْصرفَتْ ، فلما كان من الغَدِ ، أتته وهو يُصَلِّي ، فقالتْ : يا جريج . فقال : يارَبِّ ، أُمي وصلاتي . فأقبل على صلاته ، فانصرفَتْ ، فلما كان من الغَدِ أتته وهو يصلِّي ، فقالت : ياجريج . فقال : يارَبِّ ، أمي وصلاتي . فأقبل على صلاته ، فقالت : اللّهمَّ لا تُمِتْهُ حتى ينظرَ إلى وجوه المومِساتِ . فتذاكر بنو إسرائيل جريجًا وعبادَتَه ، وكانت امرأةٌ بغيٌّ يُتَمثَّل بحسنها ، فقالت : إن شئتم لأَفْتِنَنَّهُ [لكم] » . قال : « فتعرَّضَتْ له ، فلم يَلْتَفِتْ إليها ، فأتت رَاعِيًا كان يأوي إلى صومعتِهِ ، فأمكنَتْهُ من نفسها ، فوقع عليها ، فحَمَلَتْ ، فلما ولَدَتْ قالت : هُوَ مِنْ جُرَيجٍ . فأتَوْهُ ، فاستنزلوه ، وهدَمُوا صومَعَتَهُ ، وجعلوا يضربونه ، فقال : ما شأنُكم ؟ قالوا : زنيتَ بهذه البغيِّ ، فَوَلَدَتْ منك . فقال : أين الصبيُّ ؟ فجاءوا به ، فقال : دعُوني أُصَلِّي . فصلَّى ، فلما انصرف أتى الصبيَّ فطعنَ في بطنه ، وقال : ياغُلاَم ، مَنْ أبوك ؟ فقال : فلانٌ الراعي » . قال : « فأقبلوا على جريج يُقبِّلُونه ، ويتَمَسَّحُون به ،

---

٨٦٠ - مسلم (٤ / ١٩٧٦) - ٤٥ - كتاب البر والصلة - ٢ - باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها .

(المومسات) : الزواني : جمع مومسة ، وهي الفاجرة ، والمياميس كذلك .

(والبغيُّ) : الزانية أيضًا .

(يُتمثّل بحسنها) : أي يعجب به ، ويقال : لكل من يستحسن : هذا مثل فلانة في الحسن .

=

وقالوا : نبني صومعتَكَ من ذَهَب . قال : لا ، أعيدوها من لَبِنٍ كما كانت . ففعلوا وبينا صَبِيٌّ يَرضَعُ من أُمِّـهِ ، فمرَّ رَجُلٌ راكب على دابَّـةٍ فَـارِهَـةٍ وشـارةٍ حَسَنَـةٍ ، فقالت أُمُّه : اللهم اجعل ابني مثل هذا . فترك الثديَ وأَقْبَلَ إليـه ، فنظر إليـه ، فقال : اللهم لا تجعلني مثله . ثم أقبل على ثـديـه ، فجعل يرتضع » ـ قـال : فكأني أنظر إلى رسولِ الله ﷺ وهـو يحكي ارتضـاعـه بإصبعـه السبـابـة في فيـه ، فجعـل يَمُصُّها قال : « ومَرُّوا بجاريـة وهم يضربونهـا ، ويقولون : زنيتِ ، سَرَقْتِ . وهي تقول : حسبي الله ، ونعم الـوكيـل . فقـالت أُمُّـه : اللهم لا تجعـل ابني مثلهـا . فترك الرضـاع ونَظر إليهـا ، فقـال : اللهم اجعلني مثلهـا. فهنـاك تراجعـا الحـديث ، فقـالت : حَلْقَى ! مَرَّ رَجُـلٌ حَسَنُ الهيئـة ، فقلتُ : اللهم اجعـل ابني مثلَـه . فقلتَ : اللَّهمَّ لا تجعلني مثلَـه . ومَرُّوا بهـذه الأمـة وهم يضربـونهـا ، ويقـولـون : زنيتِ ، سرقْتِ ، فقلتُ : اللهمَّ لا تَجْعَـل ابني مثلهـــا . فقلتَ : اللهمَّ اجعلني مثلها ! فقال : إن ذلك الرجل كان جبارًا ، فقلتُ : اللهمَّ لا تجعلني مثلَـه . وإنَّ هذه يقولون لهـا : زنيتِ ، ولم تزن . وسرقتِ ، ولم تسرِق . فقلت : اللهم اجعلني مثلها » .

٨٦١ ـ * روى أحمـد عن أبي هريرة أن رسـول الله ﷺ قـال : « كان ببني إسرائيـلَ تـاجر وكانَ يَنْقُصُ مرة ويـزيـدُ أخرى ، فقـال : مـا في هــذه التجـارة خير ، لألْتَمِسَنَّ تجارة هي خيرٌ من هذه . فبنى صومعة وترهب فيها » .

٨٦٢ ـ * روى الترمذي عن أبي وائل رحمـه الله عن رجل من ربيعـةَ ـ وهو الحـارثُ بن يزيدِ البكري ـ قال : قدِمتُ المدينةَ ، فدخلتُ على رسولِ الله ﷺ والمسجدُ غاصٌّ بـأهلـه ،

= (والشارة الحسنة) : جمال الظاهر في الهيئة والملبَس والمركب ونحو ذلك .

قولـه : (فقـالت : حَلْقَى) : أي أنها خطبت نفسهـا داعيـة أن يصيبهـا بوجع في حلقهـا : أي هي حلقى ، وليس المراد الدعاء وإنما هو التقديم لمساءلة ابنها .

(الجبّار) : العاتي المتكبِّر القاهر للناس .

٨٦١ ـ أحمد (٢ / ٤٣٤) . مجمع الزوائد (١٠ / ٢٨٦) .

٨٦٢ ـ الترمذي (٥ / ٣٩١) ـ ٤٨ ـ كتاب التفسير ـ ٥٢ ـ باب « ومن سورة الذاريات » .

وهو حديث حسن .

وإذا رايـاتٌ سُودٌ تَخْفِقُ ، وإذا بلالٌ مُتَقلِّـدٌ السيفَ بين يَـدَيْ رسول الله ﷺ ، فقلت : مـا شأنُ النـاسِ ؟ قـالـوا : رسـولُ الله ﷺ يريـدُ أن يبعث عَمْرو بنَ العـاصِ نحـو ربيعـةَ ، فقلتُ : أعوذُ بالله أن أكونَ مثلَ وافد عَادٍ . فقال رسولُ الله ﷺ : « وما وافـد عـاد ؟ » فقلت : على الخبير سَقطْتَ ، إن عـادًا لمـا أُقْحِطَتْ بَعثتْ قَيْلاً يستسقي لهـا ، فنزل على بَكْرِ ابن معاويةَ ، فسقاه الخمر ، وغَنَّتْهُ الجَرادتان ، ثم خرج يريد جبال مَهْرَة ، فقـال : اللهم إني لم آتك لمرضٍ فأداويَهُ ، ولا لأسيرٍ فأفاديَهُ فاسقِ عبدك مـا كنتَ مُسقيَـهُ ، واسقِ معه بكرَ ابنَ معاويـة ـ يشكر لـه الخمر الـذي سقـاه ـ . فرُفِعَ لـه ثـلاثُ سحـائب : حمراءَ وبيضـاءَ ، وسوداءَ ، فقيل له : اختر إحداهن ، فاختار السوداءَ منهن ، فقيل له : خُذها رَمَـادًا رِمْـدِدًا لا تَذَرُ من عادٍ أحدًا . فقـال رسولُ الله ﷺ : « إنـه لم يُرسَلْ [من الريح] إلا مقـدارُ هٰذه الحلقةِ » يعني حلقةَ الخاتم . ثم قرأ : ﴿ وفي عـادٍ إذْ أرسلنـا عليهم الرِّيحَ العقيمَ * مـا تـذرُ من شيءٍ أتت عليه ﴾ الآية [1] .

٨٦٣ ـ * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضي الله عنـه أن رسولَ الله ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيلَ ، سأل بعضَ بني إسرائيل أن يُسلِفَه ألفَ دينارٍ ، فقال : ائتني بالشهداءِ أُشْهِدُهم . فقـال : كفى بـالله شهيـدًا . قـال : فـائتني بـالكفيـل . قـال : كفى بـالله كفيـلاً . قـال : صدقتَ . فدفعها إليه إلى أجل مسمًّى ، فخرج في البحر ، فقضى حـاجَتَـهُ ، ثم التمس مركَبًـا يَركَبُه يقدَم عليه للأجلِ الذي أجَّلَهُ ، فلم يجد مَرْكَبًا ، فاتخذ خشَبَةً فنقرهـا ، فـأدخلَ فيهـا ألفَ دينار ، وصحيفةً منه إلى صاحبه ، ثم زجّج موضِعَهـا ، ثم أتى بهـا البحرَ ، فقـال : اللهم إنك تعلم أنّي تَسَلَّفْتُ فلانًا ألفَ دينـار ، فسـألني كفيلاً . فقلتُ : كفى بـالله كفيلاً ، فرضي

= (خفقت) الرايات : إذا حركها الهواء وجاء صوتها .

(قحطت) القحط : الغلاء ، وأصله من انقطاع المطر ، وهو سبب الغلاء .

(رمادًا) : الرماد معروف ، (والرِّمْدِدُ) : أدق مايكون منه ، ويقال : رمـاد رِمْـدِدٌ ، أي : هـالـك ، جعلوه صفـةً له .

(الريح العقيم) هي التي لا تلقح الشجر ، ولا تأتي بالمطر .

(١) الذاريات : ٤١ ، ٤٢ .

٨٦٣ ـ البخاري (٤ / ٤٦٩) ـ ٣٩ ـ كتاب الكفالة ـ ١ ـ باب الكفالة في القرض .

(زجّج) : موضعها : أي ، سوّى موضع النَّقر وأصلحه ، من تزجيج الحواجب ، وهو حـذف زوائد الشعر ، ويحتمل أن يكون مأخوذًا من الزج بأن يكون النقر في طرف الخشبة ، فيشد عليه زجًا ليمسكه ويحفظ ما في جوفه .

بك ، وسألني شهيدًا . فقلتُ : كفىٰ بالله شهيدًا ، فرضي بك ، وإني جَهدتُ أن أجِدَ مركبًا أبعث إليه الذي له ، فلم أقْدِرْ ، وإني استودعتُكَها . فرمى بها في البحرِ حتى وَلَجت فيه ، ثم انصرفَ ، وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرجُ إلى بلده ، فخرجَ الرجلُ الذي كان أسلَفَهُ ينظرُ لَعَلَّ مركبًا قد جاء بماله ، فإذا بالخشبة التي فيها المال ، فأخذها لأهله حطبًا ، فلما نشرها وجد المال والصحيفة ، ثم قدمَ الذي كان أسلَفَهُ ، وأتى بألفِ دينار ، فقال : والله مازلتُ جاهدًا في طلب مَركَبٍ لآتيك بمالك ، فما وجدتُ مركبًا قبل الذي جئتُ به . قال : فإن الله قد أدّى عنك الذي بعثْتَهُ في الخشبة ، فانصَرِفْ بالألفِ دينار راشدًا .

٨٦٤ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبدِ الله بنِ عمر رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « انطلقَ ثلاثةُ نَفَرٍ ممن كان قبلكم ، حتى آواهم المبيتُ إلى غارٍ ، فدخلوه ، فانحدرتْ صَخْرَةٌ من الجبل ، فَسدت عليهم الغارَ ، فقالوا : إنه لا يُنجيكم من هذه الصخرة إلا أن تَدْعُوا اللهَ بصالح أعمالكم . قال رجل منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران ، وكنتُ لا أَغْبِقُ قبلهما أهلاً ولا مالاً ، فنأى بي طلبُ شجَرٍ يومًا ، فلم أُرِحْ عليهما حتى ناما ، فَحَلَبْتُ لهما غَبوقَهُما ، فوجدتهما نائمين ، فكَرِهتُ أن أغْبِقَ قبلهما أهلاً أو مالاً ، فَلَبِثْتُ والقَدَحُ على يدي أنتظر استيقاظهما ، حتى بَرَقَ الفَجْرُ » ـ زاد بعض الرواة : « والصِّبْيَةُ يَتَضاغَوْنَ عند قدَميَّ ـ فاستيقظا فشربا غَبوقَهُما ، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك ، ففرِّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة . فانفرجتْ شيئًا لا يستطيعون الخروج » . قال النبي ﷺ : « قال الآخر : اللهم كانت لي ابنةُ عمٍّ ، كانت أحبَّ الناس إليَّ فأردتُّها على نفسها ، وامتنعت مني ، حتى ألمَّتْ بها سَنَةٌ من السنين ، فجاءتني فأعطيتُها عشرين ومائةَ دينار ، على أن تُخَلِّيَ بيني وبين نفسها ،

---

٨٦٤ ـ البخاري (٤ / ٤٤٩) ـ ٣٧ ـ كتاب الإجارة ١٢ ـ باب من استأجر أجيرًا ... إلخ .

مسلم (٤ / ٢٠٩٩) ـ ٤٨ ـ كتاب الذكر والدعاء ـ ٢٧ ـ باب قصة أصحاب الغار الثلاثة .

(الغَبُوق) : شراب آخر النهار ، والمراد : إنني ما كنت أقدِّم عليهما في شراب حظَّهما من اللبن أحدًا .

(يتضاغون) : أي : يضجون ويصيحون من الجوع .

(السَّنة) : الجدب والقَحْطُ .

(ألمتْ بها) : بها : إذا قرب منها ودنا الجدب .

(فأردتها) : أي راودتها وطلبت منها أن تمكّنني من نفسها .

=

ففعلت حتى إذا قَدَرْتُ عليها ، قالت : لا أُحِلُّ لَكَ أن تَفُضَّ الخاتَمَ إلا بحقه . فتحَرَّجْتُ من الوقوع عليها ، فانصرفتُ عنها وهي أحبُّ الناس إليَّ وتركتُ الذهب الذي أعطيتها ، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فافْرُج عنا ما نحن فيه . فانفرَجت الصخرة ، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها » . قال النبي ﷺ : « وقال الثالث : اللهم استأجرْتُ أُجَرَاءَ ، وأعطيتُهم أجرَهم ، غير رجُلٍ واحدٍ ، تَرَكَ الذي له وذهب ، فَثَمَّرتُ أجرَهُ حتى كَثُرَتْ منه الأموال ، فجاءني بعد حين فقال : يا عبد الله ، أدِّ إليَّ أجري . فقلتُ : كلُّ ما ترى من أجْرِكَ ، من الإبل ، والبقر والغنم ، والرقيق . فقال : يا عبد الله ، لا تستهزئ بي . فقلتُ : إني لا أستهزئ بك . فأخذه كلَّه ، فاستاقه ، فلم يتركْ منه شيئًا ، اللهم فإن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فافرُج عنا ما نحن فيه . فانفرجتِ الصخرة ، فخرجوا يمشون » .

وفي رواية [1] : أن رسولَ الله ﷺ قال : « بينما ثلاثة نَفَر ممن قبلكم يمشون ، إذ أصابهم مَطَرٌ ، فأوَوْا إلى غارٍ ، فانطبق عليهم ، فقال بعضهم لبعض : إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدقُ ، فليَدْعُ كلُّ رجلٍ منكم بما يعلم أنه قد صدَق فيه . فقال أحدهم : اللهم إن كنتَ تعلم أنه كان لي أجيرٌ عَمِل لي على فَرَقٍ من أَرُزٍّ ، فذهب وتركه ، وإني عَمَدْتُ إلى ذلك الفَرَق فزرعته ، فصار من أمره إلى أن اشتريتُ منه بقرًا ، وإنه أتاني يطلب أجره ، فقلت له : اعْمِدْ إلى تلك البقر ، فَسُقْها . فقال لي : إنما لي عندك فَرَق من أَرُزٍّ . فقلت له : اعمد إلى تلك البقر ، فإنها من ذلك الفَرَق . فساقها ، فإن كنت تَعلم أني فعلتُ ذلك من خشيتك ففرِّج عنا . فانساحت عنهم الصخرة ... » .

وذكر باقي الحديث بقريب من معنى ما سبق .

= (تفض الخاتم) : كناية عن الجماع والوطء .

(التحرّج) : الهرب من الحرج ، وهو الإثم والضيق .

(١) البخاري (٦ / ٥٠٥) ـ ٦٠ ـ كتاب الأنبياء ـ ٥٣ ـ باب حديث الغار .

(فَرَق) : الفَرَق : مكيال يسع ستة عَشَرَ رِطْلاً . أي حوالي خمسة كيلو غرامات ونيفًا .

(فانساحت) بالحاء المهملة ، أي : انفسحت وتنحّت .

ولها روايات بنحو ذلك .

ورواه أبو داود [(١)] مجملاً ، وهذا لفظه ؛ قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « مَن استطاع منكم أن يكون مثلَ صاحب فرَقِ الأرزِّ فليكن مثله » . قالوا : ومَنْ صاحب فرق الأرُزِّ يا رسول الله ؟ ... فذكر حديث الغار حين سقط عليهم الجبل ، « فقال كلٌّ واحد منهم : اذكروا أحْسَنَ عملكم » . قال : « فقال الثالث : اللهم إنك تعلم أني استأجرت أجيرًا بفَرَقِ أرُزٍّ ، فلما أمْسَيْتُ عرضتُ عليه حقه ، فأبى أن يأخذَهُ ، وذَهَبَ فثمرْتُه له ، حتى جمعتُ له بَقَرًا ورِعاءها ، فلقيني ، فقال : أعطني حقِّي . فقلتُ : اذهب إلى تلك البقر ورعائها ، فخذها . فذهب فاستاقها » .

٨٦٥ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول : « إن ثلاثةً من بني إسرائيل : أبرصَ ، وأقرعَ ، وأعمى ، فأراد الله أن يبتليَهم ، فبعث إليهم ملَكًا ، فأتى الأبرَصَ ، فقال : أيُّ شيء أحبُّ إليكَ ؟ قال : لَونٌ حَسَنٌ ، وجلْدٌ حسنٌ ، ويَذهَبُ عني الذي قد قَذِرَني الناسُ » . قال : « فمسحه فذهب عنه قَذَرُه ، وأُعطِيَ لونًا حسنًا ، وجلدًا حسنًا . قال : فأيُّ المال أحبُّ إليكَ ؟ قال : الإبل » ـ أو قال : « البقر » شك إسحاق ؛ إلا أن الأبرصَ والأقرع قال أحدهما : الإبل . وقال الآخر : البقر ـ قال : « فأُعْطِيَ ناقةً عُشَراءَ ، فقال : بارك الله لك فيها » . قال : « فأتى الأقرعَ ، فقال : أيُّ شيء أحبُّ إليكَ ؟ قال : شعرٌ حَسَنٌ ، ويذهب عني هذا الذي قد قَذِرَني الناسُ » . قال : « فمسحه فذهب عنه » . قال : « وأُعطي شعرًا حسنًا ، قال : فأيُّ المال أحبُّ إليك ؟ قال : البقر . فأُعطي بقرةً حاملاً ، قال : بارك الله لك فيها » . قال : « فأتى الأعمى فقال : أي شيء أحبُّ إليكَ ؟ قال : أن يَرُدَّ الله إليَّ بصري فأبصرَ

---

(١) أبو داود (٣ / ٢٥٦) ـ كتاب البيوع ـ باب في الرجل يتجر في مال الرجل .

والحديث في روايته مختصر .

٨٦٥ ـ البخاري (٦ / ٥٠٠) ـ ٦٠ ـ كتاب الأنبياء ـ ٥١ ـ باب حديث أبرص وأعمى وأقرع .

مسلم (٤ / ٢٢٧٥) ـ ٥٣ ـ كتاب الزهد ـ ١٠ ـ باب حدثنا شيبان بن فَرُّوخ ... إلخ .

(ناقةً عشراء) إذا كانت حاملا ، وقيل : إذا أتى عليها لحملها عشرة أشهر .

به الناسَ » . قال : « فمسحه فردَّ اللهُ إليه بصره ، قال : فأيُّ المال أحبُّ إليكَ ؟ قال : الغنم . فأعطِيَ شاةً والدًا ، فأُنْتِجَ هذان، وَوَلَّدَ هذا ، فكان لهذا وَادٍ من الإبل ، ولهذا وادٍ من البقر ، ولهذا وادٍ من الغنم » . قال : « ثم إنه أتى الأبْرَصَ في صورته وهَيئته ، فقال : رجلٌ مسكينٌ ، قد انقطعت بي الحِبال ، في سفري ، فلا بلاغَ لي اليوم إلا بالله ثم بكَ ، أسألكَ بالذي أعطاك اللون الحسن ، والجلد الحسن ، والمال ، بَعيرًا أتَبَلَّغُ به في سفري . فقال : الحقوقُ كثيرةٌ . فقال له : كأني أعرفك ، ألم تكن أبرصَ يَقْذَرك الناس ، فقيرًا فأعطاك الله ؟ فقال : إنما وَرِثْتُ هذا المال كابرًا عن كابر . فقال : إنْ كنت كاذبًا فصيَّرك الله إلى ما كنتَ » . قال : « وأتى الأقرع في صورته ، فقال له مثلما قال لهذا ، فَرَدَّ عليه مثل ما ردَّ على هذا ، فقال : إن كنتَ كاذبًا فصيَّرك الله إلى ما كنتَ » . قال : « وأتى الأعمى في صورته وهيئته، فقال : رجلٌ مسكينٌ ، وابن سبيل ، انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ، ثم بك ، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك شاةً أتبلّغ بها في سفري . فقال : قد كنتُ أعمى فردَّ الله إليَّ بصري ، فخذ ما شئتَ ، ودَع ماشئتَ ، فوالله لا أجهَدك اليوم بشيء أخذتَه لله . فقال : أمْسِكْ مالكَ ، فإنما ابتُليتُم ، فقد رُضِيَ عنك ، وسُخِطَ على صاحبيك » .

٨٦٦ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال النبيُّ ﷺ : « اشتَرى رجلٌ من رجلٍ عَقارًا له ، فوَجدَ الرجلُ الذي اشترى العَقَار في عَقارِهِ

(شاة والدا) الشاة الوالد : هي التي قد عُرِف منها كثرة الولد والنتاج .

(فأنتج) أنتجها ، أي : افتقدها عند الولادة . هكذا جاء لفظ الحديث « أنتج » . وإنما يقال : نُتِجَتُ الناقة أنتجها ، والناتج للنوق كالقابلة للنساء وقوله : « وولّد هذا » أي فعل في شاته كما فعل ذلك في إبله وبقره .

(الحبال) : جمع حَبْل ، وهو العهد والذّمام والأمان والوسيلة ، وكل ما يرجو منه خيرًا أو فرجًا ، أو يستدفع به ضررًا ، والحبل : السبب ، فكأنه قال : انقطعت بي الأسباب .

(فلا بلاغ) : أي ليس لي ما أبلغ به غرضي .

(كابرًا عن كابر) : أي : ورثته عن آبائي وأجدادي .

(لا أجهدك) : أي : لا أشق عليك في الأخذ والامتنان .

٨٦٦ ـ البخاري (٦ / ٥١٢) ـ ٦٠ ـ كتاب الأنبياء ـ ٥٤ ـ باب حدثنا أبو اليمان .

مسلم (٣ / ١٣٤٥) ـ ٣٠ ـ كتاب الأقضية ـ ١١ ـ باب استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين .

وابن ماجه (٢ / ٨٣٩) ١٨ ـ كتاب اللقطة ، ٤ ـ باب من أصاب ركازًا .

جَرَّةٌ فيها ذهب ؛ فقال له الذي اشترى العَقَار : خُذ ذَهبَك منِّي ، إنما اشتريتُ منكَ الأرضَ ولم أبْتَعْ منك الذهب . وقال الذي له الأرضُ : إنما بعتُكَ الأرضَ وما فيها . فتحَاكَما إلى رجلٍ ، فقال الذي تَحاكَما إليه : أَلَكُما وَلَدٌ ؟ قال أحدهما : لي غُلامٌ . وقال الآخَرُ : لي جارِيةٌ . قال : أنكِحوا الغُلامَ الجارِيةَ ، وأنفِقوا على أنفُسِهِما منه ، وتَصدَّقا » .

٨٦٧ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « فُقِدَتْ أُمَّةٌ من بني إسرائيل ، لا يُدرىَ ما فَعَلَتْ ؟ وإني لا أُراها إلا الفأرَ ، ألا تَرَوْنَها إذا وُضِعَ لها ألبانُ الإبل لم تشرب ، وإذا وضع لها ألبانُ الشاء شربت ؟ » قال أبو هريرة : فَحدَّثتُ كعبًا بهذا ، فقال : أنت سمعتَ النبيَّ ﷺ يقوله ؟ قلتُ : نعم . فقال لي مرارًا ، فقلت : أأقرأُ التوراة ؟

قال ابن حجر :

« قوله : (وإني لا أراها إلا الفأر) بإسكان الهمزة ، وعند مسلم من طريق أخرى عن ابن سيرين بلفظ « الفأرة مسخ ، وآية ذلك أنه يوضع بين يديها لبن الغنم فتشربه ، ويوضع بين يديها لبن الإبل فلا تشربه » .

قوله : (فحدثت كعبًا) قائل ذلك هو أبو هريرة ، ووقع في رواية مسلم : فقال له كعب أنت سمعت هذا .

قوله : (فقلت : أفأقرأ التوراة) هو استفهام إنكار ، وفي رواية مسلم : أفأنزلت عليَّ التوراة . وفيه أن أبا هريرة لم يكن يأخذ عن أهل الكتاب ، وأن الصحابي الذي يكون كذلك إذا أخبر بما لا مجال للرأي والاجتهاد فيه يكون للحديث حكم الرفع ، وفي سكوت كعب عن الرد على أبي هريرة دلالة على تورعه ، وكأنها جميعًا لم يبلغهما حديث ابن مسعود ، قال : وذكر عند النبي ﷺ القردة والخنازير فقال : « إن الله لم يجعل للمسخ نسلاً ولا عقبًا ، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك » . وعلى هذا يحمل قوله ﷺ : « لاأراها إلا الفأر » . وكأنه كان يظن ذلك ثم أعلم بأنها ليست هي » اهـ .

---

٨٦٧ ـ البخاري (٦ / ٣٥٠) ـ ٥٩ ـ كتاب بدء الخلق ـ ١٥ ـ باب خير مال المسلم غنم .

مسلم (٤ / ٢٢٩٤) ـ ٥٣ ـ كتاب الزهد والرقائق ـ ١١ ـ باب في الفأر وأنه مسخ .

أقول : وحديث ابن مسعود صحيح ، فإن الله لم يمسخ أمة إلا أماتها بعد ذلك ، فأنواع الحيوانات كلها أمم بعينها ليس منها شيء ممسوخ ؛ وبعد أن تبين هذا عن رسول الله ﷺ فإنه يدل على أنه جاءه اليقين بأن الفأرة وغيرها ليست ممسوخة ، لأن كلامه في الأصل مبني على قياس واجتهاد منه عليه الصلاة والسلام .

٨٦٨ - * روى أحمد عن مُعَاذِ بن جَبَلٍ عن النبي ﷺ قال : « انتسب رجلان من بني إسرائيل على عهد موسى ﷺ أحدُهما مسلمٌ والآخَرُ مشركٌ ، فانتسبَ المشركُ فقال : أنا فلانُ بنُ فلانٍ . حتى عَدَّ تسعةَ آباءٍ ، ثم قال لصاحبِهِ : انتسبْ لا أمَّ لكَ . فقال : أنا فلانُ بنُ فلانٍ وأنا بريء مما وراء ذلك . فنادى موسى في الناس فَجمعَهم ثم قال : قد قُضي بينكما ، أما أنت الذي انتسبت إلى تسعة آباءٍ فإنك تُوفِيهم العاشرَ في النار ، وأما أنت الذي انتسبَ إلى أبويه فأنت امرؤ من أهل الإسلام » .

٨٦٩ - * روى عبد الله بن أحمد عن أُبَيٍّ بن كعبٍ قال : انتسبَ رجلان على عهدِ رسولِ الله ﷺ فقال أحدُهما : أنا فلانُ بنُ فلانٍ فمن أنت لا أم لك ؟ فقال رسول الله ﷺ : « انتسبَ رجلانِ على عهدِ موسى ﷺ فقال أحدُهما : أنا فلانُ بن فلانٍ - حتى عَدَّ تِسعةً - فمن أنتَ لا أم لك ؟ فقال : أنا فلانُ بنُ فلان ابنُ الإسلام » قال : « فأوحى الله تعالى إلى موسى ﷺ : إن هذين المُنتَسِبَيْنِ أما أنت أيها المنتمي أو المنتسب إلى تسعة في النار فأنتَ عاشِرُهم ، وأما أنتَ يا هذا المنتسبُ إلى اثنين في الجنةِ فأنت ثالثُهما في الجنةِ » .

٨٧٠ - * روى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كانَ رجُلانِ في بني إسرائيلَ مُتَواخِيانِ ، وكانَ أحَدُهُما مُذنِبًا ، والآخَرُ مجتهِدًا في

---

٨٦٨ - أحمد (٥ / ٢٤١) .

والمعجم الكبير (٢٠ / ١٣٩) .

مجمع الزوائد (٨ / ٨٥) . وقال : رواه الطبراني ، وأحمد موقوفًا على معاذ ، وأحد أسانيد الطبراني رجاله رجال الصحيح ، وكذلك رجال أحمد .

٨٦٩ - أحمد (٥ / ١٢٨) .

مجمع الزوائد (٨ / ٨٥) . وقال : رواه عبد الله بن أحمد . ورجاله الصحيح ، غير يزيد بن زياد بن أبي الجعد وهو ثقة .

٨٧٠ - أحمد (٢ / ٣٢٣) .

=

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العِبادةِ ، وكانَ لا يزالُ المجتهدُ يَرَى الآخَرَ على الـذَّنْب ، فيقولُ : أَقْصِرْ . فوَجَـدَهُ يـومًـا على ذنْبٍ ، فقـالَ لـهُ : أَقْصِرْ . فقـالَ : خلّني وربِّي ، أَبُعِثْتَ عليَّ رقيبًا ؟! فقـالَ : واللهِ لا يَغفرُ اللهُ لـكَ ، أوْ لا يُـدخِلُـكَ اللهُ الجنـةَ . فقُبضَ رُوحُهُما ، فاجتَمعا عندَ ربِّ العالَمينَ ، فقـالَ لهـذا المجتهـدِ : أكُنتَ بي عـالمـا ، أوْ كُنتَ على ما في يدِي قـادرًا ؟ ! وقـالَ للمُـذْنِبِ : اذهبْ فـادْخُلِ الجَنَّـةَ برحمتي ، وقالَ للآخرِ : اذهبوا بهِ إلى النارِ » .

أقول : إنما عُذِّب المجتهد لأنه تألّى على الله وليس لأنه أنكر على المذنب ، فالإنكار عليه واجب ، ومن هنا نأخذ أدبًا أن ننكر على المذنب ولا نفتات على الله بما سيفعله .

٨٧١ - * روى البخاري عن خبّاب رضي الله عنـه أن رسـول الله ﷺ قـال : « كانَ الرَّجُلُ قَبْلَكُم يُؤخَذُ فَيُحفَرُ لهُ في الأرضِ ، فيُجعَلُ فيـهِ ، فيُجاءُ بـالمِنشـارِ فيوضَعُ على رأسِهِ ، فيُشَقُّ باثنتينِ ، ما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دينِهِ ، ويُمْشَطُ بأمشـاطِ الحـديـدِ ما دُونَ لحمهِ منْ عَظْمٍ أو عصَبٍ ، ما يَصُدُّه ذلكَ عن دِينِهِ ، واللهِ ليُتِمَّنَّ اللهُ هذا الأمرَ ، حتى يَسيرَ الرَّاكِبُ منْ صَنْعاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ ، لا يَخافُ إلا اللهَ ، والـذِّئبَ على غنمِه ، ولكنَّكم تَستعجِلونَ » .

٨٧٢ - * روى أحمد عن عبـد الله بنِ مسعودٍ أن رجلاً لم يَعْمَـلْ من الخير شيئًـا قـط إلا التوحيدَ فلما حَضَرَتْه الوفاةُ قال لأهله : إذا أنا متُّ فخـذوني فـاحرقوني حتى تـدعوني حُمَمَـةً ثم اطحنوني ثم ذَرّوني في البحر في يوم راحٍ . قال : ففعلوا به ذلـك ، فـإذا هو في قَبضـةِ الله عز وجل . فقال اللهُ عزَّ وجل : ما حَمَلَكَ على ما صَنَعْتَ . قال : مَخافتُـكَ . قـال : فغفر الله عز وجل له .

= وأبو داود (٤ / ٢٧٥) - كتاب الأدب - باب في النهي عن البغي .
وهو صحيح .

٨٧١ - البخاري (٦ / ٦١٩) - ٦١ - كتاب المناقب - ٢٥ - باب علامات النبوة .
وأحمد (٥ / ١٠٩) .

٨٧٢ - أحمد (١ / ٣٩٨) .
مجمع الزوائد (١٠ / ١٩٤) . وقال : رواه أحمد ، وإسناد ابن مسعود حسن .
(حُمَمَة) : فحمة .
(يوم راح) : أي ذي ريح .

أقول : وقد روي هذا الحديث روايات متعددة ، وبعض رواياتـه عنـد مسلم ، وللعلمـاء كلام كثير في هذا الحديث ؛ والظاهر أن هذا الرجل لم يبلغه من هدي الأنبياء على الكـال والتام ما تقوم به حجة كاملة عليه ، بل بلغه من بقايا هدي الأنبياء ما جعله يتوهم في حق الله عز وجل ما لا يصح ، معَ وجود أصل الإيمان بالله ، فغفر الله عز وجل له توهمـه بسبب من حسن نيتـه في الخـوف من الله وبسببٍ مِنْ أنـه لم يبلغـه شرع الله عـز وجـل كامـلاً عن طريق صحيح ، والله أعلم . وبعض روايـات الحـديث لا تـدل على التوهم ، فليس فيهـا إشكال.

٨٧٣ - * روى أبو يعلى عن عبدِ الله قـال : كان رجل كثيرَ المـال لـما حضَره الموتُ قـال لأهله : إن فعلتم ما أَمَرْتُكُم به أورثْتُكم مالاً كثيرًا . قالوا : نعم . قـال : إذا مِتُّ فـاحرقوني ثم اطْحَنوني ، فإذا كان يومُ ريحٍ فارتقوا فوق قُلَّة جَبَلٍ فـاذْروني ، فـإن اللهَ إن قَـدَرَ علي لم يَغفِر لي . فَفُعِل ذلكَ به ، فاجتمع في يدي الله فقـال : مـا حملـكَ على مـا صنعت . قـال : يارب مَخافَتُك . قال : فاذهب فقد غَفَرتُ لك . وفي روايـة : كان الرجلُ نبَّـاشًـا فَغُفِرَ لـه لخوفه .

أقول : إن قول الرجل وفعلـه يـدلان على جهلٍ بـالله ، فلعلـه كان من أهـل فترة عنـده بقايا من دين صحيح ، فعـاملـه الله عز وجل برحمتـه على مـا عنـده من بقـايـا خيرٍ ، وهو خوفه من الله عز وجل .

٨٧٤ - * روى البزار عن عبـــدِ الله بنِ مسعــودٍ عن النبي ﷺ : « إن بني إسرائيــلَ استخْلَفُوا خليفةً عليهم بعد موسى ﷺ فقامَ يصلي ذات ليلةٍ فوقَ بيت المقـدس في القمر ، فذكَرَ أمورًا كان صَنَعَها ، فخرجَ فتدلَّى بسببٍ ، فأصبحَ السببُ معلقًـا في المسجد وقـد ذهبَ » . قـال : « فـانطلقَ حتى أتى قومًـا على شـطِّ البحر ، فوجـدَهم يَضْرِبونَ لَبِنًا ، فسألهم : كيفَ تأخذونَ على هذا اللَّبِنِ ؟ » قال : « فـأخبروه فلَبَّنَ

---

٨٧٣ - مجمع الزوائد (١٠ / ١٩٤) . وقال : رواه أبو يعلى بسندين ، ورجالهما رجال الصحيح .
أحمد (٥ / ٣٨٣) وهو عنده عن معاوية بن حَيْدَة . ورجاله ثقات .
(قُلَّة جبلٍ) : أعلاه .

٨٧٤ - كشف الأستار (٤ / ٢٦٧) .
والمعجم الكبير (١٠ / ٢١٦) .
مجمع الزوائد (١٠ / ٢١٨) . وقال : رواه البزار والطبراني في الأوسط والكبير ، وإسناده حسن .
(تدلى بسبب) : تدلى بحبل .

=

معهم ، فكانَ يأكُل من عَمَلِ يده ، فإذا كان حينَ الصلاةِ قامَ يُصَلي ، فرفَعَ ذلك العمالُ إلى دُهْقَانِهم ، أن فينا رجلاً يفعلُ كذا وكذا ، فأرسلَ إليه ، فأبى أن يأتيَهُ ثلاثَ مراتٍ ، ثم إنه جاء » [أي : الدُّهْقان] « يَسيرُ على دابَّتِهِ ، فلما رآه فرَّ » [أي : الملك] « فاتَّبَعَهُ فسبَقَهُ ، فقال : أنْظِرْني أكَلِّمْكَ » . قال : « فقامَ حتى كلَّمَهُ . فأخْبَرَه خَبَرَه ، فلما أخبره أنه كان مَلِكًا وأنه فرَّ من رَهْبَةِ ربِّه قال : إني لأظُنُّني لاحقًا بكِ » . قال : « فاتَّبَعَهُ ، فعَبَدا الله ، حتى ماتا برُميلةِ مِصرَ » . قال عبدُ الله : لو أني كنتُ ثَمَّ لاهتديتُ إلى قبريهما بصفة رسول الله ﷺ التي وصف لنا .

٨٧٥ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كانَ في بَني إسرائيل رجُلٌ قتَلَ تِسعةً وتسْعينَ إنسانًا ، ثمَّ خرَجَ يَسألُ ، فأتى راهبًا فسألَهُ ، فقال لَهُ : ألي توْبةٌ ؟ قالَ : لا . فقَتَلَهُ ، فجعَلَ يَسألُ ، فقالَ لهُ رجلٌ : ائتِ قرْيَةَ كذا وكذا ، فأدركَهُ الموْتُ فنأى بصَدرِهِ نحوَها ، فاختصَمت فيه ملائكةُ الرَّحمةِ ، وملائكةُ العذاب ، فأوحى اللهُ إلى هذهِ : أنْ تقرَّبي ، وأوحَى اللهُ إلى هذهِ : أنْ تباعَدي ، وقالَ : قِيسُوا ما بيْنَهما ، فوَجداهُ إلى هذهِ أقْرَب بشبرٍ ، فغُفِرَ لهُ » .

٨٧٦ - * روى الطبراني عن أبي عبدِ ربٍّ أنه سمعَ معاويةَ بنَ أبي سفيانَ على المِنْبَرِ يُحَدِّثُ أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول : « إن رجلاً أسرفَ على نفسِهِ فلقيَ رجلاً فقال : إن الآخَرَ قتل تسعًا وتسعين نفسًا كلُّهم ظلمًا فهل لي من توبةٍ ؟ قال : لا . فقتله وأتى آخر فقالَ : إن الآخر قتلَ مائةَ نفسٍ كلُّها ظلمًا فهل تجِدُ لي من توبةٍ ؟ فقال : إنْ حدَّثتُكَ على أن الله لا يتوبُ على من تابَ كَذَبْتُكَ . ههنا قومٌ يتَعَبَّدون فائتهم تعبُدُ اللهَ معهم . فتوجَّهَ إليهم فماتَ على ذلك . فاجتمعت ملائكة الرحمةِ وملائكةُ العذاب ، فبعثَ الله إليهم مَلَكًا فقال : قِيسوا ما بين

= (دهقانهم) : الدُّهقان رئيس القرية .

٨٧٥ - البخاري (٦ / ٥١٢) - ٦٠ - كتاب الأنبياء - ٥٤ - باب حدثنا أبو اليمان .

مسلم (٤)٢١١٩ - ٤٩ - كتاب التوبة - ٨ - باب قبول توبة القاتل .

٨٧٦ - مجمع الزوائد (١٠ / ٢١١) . وقال : رواه الطبراني بإسنادين ، ورجال أحدهما رجال الصحيح ، غير أبي عبد رب وهو ثقة ، ورواه أبو يعلى بنحوه كذلك .

المكَانين فأيُّهم كان أقربَ فهو منهم . فوجدوه أقربَ إلى دَيْرِ التَّوابين بـأُنْمُلَـةٍ فَغَفِرَ له » .

أقول : ينبغي في كل حـال أن يكـون للمسلم إخـوانـه في الله ، وأن يكـون لـه انتسـاب للعلماء الأوليـاء الصادقين لتتم لـه فضيلـة الأخوة الخـالصـة في الله والكينونـة مع أهل الله ، ويتأكد هذا المعنى حين غلبـة الشر ، وكثرة الفتن ، فعلى المسلم في هـذه الحـالـة أن يلجـأ إلى البيئات الفاضلة العابدة ، فـذلـك هو معتصمـه بعـد الله ، وليحـذر أن يختلـط عليـه الأمر ، فيلجأ إلى بيئة يظنها عابدة صالحة وهي على شـذوذ في الاعتقـاد أو على بـدعـة في العمل أو على فتور في العبادة أو على دعوى عريضة في اللسان ويكذب ذلك أفعالها .

* * *

الفصل التاسع

في:

الإيمان باليوم الآخر

وفيه:

مقدمة ووصول



المقدمة

في الإسلام تنبثق الفروع عن أصول ، والأصول نفسها ترجع إلى أصول أجمع وأكثر كلية ، وهكذا فرجع الإسلام كله إلى الشهادتين ، فالشهادتان تنطوي فيهما أركان الإيمان وعنهما ينبثق الإسلام ، ويمكن أن نرجع الإسلام والإيمان إلى الإيمان بالله واليوم الآخر ، فمن عرف الله عرف أنه عادل ، ومن تمام عدله أن يكون هناك يوم آخر ، ومن تمام عدله ألا يحاسب ويعاقب إلا على شيء قد تقدم به إلى الناس ، ومن ههنا يأتي الوحي والرسالة ، والوحي والرسالة تتنزل بها الملائكة .

وهكذا نجد أن فروع الإسلام ترجع في النهاية إلى أصول قليلة ، ولكن ينبثق عن هذه الأصول ما لا يعد من فروع وشعب للفروع .

والتركيز على الإيمان بالله واليوم الآخر هو باب الإيمان والتقوى والإحسان والشكر والعمل ، فهذان الركنان هما محل التركيز المستمر في هدي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولذلك كان الحديث عنهما في الكتاب والسنة كثيرًا ، بينما قل الحديث عنهما في كلام الناس في عصرنا مما ينبغي أن يتلافى .

إنه عن الإيمان بالله واليوم الآخر ينبثق الإخلاص والتوكل والزهد والمحبة والصدق ، كما أن الإيمان باليوم الآخر يستدعي المحاسبة والتأمل والتفكر والاعتبار والخوف والرجاء .

وعن الغفلة عن الله واليوم الآخر يتفرع الخبث كله من كفر ونفاق ومعصية وخيانة وحسد وعجب وكبر ورياء .

إنك إذا تأملت القرآن الحكيم فإنك لا تجد صفحات إلا وفيها حديث عن الله عز وجل أو عن اليوم الآخر أو عن الله واليوم الآخر ، وعندما ندرس نصوص السنة نجد كثرة النصوص المرتبطة بهذا أو بهذا ؛ لأن ذلك هو محور الرسالة ، قال تعالى : ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيبًا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ [1] .

---

(١) العنكبوت : ٣٦ .

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا ﴾ [١] . والطريقة الأساسية للرسل في البلاغ هي التبشير والإنذار : ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ [٢] .

والتبشير والإنذار إما هما تبشير برضوان الله الذي ينال أهله الجنة ، وإنذار بسخط الله الذي يستأهل أهله النار ، ولو أنك تأملت النصوص ثم تأملت الواقع لرأيت أنه لا صلاح للنفس البشرية ولا للحياة البشرية ولا لهذا العالم إلا بالإيمان بالله واليوم الآخر وأن تظهر ثمرة ذلك على السلوك . وتأمل هذه النصوص :

﴿ أرأيت الذي يكذب بالدين * فذلك الذي يدع اليتيم * ولا يحض على طعام المسكين ﴾ [٣] .

﴿ لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾ [٤] .

﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ﴾ [٥]

﴿ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ﴾ [٦] .

﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ﴾ [٧] .

﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار * إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ﴾ [٨] .

وتتوضع حول الإيمان باليوم الآخر موضوعات كثيرة تتصل به بشكل مباشر أو غير مباشر ، منها :

---

(١) الأحزاب ٢١ .
(٢) النساء : ١٦٥ . .
(٣) الماعون : ١ ـ ٣ .
(٤) المجادلة : ٢٢ .
(٥) التوبة : ١٨ .
(٦) التوبة: ٤٤.
(٧) الأنعام : ٩٢ .
(٨) ص : ٤٥ ، ٤٦ .

الإيمان بالموت وبالحياة البرزخية ، والساعة وأشراطها ، وما يكون بعد الساعة من حشر ونشر وحساب وجنة ونار إلى غير ذلك ، ويرتبط بهذا كله موضوعات متعددة كثيرة وكلها مرتبطة بالإيمان بالغيب .

* * *

وقد تولى القرآن الكريم مناقشة الكافرين باليوم الآخر والشاكين فيه بما لا مزيد عليه ، ولا ينبغي للمؤمن أن يمر عليه يوم دون أن يطالع كتاب الله عز وجل لكي يتزكى قلبه فيمتلئ يقينًا ويتأمل ، ويتذكر حين يمر على هذه المعاني وقد كررها القرآن كثيرًا لتثبت وتستقر كدأب القرآن في عرضه للقضايا الأكثر أهمية فهو يكرر القضية بحسب احتياج القلب البشري إليها .

وموضوع اليوم الآخر يحتاجه القلب كثيرًا ولذلك فإن القرآن يكاد يكون كله وصفًا لليوم الآخر حتى إن بعضهم فسر (الضمير) في قوله تعالى : ﴿ وإنه لعلم للساعة ﴾ [1] بالقرآن ، أي : وإن القرآن علم للساعة .

- إن أدلة وجود الله أكثر من أن تحصى ، ومن عرف الله عز وجل وعرف صفاته العليا وأسماءه الحسنى آمن باليوم الآخر وعرف حقيقة وجوده واستغرب إنكاره ، فمن عرف قدرة الله عز وجل لم يستغرب أن يقيم الله عز وجل القيامة وأن يعيد خلق الإنسان وغيره مما شاء ، ومن عرف علم الله لا يستغرب الإعادة مع تفرق الأجزاء ، ومن عرف عدل الله آمن بما أخبر عن وجود يوم ودار يكون فيهما الحساب والجزاء .

- ومن عرف الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وعرف صدقهم وكمالاتهم ومعجزاتهم ، وعرف أنهم أخبروا وبشروا وأنذروا باليوم الآخر أعطاه ذلك يقينًا .

- ومن عرف ما في القرآن من إعجاز ومعجزات ، وعرف أن هذا القرآن أخبر عن الساعة وما يكون بعدها من حشر ونشر ، أيقن باليوم الآخر .

---

(١) الزخرف : ٦١ .

- ومن عرف أن رسول الله ﷺ أخبر عن مئات الأحداث التي ستقع بعده ، وأن قسمًا كبيرًا مما أخبر عنه قد وقع ، عرف أن ما لم يقع واقع لا محالة ، ومن ذلك ما يكون بين يدي الساعة وما يكون بعدها .

- ومن عرف قصة أهل الكهف وأن الحكمة في فعل الله بأصحابها إثبات البعث زاده ذلك يقينًا .

- ومن تأمل كثرة البشارات والإنذارات في بقايا الوحي الإلهي الذي نقل لنا عن الرسل السابقين - على ما خالطه من تغيير وتبديل - أدرك أن التبشير باليوم الآخر ، والإنذار مما يكون فيه كان قاسمًا مشتركًا في هداية الرسل عليهم الصلاة والسلام .

- ولو أنك تأملت بسورة الروم في القرآن لوجدت أن الله عز وجل يدلل على صدق موعوده بغلبة الروم على الفرس بصدق موعوده بأن اليوم الآخر كائن ، وهذا يجعلنا نفطن لأهمية ما أخبرنا به رسول الله ﷺ عن واقعات ستقع بعده وقد وقعت لنتحقق بذلك أن ما أخبرنا عنه واقع ، سواء في ذلك ما يكون من أحداث قبل قيام الساعة أو ما يكون بعدها ، ومن ههنا سيكون الوصل الأول في هذا الفصل في الحديث عن بعض ما أخبرنا عنه رسول الله ﷺ من أحداث بين يدي الساعة ، قد وقع بعضُها ، وبعضُها لم يقع وهو واقعٌ لإخبار الله في كتابه أو لإخبار الرسول ﷺ في سنته أو لورود الخبر في الكتاب والسنة معًا ، وسيكون الوصل الثاني في هذا الفصل عن الموت والحياة البرزخية ، وسيكون الوصل الثالث عن الساعة وعما سيكون بعدها .

* * *

الوصـــول

الوصل الأول : بين يدي الساعة

الوصل الثاني : الموت والحياة البرزخية

الوصل الثالث : الساعة وما يأتي بعدها



الوصل الأول

بين يدي السّاعة

وفيه:

مقدمة وفقرات



المقدمة

تحدث رسول الله ﷺ عما يكون بين يدي الساعة من أحداث كبرى وأحيانًا عن أحداث صغيرة لكنها مهمة ، وذلك من معجزاته المتجددة على مدى القرون ، فما من عصر تقريبًا إلا ولرسول الله ﷺ أخبار عن غيب تراه هذه الأمة فيه ، فيكون معجزة له وعاملاً من عوامل تجديد الإيمان وتعميق اليقين وتثبيت الأفئدة .

إن بعض الأحداث التي مرت أو ستمر في تاريخ العالم أو على الأمة الإسلامية تزلزل القلوب من هولها وفظاعتها ، فعندما يكون عند المسلم علم عنها فإنه يتلقاها باليقين بدلاً من أن تكون سببًا لزعزعة هذا اليقين .

وفي ذكر بعض الأحداث إيجاد نوع من الجاهزية عند المسلم للتعامل مع هذه الأحداث إذا وقعت ، ثم إن بعض هذه الأحداث لها أحكام شرعية فاقتضى ذلك بيانًا ، وبعض هذه الأحكام يقاس عليه أشباهه ، وفي ذلك إغناء للشريعة وتنوير للمسلم .

وهناك الدعوات الكافرة أو الضالة التي يدعو إليها مرتدون أو كافرون أو ضالون ، وبعض هذه الدعوات تستند إلى شُبَهٍ في زعمهم ، فأنْ تجيء في أهلها نصوص فذلك قطع لدابر التردد في شأنها عند أهل الإنصاف والهدى .

وفي كثير من الأحيان تأتي حوادث ظالمة مظلمة يظن الناس أنها أبدية ، فتأتي النصوص لتوضح جليتها أو توقيتها فيكون ذلك باعثًا على الأمل والعمل .

وهناك حالات ينبغي أن تقطع الدعاوى في شأنها فأن يدعي معمّر من المعمّرين أنه رأى رسول الله ﷺ ، ذلك يترتب عليه ما يترتب ، فجاءت النصوص لتحدد عمر الجيل الذي عايش رسول الله ﷺ ورآه .

ثم إن قيام القيامة الذي يعني نهاية نظام هذا العالم هو أعظم الأحداث بعد خلق العالم ، فما هي مقدماته الكبرى أو الصغرى ليعرف ذلك المسلمون ويبنوا عليه ما ينبغي البناء .

هذه بعض الحكم في ذكر ما يحدث بين يدي الساعة بواسطة الوحي .

* * *

إن النصوص التي تتحدث عما يكون بين يدي الساعة على أنواع : فمنها ما يتحدث عن دعوات الكفر أو الضلال والفرق التي ستنشق عن جسم الأمة الإسلامية بكفر أو ابتداع .

ومنها ما يتحدث عن بشارات وانتصارات لهذه الأمة . ومنها ما يتحدث عن أحوال ضعف تعتري هذه الأمة . ومنها مايتحدث عن حالات مرضية تصيب بعض أجيال هذه الأمة . ومنها ما يتحدث عن صراعات كبرى تخوضها هذه الأمة تُغْلَبُ فيها أو تَغْلِبُ . ومنها نصوص تتحدث عن أشخاص بأعيانهم أو أحداث بأعيانها . ومنها النصوص التي تتحدث عن أشراط الساعة الكبرى التي تكون بين يدي الساعة مباشرة .

* * *

وقسم من هذه الشؤون قد مرّ معنا من قبل أو سيمر معنا في سياقات موضوعات هذا الكتاب ، فقد ذكرنا بابا في قسم السيرة عن بعض ماأخبرنا عنه رسول الله ﷺ من غيوب وقعت . ومرّ معنا أثناء الكلام عن الفرق الإسلامية بعض مما له علاقة بهذا الموضوع . ومرّ معنا أثناء الكلام عن الصحابة كثير مما أخبر به ﷺ ووقع . وستمرّ معنا بعض النصوص بمناسبة الكلام عن مكة والمدينة ، أو أثناء الكلام عن الخلافة . وقد نضطر في هذه الشئون لشيء من التكرار ، وفي كتابنا الرسول ﷺ تحدثنا عن عدد من الحوادث المستقبلية التي ستقع بعده وقد وقعت ومنها الذي وقع في عصرنا فليراجع .

* * *

لقد ركز رسول الله ﷺ بوحي من الله على معانٍ كثيرة فيما يأتي بعده ، فتحدث عن الشقاق والخلاف والنزاع والقتال والفتن التي تكون بين أبناء الأمة الإسلامية ، وذلك ليعرفها المسلمون فلا يشاركوا في الخطأ ، وليتوبوا إذا شاركوا وليعتبروا فلا يكرروا .

وبشر رسول الله ﷺ بالفتوحات التي ستكون بعده لينـدفع المسلمون في عملية الفتح ، وليعرفوا أن ذلك من الله فيشكروا ، وإذا حدثت انتكاسة فلا ييأسون ولا ينتسلمون .

وركز رسول الله ﷺ على الدعوات الباطلة بعده ، سواء جاءت من مدعي نبوة كاذبين أو دعاة ضلالة ليحذر المسلمون وليجتنبوا . وركز على ضعف الالتزام وأنواع من الانحرافات

سيقع فيها بعض المسلمين ؛ ليعرفها الصالحون فيعالجوها ويتجنبوها ، وليتخذوا الموقف الصحيح من أهلها إذا وقعت . وركز على علامات الساعة الصغرى ليستأنس المسلمون بذلك فيعرفوا المرحلة التي هم فيها ، فعلى ضوء الأحداث التي لم تقع بعد مما أخبر عنه رسول الله ﷺ يستطيع المسلمون أن يعملوا ويخططوا ، وفي الأصل فقد ربّانا رسول الله ﷺ على العمل حتى لو علمنا أن الساعة مصبحة أو ممسية .

وركز على أشراط الساعة الكبرى كأهم شيء يتقدم تغيير نظام هذا العالم .

وركز على أن الساعة تقوم على شرار الخلق ليَعْرِفَ المسلم فضله وفضيلة وجوده ، فما دام في الأرض مسلم صالح فلا تقوم الساعة ، فوجود المسلم أمانٌ لأهل الأرض جميعًا .

* * *



الفقرات

الفقرة الثامنة عشرة في : المهدي عليه السلام .

الفقرة التاسعة عشرة في : الدجال .

الفقرة العشرون في : صفة المسيح بن مريم عليه السلام ونزوله .

الفقرة الحادية والعشرون في : يأجوج ومأجوج .

الفقرة الثانية والعشرون في : لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق .

الفقرة الثالثة والعشرون في : نار عدن .

الفقرة الأولى

في :

أن رسول الله ﷺ أخبر عما سيكون بين يدي الساعة

٨٧٧ - * روى مسلم عن عَمْرو بن أخطبَ الأنصاري رضي الله عنه ، قال : صَلَّى رسول الله ﷺ يومًا الفجرَ ، وصَعِدَ على المِنْبَرِ ، فَخَطَبَنَا حتى حَضَرَتِ الظهرُ ، فنزلَ فصلى ، ثم صَعِدَ المنبر ، فخطبنا حتى حضرتِ العصرُ ، ثم نزل فصلى ، ثم صَعِدَ المنبر حتى غَرَبَتِ الشمسُ ، فأخبرَنا بما [كان ، وبما] هو كائن إلى يومِ القيامةِ ، قال : فأعلَمُنا أحفظُنا .

٨٧٨ - * روى أبو داود عن حُذيفَة بنِ اليمانِ رضي الله عنهما ، قال : والله ما أدْري أَنسي أصحابي ، أم تناسَوْا ؟ والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائدِ فتنةٍ إلى انقضاء الدنيا ، يَبلغُ مَن معه ثلاثَمائة فصاعدًا ، إلا قد سمّاه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته .

٨٧٩ - * روى مسلم عن أبي إدريس الخولاني قال : قال حذيفةُ رضي الله عنه : والله إني لأَعْلَمُ الناسِ بكلِّ فِتْنَةٍ هي كائنةٌ فيما بيني وبين الساعة ، وما بي أن يكون رسول الله ﷺ أسَرَّ إليَّ في ذلك شيئًا لم يُحَدِّثْهُ غيري ، ولكنْ رسول الله ﷺ قال يومًا - وهو في مجلسٍ يَتَحَدَّثُ فيه عَنِ الفتن ويَعُدُّهُنَّ - : « منها ثلاثٌ لا يَكَدْنَ يَذَرْنَ شيئًا ، ومنها فِتَنٌ كرياح الصيفِ ، منها صغارٌ ، ومنها كِبارٌ » فذهب أولئك الرَّهْطُ الذين سَمِعُوه معي كلُّهم غيري .

* * *

---

٨٧٧ - مسلم (٤ / ٢٢١٧) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ٦ - باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة .

٨٧٨ - أبو داود (٤ / ٩٥) كتاب الفتن ، باب ذكر الفتن ودلائلها . وإسناده حسن .

٨٧٩ - مسلم (٤ / ٢٢١٦) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ٦ - باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة .

(كرياح الصيف) : يريد أن فيها بعض الشدة ، وإنما خص الصيف لأن رياح الشتاء أقوى .

الفقرة الثانية

في :

قرب الساعة نسبيًّا

٨٨٠ - * روى الطبراني في الثلاثة عن ابنِ عمَرَان أن رسولَ الله ﷺ قال : « إنما أجَلُكم فيما خَلا من الأمم كما بين صلاةِ العصرِ إلى مَغْرِبِ الشمسِ » .

٨٨١ - * روى أبو داود عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، عن النبيّ ﷺ قال : « إني لأرجو أن لا يُعجزَ اللهُ أُمَّتي عند ربِّها : أن يُؤَخِّرَهم نِصفَ يوم » .

قيل لسعدٍ : وكم نصف يوم ؟ قال : خمسُمائة سنةٍ .

أقول : في الحديث إشارة إلى أن رسول الله ﷺ لم يكن يعلم الزمن المحدد لقيام الساعة ، وكان يعلم قربها لذلك رجا الزمن المذكور وقد بارك الله لهذه الأمة أجلها ليكثر أتباع رسول الله ﷺ ، والمرجو أن يبارك فيما يأتي فلم تزل كثير من إخبارات رسول الله ﷺ عما هو كائن قبيل الساعة لم تقع .

٨٨٢ - * روى الطبراني عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « اقْتَرَبَتِ الساعَةُ ولا تَزْدادُ منهم إلا بعدًا » .

---

٨٨٠ - المعجم الكبير (١٢ / ٣٣٨) .

والروض الداني إلى المعجم الصغير للطبراني (١ / ٥٤) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣١١) . وقال : رواه الطبراني في الثلاثة إلا أنه قال في الكبير : كنا جلوسا عند النبي ﷺ والشمسُ على قُعَيْقِعَان بعدَ العصرِ فقال : « ما أعمارُكم في أعمارِ من مضى إلا كما بقي من هذا النهار فيما مضى منه » . ورجال الصغير والأوسط رجال الصحيح ، وفي أحد إسنادي الكبير شريك وقد وثق ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(قُعَيْقِعَان) : جبل بمكة ، سُمِّي بذلك لأن جُرْهُمًا لما تحاربوا كثرت قعقعة السلاح هناك .

٨٨١ - أبو داود (٤ / ١٢٥) كتاب الملاحم ، باب قيام الساعة . وإسناده صحيح .

٨٨٢ - المعجم الكبير (١٠ / ١٥) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣١١) . وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني وهو ثقة ثبت .

أقول :

قوله : (ولا تزداد منهم إلا بعدًا) : إشارة إلى غفلة الناس عن الساعة كلما تقارب وقوعها .

٨٨٣ - * روى أحمد عن بريدةَ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « بعثتُ أنا والساعة جميعًا إن كادت لتسبِقُني » .

٨٨٤ - * روى البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، أن النبيَّ ﷺ قال : « مَثَلُ المسْلِمين واليهود والنصارى ، كمَثَلِ رجلٍ استأجَرَ قومًا يعملون له عملاً إلى الليلِ على أجْرٍ مَعلومٍ ، فعَمِلوا له إلى نِصفِ النَّهارِ ، فقالوا : لا حاجةَ لنا إلى أجْرِك الذي شَرَطْتَ لنا ، وما عَمِلْنا باطلٌ . فقال : لا تفعلوا ، أكملوا بقيةَ عَمَلِكم ، وخُذوا أجْرَكم كاملاً . فأَبَوْا وتَرَكُوا ، واستأجَرَ آخَرين بعدَهم ، فقال : أكْمِلوا بقيةَ يومِكم ، ولكم الذي شَرَطْتُ لهم من الأَجْرِ . فعَمِلوا حتى إذا كان حين صَلاةِ العصرِ ، قالوا : لك ما عَمِلْنا باطلٌ ، ولك الأجْرُ الذي جَعَلْتَ لنا . فقال : أكْمِلُوا بقيةَ عَمَلِكم ، فإنَّ ما بَقِيَ من النهار شيءٌ يسير . فأَبَوْا ، فاستأجَرَ قومًا أن يَعْمَلُوا بَقِيَّةَ يومِهم ، فعمِلوا بقيةَ يومِهم ، حتى غَابَتِ الشمسُ ، فاستَكْمَلوا أجْرَ الفَريقَين كِلَيهِما ، فذَلك مَثَلُهم ومَثَلُ ما قَبِلوا من هذا النُّورِ» .

٨٨٥ - * روى البخاري عن عبدِ اللهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ وهو قائمٌ على المِنبرِ يقول : « إنما بَقاؤُكم فيمن سَلَفَ قَبلَكم من الأُمم ، كما بين صلاةِ العصرِ إلى غُروب الشمسِ ، أُوتِيَ أهلُ التوراةِ التوراةَ فعمِلوا بها حتى انتصفَ النهارُ ، ثم عَجَزوا ، فأُعْطوا قِيراطًا قِيراطًا . ثم أُوتِيَ أهلُ الإنجيل الإنجيلَ ، فعمِلوا

---

٨٨٣ - مسند أحمد (٥ / ٣٤٨) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣١١) . وقال : رواه أحمد والبزار إلا أنه قال : « بعثت أنا والساعة كهاتين » وضم أصبُعَيه السَّبَّابَةَ والوسطى ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

٨٨٤ - البخاري (٤ / ٤٤٧) ٣٧ - كتاب الإجارة ١١ - باب الإجارة من العصر إلى الليل .

٨٨٥ - البخاري (١٣ / ٤٤٦) ٩٧ - كتاب التوحيد ٣١ - باب في المشيئة والإرادة .

إلى صلاة العصر فعَجَزوا ، فأُعْطُوا قِيراطًا قيراطًا . ثم أُوتينا القرآن ، فَعمِلْنا إلى غُروبِ الشمسِ ، فأُعطينا قِيراطين قِيراطين . فقال أهلُ الكتابين : أيْ ربَّنا ، أعطيتَ هؤلاء قِيراطين قِيراطين ، وأعطيتَنا قيراطًا قيراطًا ، ونحن كُنَّا أكثرَ عملاً ؟ ! قال الله عز وجلَّ : هل ظَلَمْتُكم من أجْرِكم من شيءٍ ؟ قالوا : لا . قال : فهو فَضلي أُوتيه مَن أشاء » .

وفي رواية [1] قال : قال رسولُ الله ﷺ : « مَثَلُكم وَمَثَلُ أهلِ الكِتابَين كمَثَلِ رجل استأجَر أُجَرَاء ، فقال : مَنْ يَعْمَلُ لي من غَدْوَةٍ إلى نصفِ النهارِ على قِيراطٍ ؟ فعملَتِ اليهودُ . ثم قال : مَنْ يَعْمَلُ لي من نصفِ النهارِ إلى صلاةِ العصرِ على قِيراطٍ ؟ فعَمِلت النصارى . ثم قال : مَنْ يَعْمَلُ لي من العصر إلى أن تغيبَ الشمسُ على قِيراطين ؟ فأنتم هم ، فَغَضِبَتِ اليهود والنصارى ، فقالوا : مالنا أكثرُ عَمَلاً ، وأقلُّ عطاءً ؟ قال : هل نَقَصْتُكُم من حقِّكُم ؟ قالوا : لا . قال : فذلك فَضْلي أُوتيه مَنْ أشاءُ » .

وفي أخرى [2] قال : « إنما أجلُكم في أجَلِ مَن خلا من الأمم ، كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس ، وإنما مثلُكم ومثلُ اليهود والنصارى ، كرجل استعمل عُمَّالا ، فقال : من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط ... » فذكر نحوه ، وفي آخره : « ألا فأنتم الذين تعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس ، ألا لكم الأجْرُ مرتين ، فغضِبَتِ اليهود والنصارى » ... وذكر نحو ما قبله .

* * *

(١) البخاري (٤ / ٤٤٥) ٣٧ ـ كتاب الإجارة ٨ ـ باب الإجارة إلى نصف النهار .

(٢) البخاري (٦ / ٤٩٥) ٦٠ ـ كتاب أحاديث الأنبياء ٥٠ ـ باب ما ذكر عن بني إسرائيل .

الفقرة الثالثة

في :

مـدة قرن النبـوة

٨٨٦ - * روى مسلم عن أبي الزُّبَيْرِ ، أنه سمع جابرًا رضي الله عنه يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول - قبل أن يموتَ بشهرٍ -: « تسألوني عن الساعة ؟ وإنّما علمُها عند الله ، وأُقسِمُ باللهِ ماعلى الأرضِ من نَفْسٍ منفوسةٍ اليومَ يأتي عليها مائةُ سنةٍ وهي حَيَّةٌ يومئذ » . قال : فسّرها عبدُ الرحمن صاحبُ السِّقَايةِ ، قال بعضُهم : هو نَقْصُ العُمُرِ .

وفي رواية للترمذي [1] قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ما مِنْ نفسٍ منفوسةٍ تبلُغُ مائةَ سنةٍ » - قال سالمُ بنُ أبي الجَعْدِ وتذاكرنا ذلك عنده - : إنما هي نفسٌ مخلوقةٌ يومئذٍ .

ولهما وللبخاري وأبي داود عن ابن عمر بنحوه[2] ، وفيه : يريد بذلك أنْ ينخرم ذلك القرن .

٨٨٧ - * روى البخاري ومسلم عن عائشةَ رضي الله عنها ، قالت : كان الأعرابُ إذا قَدِموا على رسولِ الله ﷺ سألوه عن الساعة ، متى الساعة ؟ فينظرُ إلى أحدثِ إنسانٍ

---

٨٨٦ - مسلم (٤ / ١٩٦٦) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة ٥٣ - باب قوله ﷺ « لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم » .

(١) الترمذي (٤ / ٥٢٠) ٣٤ - كتاب الفتن ٦٤ - باب حدثنا هناد . وقال : حسن .

(٢) مسلم (٤ / ١٩٦٥) نفس الكتاب والباب السابقين .

الترمذي : في الموضع السابق

والبخاري (٢ / ٧٤) ٩ - كتاب مواقيت الصلاة ٤٠ - باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء .

وأبو داود (٤ / ١٢٥) كتاب الملاحم ، باب قيام الساعة .

(نفس منفوسة) النفس المنفوسة : هي المولودة ، نفست المرأة - بفتح النون وضمها - إذا ولدت ، والمعنى في الحديث : أن كل من هو موجود الآن ، يعني ذلك الوقت إلى انقضاء ذلك الأمد المعين : يكونون قد ماتوا ؛ ولا بقي منهم على الأرض أحد ، فتكون قيامة أهل ذلك العصر قد قامت .

أقول : وعلى هذا الحديث استدلّ البخاري وغيره ، أنَّ الخضرَ ليس حيًّا بعد تلك المئة .

٨٨٧ - البخاري (١١ / ٣٦١) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٢ - باب سكرات الموت .

مسلم (٤ / ٢٢٦٩) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٢٧ - باب قرب الساعة .

منهم ، فيقولُ : « إن يَعِشْ هذا : لَم يُدرِكْه الهَرَمُ ، حتى قامتْ عليكم الساعةُ » .
قالَ هشامٌ : يعني موتَهم .

٨٨٨ ـ * روى مسلم عن أَنَسِ بن مالكٍ رضي الله عنه ، أنّ رجلاً سأل رسولَ الله ﷺ : متى الساعةُ ؟ فَسَكتَ رسولُ الله ﷺ هُنَيْهَةً ، ثم نظر إلى غُلام بين يديه من أَزْدِ شَنُوءة ، فقال : « إنْ عُمِّرَ هذا الغلامُ : لم يُدْرِكْهُ الهَرَمُ حتى تقومَ الساعةُ » . قال أنسٌ : وذلك الغلامُ من أترابي يومئذ .

وفي رواية[1] : وعنده غلامٌ من الأنصار ، يقال له : محمد ... وذكر الحديث .

أقول :

قوله : لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة : أي ساعة المخاطَبين : أي موتهم . وذلك من التذكير للمُخاطَبِ بالأهم في حقه .

قال ابن كثير في النهاية :

وذلك أن من مات فقد دخل في حكم القيامة ؛ فعالم البرزخ قريب من عالم يوم القيامة . وفيه من الدنيا أيضًا ، ولكن هو أشبه بالآخرة ، ثم إذا تناهت المدة المضروبة للدنيا ، أمر الله بقيام الساعة . فيُجمع الأولون والآخرون لميقات يوم معلوم . ا .هـ .

* * *

٨٨٨ ـ مسلم (٤ / ٢٢٧٠) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٢٧ ـ باب قرب الساعة .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٦٩) نفس الكتاب والباب السابقين

الفقرة الرابعة

في :

بعض أحداث المرحلتين : الراشِدة والأموية

مما أخبر عنه رسول الله ﷺ أنه كائن بين يدي الساعة

٨٨٩ - * روى البخاري ومسلم عن حذيفة بن اليَمان رضي الله عنهما ، قال : كنا عند عُمرَ ، فقال : أيُّكم يَحفظُ حديثَ رسولِ الله ﷺ في الفتنة ؟ فقلت : أنا أحْفَظُه كما قال . قال : هاتِ ، إنكَ لَجَرِيءٌ ، وكيف قال ؟ قلتُ : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « فِتْنَةُ الرجل في أهلِه ومالِه ونفسِه وولدِه وجارِه ، يكفِّرها الصيامُ والصلاةُ والصدقةُ ، والأمرُ بالمعروفِ والنهي عن المنكَرِ » . فقال عمرُ : ليسَ هذا أريدُ ، إنما أريدُ التي تموجُ كموج البحرِ .قال : قلتُ : مالكَ ولها يا أميرَ المؤمنين ؟ إن بينك وبينها بابًا مُغْلَقًا . قال : فيُكْسَرُ الباب أو يفتح ؟ قال : قلتُ : لا ، بل يُكْسَرُ ، قال : ذاك أحْرَى أن لا يُغْلَقَ أبدًا . قال : فقلنا لحذيفةَ : هل كان عمر يَعْلَمُ مَنِ البابُ ؟ قال : نعم ، كما يعلم أن دُون غَدٍ الليلة ، إني حَدَّثْتُه حديثًا ليس بالأغاليطِ . قال : فَهِبْنا أن نسألَ حذيفةَ : مَنِ البابُ ؟ فقلنا لمسروقٍ : سَلْهُ . فسألَهُ ، فقال : عمرُ .

ورواه الترمذي[1] إلى قوله : بل يُكْسَرُ . قال : إذًا لا يُغْلَق إلى يوم القيامة . قال أبو وائل : فقلت لمسروق ، سَلْ حذيفةَ عن البابِ . فسأله فقالَ : عُمرُ .

أقول : هذا الحديث من معجزاته عليه الصلاة والسلام ، إذ فيه تصريح باستشهاد عمر وما سيحدث بعد ذلك من فتن .

---

٨٨٩ - البخاري (٢ / ٨) ٩ - كتاب مواقيت الصلاة ، ٤ - باب الصلاة كفارة .

مسلم (١ / ١٢٨) ١ - كتاب الإيمان ، ٦٥ - باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا ...

(١) الترمذي (٤ / ٥٢٤) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٧١ - باب حدثنا محمود بن غيلان ...

وقال : هذا حديث صحيح .

(لجريء) الجرأة : الإقدام على الأمر العظيم .

(بالأغاليط) جمع أغلوطة ، وهي المسائل التي يغلط بها ، والأحاديث التي تذكر للتكذيب .

٨٩٠ ـ * روى الحاكم عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذَا افْتَتَحْتُمْ مِصْرَ فاستوْصُوا بالقِبْطِ » . وفي رواية : « فَاستَوصُوا بِأهلِهَا خَيْرًا فإنَّ لهم ذمة وَرَحِمًا » .

٨٩١ ـ * روى مسلم عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ : « إنكم سَتَفْتَحُونَ أرضًا يُذكَرُ فيها القِيراطُ فاسْتَوصوا بأهلها خيرًا فإن لهم ذمةً ورحمًا » .

وقال ﷺ فيما ثبت عنه في الصحيحين (١) : « إذا هَلَكَ قَيْصَرُ فلا قَيْصَرَ بعده وإذا هلك كِسْرَى فلا كسرى بعده والذي نفسي بيده لتُنْفِقُنَّ كنوزَهما في سبيل الله » .

أقول : استؤصلت دولة الأكاسرة سنة اثنتين وثلاثين للهجرة ولم تعد ولن تعود بإذن الله تعالى ، واستؤصلت دولة القياصرة بفتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح رحمه الله ، فبعد أن سقط كسرى لم يظهر كسرى بعده ، وبعد أن سقط قيصر لم يظهر قيصر بعده .

٨٩٢ ـ * روى مسلم عن عامرِ بنِ سعدِ بنِ أبي وقّاصٍ : كتبتُ إلى جابرِ بنِ سَمُرةَ مع غلامي نافعٍ : أن أخبرني بشيءٍ سمعتَهُ من رسولِ الله ﷺ . فكتب إليَّ : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يوم جمعة ، عَشِيَّةَ رُجِمَ الأسلميُّ ، قال : « لا يزال الدِّين قائمًا حتى تقومَ الساعةُ ، أو يكونَ عليكم اثنا عشرَ خليفةً ؛ كلُّهم من قُريشٍ » . وسمعته يقول : « عُصَيبة من المسلمين يفتتحون البيتَ الأبيضَ : بيتَ كِسرى ـ أو آل كِسرى » . وسمعته يقول : « إنَّ بين يدي الساعة كذّابين ، فاحذروهم » . وسمعته يقول : « إذا أعطى اللهُ

---

٨٩٠ ـ المستدرك (٢ / ٥٥٣) . وقال : صحيح على شرط الشيخين .

ومجمع الزوائد (١٠ / ٦٣) . وقال : رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح .

(ذمة) : الحق والحرمة ، وهي هنا بمعنى الذمام .

(رَحِما) الرَّحِم : لكون هاجر أم إسماعيل منهم .

وقد افتتحها عمرو بن العاص في سنة عشرين أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

٨٩١ ـ مسلم (٤ / ١٩٧٠) ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ، ٥٦ ـ باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر .

(١) البخاري (٦ / ٦٢٥) ٦١ ـ كتاب المناقب ، ٢٥ ـ باب علامات النبوة في الإسلام .

مسلم (٤ / ٢٢٣٦) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٧ ـ باب لا تقوم الساعة ...

٨٩٢ ـ مسلم (٣ / ١٤٥٣) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ، ١ ـ باب الناس تبع لقريش ...

=

أحدَكم خيْرًا فليبدأ بنفسِه وأهلِ بيته » . وسمعته يقول : « أنا الفَرَطُ على الحوضِ » .

وفي رواية سِماكِ بنِ حرب[1] عن جابرِ بنِ سَمُرَةَ : أنّ رسولَ الله ﷺ قال : « لَتَفْتَحَنَّ عِصابةٌ من المسلمين أو المؤمنين كنْزَ آلِ كِسرَى الذي في الأبيض » .

وفي رواية أخرى[2] قال : « لَنْ يَبْرَحَ هذا الدِّين قائمًا يقاتِل عليه عِصابةٌ من المسلمين حتى تقومَ الساعةُ » .

أقول : قد وجد من خلفاء أمته القرشيين الكثير ، فالخلفاء الراشدون والخلفاء الأمويون والخلفاء العباسيون كلهم قرشيون ، وتخصيص الاثنى عشر خليفة بالذكر إشارة إلى خلفاء يكون لقيام الدين في عصرهم شأن خاص ، فإذا كان المراد بالحديث الاثنى عشر خليفةً الأولَ في تاريخ الأمة الإسلامية ، والذين يستكلون بعمر بن عبد العزيز رحمَهُ الله ، فالمرادُ بذلك قيامُ الدينِ بسبب من قوة اليقين عند الصحابة وكبار التابعين ، وفي الرواية أكثرُ من مُعجِزَةٍ وقَعتْ كفتحِ المدائن وبعضُها قائمٌ ، وهو أن هذا الدين لا تزال طائفة تحمله .

٨٩٣ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رضيَ الله عنهُ أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : « لاَ تَقُومُ السَّاعةُ حَتَّى تَقْتَتِل فِئَتَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَيَكُونَ بَيْنَهُمَا مَقتلةٌ عَظِيمَةٌ دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ » .

أقول : الظاهر أن في الحديث إشارة إلى ما وقع بين علي رضي الله عنه من جهة وبين عائشة وطلحة والزبير من جهة أخرى ، فكل من الجهتين كانت دعواه نصرة الحق ، فالجهتان مجتهدتان والصواب مع علي رضي الله عنه ، أو ما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ؛

= (الفَرَط) : الذي يتقدّم الورّاد ، فيهيئ لهم الحبال والدّلاء والحياض ويستقي لهم ، وهو فَعَل بمعنى فاعل ، يقال : رجل فَرَطٌ ، وقوم فرط .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٣٧) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل ... إلخ .

(٢) مسلم (٣ / ١٥٢٤) ٣٣ - كتاب الإمارة ، ٥٣ - باب قوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق .. » إلخ.

٨٩٣ - البخاري (١٣ / ٨١) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٢٥ - باب حدثنا مسدد حدثنا يحيى ... إلخ .

مسلم (٤ / ٢٢١٤) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٤ - باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما .

فكلاهما كان يدعي نصرة الحق ، والصواب كان مع علي ، وما جرى بين علي والآخرين وردت فيه نصوص كثيرة وكلها من معجزاته عليه الصلاة والسلام ، وقد ذكرناها في القسم الأول من هذا الكتاب .

٨٩٤ ـ * روى الترمذي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لا تقومُ الساعةُ حتى تَقْتُلُوا إمَامكم ، وتَجتَلِدُوا بأَسْيَافكم ، ويَرِثَ دُنياكم شِرارُكم » .

أقول : في الحديث إشارة إلى قتل عثمان رضي الله عنه ، وقد وردت في ذلك نصوص صريحة ذكرناها في القسم الأول ، وكلها من معجزاته عليه الصلاة والسلام .

٨٩٥ ـ * روى أبو داود عن سعيد بن زيدٍ رضي الله عنه ، قال : كنَّا عندَ رسول الله ﷺ ، فذكر فتنةً عَظَّمَ أمْرَها ، فقلنا ـ أو قالوا ـ : يا رسولَ الله ، لئن أدْرَكَتْنا هذه لَتُهْلِكنّ . فقال رسولُ الله ﷺ : « كَلاً إنَّ بحَسْبِكم القتل » .

قال سعيدٌ : فرأيت إخواني قُتلوا .

٨٩٦ ـ * روى أبو يعلى عن معاوية قال : قال رسول الله ﷺ « تَزْعُمون أني مِن آخِرِكم وفاةً ألا وإني من أولكم وفاة وَلَتتْبعُنّي أفنادًا يَضربُ بعضكم رقابَ بعض » .

وفي لفظ الطبراني عن معاوية بن أبي سفيان ، قال : كنا جلوسا في المسجد إذ خرج علينا رسولُ الله ﷺ فقال : « إنكم تتحدثون أني من آخركم وفاة ألا وإني من أولكم وفاة ولَتَتْبعُنّي أفنادا يفني بعضكم بعضًا » . ثم نزَعَ بهذه الآية ﴿ قُلْ هو القادرُ على أن

---

٨٩٤ ـ الترمذي (٤ / ٤٦٨) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، ٩ ـ باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
وقال : هذا حديث حسن .
وابن ماجه (٢ / ١٣٤٢) ٣٩ ـ كتاب الفتن ، ٢٥ ـ باب أشراط الساعة .

٨٩٥ ـ أبو داود (٤ / ١٠٥) ـ كتاب الفتن والملاحم ، باب ما يرجى في القتل . ـ إسناده صحيح .
(بحسْبِكم القتلَ) أي : إنَّ القتلَ كافيكم ومقنعكم .

٨٩٦ ـ مجمع الزوائد : (٧ / ٣٠٦) . وقال : رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط والكبير ولفظه فيه عن معاوية ...، ورجالهما ثقات .
(أفنادًا) : جماعات متفرقين قومًا بعد قوم .

يَبعثَ عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجُلكم أو يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون * وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل * لكل نبأ مستقرٌ وسوف تعلمون ﴾ (١) . ثم قال : « لا تبرح عِصابة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين لا يبالون خُذلان من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيَ أمرُ الله على ذلك » . ثم نَزَعَ بهذه الآية : ﴿ يا عيسى إني مُتوفّيك ورافِعُكَ إليَّ ومُطهرك من الذين كفروا وجاعلُ الذين اتبعوك فوقَ الذين كفروا إلى يوم القيامة ﴾ (٢) .

٨٩٧ - * روى مسلم عن نافع بن عتبة أن رسول الله ﷺ قال : « تغزون جزيرة العرب فيفتحُها الله ثم فارسَ فيفتحها الله ثم تغزون الرومَ فيفتحها اللهُ ثم تغزون الدجالَ فيفتحه الله » .

أقول : في الحديث أكثر من معجزة ، منها الإشارة إلى فتح قبرص ، وقد كان ذلك ، وافتتحها المسلمون زمن عثمان رضي الله عنه .

٨٩٨ - * روى البخاري عن سعيد بن المسيِّب رحمه الله قال : وَقَعَتِ الفِتْنَةُ الأولى - يعني مقتلَ عثمانَ - فلم يبقَ من أصحابِ بدرٍ أحدٌ ، ثم وقعت الفتنةُ الثانية - يعنى الحرةَ - فلم يبق من أصحاب الحديبية أحدٌ ، ثم وقعت الفتنة الثالثةُ ، فلم ترتفعْ وبالناس طَبَاخٌ .

٨٩٩ - * روى أحمد عن عبدِ الله بن مسعود رضي الله عنه أنّ النبيَّ ﷺ قال : « تَدُورُ رَحَى الإسلام لخمسٍ وثلاثين - أو ستٍّ وثلاثين ، أو سبعٍ وثلاثين - فإن يَهْلِكُوا

---

(١) الأنعام : ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ . (٢) آل عمران : ٥٥ .

٨٩٧ - مسلم (٤ / ٢٢٢٥) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٢ - باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال .

٨٩٨ - البخاري (٧ / ٣٢٣) ٦٤ - كتاب المغازي ، ١٢ - باب حدثني خليفةُ حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري .... إلخ .

(طَبَاخ) أصل الطَّبَاخ : القوّة والسِّمَنُ ، ثم استعمل في غيره ، فقيل : فلان لا طَبَاخ له ، أي : لا عقل له ولا خير عنده ، المراد : أنها لم تبق في الناس من الصحابة أحدًا .

٨٩٩ - أحمد (١ / ٣٩٠) .

وأبو داود (٤ / ٩٨) - أول كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها . وإسناده صحيح .

وابن حبان (٨ / ٢٣١) .

وصححه في المستدرك (٤ / ٥٢١) . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي .

فسبيلُ مَنْ هَلَكَ ، وإن يَقُم لهم دِينُهم : يَقُمْ لهم سَبعين عامًا » . قال : قلت : أمِمَّا بقي ، أو مما مضى ؟ قال : « مما مضى ».

قال ابن الأثير :

تدور رَحى الإسلام ، يقال : دارت رَحى الحرب : إذا قامت على ساقها ، والمعنى فيما قيل : إن الإسلام عند قيام أمره على سنن الاستقامة ، والبعد من أحداث الظَّلَمة إلى أن تنقضيَ هذه المدة التي ذكرها وهي خمس وثلاثون سنة ، ووجهه : أن يكون قاله وقد بقي من عمره ﷺ خمس سنين أو ست سنين ، فإذا انضمت إلى مدة خلافة الخلفاء الراشدين - وهي ثلاثون سَنة - كانت بالغة ذلك المبلغ ، وإن كان أراد :سنة خمس وثلاثين من الهجرة ، ففيها خرج أهل مصر وحصروا عثمان ، وإن كانت سنة ست وثلاثين ، ففيها كانت وَقْعَةُ الجمل ، وإن كانت سنة سبع وثلاثين ، ففيها كانت وَقْعة صِفِّين . ا .هـ

أقول :

وأما قوله : (يقم لهم سبعين عامًا) : فقد يكون المراد به قيام الدين على سنن الاستقامة ، وغلبة أهل الحق على أهل الأهواء والبدع ، حتى تقوم الحجة وتوجد الأسس التي يستمر بها الدين الحق على كثرة أهل الضلال والمنحرفين .

٩٠٠ - * روى أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « تعوذوا بالله من رأس السَّبعينَ ومن إمارةِ الصبيانِ » . وقال : « لا تذهبُ الدنيا حتى تصيرَ لِلُكَعِ ابنِ لُكَعٍ ».

أقول :

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يستعيذ من أن تدركه سنة ستين وإمرة الصبيان ، وسنة ستين هي السنة التي تأمَّرَ فيها يزيد بن معاوية ، وبعد وفاته أمّر ابنه معاوية وكان صغيرًا

---

٩٠٠ - أحمد (٢ / ٣٢٦) . ورجاله رجال الصحيح غير كامل بن العلاء وهو ثقة وقال في التقريب : صدوق يخطئ .

وكشف الأستار (٤ / ١٢٦) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٠) . وقال : رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح غير كامل بن العلاء وهو ثقة .

وقال في التقريب : صدوق يخطئ .

(اللُّكَعُ) : العبد ، واستعمل في الحق والذم .

لكنه استقال واعتزل ، ثم كانت الفتنة والقتال بين ابن الزبير وبني أمية ، فسنة سبعين كانت سنة سبقتها إمرة الصبيان .

٩٠١ - * روى ابن ماجه عن أبي موسى ؛ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَهَرْجًا » . قَالَ : قُلْتُ : يا رَسُولَ الله ، مَا الْهَرْجُ ؟ قَالَ : « الْقَتْلُ » . فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ : يَا رَسُولَ الله ، إِنَّا نَقْتُلُ الآنَ فِي الْعَامِ الْوَاحِدِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « ليسَ بِقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ وَلَكِنْ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ وَابْنَ عَمِّهِ وَذَا قَرَابَتِهِ » . فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : يَا رَسُولَ الله ، وَمَعَنَا عُقُولُنَا ، ذلِكَ الْيَوْمَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ « لاَ . تُنْزَعُ عُقُولُ أَكْثَرِ ذلِكَ الزَّمَانِ . وَيَخْلُفُ لَهُ هَبَاءٌ مِنَ النَّاسِ لاَ عُقُولَ لَهُمْ » .

ثُمَّ قَالَ الأَشْعَرِيُّ : وَايْمُ الله ، إِنِّي لأَظُنُّهَا مُدْرِكَتِي وَإِيَّاكُمْ . وَايْمُ الله ، مَا لِي وَلَكُمْ مِنْهَا مَخْرَجٌ ، إِنْ أَدْرَكَتْنَا فِيمَا عَهِدَ إِلَيْنَا نَبِيُّنَا ﷺ ، إِلاَّ أَنْ نَخْرُجَ كَمَا دَخَلْنَا فِيها .

أقول : في الحديث إشارة إلى وقعة الحرة ، وما بعدها من قتال على الملك والعصبية دون تعقل . والله أعلم .

٩٠٢ - * روى ابن ماجه عَنْ أَبِي ذَرٍّ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « كَيْفَ أَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ ، وَمَوْتًا يُصِيبُ النَّاسَ حَتَّى يُقَوَّمَ الْبَيْتُ بِالْوَصِيفِ ؟ » . (يَعْنِي الْقَبْرَ) .

---

٩٠١ - ابن ماجه (٢ / ١٣٠٩) ٣٦ - كتاب الفتن ، ١٠ - باب التثبت في الفتنة . والحديث صحيح .

ونحوه أحمد (٢ / ٢٩٤) .

(لا) أي لا عقل معكم ذلك اليوم ، ثم بيّن ذلك بقوله : تنازع : أي لا يكون ذلك مع عقولكم بل تنازع عقول أكثر ذلك الزمان ، لشدة الحرص والجهل .

(هباء) الهباء الذرات التي تظهر في الكوة بشعاع الشمس . والمراد : الحثالة من الناس .

(إني لأظنها) أي تلك الحالة .

٩٠٢ - ابن ماجه (٢ / ١٣٠٨) ٣٦ - كتاب الفتن ، ١٠ - باب التثبت في الفتنة .

وأبو داود (٤ / ١٠١) كتاب الفتن والملاحم ، باب في النهي عن السعي في الفتنة . وهو حسن .

(حتى يقوّم) : من التقويم ، أي يقوم البيت بالوصيف .

(بالوصيف) : المراد بالبيت القبر ، وبالوصيف الخادم والعبد . أي يكون العبد قيمة القبر بسبب كثرة الأموات .

وقيل : المراد بالبيت المتعارف . والمعنى أن البيوت تصير رخيصة لكثرة الموت وقلة من يسكنها ، فيباع البيت بعبد . =

قُلْتُ : مَا خَارَ اللهُ لِي وَرَسُولُهُ - (أَوْ قَالَ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ) . قَالَ : « تَصَبَّرْ » . قَالَ : « كَيْفَ أَنْتَ وَجُوعًا يُصِيبُ النَّاسَ حتىٰ تَأْتِيَ مَسْجِدَكَ فَلاَ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى فِرَاشِكَ ، وَلاَ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلى مَسْجِدِك ؟ » قَالَ : قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . (أَوْ مَا خَارَ اللهُ لِي وَرَسُولُهُ) . قَالَ : « عَلَيْكَ بِالْعِفَّةِ » . ثُمَّ قَالَ : « كَيْف أَنْتَ وَقَتْلاً يُصِيبُ النَّاسَ حَتَّى تُغْرَقَ حِجَارَةُ الزَّيْتِ بِالدَّمِ ؟ » قُلْتُ : مَا خَارَ اللهُ لِي وَرَسُولُه . قَالَ : « الحَقْ بِمَنْ أَنْتَ مِنْهُ » . قَالَ : قُلْتُ : يَارَسُولَ الله ، أَفَلا آخُذُ بِسَيْفِي فَأَضْرِب بِهِ مَنْ فَعَل ذٰلِكَ ؟ قَالَ : « شَارَكْتَ الْقَوْمَ إِذًا . وَلٰكِن ادْخُلْ بَيْتَك » قُلْتُ : يَارَسُولَ الله ! فَإِنْ دُخِلَ بَيْتِي ؟ قَالَ : « إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَبْهَرَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ ، فَأَلْقِ طَرَفَ رِدَائِكَ عَلَى وجْهِكَ فَيَبُوءَ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ ، فَيَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ » .

أقول : في الحديث إشارة إلى الطاعون الذي أصاب جيش الصحابة في الشام ، وفيه إشارة إلى المجاعة التي حدثت في زمن عمر وسمي عامها عام الرمادة ، وفيه إشارة إلى وقعة الحرة . وكل ذلك قد وقع ، ففي الحديث معجزات متعددة وفي الحديث التالي ذكر لبعض ما مر في هذا الحديث .

٩٠٣ - * روى أبو داود عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا ذرٍّ » . قلتُ : لَبَّيْكَ يا رسول الله وسعديك ... فذكر الحديث . كذا قال أبو داود ، ولم يذكر لفظه ، وقال فيه : « كيف أنت إذا أصابَ النَّاسَ موتٌ يكون البيت فيه بالوَصيف؟ » قلتُ : الله ورسوله أعلم - أو قال : ما خارَ اللهُ لي ورسولُه - قال : « عليكَ بالصبر » - أو قال : « تَصَبَّرْ » - ثم قال لي : « يا أبا ذرٍّ » . قلت : لبيك

= (حجارة الزيت) موضع بالمدينة في الحرة سمي بها لسواد الحجارة . كأنها طليت بالزيت ، أي الدم يعلو حجارة الزيت ويسترها لكثرة القتلى وهذا إشارة إلى وقعة الحرّة التي كانت زمن يزيد .

(بمن أنت منه) أي بأهلك وعشيرتك .

(إن خشيت أن يبهرك شعاع السيف) أي إن غلبك ضوء السيف وبريقه ، فغط وجهك حتى يقتلك .

(يبوء) باء بالإثم يبوء : إذا رجع به حاملاً له .

٩٠٣ - أبو داود (٤ / ١٠١) كتاب الفتن ، باب في النهي عن السعي في الفتنة . وهو حديث حسن .

وسعديك . قال : « كيفَ أنتَ إذا رأيتَ أحجارَ الزيت قد غَرِقَتْ بالـدَّم؟ » قلت : ما خار الله لي ورسوله . قال : « عليك بمن أنتَ منه » . قلت : يا رسول الله ، أفلا آخذُ سيفي فأضَعَهُ على عاتقي ؟ قال : « شاركتَ القوم إذًا » . قلت : فما تأمُرُني ؟ قال : « تَلْزَمُ بَيْتَك » . قلت : فإن دُخل عليَّ بيتي ؟ قال : « إن خشيت أن يَبْهَرَكَ شعاعُ السيف ، فألقِ ثوبك على وجهك ، يبوء بإثمِكَ وإثْمِهِ » .

٩٠٤ ـ * روى البخاري عن سعيد بن عَمْرو بنِ سعيدِ بنِ العاص، قال : كنتُ مع مَرْوَانَ وأبي هريرةَ في مسجد النبيِّ ﷺ ، فسمعتُ أبا هريرة يقول : سمعتُ الصادقَ المصدوقَ يقول : « هَلاكُ أُمَّتي على يَدَيْ أُغَيْلِمةٍ من قريش » . فقال مروان : غِلْمَةٌ . قال أبو هريرةَ : إن شئتَ أن أُسَمِّيَهم بني فلانٍ وبني فلان .

وفي رواية[1] : قال عَمرو بنُ يَحيى بن سعيدٍ : أخبرني جَدّي قال : كنتُ جالسًا مع أبي هريرةَ في مسجدِ رسول الله ﷺ بالمدينة ومَعنا مروانُ ، فقال أبو هريرةَ : سمعتُ الصادقَ المصدوقَ يقول : « هَلَكَةُ أُمَّتي على يَدَيْ غِلمةٍ من قُرَيْشٍ » . قال مروانُ : لعنةُ الله عليهم غِلْمةً ؟ فقال أبو هريرة : لو شئتُ أن أقولَ : بنو فلانٍ لَفَعَلْتُ . قال : فكنتُ أخْرُجُ مع جدي سعيد إلى الشام ، حين مَلَكَهُ بنو مروانَ ، فإذا رآهم غِلمانًا أحداثًا ، قال لنا : عسى هؤلاء الذين عَنى أبو هريرةَ ، فقلت : أنتَ أعلمُ .

٩٠٥ ـ * روى الطبراني عن عُمَيرِ بنِ سعيدٍ ، قال : كنا جلوسًا مع ابنِ مسعودٍ ، وأبو موسى عندَه ، وأخذ الوالي رجلا فضَرَبَهُ وحَمَلَهُ على جَمَلٍ . فجعل الناسُ يقولون الجملُ الجملُ . فقال رجلٌ : يا أبا عبدِ الرحمن هذا الجملُ الذي كنا نسمعُ . قال : فأينَ البَارِقَةُ .

---

٩٠٤ ـ البخاري (٦ / ٦١٢) ٦١ ـ كتاب المناقب ، ٢٥ ـ باب علامات النبوة في الإسلام .

(الصادق المصدوق) : هو النبي ﷺ ، صَدق في قوله وما أخبر به ، وَصُدّق فيما جيء به إليه من الوحي .

(أُغَيْلِمة) تصغير : أغلمة في التقدير .

(١) البخاري (١٣ / ٩) ٩٢ ـ كتاب الفتن ، ٣ ـ باب قول النبي ﷺ : « هلاك أمتي على يدي أغيلمة سفهاء » .

٩٠٥ ـ مجمع الزوائد (٧ / ٢٣٧) . وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

أقول :

تشير الرواية إلى أن الصحابة كان عندهم علم عن رسولهم عليه الصلاة والسلام بأن أمراءَ سيستعملون أنواعًا من العقوبات ؛ منها عقوبة التشهير بإركاب المعاقب على جمل والتشهير به . والبارقة : السيوف .

٩٠٦ - * روى الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « في ثَقِيفٍ كذَّابٌ ومُبِيرٌ » .

قال الترمذي : ويقال : الكذاب : المختارُ بنُ أبي عبيد ، والمبير : الحجاجُ بنُ يوسفَ .

٩٠٧ - * روى البخاري عن الزبير بن عدي ، قال : دَخَلْنا على أنس بن مالك فَشَكَوْنا إليه ما نَلْقى من الحَجّاج ، فقال : « اصْبِرُوا ، لا يأتي عليكم زمانٌ إلا الذي بعدَه شَرٌّ منه ، حتى تَلْقَوْا ربَّكم » . سمعتُ هذا من نبيكم .

أقول :

قوله : « حتى تلقوا ربكم » : هل المراد جيل الصحابة أو المراد الأمة الإسلامية بإطلاق ؟ أرجح الأول للحديث الحسن : « أمَّتي كالمطر لا يُدرى أوله خيرٌ أم آخره » .

وقد حمله بعضهم على العموم ، واعتبر ما يحدث من تجديد في القرون ، وما يحدث من انتعاشات وانتصارات للإسلام لا يتنافى مع إطلاق الحديث ، فالحديث لا ينفي أنه لا يوجد خير بعد الزمن الأول ، ولكن الخيرية نسبية فهي تتضاءل بمجموعها في الزمن اللاحق بالنسبة للزمن السابق . وأرجح أن الحديث خاص بجيل الصحابة .

---

٩٠٦ - الترمذي (٤ / ٤٩٩) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٤٤ - باب ما جاء في ثقيف كذاب ومبير . وهو حديث صحيح .

(المبير) : المهلك ، من البوار : الهلاك .

٩٠٧ - البخاري (١٣ / ١٩) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٦ - باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه .

والترمذي (٤ / ٤٩٢) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٣٥ - باب « منه » . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

٩٠٨ ـ * روى أحمد عن الشعبي قال : سمعت عبد الله بن الزبير وهو مستند إلى الكعبة ، وهو يقول : ورب هذه الكعبة لقد لعن رسول الله ﷺ فلانًا وما ولد من صلبه .

أقول :

اللعنة تنصب على الكافرين من أبناء الحكم ، وهذا التخصيص لابد منه ؛ لأن من أسلم من ذرية الحكم لا تنصب عليه اللعنة إلا إذا كان في قلبه نفاق أو عمل أعمالاً يستحق بها اللعنة .

٩٠٩ ـ * روى البزار عن عبدِ الله البَهِيِّ مولى الزبير قال : كنتُ في المسجدِ ومروانُ يَخطُبُ فقالَ عبدُ الرحمنِ بنُ أبي بكرٍ : واللهِ ما استخلفَ [أي رسول الله ﷺ] أحدًا من أهله . فقال مروان : أنت الذي نزلَتْ فيك : ﴿ والذي قال لوالديه أف لكما ﴾[1] . فقال عبدُ الرحمنِ : كَذَبْتَ ولكنَّ رسولَ الله ﷺ لَعَنَ أباك .

٩١٠ ـ * روى أحمد عن عبد الله بن عمرو قال : كنا جلوسا عند النبي ﷺ وقد ذهب عمرو بن العاصي يلبس ثيابه ليلحقني فقال ونحن عنده : « ليدخلن عليكم رجل لعين » . فوالله مازلت وجلا أتشوف خارجًا وداخلا حتى دخل فلان (يعني الحكم) .

وعن أبي هريرة [2] أنّ النبيَّ ﷺ رأى في منامِه كأنّ بني الحكم يَنْزُونَ على مِنْبَرِه

---

٩٠٨ ـ أحمد (٤ / ٥) .

وكشف الأستار (٢ / ٢٤٧) .

والمعجم الكبير (٤ / ٤٨١) .

مجمع الزوائد (٥ / ٢٤١) وقال : رواه أحمد والبزار إلا أنه قال : لقد لعن الله الحكم وما ولد على لسان نبيه ﷺ ، والطبراني بنحوه وعنده رواية كرواية أحمد ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

٩٠٩ ـ كشف الأستار (٢ / ٢٤٧) .

مجمع الزوائد (٥ / ٢٤١) وقال : رواه البزار وإسناده حسن .

(١) الأحقاف : ١٧ .

٩١٠ ـ أحمد (٢ / ١٦٣) .

وكشف الأستار (٢ / ٢٤٧) .

مجمع الزوائد (٥ / ٢٤١) وقال : رواه أحمد والبزار إلا أنه قال : دخل الحكم بن أبي العاصي ، والطبراني في الأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٢) مجمع الزوائد (٥ / ٢٤٣) . وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير مصعب بن عبد الله بن الزبير وهو ثقة .

ويَنزلون ، فَأصبحَ كالْمُتغيِّظِ ، وقـال : « مـالي رأيتُ بني الحَكَمِ يَنْزُونَ على منبري نَزْوَ القِرَدَةِ » . فما رأيته ﷺ مُسْتَجْمِعًا ضَاحِكًا بعدَ ذلك حتى ماتَ :

٩١١ - * روى الترمذي عن هشام بن حسان ، قال : أُحْصِيَ ما قَتَلَ الحجاجُ صَبْرًا ، فَوُجِدَ مائةَ ألفٍ وعشرين ألفًا .

٩١٢ - * روى أحمد عن عمرَ بنِ الخطَّابِ قال : وُلِدَ لأخي أم سلمةَ زوج النبي ﷺ غلامٌ فسَمَّوْه الوليدَ فقال النبي ﷺ : « سميتموه باسم فَراعِنَتِكم لَيَكونَنَّ في هذه الأمة رجل يقال له الوليدُ لهو أشرُّ على هذه الأمةِ من فرعونَ لقومِهِ » .

أقول : لعل المراد بالحديث هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وكان من شأنه أن استغرق باللهو وظهرت عليه أمارات الجبروت ، وقد قتله بنو أمية أخيرًا .

وكان الأوزاعي يحمل هذا الحديث على ما ذكرناه كما أورده ابن حجر في الفتح . وذكر له ابن حجر شاهدًا عن أم سلمة أخرجه إبراهيم الحربي في « غريب الحديث » من رواية محمد ابن إسحق عن محمد بن عمرو عن عطاء عن زينب بنت أم سلمة عن أمها قالت : دخل عليَّ النبي ﷺ وعندي غلام من آل المغيرة اسمه الوليد ، فقال : « من هذا ؟ » قلت : الوليد ، قال : « قد اتخذتم الوليد حنانا ، غيروا اسمه فإنه سيكون في هذه الأمة فرعون يقال له الوليد » (١) .

= (يَنزُونَ) : يُقال نَزَوْتَ على الشيء أنْزُو نَزْوًا ، إذا وَثَبْتَ عليه .
ويقال : نَزَا يَنْزُو نَزْوًا ونَزَاءً ونُزُوًّا وَنَزَوَانًا .

٩١١ - الترمذي (٤ / ٤٩٩) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٤٤ - باب ما جاء في ثقيف .. إلخ . وإسناد الترمذي إلى هشام بن حسان صحيح
(صبرًا) قتلته صَبْرًا : إذا حبسته على القتل ، فكل من قتل في غير حرب ولا اختلاس - كن يضرب عنقه ، أو يُحبَس إلى أن يموت ، أو يصلب ، أو نحو ذلك من هيئات القتل - فهو مقتول صبرًا .

٩١٢ - أحمد (١ / ١٨) .
مجمع الزوائد (٧ / ٣١٣) . وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

(١) انظر فتح الباري (١٠ / ٥٨٠ ، ٥٨١) .

٩١٣ - * روى أحمد عَنْ أَبِي بُرْدَةَ ؛ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ وَفُرْقَةٌ وَاخْتِلافٌ . فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ ، فَأْتِ بِسَيْفِكَ أُحُدا ، فَاضْرِبْهُ حَتَّى يَنْقَطِعَ . ثُمَّ اجْلِسْ فِي بَيْتِكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ يَدٌ خَاطِئَةٌ ، أَوْ مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ » .

فَقَدْ وَقَعَتْ . وفَعَلْتُ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ .

أقول : ما أخبر عنه رسول الله ﷺ قد وقع وشارك بعض الصحابةِ في القتال مجتهدين وبعضهم اعتزل ، وكان ممن اعتزل محمد بن مسلمة ، والسؤال كيف لم يعتزل بقية الصحابة مع وجود مثل هذه الروايات ؟ والجواب أنه بالإمكان حمل مثل هذه الرواية على أنها فتوى خاصة لأُناس مخصوصين .

٩١٤ - * روى البخاري ومسلم عن عبد اللهِ بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول وهو على المِنبر : « ألا إن الفتنةَ هاهنا » يُشيرُ إلى المَشرِقِ . « من حيثُ يطلُعُ قَرْنُ الشيطانِ » وفي رواية قال - وهو مستقبل المشرق - « ها ، إن الفتنة هاهنا » ثلاثاً - وذكره . وفي أخرى [(١)] أنه سمعَ النبيَّ ﷺ - وهو مستقبل المشرق - يقول : « ألا إن الفتنة هاهنا من حيث يطلعُ قرن الشيطان » .

وللبخاري [(٢)] قال : قام النَّبي ﷺ خطيبًا ، فأشار نحو مَسْكَنِ عائشة ، فقال : « هنا الفتنة - ثلاثًا - من حيث يطلع قرن الشيطان » .

وللبخاري [(٣)] بزيادةٍ في أوله : أن النَّبي ﷺ قال . « اللهم بارِكْ لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يَمننا » . قالوا : وفي نَجْدِنا ، قال : « اللهم بارك لنا في شامنا ،

---

٩١٣ - أحمد (٣ / ٤٩٣) .

وابن ماجه (٢ / ١٣١٠) ٣٦ - كتاب الفتن ، ١٠ - باب التثبت في الفتنة . وهو حديث صحيح .

٩١٤ - البخاري (١٣ / ٤٥) ٩٢ - كتاب الفتن ، ١٦ - باب قول النبي ﷺ : « الفتنة من قبل المشرق » .

مسلم (٤ / ٢٢٢٨) ، ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٦ - باب الفتنة من المشرق ...

(١) البخاري (١٣ / ٤٥) ٩٢ - كتاب الفتن ، ١٦ - باب قول النبي ﷺ : « الفتنة من قبل المشرق » .

(٢) البخاري (٦ / ٢١٠) ٥٧ - كتاب فرض الخمس ، ٤ - باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ...

(٣) البخاري (١٣ / ٤٥) ٩٢ - كتاب الفتن ، ١٦ . باب قول النبي ﷺ : « الفتنة من قبل المشرق » .

اللهم بارك لنا في يمننا » . قالوا : وفي نجدنا ؟ قال : « اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا » . قالوا : يا رسول الله ، وفي نجدنا ؟ فأظنه قال في الثالثة : « هنالك الزَّلازِلُ والفتَنُ ، ومنها يطلُعُ قَرنُ الشَّيطانِ » . وقد اختُلف على ابن عَوْنٍ فيه ، فروي عنه مسندًا ، وروي عنه موقوفًا على ابن عمر من قوله .

وله في أخرى [1] قال : رأيتُ النبي ﷺ يشير إلى المشرق ، ويقول : « ألا إن الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان » .

ولمسلم [2] قال : خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشةَ ، فقال : « رأسُ الكُفْرِ من هاهنا ، من حيث يطلع قرن الشيطان » .

وفي أخرى له [3] عن سالم : أنه قال : يا أهل العراق ، ما أسْألَكُمْ عن الصغيرةِ ، وأرْكَبَكم للكبيرةِ !! سمعتُ أبي عبدَ الله بنَ عمرَ يقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إن الفتنةَ تجيء من هاهنا » - وأومأ بيده نحو المشرق - « من حيث يطلُعُ قَرْنُ الشيطان » . وأنتم يَضْرِبُ بعضكم رِقابَ بعضٍ ، وإنما قَتل موسى الذي قَتَلَ من آلِ فرعون خطأً ، فقال الله له : ﴿ وقتلتَ نفسًا فنجّيناك من الغَمِّ وفَتَنَّاك فُتونا ﴾ طه : ٤٠ .

وفي أخرى [4] له أن رسول الله ﷺ قام عند بابِ حفصةَ - وقال بعض الرواة : عند بابِ عائشةَ - فقال بيده ، نحو المشرق : « الفتنة هاهنا ، من حيث يطلع قرن الشيطان » - قالها مرتين أو ثلاثًا .

٩١٥ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « رأسُ الكُفْرِ نَحْوَ المَشرقِ ، والفخرُ والْخُيَلاءُ في أهلِ الخيلِ والإبلِ : الفَدّادينَ

(١) البخاري (٦ / ٣٣٦) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١١ - باب صفة إبليس ، وجنوده .

(٢) مسلم (٤ / ٢٢٢٩) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٦ - باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان .

(٣) مسلم : الموضع السابق .

(٤) مسلم : الموضع السابق .

٩١٥ - البخاري (٦ / ٣٥٠) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١٥ - باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال .

مسلم (١ / ٧٢) ١ - كتاب الإيمان ، ٢١- باب تفاضل أهل الإيمان .

=

أهْلِ الوبَرِ ، والسكينةُ في أهل الغَنم » .

ولمسلم (١) أنه قال : « الإيمانُ يمانٍ ، والكفرُ قِبَلَ المشرق ، والسكينةُ في أهل الغنم ، والفخرُ والرياءُ في الفدّادين أهلِ الخيل والوبر » .

٩١٦ - * روى البخاري عن أبي مسعودٍ البَدْري رضي الله عنه ، يبلُغُ به النبي ﷺ قال : « من هاهنا جاءتِ الفِتَنُ نحو المَشرقِ ، والجَفاءُ والقَسْوَةُ وغِلَظُ القلوبِ في الفَدّادينَ ، أهلِ الوبَر عند أصولِ أذناب الإبل والبقر ، في ربيعةَ ومُضَرَ » .

أقول : في النصوص التي مرت آنفًا ذكر المشرق بإطلاق ، وذكرت نجد والعراق : إن كان المراد بنجد نجدًا المعروفة ففي النص إشارة إلى مسيلمة الكذاب وفتنة القرامطة وأمثال ذلك ، وأما العراق فقد ظهرت فيها الخارجية وفتنة الحجاج ، وعلى كل الأحوال ففي النصوص معجزة وقعت .

تعقيب : لقد كثرت الأحاديث التي تتحدث عما سيكون بعده عليه الصلاة والسلام في جيل الصحابة ، وعن مرحلة الخلافة الراشدة والأموية ، فإنك تجد مئات المعجزات أخبر رسول الله ﷺ أنها كائنة ووقعت .

ولقد مرّ معنا في هذا القسم الكثير منها أثناء الكلام عن الفرق والفتن خاصة فتنة الخوارج ، أما القسم الأكبر منها فقد مرّ معنا في قسم السيرة النبوية أثناء الكلام عن النبوءات وعن تراجم الأزواج والآل والخلفاء الراشدين وبعض الصحابة مما يعتبر كله جزءًا من هذه الفقرة ، فليراجع . ولو أن ذلك كله جُمع في رسالة مفردة لكان ما فيها كافيًا للتدليل على رسالته عليه الصلاة والسلام ، فكيف وأعلام رسالته أكثر من أن يحاط بها .

* * *

= والموطأ (٢ / ٩٧٠) ٥٤ - كتاب الاستئذان ، ٦ - باب ما جاء في أمر الغنم .

(١) مسلم (١ / ٧٢) ١ - كتاب الإيمان ، ٢١ - باب تفاضل أهل الإيمان .

٩١٦ - البخاري (٦ / ٥٢٦) ٦١ - كتاب المناقب ، ١ - باب قول الله تعالى : ﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾.

(الجفاء) : الغلظة والقسوة والصلابة .

الفقرة الخامسة

حـديث جامـع

٩١٧ - * روى البخـاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنـه أنّ رسولَ الله ﷺ قـال : « لا تقوم الساعةُ حتى يَقْتَتِلَ فِئتانِ عَظيمتانِ ، يكون بينهما مَقْتَلةٌ عظيمـةٌ دعواهمـا واحـدةٌ ، وحتى يُبْعَثَ دجّـالُون كـذّابـون ، قريبٌ من ثـلاثين ، كلُّهم يـزعُمُ أنّـه رسـولُ الله ، وحتى يُقْبَضَ العلمُ ، وتَكثُرَ الـزلازلُ ، ويتَقـاربَ الـزمـانُ ، وتَظْهَرَ الفِتَنُ ، ويَكْثُرَ الهَرْجُ » - وهـو القَتْـلُ القَتْـلُ - « وحتى يَكْثُرَ فيكمُ المـالُ فَيفيضَ حتى يُهِمَّ ربَّ المـالِ مَن يَقْبَلُ صَـدقَتَـهُ ، وحتى يَعْرِضَـهُ ، فيقولَ الـذي عَرَضَـه عليـه : لا أَرَبَ لي فيـــه ، وحتى يَتَطَـــاولَ النـــاسُ في البُنْيَـــانِ ، وحتى يَمُرَّ الرجـــلُ بقبرِالرجلِ ، فيقولَ : يـا ليتني مَكَـانَـهُ . وحتى تَطلُـعَ الشمسُ من مَغرِبهـا ، فـإذا طَلَعَتْ ورآها الناسُ آمنوا أجمعون ، فذلك حينَ لا ينفعُ نَفسًا إيمانُها لم تكنْ آمنتْ من قَبلُ ، أوكَسَبَتْ في إيمـانهـا خيرًا ، وَلَتَقُومَنَّ السـاعـةُ وقـد نَشَرَ الرجلان ثوبَهما بينهما ، فلا يَتبايَعانهِ ، ولا يَطويانه ، ولَتقُومَنَّ الساعـةُ وقـد انصرفَ الرجلُ بلَبَنِ لِقْحَتِـهِ ، فلا يَطْعَمُـهُ ، ولتقومنَّ السـاعـةُ وهو يَليـطُ حـوضَـهُ فـلا يَسقي فيـه ، ولتقومَنَّ الساعةُ وقد رَفَعَ أُكْلَتَهُ إلى فيه ، فلا يَطْعَمُها » .

ولمسلم [(١)] في رواية : أن رسولَ الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعةُ حتى يَخرجَ قريبٌ من ثلاثين كذّابين دجّالين ، كلُّهم يقول : إنـه نبيٌّ . ولا تقوم السـاعـةُ حتى تطلُعَ الشمس من مغربها ، ويؤمن الناس أجمعون ، فيومئذ لا ينفع نفْسًا إيمـانُهـا لم تكنْ آمنتْ من قَبلُ أو كَسَبتْ في إيمانها خيرًا ، ولا تقوم الساعةُ حتى تقـاتلوا اليهودَ ، فيفرُّ اليهوديُّ وراءَ الحجرِ ، فيقولُ : يا عبدَ الله ، يا مسلم ، هذا يهوديٌّ ورائي .

---

٩١٧ - البخاري (٦ / ٦١٦) ٦١ - كتاب المناقب . ٢٥ - باب علامات النبوة .

مسلم (٤ / ٢٢١٤) ٥٢ - كتاب الفتن ، ٤ - باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٤٠) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ...

(يليطه) : لاط حوضَه يليطه ويلوطه لَيْطًا ولوْطًا : إذا لطخه بالطين وأصلحه به .

(أكلته) : الأكْلة بضم الهمزة : اللقمة .

ولا تقومُ الساعةُ حتى تقاتلوا قومًا نِعَالهم الشَّعَرُ » .

وله [1] في أخرى قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا تقوم الساعةُ حتى يكثُرَ فيكم المالُ ويَفيضَ ، وحتى يَخْرُجَ الرجل بزكاةِ ماله ، فلا يجدُ أحدًا يَقْبَلُها منه ، وحتى تعودَ أرضُ العربِ مُرُوجًا وأنهارًا » .

وفي أخرى [2] قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حتى يَكْثُرَ فيكم المالُ ويَفيضَ ، حتى يُهِمَّ ربَّ المال مَنْ يَقْبَلُهُ منه صدقةً ، ويدعو إليه الرجلَ ، فيقول : لا أَرَبَ لي فيه » .

أقول : في الحديث معجزات كثيرة ففيه شيء رأته الأمة وفيه شيء نراه الآن . ومما نرى بداياته الآن : قوله عليه الصلاة والسلام : « وحتى تعود بلاد العرب مروجًا وأنهارًا » .

فنحن الآن نشهد بدايات ذلك .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « حتى تعود » إشارة إلى أنها كانت كذلك ، وهذا الذي تدل عليه الدراسات الحديثة كما يدل عليه وجود البترول . ففي هذه العبارة وحدها معجزتان من معجزاته ، وعصرنا يشهد كثرة الزلازل ، وشهد الحربين العالميتين ، ولا زال يشهد كثرة القتل ، كما يشهد عصرنا تطاول الناس في البنيان بأكثر مما شهده أي عصر سابق .

* * *

---

(١) مسلم (٢ / ٧٠١) ١٢ ـ كتاب الزكاة ، ١٨ ـ باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها .

(٢) مسلم : الموضع السابق .

الفقرة السادسة

في :

فتح القسطنطينية الأول

٩١٨ - * روى الدارمي عن عبدِ اللهِ بنِ عمروِ بنِ العاص قال : بينما نحن عند النبي ﷺ نكتب ، إذْ سُئِلَ : أي المدينتين تُفْتَحُ أولاً : قسطنطينيةَ أو روميةَ ؟ فقال : « لا بل مدينةُ هِرَقْلَ أولاً » .

أقول : في هذا الحديث بشارتان : بشارة بفتح القسطنطينية وبشارة بفتح روما ، وقد فتحنا القسطنطينية ولم نفتح روما . وفي ذلك مايعطينا أنه لا زال بيننا وبين الساعة أمدٌ نسبيًا . فهناك أمور أخبرنا رسول الله ﷺ عن حدوثها قبل قيام الساعة لم تقع بعد ، من جملتها : ظهور الإسلام على العالم كله تحقيقًا لقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث :

٩١٩ - * روى أحمد عن المقداد بن الأسود يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمةَ الإسلامِ بعزِّ عزيزٍ أو ذلِّ ذليلٍ إما يُعزُّهم الله عز وجل فيجعلهم من أهلها أو يُذِلُّهم فيَدِينون لها » .

وفي رواية لأحمد أيضًا [١] : عن تميم الداري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليبلغن هذا الأمر مابلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبرٍ إلا أدخله الله هذا الدين بعِزِّ عزيز أو بذُلِّ ذليل عِزًّا يُعِزُّ الله به الإسلامَ وَذُلًا يُذِلُّ الله به الكُفْرَ » . وكان تميم الداري يقولُ : قد عرفت ذلك في أهل بيتي ؛ لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعزّ ، ولقد أصاب من كان منهم كافرًا الذُلّ والصغار والجزية .

فهذا الحديث يشير إلى أنّ هذا الظهور يكون قبل نزول المسيح عليه السلام ؛ لأن

---

٩١٨ - الدارمي (١ / ١٢٦) المقدمة ، ٤٢ - باب من رخص في كتابة العلم . وهو حديث صحيح .

٩١٩ - أحمد (٦ / ٤) . وهو حديث صحيح .

(١) أحمد (٤ / ١٠٣) .

المسيح لا يقبل الجزية ، وفي الحديث إشارة إلى الجزية ، وسنرى أن هناك نصوصًا تتحدث عن فتح آخر للقسطنطينية يكون بين يدي ظهور الدجال مباشرة ، وأنّ القائمين بذلك من غير العرب ، وسنرى نصوصًا تتحدث عن أنّ العرب يوم ظهور الدجال يكونون قليلين ، وأن الخلافة الإسلامية حين ظهور المسيح الدجال ونزول عيسى بن مريم تكون بالقدس ، والقول المشهور عند العلماء إن المهدي عليه السلام يكون في زمن عيسى عليه السلام ، وكل ذلك يشير إلى أن بيننا وبين علامات الساعة الكبرى أمدًا نسبيًا . والله أعلم .

كما أن هذه النصوص فيها إشارات ضِمنية من جملة إشاراتٍ كثيرة نجدها متفرقة في النصوص ، تدل على أن اليهود الذين وفدوا إلى فلسطين وقامت لهم دولة في عصرنا ليسوا هم اليهود الذين يقاتلهم المسلمون عند نزول المسيح عليه السلام ، إنما هم الذين يفدون مع المسيح الدجال . فعاصمة الخلافة وقت ذاك تكون القدس ، وقبل ذلك ستكون دولة إسلامية عالمية ، وكل ذلك يتنافى مع بقاء السلطان الحالي لليهود في فلسطين .

* * *

الفقرة السابعة

في :

قتال التتار والمغول والأتراك قبل إسلامهم

٩٢٠ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ ، أنَّ النبيَّ ﷺ قَـالَ : « لاَ تَقومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعالُهم الشَّعَرُ ، وَلا تَقومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا كَأَنَّ وُجوهَهُم المجَانُّ المُطْرَقَةُ » .

قَالَ سُفْيَانُ : زَادَ فِيْهِ فِي رِوَايَةٍ[١] : « صِغَارَ الأَعْيُنِ ، ذُلْفَ الأُنُوفِ ، كَأَنَّ وجوهَهُم المَجَانُّ المُطْرَقَةُ » .

وفي رواية قال :[٢] قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « تُقَاتِلُونَ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ قَوْمًا نعَالُهُمُ الشَّعَرُ ، كَأَنَّ وُجُوهَهُم المَجَانُّ المطْرَقَةُ ، حُمْرُ الوجُوهِ ، صِغَارُ الأَعْيُنِ » .

وللبخاري [٣] عن قيسِ بنِ أبي حازمٍ قال : أتينا أبا هريرة ، فقـال : صحبتُ رسولَ الله ﷺ ثلاثَ سنينَ ، لم أكنْ في سِنِّي أحرصَ على أن أعِيَ الحديثَ مِنِّي فيهنَّ ، سمعتُه يقول ـ وقال هكـذا بيـده ـ : « بين يـدي السـاعـةِ تقـاتلون قومـاً نعـالهم الشعر ، وهو هـذا البارزُ » . قال سفيانُ مرة : وهم أهلُ البارزِ ، ويعني بـأهل البـازر أهلَ فـارس ، كـذا هو بلغتهم .

وللبخـاري أيضـاً [٤] : وزاد في آخره « وتجـدون خيرَ النـاس أشدَّهم كراهيـةً لهـذا الأمر ، حتى يقعَ فيه ، والناسُ معادنُ ، خِيارُهم في الجاهلية خِيارُهم في الإسلام ،

---

٩٢٠ ـ البخاري (٦ / ١٠٤) ٥٦ ـ كتاب الجهاد ، ٩٦ ـ باب قتال الذين ينتعلون الشعر .

مسلم (٤ / ٢٢٣٣) ٥٢ ـ كتاب الفتن ، ١٨ ـ باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل .. إلخ .

(١) البخاري : الموضع السابق .

(٢) مسلم (٤ / ٢٢٣٤) : الموضع السابق .

(٣) البخاري (٦ / ٦٠٤) ٦١ ـ كتاب المناقب ، ٢٥ ـ باب علامات النبوة في الإسلام .

(والبازر سوق الفسوق الذي لهم) .

(٤) البخاري : الموضع السابق . .

إذا فَقُهوا ، ولَيأتِيَنَّ على أحدِكم زمانٌ لأنْ يراني أحبُّ إليه من أن يكون لـه مثلَ أهلِه ومالِه » .

وله أيضًا (١) : قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا تقومُ السـاعةُ حتى تقـاتلوا خُوزاً وكِرْمـانَ من الأعـاجم ، حُمْرَ الوجوه ، فُطْسَ الأنوفِ ، صِغـارَ الأعين ، وجوهُهم المَجَانُّ المطرقة ، نعالهم الشعر » .

ولمسلم (٢) : أنَّ رسـول الله ﷺ قـال : « لا تقـوم السـاعـة حتى يقـاتِـلَ المسلمـون التُّرْكَ ، قومًا وجوههم كَالمجانّ المطرَقة ، يَلْبَسون الشعر ، ويمشون في الشعر » .

أقـول : المراد من الترك هنـا : مـاهـو أعم من الشعب التركي بـدليـل الأوصـاف ، فكأن المراد : الترك ومن وراءهم من المغول والتتـار الـذين تنطبـق عليهم الأوصـاف التي وردت في الحديث .

٩٢١ ـ * روى البخاري عن عَمْرو بن تَغلِبَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال : قَـالَ رسول الله ﷺ : « إنَّ مِنْ أَشْراطِ السَّاعَةِ : أنْ تُقَاتِلُوا قَوْمًـا يَنْتَعِلُون نِعَـالَ الشَّعَرِ ، وَإِنَّ من أَشْرَاطِ السَّاعِةِ : أَن تُقَاتِلُوا قَوْمًا عِرَاضَ الوجُوهِ ، كَأَنَّ وُجُوهَهُم المَجَانُّ المطرَقَةُ » .

قال في الفتح : قوله (ينتعلون نعال الشعر) ... [الظاهر من الحديث] :

أن الـذين ينتعلون الشعر غير الترك . وقـد وقـع لـلإسماعيلي من طريـق محمد بن عبـاد

---

(١)البخاري : الموضع السابق .

(٢)مسلم (٤ / ٢٢٣٣) : الموضع السابق .

(المجانّ المطرقة) : المجـانّ جمع مجنّ ، وهو الترس . والمطرقـة ، بـإسكان الطـاء وتخفيف الراء ، من أطرق . هـذا هو الفصيح المشهور في الروايـة وفي كتب اللغـة والغريب . وحكي فتح الطـاء وتشـديـد الراء ، من طَرّق ، والمعروف الأول .

قال العلماء : هي التي ألبست العقب وأطرقت به طاقة فوق طاقة . قـالوا : ومعنـاه تشبيـه وجوه الترك في عرضهـا وتلوّن وجناتها بالترسة المطرقة .

(ذلف الأنوف) : جمع أذلف ، كأحمر . ومعنـاه فطس الأنوف ، قصـارهـا مع انبطـاح . وقيل : هو غلـظ في أرنبـة الأنف . وقيل : تطامن فيها . وكله متقارب .

(يلبسـون الشعر ويمشون في الشعر) : معناه ينتعلون الشعر . كما صرح به في الرواية الأخرى : نعالهم الشعر .

٩٢١ ـ البخاري (٦ / ١٠٣ ، ١٠٤) ٥٦ ـ كتاب الجهاد ، ٩٥ ـ باب قتال الترك .

قال : بلغني أن أصحاب بابك كانت نعالهم الشعر . قلت [أي ابن حجر] : بابك بموحدتين مفتوحتين وآخره كاف يقال له الخُرَّمي بضم المعجمة وتشديد الراء المفتوحة ، وكان من طائفة من الزنادقة استباحوا المحرمات ، وقامت لهم شوكة كبيرة في أيام المأمون ، وغلبوا على كثير من بلاد العجم كطبرستان والري ، إلى أن قتل بابك المذكور في أيام المعتصم ، وكان خروجه في سنة إحدى ومائتين أو قبلها ، وقتله في سنة اثنتين وعشرين » .ا . هـ ابن حجر .

أقول : لقد قاتل المسلمون زنادقة انطلقوا من بلاد فارس ، وقاتلوا قبائل انطلقوا من أرض الترك ، وقاتلوا الأتراك قبل دخولهم في الإسلام ، وقاتلوا قبائل انطلقوا مِمّا وراء بلاد الترك كالمغول والتتار ، وفي أحاديث هذه الفقرة مايشير إلى ذلك كلّه ، وذلك من معجزاته عليه الصلاة والسلام .

٩٢٢ - * روى أحمد عن بريدة قال : كنت جالسًا عند النبي ﷺ فسمعت النبي ﷺ يقول : « إن أمتي يسوقُها قومٌ عِراض الوجوه صِغار الأعين كأن وجوهَهم الحَجَفُ ثلاث مرات حتى يُلْحِقوهم بجزيرة العَرب ؛ أما السائقةُ الأولى فينجو مَنْ هَرَبَ منهم ، وأما الثانية فينجو بعضٌ ويَهْلِكُ بعضٌ ، وأما الثالثةُ فَيَصْطَلِمون من بقي منهم » . قالوا : يارسول الله من هم ؟ قال : « الترك ، أما والذي نفسي بيده لَيَرْبُطُنَّ خيولَهم إلى سَواري مساجد المسلمين » . قال : وكان بريدةُ لا يُفارِقُه بعيران أو ثلاثةٌ ومتاعُ السفر والأسقيةُ ، يُعِدّ ذلك للهربِ مما سمع من النبي ﷺ من البلاء من الترك .

أقول : هذا الحديث أشبه بأن يكون محمولاً على قتال التتار والمغول ، والظاهر أن كلمة الترك تطلق في النصوص بأوسع مما هو متعارف عليه الآن في تعريف الأتراك ، ولذلك حمل

---

٩٢٢ - أحمد (٥ / ٣٤٨) .

وكشف الأستار (٤ / ١٢٨) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣١١) وقال : رواه أحمد والبزار باختصار ورجاله رجال الصحيح .

(الحَجَفُ) : بمعنى الترس .

(يَصْطَلِمُونَ) : يقطعون .

شرّاح السنّة بعض الروايات المذكورة في هذه الفقرة على المأساة التي وقعت للمسلمين على يدي المغول والتتار .

قال في عون المعبود شرح سنن أبي داود (المجلد الرابع) :

قال النووي : معناه ينتعلون الشعر كما صرح به في الرواية الأخرى نعالهم الشعر ، وقد وجدوا في زماننا هٰكذا ـ انتهى . قلت : رواية مسلم بلفظ يلبسون الشعر ويمشون في الشعر تدل دلالة واضحة على أنه يكون لباسهم أيضًا من الشعر ، كما أن نعالهم تكون من الشعر ، وهو الظاهر لما في بلادهم من ثلج عظيم لا يكون في غيرها على ماقال ابن دحية وغيره .

فقد قال القرطبي في التذكرة : والحديث الأول ، أي حديث أحمد على خروجهم وقتالهم المسلمين وقتلهم ، وقد وقع ذلك على نحو ماأخبر ﷺ ، فخرج منهم في هذا الوقت أمم لا يُحصيهم إلا الله ولا يردهم عن المسلمين إلا الله حتى كأنهم يأجوج ومأجوج ، فخرج منهم في جمادى الأولى سنة سبع عشرة وست مائة جيش من الترك يقال له الططر [أي التتر] عظم في قتله الخطب والخطر ، وقُضِي له في قتل النفوس المؤمنة الوَطَر ، فقتلوا ماوراء النهر وما دونه من جميع بلاد خراسان ومحوا رسوم ملك بني ساسان ، وخربوا مدينة نشاور [أي بشاور] وأطلقوا فيها النيران ، وحاد عنهم من أهل خوارزم كل إنسان ولم يبق منهم إلا من اختبى في المغارات والكهفان ، حتى وصلوا إليها وقتلوا وسبوا وخربوا البنيان وأطلقوا الماء على المدينة من نهر جيحان ، فغرق منها مباني الدار والأركان ثم وصلوا إلى بلاد نهشان ، فخربوا مدينة الري وقزوين .ومدينة أردبيل ومدينة مراغة كرسي بلاد أذربيجان وغير ذلك ، واستأصلوا ساقة من هٰذه البلاد من العلماء والأعيان واستباحوا قتل النساء وذبح الولدان ، ثم وصلوا إلى العراق الثاني وأعظم مدنه مدينة أصبهان وَدُورٌ سورها أربعون ألف ذراع في غاية الارتفاع والإتقان ، وأهلها مشتغلون بعلم الحديث فحفظهم الله بهذا الشأن وأنزل عليهم موادّ التأييد والإحسان فتلقوهم بصدور هي في الحقيقة صدور الشجعان ، وحققوا الخبر بأنها بلد الفرسان واجتمع فيها مائة ألف إنسان وأبرز الططر [أي التتار] القتل في مضاجعهم وساقهم القدر المحتوم إلى مصارعهم ، فمرقوا عن أصبهان مروق السهم من الرمي ففروا منهم فرار الشيطان في يوم بدر وله حصاص ورأوا أنهم إن وقفوا لم يكن لهم

من الهلاك خلاص ، ووصلوا السير بالسير إلى أن صعدوا جبل أربد فقتلوا جميع من فيه من صلحاء المسلمين وخربوا ما فيه من الجنات والبساتين ، وكانت استطالتهم على ثلثي بلاد المشرق الأعلى وقتلوا من الخلائق ما لا يحصى وقتلوا في العراق الثاني عدةً يبعد أن تحصى ، وربطوا خيولهم إلى سواري المساجد والجوامع كما جاء في الحديث المنذر بخروجهم - إلى أن قال - : وقطعوا السبيل وأخافوها وجاسوا خلال الديار وطافوها ، وملأوا قلوب المسلمين رعبا وسحبوا ذيل الغلبة على تلك البلاد سحبا ، ولا شك أنهم هم المنذر بهم في الحديث وأن لهم ثلاث خرجات يصطلمون في الأخيرة منها . قال القرطبي : فقد كملت بحمد الله خرجاتهم ولم يبق قتلتهم وقتالهم فخرجوا عن العراق الثاني والأول كما ذكرنا ، وخرجوا من هذا الوقت على العراق الثالث بغداد وما اتصل بها من البلاد وقتلوا جميع من فيها من الملوك والعلماء والفضلاء والعباد ، واستباحوا جميع من فيها من المسلمين وعبروا الفلاة إلى حلب وقتلوا جميع من فيها وخربوا إلى أن تركوها خالية ، ثم أوغلوا إلى أن ملكوا جميع الشام في مدة يسيرة من الأيام وفلقوا بسيوفهم الرؤس والهام ، ودخل رعبهم الديار المصرية ولم يبق إلا اللحوق بالديار الأخروية فخرج إليهم من مصر الملك المظفر الملقب بظفر رضي الله عنه بجميع من معه من العساكر وقد بلغت القلوب الحناجر ، إلى أن التقى بهم بعين جالوت فكأن له عليهم من النصر والظفر كما كان لطالوت ، فقتل منهم جمع كثير وعدد غزير وارتحلوا عن الشام من ساعتهم ورجع جميعه كما كان للإسلام وعدوا الفرات منهزمين ورأوا ما لم يشاهدوه منذ زمان ولا حيْنٍ ، وراحوا خائبين وخاسئين مدحورين أذلاء صاغرين .. انتهى كلام القرطبي باختصار . وقال الإمام ابن الأثير في الكامل : حادثة التتار من الحوادث العظمى والمصائب الكبرى التي عقمت الدهور عن مثلها ، عمّت الخلائق وخصت المسلمين فلو قال قائل : (إن العالم منذ خلقه الله تعالى إلى الآن لم يبتلوا بمثلها) لكان صادقا فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها .. انتهى . وقال الذهبي : وكانت بلية لم يصب الإسلام بمثلها .. انتهى .

قال النووي في شرح مسلم : وهذه كلها معجزات لرسول الله ﷺ ، فقد وجد قتال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها ﷺ ، فوجدوا بهذه الصفات كلها في زماننا وقاتلهم المسلمون مرات ، وقتالهم الآن ونسأل الله الكريم إحسان العاقبة للمسلمين انتهى مختصرًا . اهـ.

نقلاً عن (عون المعبود) .

فائدة : يلاحظ أن النصوص التي تتحدث عن خوز وكرمان وعن الترك ، تتحدث عن أقوام لهم صفات واحدة وهي الصفات التي تنطبق على المغول والتتار ، وذلك أنه جرت العادة أن يطلق اسم الترك على الشعوب التي تقطن وراء جبال القفقاس ، وقد قاتل المسلمون بعض هذه الشعوب على أرضها ، وأسلمت بعض هذه الشعوب ، وبعض هذه الشعوب هربت أمام موجات التتار والمغول وهي مسلمة ، فجاءت إلى الشرق كبني عثمان ، والظاهر أن النصوص التي تصف الأقوام الغازية بأنهم من خوز وكرمان وترك إنما تريد التتار والمغول ، بل إن ابن كثير يذهب في كتابه « النهاية » إلى أن يأجوج ومأجوج هم من الترك كما سنرى ، وذلك كما قلنا أخْذٌ من الاصطلاح الذي أشرنا إليه ، وينقل ابن كثير في مقطع من كتابه « النهاية » ثلاثة نصوص ، نصًا يتحدث عن قتال الترك ويصفهم ، ونصًا يتحدث عن خوز وكرمان ويصفهم ، ونصًا مطلقًا يذكر بعض الأوصاف ، ثم يعلق على ذلك بما يفيد أن هؤلاء جميعًا هم الترك .

وأقول : إن المراد بالترك هنا عندهم هم أهل منطقة ماوراء جبال القفقاس مع أن وراء هذه المنطقة شعوبًا متعددة ، والذين تنطبق عليهم الأوصاف التي وردت في الأحاديث هم المغول والتتار وهم الذين فعلوا بالمسلمين الأفاعيل ، بينما نجد شعوبًا أخرى ممن يطلق عليهم اسم الترك دخلوا في الإسلام وحملوه . صحيح أن المسلمين قاتلوا ابتداء هذه الشعوب ، لكن لم يدم ذلك طويلاً ، وعلى ضوء ماقلناه ، فلنفهم هذه الصفحة من كلام ابن كثير في « النهاية » ومرادنا من نقلها لنثبت ماذكرنا آنفًا .

قال ابن كثير في النهاية : عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزًا وكرمان من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر» أخرجه الجماعة سوى النسائي .

عن أبي هريرة فذكر نحوه . قال سفيان بن عيينة : وهم أهل البارز ـ كذا يقول سفيان ـ ولعل البارز هو سوق الفسوق الذي لهم . وقال أحمد : حدثنا عفان حدثنا جرير بن حازم سمعت الحسن حدثنا عمرو بن ثعلب سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قومًا عراض الوجوه كأن وجوههم المجان المطرقة » . ورواه البخاري من حديث جرير بن حازم ، والمقصود أن الترك قاتلهم الصحابة فهزموهم وغنموهم وسبوا نساءهم وأبناءهم ، وظاهر هذا الحديث يقتضي أن يكون هذا من أشراط الساعة ، فإن كانت أشراط الساعة لا تكون إلا بين يديها قريبا ، فقد يكون هذا أيضا واقعا مرة أخرى عظيمة بين المسلمين وبين الترك حتى يكون آخر ذلك خروج يأجوج ومأجوج كما سيأتي ذكر أمرهم ، وإن كانت أشراط الساعة أعم من أن تكون بين يديها قريبًا منها ، فإنها تكون مما يقع في الجملة ولو تقدم قبلها بدهر طويل إلا أنه مما وقع بعد زمن النبي ﷺ ، وهذا هو الذي يظهر بعد تأمل الأحاديث الواردة في هذا الباب) . ا . هـ (النهاية في الفتن والملاحم) .

* * *

الفقرة الثامنة

في :

تمزقات الأمة الإسلامية وصراعاتها

٩٢٣ - * روى الترمذي عن خَبَّاب بن الأَرَتّ رضي الله عنه قال : صلَّى بنا رسولُ الله ﷺ صلاةً فأطالَها ، فقالوا : يارسول الله ، صلَّيْتَ صلاةً لم تكن تُصلِّيها ؟ قال : « أجلْ ؛ إنها صلاةُ رَغْبَةٍ ورَهبَةٍ ، إني سألت الله فيها ثلاثًا ، فأعطاني اثنتين ، ومنعني واحدةً ، سألتُه أنه لا يُهلك أمتي بِسَنَةٍ ، فأعطانيها ، وسألتُه أن لا يُسَلِّط عليهم عدوًّا من غيرهم ، فأعطانيها ، وسألته أن لا يذيق بعضهم بأْسَ بعض ، فمنعنيها » .

وفي رواية النسائي [(١)] : أن خبابًا رَقَب رسول الله ﷺ في ليلة صلاَّها ، فلما فَرَغَ من صلاته جاءه خبابٌ ، فقال : يارسول الله ، بأبي أنت وأمي ، لقد صلَّيتَ الليلةَ صلاةً ما رأيتُك صلَّيتَ نحوها ؟ قال رسول الله ﷺ : « أجل ؛ إنها صلاةُ رَغَبٍ ورَهَب ، سألتُ ربي عز وجل ثلاثَ خِصَال ، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدةً ، سألتُ ربي : أن لا يُهلِكَنا بما أَهلَكَ به الأُمَمَ ، فأعطانيها ، وسألتُ ربي : أن لا يظهر علينا عدوًّا من غيرنا ، فأعطانيها ، وسألت ربي أن لا يَلبسَنا شِيَعًا ، فمَنَعَنِيها » .

أقول : لقد بدأ الصراع بين المسلمين منذ الفتنة الكبرى التي وقعت زمن عثمان رضي الله عنه وأدّت إلى قتله ، ومن يومها حتّى يومنا لم تهدأ الصراعات بين المسلمين ، وفي عصرنا نجد

---

٩٢٣ - الترمذي (٤ / ٤٧١) ٣٤ - كتاب الفتن ، ١٤ - باب ما جاء في سؤال النبي ﷺ ثلاثًا في أمته .

وقال : حديث حسن صحيح ، قال محقق الجامع : وهو كما قال .

(١) النسائي (٣ / ٢١٦) ٢٠ - كتاب قيام الليل وتطوع النهار ، ١٦ - باب إحياء الليل .

(رغبة) : الرَّغَب : الرغْبَة ، وهو حبُّ الشيء وإيثاره .

(والرَّهَب) : الرهبة ، وهو الخوف .

(يلبسنا) : أي يختلط أمرنا خلط اضطراب واختلاف أهواء .

(شِيَعًا) : الشيع : الفرق جمع شيعة .

ذلك على أشدّه ، فما ذكرته نصوص هذه الفقرة من أعلام نبوّته عليه الصلاة والسلام .

٩٢٤ ـ * روى الطبراني عن نافعِ بنِ خالدٍ الخزاعيّ عن أبيه قال : كان رسولُ الله ﷺ إذا صلى والناسَ حوله صلى صلاةً خفيفةً تامةَ الركوعِ والسجودِ ، فجلسَ يومًا فأطالَ السجودَ حتى أومأ بعضنا إلى بعض أن اسكُتوا فإن رَسول الله ﷺ يوحى إليه . فلما فَرَغَ قال بعضُ القوم : يارسولَ الله أطلتَ الجلوسَ حتى أوما بعضنا إلى بعض أنّهُ يُنْزَلُ عليك . قال : « لا ، ولكنها صلاةُ رغبةٍ ورَهْبةٍ سألتُ اللهَ فيها ثلاثًا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة ؛ سألته أن لا يُعَذِّبَكم بعذابٍ عَذّبَ به من كان قبلكم ، وسألته أن لا يُسلِّطَ على عامتِكم عدوا يَستبيحُها فأعطانيها ، وسألته أن لا يَلْبِسَكُم شيعًا ويُذيقَ بعضَكم بأسَ بعضٍ فمنعنيها » . قلتُ له : أبوك سَمِعَها من رسولِ الله ﷺ . قال : نعم ، سمعته يقول إنه سمعها من رسول الله ﷺ عدد أصابعي هذه العشرِ الأصابع .

٩٢٥ ـ * روى مسلم عن عامر بن سعد أبي وقاص رحمه الله عن أبيه ، أنه أَقْبلَ مع النبيّ ﷺ ذاتَ يومٍ من العَاليةِ ، حتى إذا مرَّ بمسجدِ بني معاويةَ دَخَلَ فركعَ فيه رَكْعتين ، وصلَّيْنا معه ، ودعا ربَّه طويلاً ، ثم انصرفَ إلينا ، فقال : « سألتُ ربي ثلاثًا ، فأعطاني اثنتين ، ومنعني واحدةً ، سألتُ ربي أن لا يُهلكَ أمتي بالسَّنة فأعْطانيها ، وسألته أن لا يُهلكَ أمتي بالغرَق فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل بأْسَهم بينهم ، فمَنَعَنيها » .

أقول : الغرق الجزئي لأجزاء في الأرض الإسلامية لا يدخل في الحديث ، وكذلك المجاعة الجزئية فالمنفي هو استئصال الأمة الإسلامية كلها بغرق أو مجاعة أو غير ذلك ، وكذلك التسليط على الأمة الإسلاميّة من غيرها لا يكون شاملاً ، أمّا التسليط الجزئي فغير منفي في النصوص ، ولو أنك تأمّلت أشدّ مراحل الضعف التي مرّت بها الأمة الإسلامية

---

٩٢٤ ـ المعجم (٤ / ١٩٣) .

وكشف الأستار (٤ / ٩٩) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٢ ، ٢٢٣) . وقال : رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح غير نافع بن خالد وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه أحد ورواه البزار .

٩٢٥ ـ مسلم (٤ / ٢٢١٦) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٦ ـ باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة .

فإنك لا تجد مرحلة تسلط بها الكافرون على كل شبر من الأرض الإسلامية ، ففي موجة التتار بقيت أقطار إسلاميّة كمصر وماوراءها والجزيرة العربية بعيدة عن سيطرتهم ، وفي الحروب الصليبية لم تستعمر إلا أقطار محدودة ، وفي مرحلة الاستعمار الحديث بقيت أقطار إسلامية لم يستعمرها الكافرون كاليمن والحجاز ونجد . ففي النصوص بشارة وهي من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام .

٩٢٦ - * روى مسلم عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله زَوَى لي الأرضَ ، فرأيتُ مشارقَها ومغَاربَها ، وإن أمَّتي سيبلُغُ مُلْكُها مازويَ لي منها ، وأُعْطِيتُ الكَنْزَين الأحمرَ والأبيضَ ، وإني سألت ربي لأمتي ؛ أن لا يُهلِكَها بسَنَةٍ عامَّةٍ ، وأن لا يسلِّطَ عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم ، فيستبيحَ بَيْضَتَهم ، وإن ربي قال : يامحمد ، إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يرَدُّ ، وإني أعطيتك لأمتك : أن لا أُهْلِكَهم بسَنَةٍ عامَّةٍ ، ولا أسلِّطَ عليهم عدوًّا [من] سوى أنفسهم يستبيحُ بيضتَهم ، ولو اجتمع عليهم مَنْ بأقطارها - أو قال : مَن بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يُهلِك بعضًا ، ويَسبي بعضهم بعضًا » .

وفي رواية [١] : أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « إن الله زَوَى لي الأرض حتى رأيتُ مشارقَها ومغاربَها ، وأعطاني الكنزين : الأحمرَ والأبيض » ثم ذكر نحوه .

---

٩٢٦ - مسلم (٤ / ٢٢١٥) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٥ - باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض .

قال ابن الأثير :

(بسَنَةٍ عامّةٍ) السَّنَةُ : الجَدْبُ والشِّدَّة . والعامّةُ : التي تَعُمُّ الكُلَّ .

(زُوِيَ لي) : زَويت الشيء لفلانٍ ، أي : جمعته له وضممته إليه ، وقوله : « وإن ملك أمّتي سيبلغ مازُوِيَ لي منها » من معجزاته ﷺ ، لأن ملك أمته بلغ من المشارق والمغارب كثيرًا واسعًا .

وأما جهة الجنوب وجهة الشمال : فلم يبلغ ملك الأمة الإسلامية فيهما كثيرًا مبلَغه في جِهَتي الشرق والغرب ، فكان هذا منه ﷺ إخبارًا عما يقع في المستقبل .

(بَيْضَةُ الناس) : مجتمعهم ومعظمهم ، وبيضَةُ البلد ، وسطُه ومعظمه ، و« استباحهم » : جعلهم مُباحًا ، يأخذهم أسرًا وقتلاً ، ويتصرَّف فيهم كيف شاء . اهـ . ابن الأثير (جامع الأصول) .

(١) مسلم : الموضع السابق .

وزاد أبو داود : [١] « وإنما أخاف على أُمتي الأئمـةَ المضلّين ، وإذا وُضِعَ السيفُ في أُمَّتي لم يُرْفَعْ عنها إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعةُ حتى تَلْتَحِقَ قبائلُ من أُمَّتي بالمشركين ، وحتى تَعْبُدَ قبائلُ من أُمَّتي الأَوْثانَ ، وإنه سيكون في أُمَّتي كَذّابون ثلاثون ، كُلُّهم يزعُمُ أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين ، لا نبي بعدي ولا تزالُ طائفةٌ من أمتي على الحق ظاهرين لا يَضُرُّهم من خالفهم حتى يأتيَ أمرُ الله » .

وقد روى مسلم [٢] بعض هذه الزيادة عن ثوبانَ ، وهي قوله : « لا تزال طائفة من أُمتي ظاهرين .. » إلى آخرها .

وروى الترمذي [٣] الزيادة كلها مفردة .

أقول : إنّ أعظم منابع الثروة في العالم موجود في العالم الإسلامي ، وفي الحديث إشارة إلى ذلك ، وذلك من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام ، وفي الحديث بشارة باستمرار وجود من يحمل الإسلام كما وقع وذلك من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام ، وفي الحديث بشارة بالتوسع المطرد للإسلام وهو حاصل ، ونحن الآن نشهد بداية مدٍّ إسلامي جديد نرجو أن يكون مآله سيطرة الإسلام على العالم تحقيقًا لقوله تعالى :

﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه ﴾ ، وتحقيقاً لبشاراته عليه الصلاة والسلام بذلك .

٩٢٧ ـ * روى أحمد عن شدادِ بنِ أوسٍ أن النبيِ ﷺ قال : « إن الله زَوَى لي الأرض فرأيت مَشارِقَها وَمَغارِبَها وإني أعطيتُ الكَنزين : الأبيضَ والأحمرَ ،

---

(١) أبو داود (٤ / ٩٧) كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها .

(٢) مسلم (٣ / ١٥٢٣) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ، ٥٣ ـ باب قوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ... » .

(٣) الترمذي (٤ / ٥٠٤) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، ٥١ ـ باب ما جاء في الأئمة المضلين . وقال : حديث صحيح .

٩٢٧ ـ أحمد (٥ / ٢٨٤) .

وكشف الأستار (٤ / ١٠٠) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٢١) . وقال : رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح .

(زوى) : جمع .

=

وإني سألتُ ربي عز وجل : أن لاَ يهلِكَ أمتي بِسَنة بعامـةٍ ، وأن لا يُسلّطَ عليهم عـدوًّا فَيُهلِكَهم بعـامـة ، وأن لايَلْبِسَهم شِيَعـا وأن لا يـذيقَ بعضَهم بـأسَ بعضٍ . فقـال : يـامحمدُ إني إذا قَضيتُ قضـاءً لا يُرَدُّ ، وإني قـد أعطيتـك لأمتـك أن لا أهلِكَهم بسنةٍ بعامةٍ ، وأن لا أسلِّطَ عليهم عدوًّا بعامـةٍ فيُهلِكوهم بِعَامـةٍ ، حتى يكونَ بعضُهم يُهْلِـكُ بعضًـا وبعضُهم يَقتُلُ بعضًـا وبعضهم يَسْبِي بعضًـا » . قـال : وقـال رسـول الله ﷺ : « إني لا أخـافُ على أمتي إلا الأئمةَ المُضِلين . وإذا وُضِـعَ السيفُ في أمتي لا يُرْفَعُ عنهم إلى يومِ القيامة » .

٩٢٨ ـ * روى الطبراني عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « سألت ربي لأمتي أربع خِـلال فمنعني واحـدةً وأعطـاني ثـلاثـا : سـألتـهُ أن لا تَكْفُرَ أمتي صَفقـةً واحـدةً فأعطانيها ، وسألتُه أن لا يُسلِّط عليهم عدوًّا من غيرهم فأعطانيها ، وسألتُه أن لا يُعذِّبَهم بما عَذَّبَ بـه الأُمَمَ قَبْلَهم فـأعطـانيهـا ، وسـألتُـه أن لا يجعلَ بـأسهم بينهم فمنعنيها » .

٩٢٩ ـ * روى الطبراني عن أبي بُرْدَةَ قال : خرجت من عند عُبَيْدِ الله بن زيـاد فرأيتـهُ يعاقِبُ عقوبةً شـديـدةً ، فجلست إلى رجل من أصحـاب النبي ﷺ فقـال : قـال رسولُ الله ﷺ : « عقوبةُ هذه الأمةِ بالسيفِ » .

٩٣٠ ـ * روى أبو داود عنْ عوفِ بنِ مالـكٍ رضي الله عنـه ، أن رسولَ الله ﷺ قـال : « لَنْ يَجْمَعَ اللهُ على هذه الأُمّة سيفين : سَيْفًا منها ، وسَيْفًا من عدوِّها » .

أقول : في الحديث إشارة وبشارة ، فعندما يكون المسلمون قائمين بالجهاد يقاتلون عـدوًّا أو يقاتلهم عدو فيتّحِدون وتتوجّه قلوبهم لجهاد غيرهم ، فـإذا ركـد سوق الجهـاد لأعـداء الله

= (بسنة) : السنة : القحط والمجاعة .

(بعامة) : العامة : التي تعم الكل .

٩٢٨ ـ مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٢) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات . ورواه البزار إلا أنه قـال : سـألت ربي ثلاثـًا . وكشف الأستار (٤ / ٩٩) .

٩٢٩ ـ مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٥) . وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

٩٣٠ ـ أبو داود (٤ / ١١٢) كتاب الملاحم ، باب ارتفاع الفتنة في الملاحم . وإسناده حسن .

قاتلوا بعضهم .

ومن فقه أبي بكر رضي الله عنه أنّه بعد أن أنهى الردّة حرّك المسلمين باتّجاه فارس والروم ، وكذلك فعل عمر ، فلمّا خفّت المشاركة بالجهاد زمن عثمان على كثرة الفتوح وقعت الفتنة .

* * *

الفقرة التاسعة

في :

التجديد والمجدّدين

٩٣١ - * روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسولَ الله ﷺ قال : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كلّ مائةِ سَنةٍ من يُجَدِّد لها دينَها » .

قال ابن الأثير : (من يجدّدُ لها دينَها) قد تكلّم العلماءُ في تأويل هذا الحديث ، كُلُّ واحد في زمانه ، وأشاروا إلى القائم الذي يجدّد للناس دينَهم على رأس كلّ مائةِ سنةٍ ، وكأنّ كل قائل قد مال إلى مذهبه ، وحمل تأويل الحديث عليه ، والأولى أن يحمل الحديث على العموم ، فإن قوله ﷺ : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كُلّ مائة سنةٍ مَنْ يجدّد لها دينَها » ولا يلزم منه أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلاً واحدًا ، وإنما قد يكون واحدًا ، وقد يكون أكثر منه ؛ فإن لفظة « من » تقع على الواحد والجمع ، وكذلك لا يلزم منه أن يكون أراد بالمبعوث : الفقهاء خاصة ، كما ذهب إليه بعض العلماء ، فإن انتفاع الأمة بالفقهاء ، وإن كان نفعًا عامًا في أمور الدين ، فإن انتفاعهم بغيرهم أيضًا كثير مثل أولي الأمر ، وأصحاب الحديث والقرّاء والوعاظ ، وأصحاب الطبقات من الزّهاد ، فإن كل قوم ينفعون بفنّ لا ينفع به الآخر ، إذ الأصل في حِفْظِ الدِّين حفظُ قانون السياسة ، وبثّ العدل والتناصف الذي به تحقن الدماء ويتمكّن من إقامة قوانين الشرع ، وهذا وظيفة أُولي الأمر ، وكذلك أصحاب الحديث ينفعون بضبط الأحاديث التي هي أدلة الشرع ، والقراء ينفعون بحفظ القراءات وضبط الروايات ، والزهّاد ينفعون بالمواعظ والحث على لزوم التقوى والزهد في الدنيا ، فكل واحد ينفع بغير ما ينفع به الآخر ، لكن الذي ينبغي أن يكون المبعوث على رأس المائة : رجلاً مشهوراً معروفاً ، مشاراً إليه في كل فن من هذه الفنون ، فإذا حُمِلَ تأويل الحديث على هذا الوجه كان أولى ، وأبعدَ من التهمة ، وأشبه بالحكمة ، فإن اختلاف الأئمة رحمة ، وتقرير أقوال المجتهدين متعيّن ، فإذا ذهبنا إلى تخصيص

---

٩٣١ - أبو داود (٤ / ١٠٩) كتاب الملاحم ، باب ما يذكر في قرن المائة . وإسناده صحيح .
والمستدرك (٤ / ٥٢٢) . وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

القول على أحد المذاهب ، وأوّلنا الحديث عليه ، بقيت المذاهب الأخرى خارجةً عن احتمال الحديث لها ، وكان ذلك طعنًا فيها .

فالأحسن والأجدر أن يكون ذلك إشارة إلى حدوث جماعةٍ من الأكابر المشهورين على رأس كل مائةِ سَنَةٍ ، يجدّدون للناس دِينَهم ، ويحفظون مذاهبهم التي قلّدوا فيها مجتهديهم وأئمتهم . اهـ . (جامع الأصول) .

أقول : رأس القرن أوله ، والظاهر المتبادر من الحديث أنّ القائم بالتجديد في كل قرن واحد ، وهو الذي يغلب على كلام العلماء ، ولكن كلام ابن الأثير وجيه ، والموضوع يحتاج إلى تحقيق من خلال الواقع ، وهذا بحث يستأهل أن يتفرغ له ، فتحديد الذين أثّروا في تاريخ الإسلام مجددين للهدى وعلى الهدى يضع بيد الأمة ثروة هائلة من القدوة والسوابق ، وإذا كان التحديد لا يحتمل المقام هاهنا لكثرة الاختلاف في أهل التجديد ، فإننا نكتفي بالقول ؛ إن تجديد الاسلام قائم وحاصل يدل على ذلك : وصول هذا الدين إلينا نقيًا صافيًا ، وانتشاره في الأرض طولاً وعرضًا على كثرة الكوارث والأعداء ، ونحب أن نلفت نظر الراغبين في التجديد في هذا القرن إلى بعض الملاحظات :

إن على القائمين بالدعوة إلى الله أن يلحظوا مايحتاجه كل قرن من تجديد ، فتجديد كل قرن على حسبه ، ولكل قرن جديده الذي يحتاج إلى عمل مكافئ ومناسب ، فهناك تجديد علوم الإسلام وهناك التجديد في أساليب العمل لإحياء أسهم الإسلام ومقاماته ومفاهيمه وقيمه ، وهناك التجديد الذي تحتاجه المستجدّات ، فإقامة الجهاد في عصرنا تحتاج من الوسائل والأساليب مافرضته مستجدّات العصر ، وإقامة فروض العين وفروض الكفاية تحتاج من الجهد والأساليب والإحاطة والتعبئة ماتقتضيه مستجدّات كلّ عصر ، وكثيرون من الناس يسيرون على معالم تجديد المجدّدين في قرون سابقة دون أن يلحظوا التغيّرات والمستجدّات والزمان والمكان والبيئة والمعطيات والمتغيّرات ونفسيّات الناس .

وبعد هذه الملاحظات لابد من الإشارة إلى أن في الحديث معجزة ظاهرة ، فلم يزل على رأس كل قرن يظهر من نوابغ الإسلام ومن الحركات الإسلامية والتحركات الجادّة لنصرة الإسلام بتأييد الحق والرد على أهل الباطل وإضعافهم ماهو ظاهر واضح ، ولكثرة ظهور

هذا الأمر في كثيرين ، تجد العلماء يختلفون من هو المجدّد الأول أو الأقوى أو الأوحد في كل قرن وما كان الاختلاف إلا بسبب الوجود ، ومذهب ابن الأثير يقلّلَ من الخلاف حتى يجعله في حده الأدنى .

* * *

الفقرة العاشرة

في :

نار الحجاز

٩٣٢ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قَالَ : قَال رسول الله ﷺ :
« لا تَقُومُ السَّاعةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ ، تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرى » .

قال الحافظ ابن حجر : « قوله (حتى تخرج نار من أرض الحجاز) قال القرطبي في « التذكرة » : قد خرجت نار بالحجاز بالمدينة ، وكان بدؤها زلزلةً عظيمة في ليلة الأربعاء بعد العتمة الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة واستمرت إلى ضحى النهار يوم الجمعة فسكنت ، وظهرت النار بقريظة بطرف الحرة ترى في صورة البلد العظيم عليها سور محيط عليه شراريف وأبراج ومآذن ، وترى رجالاً يقودونها ، لا تمر على جبل إلا دكته وأذابته ، ويخرج من مجموع ذلك مثل النهر أحمر وأزرق له دوي كدوي الرعد يأخذ الصخور بين يديه وينتهي إلى محط الركب العراقي ، واجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العُظيم ، فانتهت النار إلى قرب المدينة ، ومع ذلك فكان يأتي المدينة نسيم بارد ، وشوهد لهذه النار غليان كغليان البحر ، وقال لي بعض أصحابنا : رأيتها صاعدة في الهواء من نحو خمسة أيام ، وسمعت أنها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى . وقال النووي : تواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام . وقال أبو شامة في « ذيل الروضتين » : وردت في أوائل شعبان سنة أربع وخمسين كُتُبٌ من المدينة الشريفة فيها شرح أمر عظيم حدث بها فيه تصديق لما في الصحيحين ، فذكر هذا الحديث ، قال : فأخبرني بعض من أثق به ممن شاهدها أنه بلغه أنه كتب بتيماء على ضوئها الكتب ، فمن الكتب .. فذكر نحو ماتقدم ، ومن ذلك أن في بعض الكتب : ظهر في أول جمعة من جمادى الآخرة في شرقي المدينة نار

---

٩٣٢ ـ البخاري (١٣ / ٧٨) ٩٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٤ ـ باب خروج النار .

مسلم (٤ / ٢٢٢٧) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٤ ـ باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز .

عظيمة بينها وبين المدينة نصف يوم انفجرت من الأرض وسال منها واد من نار حتى حاذى جبل أحد . وفي كتاب آخر : انبجست الأرض من الحرة بنار عظيمة يكون قدرها مثل مسجد المدينة وهي برأي العين من المدينة ، وسال منها واد يكون مقداره أربع فراسخ وعرضه أربع أميال يجري على وجه الأرض ويخرج منه مهاد وجبال صغار . وفي كتاب آخر : ظهر ضوؤها إلى أن رأوها من مكة ، قال ولا أقدر أصف عظمها ، ولها دوي . قال أبو شامة : ونظم الناس في هذا أشعاراً ، ودام أمرها أشهرا ، ثم خمدت . والذي ظهر لي أن النار المذكورة في حديث الباب هي التي ظهرت بنواحي المدينة كما فهمه القرطبي وغيره ، وأما النار التي تحشر الناس فنار أخرى . وقد وقع في بعض بلاد الحجاز في الجاهلية نحو هذه النار التي ظهرت بنواحي المدينة في زمن خالد بن سنان العبسي ، فقام في أمرها حتى أخمدها ومات بعد ذلك في قصة له ذكرها أبو عبيدة معمر بن المثنى في « كتاب الجماجم » وأوردها الحاكم في « المستدرك » من طريق يعلى بن مهدي عن أبي عوانة عن أبي يونس عن عكرمة عن ابن عباس : أن رجلاً من بني عبس يقال له خالد بن سنان قال لقومه إني أطفي عنكم نار الحدثان فذكر القصة وفيها فانطلق وهي تخرج من شق جبل من حرة يقال لها حرة أشجع فذكر القصة في دخوله الشق والنار كأنها جبل سقر فضربها بعصاه حتى أدخلها وخرج . وقد أوردت لهذه القصة طرفًا من ترجمته في كتابي في الصحابة . قوله (تضيء أعناق الإبل ببصرى) قال ابن التين : يعني من آخرها يبلغ ضوؤها إلى الإبل التي تكون ببصرى وهي من أرض الشام .

وبصرى بضم الموحدة وسكون المهملة مقصور بلد بالشام وهي حوران . وقال أبو البقاء: أعناق بالنصب على أن تضيء متعد ، والفاعل النار أي تجعل على أعناق الإبل ضوءاً ، قال : ولو روي بالرفع لكان متجهًا أي تضيء أعناق الإبل به كما جاء في حديث آخر « أضاءت له قصور الشام » وقد وردت في هذا الحديث زيادة من وجه آخر أخرجه ابن عدي في الكامل من طريق عمر بن سعيد التنوخي عن ابن شهاب عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن عمر بن الخطاب يرفعه : « لا تقوم الساعة حتى يسيل واد من أودية الحجاز بالنار تضيء له أعناق الإبل ببصرى » وعمر ذكره ابن حبان في الثقات ولينه

ابن عدي والدارقطني ، وهذا ينطبق على النار المذكورة التي ظهرت في المائة السابعة . وأخرج أيضًا الطبراني في آخر حديث حذيفة بن أسيد الذي مضى التنبيه عليه : وسمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من رومان أو ركوبة تضيء منها أعناق الإبل ببصرى » قلت : وركوبة ثنية صعبة المرتقى في طريق المدينة إلى الشام مر بها النبي ﷺ في غزوة تبوك ذكره البكري ، ورومان لم يذكره البكري ولعل المراد رومة البئر المعروفة بالمدينة ، فجمع في هذا الحديث بين النارين وأن إحداهما تقع قبل قيام الساعة مع جملة الأمور التي أخبر بها الصادق ﷺ ؛ والأخرى هي التي يعقبها قيام الساعة بغير تخلل شيء آخر ، وتقدم الثانية على الأولى في الذكر لا يضر والله أعلم » اهـ . (فتح الباري : ١٣ / ٧٩) .

أقول : المراد بالنار الثانية التي أخبر عنها رسول الله ﷺ هي النار التي تخرج من حضرموت ، وسيأتي الكلام عنها في فقرة لاحقة .

* * *

الفقرة الحادية عشر

في :

استقلاليّة أقطار الأمّة الإسلاميّة عن بعضها وانفراط عقد الوحدة الإسلامية

٩٣٣ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: « مَنَعَتِ العراقُ دِرْهَمَها وقَفيزَها ، ومنعتِ الشّامُ مُدْيَها ودِينارَها ، ومنعت مصر إرْدَبَّها ودينارَها ، وعدتم من حيثُ بَدأتُم ، وعدتم من حيث بدأتم ، وعدتم من حيث بدأتم » . شَهِدَ على ذلك لَحْمُ أبي هريرةَ ودَمُهُ .

وفي رواية أبي داود [1] قال: « منعت العراق قفيزها ودرهمها ، ومنعت الشام مُديها ودينارها ، ومنعت مصر إردَبَّها ودينارها ، ثم عدتم من حيث بدأتم » ثم قالها زهير ثلاث مرات ، شهد على ذلك لحمُ أبي هريرة ودمُه .

قال ابن الأثير : « (منعت) وأما قوله : « مَنَعَتْ » فله معنيان ، أحدهما : أن النبيَّ ﷺ أخبر أنهم سيسلمون وسيسقط ماوظّفَ عليهم بإسلامهم ، فصاروا بإسلامهم مانعين ماكان عليهم من الوظائف ، واستدل على هذا بقوله : « وعدتم من حيث بدأتم » لأن بدءَهم في علم الله وفي قضائه وقدره : أنهم سيسلمون ، فعادوا من حيث بدؤوا ، والوجه الثاني : أنهم يرجعون عن الطاعة ، ويعضده الحديث الذي أورده البخاري في « صحيحه » عن أبي هريرة قال : كيف أنتم إذا لم تَجْبوا ديناراً ولا درهمًا ؟ فقيل : كيف تُرى ذلك كائنًا ؟ قال : إي والذي نفسي بيده عن قول الصادق المصدوق قيل : عمَّ ذاك ؟ قال : تُهتك حرمة الله ، وذمة رسوله فَيَشُدُّ الله على قلوب أهل الذمة فيمنعون مافي أيديهم » . اهـ

أقول : في الحديث إشارة إلى ماجدّ في زماننا حيث عادت الدعوة الإسلاميّة إلى بداياتها بعد الردّة الهائلة وبعد أن لم تعد للمسلمين خلافة مركزية يخضعون لها وتقودهم وتسوسهم .

---

٩٣٣ - مسلم (٤ / ٢٢٢٠) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يحسر ... إلخ .

(١) أبو داود (٣ / ١٦٦) كتاب الإمارة ، باب في إيقاف أرض السواد وأرض العنوة .

٩٣٤ - * روى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : يُوشِكُ أهلُ العراق أن لا يُجْبى إليهم قَفيزٌ ولا دِرْهم ، قال أبو نَضْرَة : قلنا : من أينَ ذاك ؟ قـالَ : من قِبَلِ العَجمِ يمنعون ذاك ، ثم قال : يوشكُ أهلُ الشام أن لا يُجبى إليهم دينارٌ ولا مُدْيٌ ، قلنا : من أين ذاك ؟ قال : من قِبَل الرُّومِ ، ثم سكت هُنيَّة ، ثم قـال : قـال رسولُ الله ﷺ : « يكـون في آخر أمتي خليفة يَحْثِي المال حَثْياً ، لايعُدُّه عـدًا » قـال : قلت لأبي نضرة ، وأبي العلاء : أتَرَيـان أنه عُمرُ بن عبدِ العزيزِ ؟ قالا : لا .

أقول : لقد كان العراق حـاضرة الأمّـة الإسلاميّـة وعـاصمتهـا أكثر من مرة واستعصت عليـه جهات كثيرة من العجم ، ولقد كان الشام حاضرة للأمّـة الإسلاميّـة وعـاصمتهـا واستعصى عليـه الروم الجيران الشماليون له وقتذاك أكثر من مرة ومنعوه الجزية ، وفي الحديث إشارة إلى الخلافة الراشدة في آخر الزمان والتي تكون بعد المُلْك الجَبري كما نصّت على ذلك نصوص منها :

٩٣٥ - * روى أحمد عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « تكونُ النُّبوةُ فيكم ماشـاء الله أن تكونَ ، ثم يَرْفَعَهـا الله إذا شـاء أن يَرفعَهـا ، ثم تكونُ خلافـةٌ على مِنهاجِ النبوةِ ، فتكونُ ماشاء الله أن تكونَ ، ثم يرفعُها إذا شاءَ أن يرفَعَهـا ، ثم تكونُ مُلْكاً عَـاضًـا فيكون مـاشـاءَ اللهُ أن تكـونَ ، ثم يَرفعُهـا إذا شـاءَ اللهُ أن يرفَعَها ، ثم تكون مُلْكاً جَبْريًا فتكونُ ماشـاءَ اللهُ أن تكونَ ، ثمَ يرفعُهـا إذا شـاءَ

---

٩٣٤ - مسلم (٤ / ٢٢٣٤) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل ..

(المُدْيُ) : مكيال لأهل الشام يسع خمسة وأربعين رطلاً ، و « القفيز » لأهل العراق ثمانية مكاكيك ، و « الإردبُ » لأهل مصر أربعة وستون مَنًّا وأربعة وعشرون صاعًا على أن الصاع خمسة أرطال وثلث .

(الصاع) = ٢٧٥١ غ على رأي الشافعية .

(ويساوي أيضًا) = ٢٨٠٠ غ على رأي الأحناف .

(القفيز) = ١٢ صاع .

(المُدْيُ) = ٥ ر ٢٢ صاع .

(الإردب) = ٢٤ صاع و = ٦٤ منًا .

(المن) : = رطلان . والرطل البغدادي ٤٠٨ غ .

٩٣٥ - أحمد (٤ / ٢٧٣) .

وكشف الأستار (٢ / ٢٣١) .

مجمع الزوائد (٥ / ١٨٨) وقال : رواه أحمد في ترجمة النعمان والبزار أتم منه والطبراني ببعضه في الأوسط ورجـالـه ثقـات.

أن يَرفعَها ، ثم تكونُ خِلافةٌ على مِنْهاجِ النّبوةِ » ثم سَكَتَ .

أقول : إنّ أحاديث هذه الفقرة قد وقعت وذلك من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام ، وعصرنا يشهد استقلاليّة الأقطار الإسلامية عن بعضها وذلك خلاف الأصل ، فلابد أن تكون للمسلمين وحدتهم وخليفتهم ، وعلى علماء المسلمين أن يعملوا لذلك بالقدر المتاح والممكن ، وأن يقترحوا الصيغ الأكثر تطويراً لتحسين العلاقات وتمتين أواصر الأخوة والوحدة وذلك من واجبات العصر .

* * *

الفقرة الثانية عشرة

في :

غربة الإسلام

٩٣٦ - * روى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ الإسلامَ بَدأ غَريباً ، وسيعودُ غريباً كما بدأ ، وهو يَأرِزُ بينَ المسجدينِ كما تَأرِزُ الحيةُ في جُحرِها » .

٩٣٧ - * روى الطبراني عن سهل بنِ سعد السَّاعِدي قال : قال رسول الله ﷺ : « بدأ الإسلامُ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء » . قالوا يارسول الله ومن الغرباء ؟ قال : « الذين يُصْلِحُون عند فسادِ النَّاسِ » .

٩٣٨ - * روى أحمد عن سعدِ بنِ أبي وقاص قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الإيمان بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى يومئذ للغرباء إذ فَسَدَ الناسُ والذي نفس أبي القاسم بيده لَيأرِزَنَّ الإيمان إلى بين هذين المسجدين كما تأرز الحية إلى جُحْرِها » .

٩٣٩ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه (رفعه) : « إنَّ الإسلامَ بَدأ غَريباً وسيعودُ غريباً كما بَدأ فطوبى للغَرباء » .

---

٩٣٦ - مسلم (١ / ١٣١) ١ - كتاب الإيمان ، ٦٥ - باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا ، وإنه يأرز بين المسجدين .

٩٣٧ - المعجم الكبير (٦ / ١٦٤) .

والروض الداني (١ / ١٨٣) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٧٨) وقال : رواه الطبراني في الثلاثة ورجاله رجال الصحيح غير بكر بن سليم وهو ثقة .

٩٣٨ - أحمد (١ / ١٨٤) .

(ليأرِزَنَّ) : أي ينضم ويجتمع بعضه إلى بعض .

وكشف الأستار (٤ / ٩٨) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٧٧) وقال : رواه أحمد والبزار وأبو يعلى ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح .

٩٣٩ - مسلم (١ / ١٣١) ١ - كتاب الإيمان ، ٦٥ - باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا ، وإنه يأرز بين المسجدين .

=

أقول : هذه الأحاديث من أعلام نبوّته عليه الصلاة والسلام ، ولقد شهدنا غربة الإسلام في عصرنا وماسبقه ، وكانت مظاهر غربة الإسلام كثيرة ، فقد طغت على أرض الإسلام الأفكار العلمانيّة والإلحاد وكثرت الأحزاب الكافرة والفلسفات والأفكار الفاسدة وظهرت أنواع من المؤسسات تنشر الكفر والتشكيك ، ومرّت فترات كنت لا تجد في الجامعات والمدارس من يصلّي وإذا صلّى صلّى مستخفيًا حتّى لا يُهزأ به أو يشكّك في عقله ، ونحن نشهد الآن في بداية القرن الخامس عشر الهجري شيئًا من التحسّن في بعض الأقطار واستشراء للردّة في أقطار أخرى ، والمرجو من فضل الله وكرمه أن تنتهي موجة غربة الإسلام .

* * *

= وابن ماجه (٢ / ١٣٢٠) ٣٦ ـ كتاب الفتن ، ١٥ ـ باب بدأ الإسلام غريبًا .

الفقرة الثالثة عشرة

في :

مدّعي النُّبوة والدّجّالين

٩٤٠ - * روى الترمذي عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يُبعثَ كذّابون دَجالون ، قريبًا من ثلاثين ، كُلُّهم يَزْعُمُ أنه رسولُ الله » .

وفي روايةِ أبي داود [(١)] : « حتى يخرجَ ثلاثونَ دجالون كلُّهم يزعم أنه رسولُ الله ».

وفي أخرى [(٢)] « حتى يَخرجَ ثلاثون كذّاباً دجالاً ، كُلُّهم يَكْذِبُ على اللهِ وعلى رسوله » .

وفي رواية عَبيدَةَ السَّلْماني بهذا الخبر [(٣)] .. ، فقلت له : أترى هذا منهم؟ يعني : المختار - فقال عَبيدَةُ : أمَا إنّه من الرؤوس .

قال محقق الجامع : ليس المراد بالبعث الإرسال المقارن للنبوة ، بل هو كقوله تعالى : ﴿ أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين ﴾[(٤)] وليس المراد أيضًا من ادعى النبوة مطلقًا ، فإنهم لا يحصون كثرة ، لكون غالبهم ينشأ لهم ذلك عن جنون أو سوداء ، وإنما المراد من قامت له شوكة وبدت لهم شبهة . اهـ .

٩٤١ - * روى مسلم عن جابرِ بنِ سَمُرَةَ رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « إن بين يدي الساعةِ كذّابينَ » . وفي رواية : « فاحذروهم »[(٥)] .

---

٩٤٠ - الترمذي (٤ / ٤٩٨) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٤٣ - باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون .
وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(١) أبو داود : (٤ / ١٢٠) كتاب الملاحم ، باب في خبر ابن صائد .

(٢) أبو داود : الموضع السابق .

(٣) أبو داود : الموضع السابق .

(٤) مريم : ٨٣ .

٩٤١ - مسلم (٤ / ٢٢٣٩) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ... .
وأحمد (٥ / ٨٦) .

(٥) مسلم : الموضع السابق .

٩٤٢ - * روى أحمد عن حذيفة أن نبي الله ﷺ قال : « في أمتي كذابون ودجالون سَبعة وعشرون منهم أربعُ نسوةٍ وإني خَاتَمُ النبيين لا نبيَّ بعدي » .

٩٤٣ - * روى مسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « سَيَكُونُ في آخرِ أُمَّتي أُناسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فإيَّاكم وإيَّاهم » .

وفي روايةٍ :(١) « يكونُ في آخر الزمانِ دَجَّالون كذَّابون ، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فإياكم وإيَّاهمْ ، لا يضِلُّونكم ولا يَفْتِنونكم » .

٩٤٤ - * روى أحمد عن أبي بَكْرَةَ قال : أَكْثَرَ الناسُ في شأنِ مُسَيْلِمَةَ قبل أن يقولَ رسولُ الله ﷺ فيه شيئًا فقام رسول الله ﷺ خَطيبًا فقال : « أما بعد ففي شأنِ هذا الرجلِ الذي قد أكثرْتُم فيه وإنه كذابٌ من ثلاثين كذابًا يخرجون بين يدي الساعة وإنه ليس من بلد إلا يَبْلُغُها رُعْبُ المسيح » .

أقول : إنّ هذه الأحاديث من أعلام نبوّته عليه الصلاة والسلام فقد ابتدأت سلسلة مدّعي النبوة بمسيلمة وسجاح والأسود العنسي وآخر من ظهرت له فتنة منتشرة منهم غلام أحمد القادياني الذي ادّعى النبوّة وأعلن نسخ الشريعة المحمدية .

٩٤٥ - * روى أبو يعلى عن أبي الجُلاسِ قال : سمعتُ عليًا يقول لعبدِ الله السَّبَئي : ويلك واللهِ ماأفْضَى إليَّ بشيءٍ كَتَمَهُ أحداً من الناس ولكن سمعتُه يقول : « إن بين يدي

٩٤٢ - أحمد (٥ / ٣٩٦) .
والمعجم الكبير (٣ / ١٦٩) .
وكشف الأستار (٤ / ١٣٢) .
مجمع الزوائد (٧ / ٣٣٢) . وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط والبزار . ورجال البزار رجال الصحيح .
٩٤٣ - مسلم (١ / ١٢) المقدمة ، ٤ - باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها .
(١) مسلم : الموضع السابق .
٩٤٤ - أحمد (٥ / ٤١) .
مجمع الزوائد : (٧ / ٣٣٢) . وقال : رواه أحمد والطبراني ، وأحد أسانيد أحمد والطبراني رجاله رجال الصحيح .
(المسيح) : المراد بالمسيح هنا : المسيح الدجال .
٩٤٥ - مجمع الزوائد (٧ / ٣٣٣) . وقال : رواه أبو يعلى ورجاله ثقات .

الساعة ثلاثينَ كَذاباً » . وإنك لأحدهم .

أقول : عبد الله السَّبَئِي هو المشهور بابن السوداء ، وهو يهودي أظهر الإسلام وقاد الفتنة الكبرى فكريًا وتخطيطًا ودعويًا ضدّ عثمان ، ولم يزل يلقي بالأفكار المكفرة تحت شعار محبّة علي رضيَ الله عنه ، وتعتبر أفكار غلاة الشيعة والباطنيين منهم خاصة امتدادًا لأفكاره ، والرواية التي مرّت معنا تحدّثنا عن موقف علي رضي الله عنه منه ، وتشير الرواية إلى أنّ فهم عليّ رضي الله عنه لقضيّة الكذّابين والدجّالين أنّه لا يشترط حتّى يطلق على واحد منهم هذا اللقب أن يدّعي النبوّة ، وما أكثر الدجّالين والكذّابين في عصورنا المتأخرة الذين يدّعون أنّهم مسلمون ويدعون إلى الكفر البواح .

* * *

الفقرة الرابعة عشرة

في :

أعلام وأشراط متفرقة تكون بين يدي الساعة وقد وقعت

٩٤٦ - * روى البخاري ومسلم عن زينب بنت جحش أن رسول الله ﷺ قال : « لا إله إلا الله ، ويلٌ للعرب من شرّ قد اقتربَ ، فُتِحَ اليومَ من رَدْمِ يأجوجَ ومأجوجَ مثلُ هذِهِ » وحَلَّقَ بإصْبَعِهِ الإبهام والتي تليها ، فقلتُ : يارسولَ الله : أَنَهلكُ وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم إذا كَثُرَ الخَبَثُ » .

أقول : قد وقع هذا بموجتي التتار والمغول وما أحدثاه من آثار مدمّرة في الأرض الإسلاميّة عامّة والأرض العربيّة خاصّة ، وكارثة بغداد معروفة .

٩٤٧ - * روى الترمذي عن عِمران بن حُصينٍ رضي الله عنه أنّ رسولَ الله ﷺ قالَ : « في هذه الأمةِ خَسْفٌ ومَسْخٌ وقَذفٌ » . فقال له رجلٌ من المسلمين : يارسول الله ، ومتى ذلك ؟ قال : « إذا ظهرتِ القِيَانُ والمَعازف وشُرِبتِ الخمورُ » .

٩٤٨ - * روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسولُ الله ﷺ : « يكونُ في آخر هذه الأُمَّةِ خَسفٌ ومَسخٌ وقَذْفٌ » قالت : قلتُ : يارسولَ الله ، أنهلكُ وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم ، إذا ظَهَرَ الخَبَثُ » .

أقول : قد وقع بعض هذا في الأمّة ، وأشهر أحداث الخسف في عصرنا خسف أغادير في المغرب إذ خسف بها كاملة خلال أربع ثوان ، وماحدث في منطقة الأصنام في الجزائر وماحدث في منطقة ذمار في اليمن وأشهر أحداث القذف في عصرنا ماحدث في بعض القرى

٩٤٦ - البخاري (١٣ / ١١) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٤ - باب قول النبي ﷺ : ويل للعرب من شر قد اقترب
مسلم (٤ / ٢٢٠٧) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١ - باب اقتراب الفتن ، وفتح ردم يأجوج ومأجوج .

٩٤٧ - الترمذي (٤ / ٤٩٥) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٣٨ - باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف .
وقال : حديث غريب . وهو حديث حسن يشهد له الذي بعده .

٩٤٨ - الترمذي (٤ / ٤٧٩) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٢١ - باب ما جاء في الخسف .
وقال : حديث غريب . وهو حديث حسن يشهد له الذي قبله .

التركيّة إذ جاءها عذاب من فوقها ومن تحتها .

أما المسخ الباطني فما أكثره فلقد شهدنا قلوب الشياطين في جثمان إنس ، وقلوب الذئاب في لبوس الضأن ، وكلها معان تحدثت عنها النصوص .

٩٤٩ ـ * روى البخاري ومسلم عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال ـ عند قُرب وفاته ـ : ألا أُحدّثكم حديثًا عن رسولِ الله ﷺ ، لا يحدّثكم به أحدٌ عنه بعدي ؟ سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « لا تقومُ الساعةُ » ـ أو قال : « إن من أشراطِ الساعةِ ـ : أن يُرفعَ العلم ، ويَظهرَ الجهلُ ، ويُشربَ الخمر ، ويفشو الزنا ، ويذهب الرجالُ ، ويبقى النساءُ حتى يكون لخمسين امرأةً قَيِّمٌ واحد » .

وفي رواية(١) : « يظهرَ الزنا ، ويقلَّ الرجال ، ويكثرَ النساء » .

أقول : قوله عليه الصلاة السلام (أن يرفع العلم) : يفسره الحديث الذي يذكر أن رفع العلم يكون بموت العلماء فإذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ، وقد ظهر مثل هذا في عصرنا والمراد بالعلم : العلم الشرعي ، ولكن المرجو أن نكون على أبواب نهضة علمية يتلافى فيها مثل هذا ، وقد يتكرر ظهور مثل هذا الشأن .

وقوله عليه الصلاة والسلام (حتى يكون لخمسين امرأة قيّم واحد) : ذكرنا أن مثل هذا وقع في بعض الأقطار أثناء الحرب العالمية الأولى ويحتمل أن ذلك كائن فيما بعد .

وقد قلت بمناسبةِ هذا الحديث بمناسبةِ مايلي : لقد أصبح الخمر في أكثر بلدان الإسلام مرخصًا به من أكثر الحكومات وأصبحت قوانين أكثر البلدان الإسلامية تعتبر الزنا جريمة من النوع الثالث أو الرابع ، وأصبح الزنا بالتراضي كثيراً شائعًا ، بل وجد المتخصصون في المتاجرة بالزنا .

---

٩٤٩ ـ البخاري (١ / ١٧٨) ٣ ـ كتاب العلم ، ٢١ ـ باب رفع العلم وظهور الجهل .

مسلم (٤ / ٢٠٥٦) ٤٧ ـ كتاب العلم ، ٥ ـ باب رفع العلم وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان .

والترمذي : (٤ / ٤٩١) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، ٣٤ ـ ما جاء في أشراط الساعة . وقال حديث : حسن صحيح .

(قيّمٌ واحد) قيم المرأة : زوجها ، لأنه يقوم بأمرها ، وبما تحتاج إليه من نفقة وغيرها .

(١) البخاري (١٢ / ١١٣ ، ١١٤) ٨٦ ـ كتاب الحدود ، ٢٠ ـ باب إثم الزناة .

وفي الحرب العالمية الأولى لم يبق إلا القليل من الرجال في كثير من بلدان العالم الإسلامي حيث سحب الرجال إلى الحرب وشهدت تلك الفترة نفسها ندرة العلم حتى إنك لا تجد في الحي الواحد من يحسن الكتابة ، ولا زالت الأمية بالإسلام وانتشار الزنا وشرب الخمر وفشو الربا مما نعاني منه حتى كتابة هذه السطور .

٩٥٠ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ بين يدي الساعةِ أيامًا ينزلُ فيها الجهلُ ، ويُرفَعُ فيها العلمُ ، ويَكْثُرُ فيها الهَرْجُ ، والهرْج : القتل » .

وللبخاري [١] ، أن أبا موسى قال لعبد الله : أتعْلَمُ الأيامَ التي ذكر فيها النبيُّ ﷺ أيام الهرج ؟ ... فذكر نحوه .

وقال عبد الله : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول ... .

ورواه الترمذي [٢] عن أبي موسى وحدَه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ من ورائِكم أيامًا يُرفَعُ فيها العلم ، ويَكْثُرُ فيها الهَرْجُ » قالوا : يارسولَ الله ، وما الهَرْجُ ؟ قال : « القَتْلُ » .

أقول : قوله عليه الصلاة السلام (ويكثر فيها الهرج ، والهرج : القتل) : قد مر منه كثيراً ، وفي كل عام تسمع عن مذابح المسلمين ، لقد ذهب في عصرنا في الجزائر حوالي مليون شهيد ، وفي أفغانستان لا نعرف إلى أي حدٍّ سيبلغ عدد القتلى ، ومذبحة حماة وغيرها من المدن السورية ومذابح لبنان عامة وطرابلس خاصة ، ومذابح الصراع في المغرب ، ومن قبل صراعات المسلمين الكثيرة فيا بينهم ، ومذابح التتار والصليبيّين والمستعمرين .

٩٥١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ :

---

٩٥٠ - البخاري (١٣ / ١٣) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٥ - باب ظهور الفتن .

مسلم (٤ / ٢٠٥٦) ٤٧ - كتاب العلم ، ٥ - باب رفع العلم وقبضته وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان .

(١) البخاري (١٣ / ١٤) : الموضع السابق .

(٢) الترمذي (٤ / ٤٨٩) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٣١ - باب ما جاء في الهرج والعبادة فيه . وقال : حديث صحيح .

٩٥١ - البخاري (٢ / ٥٢١) - ١٥ - كتاب الاستسقاء ، ٢٧ - باب ما قيل في الزلازل والآيات .

=

« إنَّ من أشراطِ السـاعـةِ أن يتقـاربَ الـزمـانُ ، ويَنْقصَ العِلْمُ ، وتَظْهَرَ الفِتنُ ، ويُلْقَى الشُّحُّ ، ويكثر الهرجُ » قـالـوا : يـارسـولَ الله ، ومـا الْهَرْجُ ؟ قـال : « القَتـلُ القَتلُ » .

وفي رواية [١] « أن يُرفع العلم ، ويثبت الجهل » ـ أو قال : « ويظهر الجهل » .

وفي روايـة أبي داود [٢] قـال : قـال رسولُ الله ﷺ : « يتقـارب الزمـان ، وينقص العلم ، وتظهر الفتن ، ويُلْقَى الشحُّ ، ويكثر الهرجُ » قيـل : يـارسـول الله أيْمَ هـو ؟ قال : « القَتْلُ ، القَتْلُ » .

أقول : قولـه عليـه السلام (يتقـارب الزمـان) : قـد يكون فيـه إشـارة إلى المواصـلات الحديثة ووسائل الاتصال حتى ليقضى في الزمن القليل ماكان يحتاج إلى أزمنه متطاولة .

٩٥٢ ـ * روى الطبرانيُّ عن أبي أُمَيَّةَ الجُمَحِي رفعـه : « إن منْ أشراطِ السـاعـةِ أن يُلتَمَسَ العِلْمُ عندَ الأصاغِرِ » .

أقول : إن جيلنا شهد حالة عجيبـة وهي أنـه قـد غلب اليـأس على كثير من العلمـاء فلم يعودوا يتصدرون للدعوة والإرشـاد والتعليم ، ونشـط للـدعوة الشبـاب فـأصبحوا هم الـذين يتصـدرون لمثل هـذه الشؤون ، والتف الكثيرون حـولهم حتى إذا مـا جلس كبـار العلمـاء لم يجدوا من يسمع منهم ، وللمسألة استثناءاتها .

٩٥٣ ـ * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنـه قـال لـه رسولُ الله ﷺ : « يوشِـكُ إن طالَتْ بكَ مدةٌ أن ترى قومًـا في أيـديهم مثلُ أذنـاب البَقَر يَغْـدُون في غَضَب الله ، ويَرُوحُونَ في سَخَط الله » .

= مسلم (٤ / ٢٠٥٧) ٤٧ ـ كتاب العلم ، ٥ ـ باب رفع العلم وظهور الجهل والفتن ، في آخر الزمان .

(١) مسلم (٤ / ٢٠٥٦) : الموضع السابق .

(٢) أبو داود (٤ / ٩٩) كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها .

٩٥٢ ـ مجمع الزوائد (١ / ١٣٥) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف .

٩٥٣ ـ مسلم (٤ / ٢١٩٣) ٥١ ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٣ ـ باب النـار يـدخلها الجبـارون ، والجنـة يـدخلهـا الضعفاء .

وفي رواية :[١] « إن طالت بك مُدَّةٌ أوشكْتَ أن ترى قومًا يَغْـدُون في سخـطِ اللهِ ويروحون في لَعْنَتِهِ ، في أيديهم مثل أذنابِ البقرِ » .

أقول : إن من عرف مايجري في دوائر المخابرات في كثير من بلدان العالم الإسلامي عرف مضمون هذا الحديث .

٩٥٤ - * روى أحمد عن طارق بن شهاب قال : كنا عند عبدِ الله بنِ مسعودٍ جُلوسًا فجاءَ رجُلٌ فقال : قد أُقيمَتِ الصلاةُ ، فقام وقمنا معه فلما دخلْنا المسجدَ رأينا الناسَ ركوعًا في مُقَدَّمِ المسجدِ فكبر وركَعَ وركَعْنا ومشينا وصنعنا مثل الذي صنعَ ، فمر رجل يُسرِعُ فقال : عَليكَ السلام أبا عبدِ الرحمن فقال : صدقَ اللهُ ورسولُه وبلَّغَتْ رُسُلُهُ . فلما صَلينا ورجعْنا ودخل إلى أهله جَلَسْنا فقالَ بعضنا : أما سمعتُم رَدَّهُ على الرجل : صدقَ اللهُ ورسولهُ وبلغت رسلُه أيُّكم يسألُهُ ؟ فقال طارق : أنا أسألُه فسألَهُ حين خرجَ ، فـذكر عن النبي ﷺ : « إن بين يـدي السـاعـة تسليمَ الخـاصـة وفُشُوَّ التجـارة حين تعيْنَ المرأةُ زوجَها وقطعَ الأرحام وشهادةَ الزور وكِتْمانَ شهادةِ الحقِّ وظهورَ العلم » .

وفي رواية[٢] قال رسول الله ﷺ : «إن من أشراط الساعـة أن يُسلِّمَ الرجلُ لا يُسَلِّمُ إلا للمعرفة » . والبزار [٣] ببعضه وزاد « وأن يجتازَ الرجلُ بـالمسجـد فلا يصلي فيـه » والطبراني [٤] إلا أنـه قـال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تقومُ السـاعـةُ حتى يكـونَ السلامُ على المعرفةِ » وإنَّ هذا عَرَفَني من بينكم فسلَّمَ علي « وحتى تُتخَذَ المساجدُ طُرقًا فـلا يُسْجَـدَ للهِ فيهـا وحتى يبعثَ الغـلامُ الشيـخَ بريـدًا بين الأفقين وحتى يَبلُـغَ التاجرُ بين الأفقين فلا يَجدُ رِبحًا » وفي رواية [٥] عنده : « وأن تَغْلُو النسـاءُ والخيلُ ثم تَرْخُصَ فلا تغلوا إلى يوم القيامة وأن يَتَّجِرَ الرجل والمرأة جميعًا » .

---

(١) مسلم (٤ / ٢١٩٣) : الموضع السابق .

٩٥٤ - أحمد (١ / ٤٠٧) .

(٢) أحمد : الموضع السابق .

(٣) كشف الأستار (٤ / ١٤٧) .

(٤)، (٥) مجمع الزوائد (٧ / ٣٢٩) . وقال : رواه أحمد ، والبزار ببعض والطبراني إلا أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا تقوم الساعة ... » وفي رواية عنده « وأن تغلو النساء ... » . ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح .

أقول : في الحديث معجزات كثيرة منها : (حتّى يبعث الغلامَ الشيخَ بريداً بين الأفقين) وكأنّ في ذلك إشارة إلى الطيران واستخدام الأصغر سنًا من هو أكبر منه .

ومنها :

(وفشو التجارة حين تعين المرأة زوجها) .

(وأن يتجر الرجل والمرأة جميعًا) .

ومن رأى في عصرنا كثرة المحلات التي تشارك في أعمالها المرأة رأى مصداق ذلك .

٩٥٥ - * روى أحمد عن ثوبانَ مولى رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « عِصابتان من أمتي أحرزَهما الله من النارِ عِصَابةٌ تغزو الهندَ وعِصابة تكونُ مع عيسى ابنِ مريم » .

أقول : وقد غزا المسلمون الهند وحكموها حوالي ثمانمائة سنة وهاهي دولة باكستان ودولة البنغال قائمتان والمسلمون في الهند كثيرون والحمد لله .

٩٥٦ - * روى البزار عن عمرو بن عوف قال : قال رسول الله ﷺ : « إن بين يدي الساعة سنين خدّاعةً يُصدَّقُ فيها الكاذِبُ ويُكذَّب فيها الصادقُ ويؤتمن فيها الخائِنُ ويُخوَّن فيها الأمينُ ويَنْطِقُ فيها الرُّويبضة » قيل : يا رسول الله وما الرويبضة ؟ قال : « الامرُؤ التافهُ يتكلَّمُ في أمرِ العامة » قال ابنُ إسحاقَ وحدثني عبدُ اللهِ بنُ دينارٍ عن أنسٍ عن النبي ﷺ قال بنحوه .

أقول : وهذا عصرنا يشهد ماذكره رسول الله ﷺ تفصيلاً .

---

٩٥٥ - أحمد (٥ / ٢٧٨) .

والنسائي (٦ / ٤٢) كتاب الجهاد ، ٤١ - باب غزوة الهند .

مجمع الزوائد (٥ / ٢٨٢) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط وسقط تابعيه والظاهر أنه راشد بن سعد ، وبقية رجاله ثقات .

٩٥٦ - كشف الأستار (٤ / ١٣٢) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٨٤) . وقال : رواه البزار . وقد صرح ابن إسحاق بالسماع من عبد الله بن دينار وبقية رجاله ثقات.

٩٥٧ ـ * روى الطبراني عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « إذا مشتْ أمتي المُطَيطاءَ وخدَمتْهم فارسُ والروم تَسلط بعضهم على بعض » .

٩٥٨ ـ * روى أحمد عن أبي موسى الأشعري ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيلِ المُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيْها مُؤمِنًا وَيُمْسِي كَافِراً وَيُمسي مُؤمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي ، والمَاشِي فِيْهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي فَكَسِّرُوا قِسِيكُمْ وَقَطِّعُوا أوتَارَكُمْ وَاضْرِبُوا بِسُيُوفِكُمُ الحِجَارَةَ فَإِنْ دَخَلَ عَلَى أَحَدِكُم فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ » .

أقول : إن دقة الوصف في هذا الحديث لمعجزة ، فقد مرّتْ عصور في الماضي كان الرجل يمسي مؤمنًا ويصبح كافراً بسبب كثرة دعاة الباطل كالزنادقة والقرامطة والباطنية ، ولقد شهد عصرنا كذلك مثل هذه المرحلة إذ تجد المسلم يصبح على إسلام ويمسي على مذهب حزب كافر وفكرة كافرة ، وقد مرَّ معنا من قبل موقف المسلم من الفتن ، فالأحاديث التي تطالب المسلم بالاستسلام لقاتله أو بالعزلة الكاملة محمولة على أوضاع لها خصوصياتها كأن يكون القاتل مسلمًا ، والفتنة تدفعه إلى القتل .

أما إذا غزيت دار الإسلام فقد وجب على المسلم القتال ، وعلى كل الأحوال فالمسلم تحكمه الفتوى البصيرة من أهلها في كل ظروفه وأحواله ، فلا يصح لمسلم أن يعتمد على بعض النصوص العامة ، فيعطل واجبًا تفرضه الفتوى من أهلها .

٩٥٩ ـ * روى الطبراني عن عبد الله بن يزيد الخَطْميّ قال : قال رسول الله ﷺ : « عذاب أمتي في دنياها » .

---

٩٥٧ ـ مجمع الزوائد (١٠ / ٢٣٧) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن .

(المُطَيطاء) : : هي مشية بتبختر ومد اليدين ، ومططت بمعنى : مددت .

أقول : وقد خدمَتْ هذه الأمةَ فارسُ والرومُ ، ووقعتِ الحروب فيما بين هذه الأمة .

٩٥٨ ـ أحمد (٤ / ٧٧٢) .

وأبو داود (٤ / ١٠٠) كتاب الفتن والملاحم ، باب في النهي عن السعي في الفتنة .

وابن ماجه (٢ / ١٣١٠) ٣٦ ـ كتاب الفتن ، ١٠ ـ باب التثبت في الفتنة .

والمستدرك (٤/ ٤٤٠) . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد . ولم يخرجاه .

٩٥٩ ـ الروض الداني (٢ / ١٢٣) .

٩٦٠ - * روى الطبراني عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من اقتراب الساعة أن ترفعَ الأشرارُ ويُوضَعَ الأخيارُ وَيَقْبُحَ القولُ ويَخْزَنَ العملُ وتُتْلى في القوم المَثْنَاةُ » . قلت : وماالمَثْنَاةُ ؟ قال : « ماكُتِبَ سِوى كتابِ اللهِ » .

قال ابن الأثير في النهاية :

(المَثْنَاةُ) : قيل : هي أنّ أحبار بني إسرائيل وضعوا كتابًا فيما بينهم على ما أرادوا من غير كتاب الله . ا . هـ .

أقول : والمعروف أن عند اليهود أكثر من كتاب ضم كلام علمائهم وأشهر هذه الكتب هو التلمود .

وقد ذكر العقاد في كتابه : « إبراهيم عليه السلام » أن أهم المراجع الإسرائيلية بعد التوراة هي كتب المشنا القديمة . ومن المشنا التلمود في نشأته الأولى .

وأصل مادة الكلمة من شنا : أي كَرَّرَ . وهي تقابل في العربية مادة ثَنّي أي : أعاد ثانية [1] .

أقول : وفي الحديث أكثر من معجزة يشهدها عصرنا من علو الأشرار على الأخيار ، ومن عرف مايدعو إليه التقدميون عرف بعض مضمونات هذه المعجزة ، ومن عرف دساتير الأحزاب الكافرة والمواثيق السياسية المحاربة للإسلام وكثرة الكتب المضلّلة التي تُنْشَر في أرض الإسلام رأى مصداق ماورد في الرواية :

وما المَثْنَاةُ ؟ قال : ماكتب سوى كتاب الله .

= والمستدرك (١ / ٥٠) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٢٤) . وقال : رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله ثقات .

٩٦٠ - مجمع الزوائد (٧ / ٣٢٦) ولفظه « ... ويحسن العمل وتفري في القوم المساة » قلت وما المساة ؟ قال : « ما كتب سوى كتاب الله » . وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(١) انظر : كتاب (إبراهيم أبو الأنبياء) ص : ٣٦ .

٩٦١ ـ * روى أحمد عن حذيفة قال : ذُكِرَ الدَّجالُ عند رسول الله ﷺ فقال : « لأَنَا لِفتنةِ بعضِكم أخوفُ عِندي من فتنة الدجال ولنْ ينجو أحدٌ مما قبلَها إلا نجا منها ، وماصُنِعَتْ فتنةٌ منذ كانت الدنيا صغيرةً ولا كبيرةً إلا لفتنةِ الدَّجالِ » .

٩٦٢ ـ * روى البزار عن سَمُرَةَ أن رسولَ الله ﷺ كان يقولُ لنا : « إنكم تُوشِكُونَ أن تكونوا في الناس كالملح في الطعام ولا يَصْلُحُ الطعام إلا بالملح » .

٩٦٣ ـ * روى الترمذي عن حذيفة بنِ اليمانِ رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لا تقومُ الساعةُ حتى يكونَ أسعدَ الناس بالدنيا لُكَع بنُ لُكَعٍ » .

٩٦٤ ـ * روى الطبراني عن معاويةَ قالَ : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « لا يَزْدادُ الأَمْرُ إلا شدةً ولا يزدادُ الناسُ إلا شُحًا ولا تقومُ الساعةُ إلا على شِرارِ الناسِ » .

٩٦٥ ـ * روى البخاري عن واقدِ بن محمدٍ رحمه الله عَنْ أبيه عن ابن عُمَرَ ـ أو ابنِ عَمرو ـ قال : شَبَّكَ النبيُّ ﷺ أصابعه ، وقال : « كيف أنت ياعبدَ الله بنَ عمرو ، إذا بقيتَ في حُثالة قد مَرِجَتْ عُهودُهم وأماناتُهم ، واخْتَلَفُوا فصاروا هكذا » ، قال : فكيفَ أصنعُ يارسولَ الله ؟ قال : « تأخذُ ماتعرِفُ ، وتَدَعُ ماتُنْكِرُ ، وتُقبل على خاصَّتِك ، وتَدَعُهم وَعوامَّهم » .

---

٩٦١ ـ أحمد (٥ / ٣٨٩) .

وكشف الأستار (٤ / ١٤٠) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٣٥) . وقال : رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح .

٩٦٢ ـ كشف الأستار (٣ / ٢٩١) .

والمعجم الكبير (٧ / ٢٦٨) .

مجمع الزوائد (١٠ / ١٨) . وقال : رواه البزار والطبراني وإسناد الطبراني حسن .

٩٦٣ ـ الترمذي (٤ / ٤٩٣) ـ ٣٤ كتاب الفتن ، ٣٧ ـ بابٌ مِنْهُ . وقال : حديث حسن غريب .

(لُكَع بنُ لُكَع) : الحقير التافه ، وهي في الأصل : العَبد أو اللئيم أو القذر .

٩٦٤ ـ مجمع الزوائد (٨ / ١٣ ، ١٤) . وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

٩٦٥ ـ البخاري (١ / ٥٦٤) ٨ ـ كتاب الصلاة ، ٨٨ ـ باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره .

قال ابن حجر .. « وقد ساقه الحميدي في الجمع بين الصحيحين نقلاً عن أبي مسعود ، وزاد هو « قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فصاروا هكذا » . وهذه الزيادة ليست في أحاديث الباب .

وفي [1] حديث عاصم بنِ محمدِ بنِ زيدٍ قال : سمعتُ هذا من أبي ، فلم أحْفَظْهُ ، فقوَّمَهُ لي واقِدٌ عن أبيه ، قال : سمعْتُ أبي وهو يقولُ : قال عبد الله : قال رسولُ الله ﷺ : « ياعبدَ الله بنَ عمرو ، كيف أنت إذا بقيت » .. وذكر الحديث .

وفي رواية أوردها رزين[2] ، أن رسول الله ﷺ قال : « كيف بكم وبزمان تُغَرْبَلُ الناس فيه غَرْبلة ، ثم تبقى حُثَالَةٌ من الناسِ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهم وأماناتُهم ، واختلفوا هكذا » ـ وشبك بين أصابعه ـ قالوا : كيف بنا يارسولَ الله ؟ قال : « تأخذونَ ماتعرِفون ، وتَذَرون ماتُنكِرون ، وتُقْبِلون على أمرِ خاصَّتكم ، وتَذَرون أمرَ عامتكم » .

وفي أخرى[3] ، بينما نَحْنُ جُلُوسٌ عند رسولِ الله ﷺ ، إذ ذُكِر الفتنة ، فقال : « إذا رأيتم الناسَ مَرِجَتْ عهودهم ، وخَفَّت أماناتهم ، وكانوا هكذا » ـ وشبَّك بين أصابعه ـ قال ابنُ عمرو : فقمْتُ إليه ، فقلتُ : كيف أفعلُ عند ذلك ، جعلني الله فداك ؟ قال : « الزَمْ بيتك ، وامْلِكْ عليك لسَانَكَ ، وخذ ماتعرف ، ودَعْ ماتُنكِرُ ، وعليك بأمرِ خاصَّةِ نَفْسِكَ ودَعْ عَنْكَ أمرَ العامة » .

٩٦٦ ـ * روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « كيف أنت ياعبدَ الله بنَ عمرو وإذا كنت في حُثَالَةٍ مِنَ الناسِ » قال : فذاك ما هو يارسولَ الله ؟

---

(١) البخاري : (١ / ٥٦٤) الموضع السابق .

قال محقق الجامع : قال الحافظ في الفتح : وصلة إبراهيم الحربي في غريب الحديث له ، أقول : [أي المحقق] واللفظ الذي أورده المصنف رواه أحمد في المسند وهو حديث صحيح . ا . هـ .

(حُثالة) : الحثالة : ما يسقط من قشر الشعير والأرز والتمر ، وكل ذي قشر إذا نُقي ، وحثالة الدهن ، وكأنه الرديء من كل شيء .

(المرج) : الاختلاط والاختلاف ، مرجت عهودهم : إذا اختلفَتْ .

(غربلة) : الناس : إماتة الأخيار ، وبقاء الأشرار ، كا ينقّي الغربال من حثالة مايغربله ورديئه .

(٢) قال محقق الجامع : هذه الرواية عند ابن ماجه ورواه أيضاً أحمد في المسند . وهو حديث صحيح . ا . هـ .

(٣) قال محقق الجامع : هذه الرواية رواها أبو داود وأحمد والحاكم وصححها ووافقه الذهبي وهو كا قالا . ا . هـ .

٩٦٦ ـ مجمع الزوائد (٧ / ٢٨٣) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين ، رجال أحدهما رجال الصحيح .

وابن ماجه (٢ / ١٣٠٧) ـ ٣٦ كتاب الفتن ـ ١٠ باب التثبت في الفتنة .. وهو عنده بلفظ « كيف بكم وبزمان ..» والباقي نحوه .

قال : « ذاكَ إذا مَرِجَتْ أماناتهم وعهودُهُم فصاروا هكذا » وشبك بين أصابعه ، قال : كيف أصنع يارسولَ الله ؟ قال : « تعمل بما تعرف وتدع ما تنكر وتعمل بخاصة نفسك وتدع عوام الناس » .

أقول :

في عصرنا كل حزب يأخذ عهداً ومن يتصدر لإمرة الجماعات الإسلامية والمشيخة يأخذون عهوداً ، وكل حكم جديد يأخذ عهداً وتختلط العهود ويصبح العهد وكأنه لا قيمة له ، ففي الأحاديث معجزة وقعت وتقع ، وفيها تعريف للمسلم كيف يتصرّف في مثل هذه الأحوال وعلى علماء المسلمين أن يكثروا دائرة الخواص ، وأن يكون فيما بينهم تواصٍ وتواصل وتشاور فيما ينبغي .

٩٦٧ - * روى البزار عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض اللهُ اللهُ ، وحتى يُمطَرَ الناسُ مطراً ولا تُنْبتُ الأرض وحتى يكونَ للخمسين امرأة القيمُ الواحدُ وحتى تمرَّ المرأةُ بالنعل فتقول لقد كان لهذا مرَّةً رجلٌ » .

أقول :

القسم الأول من الحديث يكون بعد وفاة المسيح عليه الصلاة والسلام ووفاة المؤمنين جميعًا ، ولقد مرت على بعض المسلمين في الحرب العالمية الأولى الصورة التي ذكرتها تتمة الحديث إذ حشر الرجال للحرب ولم يبق إلا النساء . وقوله عليه السلام : (وحتى تمر المرأة بالنعل) : معناه أن المرأة ترى نعال الرجال ولا تجد أصحابها فتتذكر أن هذه النعال كان يلبسها ناس ذهبوا .

٩٦٨ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قالَ رسولُ الله ﷺ :

---

٩٦٧ - كشف الأستار (٤ / ١٥٠) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٣١) . وقال : في الصحيح بعضه . رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

٩٦٨ - مسلم (٤ / ٢٢٢٨) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة - ١٥ - باب سكنى المدينة وعمارتها قبل الساعة .

« ليستِ السَّنَةُ بأن لا تُمْطَرُوا ، ولكن السَّنَةُ أن تُمْطَرُوا وتُمْطَرُوا ، ولا تُنْبِتَ الأرضُ شيئًا » .

أقول : من المظاهر التي شهدناها أن ينزل مطر غزير ثم يكون جفاف كثير ثم ينزل مطر غزير ثم يكون جفاف كثير ، فلا تستفيد الأرضون من هذا المطر .

٩٦٩ - * روى أحمد عن حُذيفةَ قالَ : سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ عن الساعة ، قال : « عِلْمُها عِندَ ربي ولا يُجلِّيها لوقتها إلا هو ولكنْ أُخْبِرُك بمشارِيطها وما يكون بين يديها إن بين يديها فتنةً وهَرْجاً » قالوا يارسول الله الفتنة قد عرفناها فما الهرج ؟ قال : « بلسان الحبشة القتل » قال : « وَيُلقى بين الناسِ التناكرُ فلا يكادُ أحَد يعرف أحداً » .

أقول : من مظاهر التناكر في عصرنا أنك تجد أصحاب البناية الواحدة لا يعرف بعضهم بعضًا ولا يزور بعضهم بعضًا .

٩٧٠ - * روى مسلم عن عبد الرحمن بن عبدِ ربِّ الكعبَةِ قال : دَخَلْتُ المسجدَ ، فإذا عبدُ الله بن عمرو بنِ العاصِ رضي الله عنهما جالسٌ في ظل الكعبةِ ، والناسُ مجتمعون إليه ، فأتيتُهم ، فجلستُ إليه ، فقال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ ، فنزلنا منزلاً ، فمنّا من يُصْلِحُ خِبَاءَه ، ومنّا مَنْ يَنْتَضِلُ ، ومنا مَنْ هو في جَشَرِه ، إذ نادى منادي رسول الله ﷺ : الصلاةَ جامعةً ، فاجتمعنا إلى رسولِ الله ﷺ ، فقال : « إنه لم يَكُنْ نَبيٌّ قبلي ، إلا كان حقًّا عليه أن يَدُل أُمَّتَهُ على خيرِ مايَعْلَمُهُ لهم ، ويُنذرَهم شَرَّ مايعلمه لهم ، وإن أُمَّتَكم هذه جُعِلَ عافيتُها في أولها ، وسيصيبُ آخرَها بلاءٌ وأُمورٌ تُنْكِرونها ، وتجيءُ فتنة فَيُزَلِّقُ بعضُها بعضًا ، وتجيء الفتنةُ ، فيقول المؤمنُ : هذه مُهلِكَتي ، ثم تَنْكَشِفُ ، وتجيء الفتنةُ ، فيقولِ المؤمن : هذه هذه ، فمن أحبَّ أن يُزَحزَحَ

= (السَّنة) : الجَدْبُ والقحط .

٩٦٩ - أحمد (٥ / ٣٨٩) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٠٩) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

٩٧٠ - مسلم (٣ / ١٤٧٣) ٣٣ - كتاب الإمارة ، ١٠ - باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء ، الأول فالأول .

عن النار ، ويُدْخَلَ الجنة ، فلتأته مَنِيَّتُهُ وهو يؤمن بالله واليوم والآخر ، وليأتِ إلى الناس الذي يحبُّ أن يؤتَى إليه ، ومن بايَعَ إماماً فأعطاه صَفْقَةَ يده وثمرة قَلْبِهِ ، فليُطِعْهُ ما استطاعَ ، فإن جاء آخَرُ ينازعه فاضربوا عُنُقَ الآخرِ» قال : فَدَنَوْتُ منه ، فقلتُ : أَنْشُدُكَ الله ، أنتَ سَمِعتَ هذا من رسولِ الله ﷺ ؟ فأهْوَى إلى أُذُنيه وقلبه بيديه ، وقال : سَمِعَتْهُ أُذناي ، ووعاهُ قلبي ، فقلت له : هذا ابن عَمِّكَ معاوية يأمُرُنا أن نأكلَ أموالَنا بيننا بالباطلِ ونقتلَ أَنْفُسَنا ، والله تعالى يقول : ﴿ ياأيُّها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكونَ تجارةً عن تَرَاضٍ منكم ولا تقتلوا أنفسَكم إنّ الله كان بكم رحيماً ﴾ [النساء : ٢٩]فسَكَتَ عني ساعةً ، ثم قال : أطِعهُ في طاعة الله ، واعصِه في معصية الله .

(يَنْتَضِلُ) الانتضال : الرمي بالسهام .

(جَشَره) الجشر : المال من المواشي التي ترعى أمام البيوت والديار ، وقال : « جَشَرٌ يرعى في مكانه لا يراجع إلى أهله » يقال : جَشَرنا دوابَّنا : أخرجناها إلى المرعى نجشرها جشراً ، ولا نروح إلى أهلنا .

(فيزلق) أزلَقتْ بعضها بعضًا : دَفَع بعضها بعضًا ، كأن الثانية تزحم الأُولى ، لسرعة ورودها عليها ، ويزلق بعضها بعضًا : يعجِّلها ، والإزلاق : الإعجال . اهـ .

٩٧١ - * روى أبو داود عن أبي البَخْتَري رحمه الله قال : أخبَرني مَنْ سَمِعَ النبيَّ ﷺ - وفي رواية : حدَّثني رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « لَنْ يَهْلِكَ الناسُ ، أو يُعذِروا من أنفسهم » .

٩٧٢ - * روى ابن ماجه عن أبي الدرداءِ رضي الله عنه قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْفَقْرَ وَنَتَخَوَّفُهُ . فَقَالَ « آلْفَقْرَ تَخَافونَ ؟ وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُصَبَّنَّ

---

٩٧١ - أبو داود (٤ / ١٢٥) - كتاب الملاحم ، باب الأمر والنهي . وإسناده حسن . وفيه : « لن يهلك الناس حتى يَعْذِروا أوْ يُعْذِروا مِنْ أنفسهم » .

٩٧٢ - ابن ماجه (١ / ٤) المقدمة ، ١ - باب اتباع سنة رسول الله ﷺ .

(نتخوفه) : أي نظهر الخوف . (آلفقر) بمد الهمزة على الاستفهام . وهو مفعول مقدم .

عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا حَتَّى لا يُزِيغَ قَلْبَ أَحَدِكُمْ إِزَاغَةً إلا هِيَهْ ، وَايْمُ اللهِ لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاء ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ » .

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاء : صَدَقَ ، واللهِ ، رَسُولُ اللهِ ﷺ تَرَكَنَا ، وَاللهِ ، عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاء ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ .

٩٧٣ - * روى البزار عن بريدةَ قالَ : قالَ رسول الله ﷺ : « مانقضَ قومٌ العهدَ إلا كانَ القتلُ بينهم ، ولا ظهرتْ فاحِشةٌ في قومٍ إلا سلطَ اللهُ عليهم الموتَ ، ولا منعَ قومٌ قطُّ الزكاةَ إلا حَبَسَ اللهُ عنهم القَطْرَ » .

٩٧٤ - * روى أحمد عن سَمُرَةَ قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « يوشِكُ أن يملأَ اللهُ عز وجل أَيْدِيَكُم من العجم ثم يكونون أسداً لا يفرون ، فيقتلونَ مُقاتِلَتَكم ويأكلون فَيْئَكُم » .

أقول :

لقد حدث هذا بعد موجات كثيرة من الفتح ، يظهر ذلك في مثل معركة بواتيه التي قتل فيها عبد الرحمن الغافقي رحمه الله ، وفي استعصاء أوروبا على الغزو العثماني ، ثم مقاومة هذا الغزو حتى انحسر ، ثم انتقال الكافرين من دور الدفاع إلى الهجوم فأخذوا إسبانيا ، واستولوا على أقسام من الأرض في موجات ، نشهد في هذا العصر منها الكثير .

٩٧٥ - * روى مسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بادِروا بالأعمال فِتناً كَقِطَعِ الليْلِ المظلم ، يُصْبِحُ الرجُلُ مؤمِنًا ويُمْسِي كافِراً ، ويُمْسِي

(إلا هِيَهْ) : هي ، ضمير الدنيا . والهاء في آخره للسكت . أي لا يُميل قلبَ أحدكم إلا الدنيا .

(على مثل البيضاء): المعنى : على قلوب بيضاء نقية عن الميل إلى الباطل ، لا يميلها عن الإقبال على الله تعالى السراء والضراء .

٩٧٣ - كشف الأستار (٤ / ١٠٤) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٦٩) . وقال : رواه البزار . ورجاله رجال الصحيح غير رجاء بن محمد ، وهو ثقة .

٩٧٤ - أحمد (٥ / ١١) .

وكشف الأستار (٤ / ١٢٨) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣١٠) . وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني . ورجال أحمد رجال الصحيح .

٩٧٥ - مسلم (١ / ١١٠) ١ - كتاب الإيمان ، ٥١ - باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن .

مُؤمِنًا ويُصْبِحُ كافِراً ، يَبيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِن الدُّنْيا » .

٩٧٦ - * روى الترمذي عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يكون بين يدي الساعة فِتَنٌ كَقِطَعِ الليل المظلم ، يُصبح الرجلُ مؤمنًا ، ويُمسي كافراً ، ويُمسي مؤمنًا ، ويُصبحُ كافراً ، يبيع أقوام دِينَهم بعَرَضٍ من الدنيا » .

أقول :

إنّ ظهور ماورد في هاتين الروايتين في عصرنا بيّن فإنك تجد الإنسان مؤمنًا في الصباح ويمسي على شيوعية أو وجودية أو قومية جاهلية أو حزبية كافرة أو ولاء كافر أو انتساب لأنواع من الكفر وأهله ، ونجده مؤمنًا في المساء ويصبح على شيء مما ذكرناه في الصباح من أجل مصلحة أو منفعة لا تساويان شيئًا .

٩٧٧ - * روى البزار عن نَهيك بن صُرَيْم السكوني قال : قالَ رسول الله ﷺ : « لَتقاتِلُنَّ المشركين حتى يُقاتِلَ بقيتُكم الدجال على نهرِ الأردن أنتم شرْقِيّه وهم غَرْبيّه ولا أدري أين الأردنُّ يومئذٍ » .

أقول : الظاهر أن الدجال الوارد في هذا الحديث ليس هو الدجال الأكبر ، لأن الدجال الأكبر يقتله المسيح في باب لد بفلسطين نفسها وتكون القدس عاصمة الخلافة فلا يتصور وقتذاك أن يكون المسلمون شرقي النهر والدجال غربيه ، فالحديث فيه إشارة إلى الوضع الحالي للمسلمين حيث سيطر اليهود وهم جند الدجاجلة على فلسطين فأصبحوا غرب النهر والمسلمون شرقيّه ، وقد حدثت معركة الكرامة بين المسلمين واليهود عندما تجاوز اليهود النهر واندحروا .

= والترمذي (٤ / ٤٨٧) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٣٠ - باب ما جاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

٩٧٦ - الترمذي (٤ / ٤٨٨) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٣٠ - باب ما جاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم . وقال : هذا حديث غريب.

(كقطع) : قطع الليل : طائفة منه .

٩٧٧ - كشف الأستار (٤ / ١٣٨) .

مجمع الزوائد : (٧ / ٣٤٨) . وقال : رواه الطبراني والبزار ورجال البزار ثقات .

٩٧٨ - * روى أحمد عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يوشِكُ الأُمَمُ أنْ تَدَاعَى عليكم كما تَدَاعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتها » فقال قائل : ومن قِلَّةٍ نحن يومئذٍ ؟ قال : « بل أنتم يومئذٍ كثير ، ولكنَّكم غُثاءٌ كغثاء السَّيْلِ ، ولَيَنْزِعنَّ اللهُ مِنْ صدور عدوِّكم المهابة منكم ، ولَيَقْذِفَنَّ في قُلُوبكم الوَهْنَ » قيل : ومالوهْنُ يارسولَ الله ؟ قال : « حُبُّ الدُّنْيا ، وكراهية الموت » .

٩٧٩ - * روى أحمد عن أبي هريرةَ قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لثوبان : « كيف بك ياثوبانُ إذا تداعَتْ عليكم الأممُ كتداعيكم على قَصعةِ الطعامِ تُصيبون منه » . قال ثوبان : بأبي أنت وأمي يارسولَ الله أمِنْ قِلَّةٍ بنا ؟ قال : « لا أنتم يومئذٍ كَثيرٌ ولكن يُلقى في قلوبِكُم الوَهْنُ » قالوا : ومالوهنُ يارسول الله ؟ قال : « حُبُّكم الدنيا وكراهيتُكم القتالَ » .

أقول : في هذا الحديث معجزة كبرى من معجزاته عليه الصلاة والسلام ، ومن عرف مرحلة وقوع العالم الإسلامي في براثن الاستعمار حتى أصبحت لكثير من الدول الكافرة مستعمراتها ، ولا زالت بعض البلدان الإسلامية مستعمرة ، ومن عرف موقف الدول الكافرة مما أسمي بمسألة الرجل المريض ويريدون بذلك الدولة العثمانية أدرك مصداق ذلك ، وقد ذكر الحديث العلاج ، فالعلاج للخلاص من الغثائية : العلم والذكر والخصائص والتخصص ، ومن أهم الخصائص الزهد في الدنيا وحب الشهادة في سبيل الله .

٩٨٠ - * روى أحمد عن أبي مُوَيْهِبَةَ مولى رسولِ الله ﷺ قال : بعثني رسول الله ﷺ فقال : « ياأبا مويهبة إني قد أُمِرْتُ أن أستغفر لأهل البقيعِ فانطلقْ معي » ،

---

٩٧٨ - أحمد (٥ / ٢٧٨) .

وأبو داود (٤ / ١١١) كتاب الملاحم ، باب في تداعي الأمم على الإسلام . وهو حديث صحيح .

(تداعى) : التداعي : التتابع ، أي : يدعو بعضها بعضًا فتجيب .

(الأكَلَة) : جمع آكل .

(غُثاء) : الغُثاء : مايلقيه السيل .

٩٧٩ - أحمد (٢ / ٣٥٩) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٨٧) . وقال : رواه أحمد والطبراني في الأوسط بنحوه . وإسناد أحمد جيد .

٩٨٠ - أحمد (٣ / ٤٨٩) .

=

فانطلقت معه فلما وقف بين أظهُرِهم قالَ : « السلامُ عليكم ياأهلَ المقابرِ لِيَهْنِكُمْ ماأصبحْتم فيه مما أصبحَ الناسُ فيه لو تعلمون مَانجَّاكم الله منه ، أقبلت الفتن كقطعِ الليل المظلِمِ يَتْبَعُ آخِرُها أولَها الآخرة شرٌّ من الأولى » . ثم أقبل علي فقال : « ياأبا مويهبة : إني قد أوتيت خزائنَ الدنيا والخلد فيها ثم الجنة وخُيِّرْتُ بين ذلك وبين لقاء ربي عز وجل والجنةِ » قال : قلت بأبي أنت وأمي فخُذْ مفاتيحَ الدنيا والخلدَ فيها ثم الجنة قال : « لا والله ياأبا مويهبة : لقد اخترت لقاء ربي ثم الجنة » ثم استغفرَ لأهل البقيعِ ثم انصرفَ ، فبدأ رسول الله ﷺ في وجعه الذي قبَضَهُ اللهُ عز وجَلَّ حين أصبح وفي رواية [(1)] عنه أيضًا قال : أمرَ رسول الله ﷺ أن يُصليَ على أهل البقيع فصلى عليهم رسول الله ﷺ ثلاث مرات فلما كانت الثالثة قال : « ياأبا مويهبة أسْرِجْ لي دابتي » قال فركب ومشيت حتى انتهى إليهم فنزل عن دابته وأمسكتُ الدابة .

٩٨١ - * روى مسلم عن حذيفة بن اليَمان رضي الله عنهما ، قال : أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقومَ الساعةُ ، فما منه شيء إلا وقد سألته إلا أني لم أسأله : مايُخرِجُ أهلَ المدينة من المدينة ؟

أقول : لقد جلا أهل المدينة المنورة عنها في الحرب العالمية الأولى .

٩٨٢ - * روى الطبراني عن ميمونةَ قالتْ قالَ نبيُّ الله ﷺ لنا ذات يوم : « ماأنتم إذا مَرِجَ الدينُ وسُفِكَ الدماءُ وظهرتِ الزينةُ وشُرِّفَ البنيانُ واخْتَلَفَ الإخوانُ وحُرِقَ البيتُ العتيقُ » وفي رواية : « واختلف الأحبار » بدلَ الإخوانِ .

= (1) أحمد الموضع نفسه .

مجمع الزوائد : (٩ / ٢٤) . وقال : رواه أحمد والطبراني بإسنادين ورجال أحدهما ثقات إلا أن الإسناد الأول عن عبيد بن حنين عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبي مويهبة ، والثاني عن عبيد بن حنين عن أبي مويهبة .

٩٨١ - مسلم (٤ / ٢٢١٧) ٥٢٠ - كتاب الفتن وأشراط الساعة - ٦ باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة .

٩٨٢ - المعجم الكبير (٢٤ / ١٠) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣١٠) . وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

أقول :

إن بعضًا مما ورد في الحديث نراه في عصرنا عيانًا . وقد رمي البيت العتيق يوم حاصر الحجاجُ ابنَ الزبير .

٩٨٣ - * روى أبو داود عن عبد اللهِ بن عمرَ رضي الله عنهما قال : كنا قُعوداً عندَ رسول الله ﷺ ، فذكرَ الفتنَ ، فأكثر في ذِكرها ، حتى ذكر فتنةَ الأحلاس ، فقالَ قائلٌ : يارَسولَ الله ، ومافتنةُ الأحْلاسِ ؟ قال : « هي هَرَبٌ وَحَرَبٌ ، ثم فِتْنَةُ السَّراء ، دَخَنُها من تحت قَدَمَيْ رَجُلٍ من أهل بيتي ، يَزْعَمُ أنه مني ، وليس مني ، وإنما أوليائي المتقون ، ثم يَصْطَلِحُ الناسُ على رجلٍ كَوَرِكٍ على ضِلَعٍ ، ثم فِتنةُ الدُّهَيْمَاء ، لا تَدَعُ أحداً مِنْ هذه الأمةِ إلا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً ، فإذا قيل : انْقَضَتْ تمادَتْ ، يُصْبِحُ الرجلُ فيها مؤمنًا ويمسي كافراً ، حتى يَصيرَ الناسُ إلى فُسطاطين ، فُسطاطِ إيمانٍ لانفاقَ فيه وفُسطاط نفاقٍ لا إيمانَ فيه ، فإذا كان ذاكُمْ فانتظروا الدَّجّال من يومِه ، أو من غَدِهِ » .

أقول : (الدُّهَيْماءُ) : تصغير الدَّهْماء ، وقد أصبحت تطلق كلمة الدهماء على العامة ، وبين كلمة العامة والدهماء صلة واضحة ، فلم تزل كلمة سواد الناس تطلق على العامة .

الظاهر أن فتنة الدهماء هو مانحن فيه ، فإنها هي الفتنة التي لم يسلم أحد من ضربة من

---

٩٨٣ - أبو داود (٤ / ٩٤) كتاب الفتن ، باب ذكر الفتن ودلائلها .

(الأحلاس) : قال ابن الأثير في النهاية : الأحلاس : جمع حِلْس ، وهو الكساء الذي يَلي ظهر البعير تحت القَتَب ، شبهها به للزومها ودوامها . ا . هـ .

(وحَرَب) : الحَرَب بفتح الراء : ذهاب المال والأهل ، يقال : حَرِبَ الرجل ، فهو حريب : إذا سُلِبَ أهله وماله .

(دَخَنها) : إثارتُها وهَيْجُها ، شبهها بالدخان الذي يرتفع ، أي أن أصل ظهورها من هذا الرجل . وقوله « من تحت قدمي رجل » يعني : أنه يكون سبب إثارتها .

(كورك على ضِلَع) : مَثَلٌ ، أي أنه لا يستقل بالملك ، ولا يلائمه ، كما أن الورك لا تلائم الضلع .

(فتنة الدهيماء) : أراد بالدهيماء : السوداء المظلمة .

(فسطاطين) : الفُسطاط : الخيمة الكبيرة ، وتسمى مدينة مصر : الفسطاط ، والمراد به في هذا الحديث : الفرقة المجتمعة المنحازة عن الفرقة الأخرى ، تشبيهاً بانفراد الخيمة عن الأخرى ، أو تشبيهاً بانفراد المدينة عن الأخرى ، حملاً على تسمية مصر بالفسطاط ، ويروى بضم الفاء وكسرها .

ضرباتها بشكل من الأشكال ، إما فكريًا وإما روحيًا وإما اقتصاديًا وإما سياسيًا ، وإما أخلاقيًا وإما اضطهادًا إلى آخر مايحسه كل فرد من أفراد هذه الأمة في هذا العصر أنه قد ضرب ضربة من هذه الفتنة . ولكن بعض الناس تكون ضربتهم مميتة وبعضهم تكون ضربتهم طويلة ، وبعضهم يصحو بسرعة . وإني لأعرف خيارًا من الناس قد فتنوا بشيء ما ، ثم فاؤوا .

ولم أذكر شيئًا عن فتنة السراء مع غلبة الظن أنها وقعت ، لأن تعيين القائم بها مختلف فيه . فقد كان شيخنا الحامد رحمه الله يعينه ، وكنت أرى رأيًا آخر ، وكلا الرأيين أحتفظ به لأسباب شتى .

٩٨٤ - * روى البخاري عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ: « ماتركتُ بعدي فِتنَةً هي أضرُّ على الرجال من النساء » .

أقول :

لم تظهر فتنة النساء كما ظهرت في عصرنا ، إذ ظهرت النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات اللواتي ذكرهن الحديث الصحيح الذي هو من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام .

٩٨٥ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صِنفَانِ من أهل النارِ ، لم أرهما : قومٌ معهم سياط كأذناب البقر ، يَضْرِبُون بها الناس ، ونساءٌ كاسيات عاريات ، مُميلات مائلات ، رؤوسهن كأسْنِمَةِ البُخْتِ المائلة ، لا يدخُلْنَ الجنة ، ولا يَجِدْنَ ريحها ، وإن رِيحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا » .

---

٩٨٤ - البخاري (٩ / ١٣٧) ٦٧ - كتاب النكاح ، ١٧ - باب ما يتقى من شؤم المرأة وقوله تعالى : ﴿ إن من أزواجكم وأولادكم عدوًا لكم ﴾ .

مسلم (٤ / ٢٠٩٧) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، ٢٦ - باب بيان أكثر أهل الجنة ..... إلخ.

والترمذي (٥ / ١٠٣) ٤٤ - كتاب الأدب ، ٣١ - باب ما جاء في تحذير فتنة النساء . وقال : حديث حسن صحيح.

٩٨٥ - مسلم (٣ / ١٦٨٠) ٣٧ - كتاب اللباس والزينة ، ٣٤ - باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات .

قال ابن الأثير : (كاسيات عاريات) : المعنى : أنهن يكشفن بعض أجسامهن ، ويسدلن الخُمُر من ورائهن ، فيكشفن صدورهن ، فهن كاسيات عاريات ، إذ بعض ذلك منكشف ، وقيل : هو أن يَلْبسْنَ ثيابًا رِقاقًا تصف ماتحتها ، فهن كاسيات في ظاهر الأمر ، عاريات في الحقيقة .

(مائلات مميلات) : مائلات ، أي : زائغات عن طاعة الله وعما يلزمهن من حفظ الفروج ، ومميلات : يعلمن غيرهن : الدخول في مثل فعلهن ، وقيل : مائلات ، أي : متبخترات في مشيهن ، مميلات ، أي : يُمِلْنَ أعطافهن وأكتافهن وقيل : مائلات إلى الشّر ، مميلات للرجال إلى الفتنة .

(رؤوسهن كأسنمة البُخْتِ) : أراد تشبيه رؤوسهن بأسنمة البخت بما يُكَبّرْنَ رؤوسهن به من المقانع والخُمُر والعمائم، أو بِصِلَة الشعور . ا . هـ .

أقول :

ماذكرناه من شرح للحديث هو بعض ماشرحه به ابن الأثير رحمه الله ، ولكن الشرح الحقيقي للحديث هو مانراه في عصرنا هذا ، سواء في ذلك وجود رجال مهمتهم تعذيب خلق الله بالباطل ووجود نساء يتصفن بما ذكره رسول الله ﷺ في الحديث حتى إن دقة الوصف في الحديث لما نشاهده عند كثير من نساء عصرنا لهو وحده معجزة من أكبر المعجزات فلقد تفنَّنَ كثير من النساء بأنواع من اللباس يظهر معه عريٌ الجميل من الجسد ، كما تفنَّنَّ في أنواع تسريحات الشعر وتقليعات الرؤوس ، حتى إن بعض التقليعات سميت في عصرنا بتسريحة السد العالي إشارة إلى نوع من تسريحات الشعور يرتفع بها شعر المرأة فوق رأسها كسنام الجمل ، وكل ذلك تفعله الكثيرات وتخرج به أو تظهر به أمام أجهزة الإعلام .

أما المَشَاهِد الأكثر ابتذالاً من ظهور المرأة « بالمايوه » الذي يكشف ماسوى السوأتين في كثير من الأحوال وعرض ذلك في وسائل الإعلام فحدث عنه ولا حرج ، فالواقع : الأمر أكبر من أن يصور بالكلمة .

٩٨٦ - * روى مسلم عن أبي سَعيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « إنَّ الدُّنْيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ ، وإنَّ الله مُسْتَخْلِفُكُمْ فيها فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاء ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاء » .

٩٨٧ - * روى أحمد عن عبدِ اللهِ بنِ بُسْرٍ قال : لقد سمعت حديثًا منذ زمان إذا كنت في قومٍ عشرين رجلا أو أقلَّ أو أكثر فتصفحت وجوههم فلم ترَ فيهم رجلاً يُهابُ في اللهِ عز وجل فاعلم أن الأمر قدَ رَقَّ .

٩٨٨ - * روى أحمد عن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله ﷺ قال: « لَتُنْتَقَضَنَّ عُرى الإسلام عُروةً عُروة فكلما انْتُقِضَتْ عُروةٌ تشبَّثَ الناسُ بالتي تليها وأولُهن نقضًا الحُكْمُ وآخِرُهن الصلاةُ » .

٩٨٩ - * روى أحمد عن سَلَمَةَ بنِ نُفَيْلٍ السَّكوني قال : كنا جلوسًا عندَ رسول الله ﷺ إذ قالَ قائلٌ : يا رسول الله هل أُتيتَ بطعامٍ مِنَ السماء ؟ قال : « نعم ، أُنْزِلَ عليَّ طعام في مِسْخَنَة » . قال : فهل كان فيها فضلٌ عنك ؟ قال : « نعم » . قال : فما فُعل به قال : « رُفِعَ وهو يُوحى إلي أني مَكْفوتٌ غيرُ لابثٍ فيكم ولستم لابثين بعدي إلا

---

٩٨٦ - مسلم (٤ / ٢٠٩٨) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - ٢٦ باب أكثر أهل الجنة الفقراء ... إلخ .

وابن ماجه (٢ / ١٣٢٥) ٣٦ - كتاب الفتن ، ١٩ - باب فتنة النساء .

(مستخلفكم فيها) : أي : جاعلكم خلفاء من القرون الذين قبلكم ، فينظر هل تعلمون بطاعته ، أم بمعصيته وشهواتكم . (فاتقوا الدنيا واتقوا النساء) : أي احذروا الافتتان بها .

٩٨٧ - أحمد (٤ / ١٨٨) .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٧٦) . وقال : رواه أحمد والطبراني ، وإسناد أحمد جيد .

٩٨٨ - أحمد (٥ / ٢٥١) . ورجاله رجال الصحيح .

مجمع الزوائد (٧ / ٢٨١) . وقال : رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح ، إلا أن في الأصل عن حبيب بن سليمان عن أبي أمامة وصوابه سليمان بن حبيب المحاربي فإنه روى عن أبي أمامة وروى عنه عبد العزيز بن إسماعيل بن عبيد الله .

٩٨٩ - أحمد (٤ / ١٠٤) .

والمستدرك (٤ / ٤٤٧) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال الذهبي : لم يخرجا لأرطأة وهو ثبت والخبر من غرائب الصحاح .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٠٦) وقال : رواه أحمد والطبراني والبزّار وأبو يعلى ورجاله ثقات .

(مِسْخَنَة) : قدر كالتور ، يُسخَّن فيها الطعام - والتور : إناء يشرب فيه .

قليلاً حتى تقولوا متى وستأتوني أفنادًا يفني بعضكم بعضًا وبين يدي الساعة مُوتَانٌ شَديدٌ وبعده سنوات الزلازل » .

أقول :

قوله عليه الصلاة والسلام (بين يدي الساعة مُوتان شديد وبعده سنوات الزلازل) يحتمل أن يكون فيه إشارة إلى الحربين العالميتين الأولى والثانية وما أعقبهما من كثرة الزلازل حتّى إنّك كثيراً ماتسمع عن وقوع زلزلة في مكان ما ، وقد يكون فيه إشارة إلى حرب عالمية أخرى يكثر فيها الفناء والبلاء والاحتمال الأكبر إذا وقعت حرب عالمية ثالثة ألا يبقى في الأرض أحد إلا قليلاً .

٩٩٠ - * روى أحمد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تَقومُ السّاعَةُ حَتى يَتَبَاهَى الناسُ في المساجِدِ » .

٩٩١ - * روى أبو داود عن يزيد بن عَميرةَ ، وكان من أصحاب مُعاذِ بنِ جبلٍ رضِيَ الله عنه أنّه قَال : كان لا يجلس مجلساً للذِّكْرِ ، إلا قال حِينَ يَجْلِسُ : اللهُ حَكَمٌ قِسْطٌ ، هلَك المرتابُون ، فَقال معاذُ بنُ جَبلٍ يَوْماً : إنّ وراءكم فِتَنًا يَكثُرُ فيها المالُ ، ويُفتَح فيها القرآنُ حتّى يأخذَه المؤمنُ والمنافقُ ، والرَّجُلُ والمرْأةُ ، والعَبْدُ والحُرُّ ، والصَّغيرُ والكَبيرُ ، فيُوشِكُ قائلٌ أن يَقُول : ماللنّاسِ لا يتّبِعُوني وَقَدْ قَرأتُ القُرْآنَ ؟ وَمَاهُمْ بِمتَّبِعيَّ حَتّى أَبْتَدِعَ لَهُم غيرَه ، فإيَّاكُم وَمَا ابْتُدِع ، فإنّما ابتُدِع ضَلالَةٌ ، وأحذِّركُم زَيغةَ الحكيم ، فإنّ الشَّيْطَان قدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلاَلَةِ على لِسَانِ الحَكيمِ ، وقَدْ يَقُولُ المُنَافِقُ كلمةَ الحَقِّ ، قَالَ : قُلْتُ لمُعَاذٍ : وَمَاتَدْرِي رَحمكَ اللهُ أنّ الحكيمَ قَدْ يَقُولُ كلمَةَ الضَّلاَلَةِ ، وأنّ المنافقَ يقُولَ كَلمَةَ

= (مُوتان) : بضم الميم ، مُوتَانٌ على وزن بُطلان ، : وهو الموت الكثير الوقوع .

٩٩٠ - أحمد (٣ / ١٣٤) .

وابن ماجه (١ / ٢٤٤) ٤ - كتاب المساجد والجماعات ، ٢ - باب تشييد المساجد . والحديث صحيح .

٩٩١ - أبو داود (٤ / ٢٠٢) كتاب السنة ، باب لزوم السنة .

(القِسط) : العدل .

(زيغة الحكيم) : الزَّيغُ ، وأراد به : الميل عن الحق ، والحكيم : العالم العارف ، أراد به : الزلل والخطأ الذي يعرض للعالم العارف ، أو يتعمّده لقلة دينه .

الحَقّ ؟ قالَ : بَلَى ، اجتنِبْ مِن كَلامِ الحكيمِ المشْتَهِرات التي يقَالُ : مَاهذِهِ ؟ وَلاَ يُثْنِيَنَّكَ ذلكَ عَنْهُ ، فَإِنَّه لَعَلّه يُراجِعُ ، وتَلَقَّ الحق إذا سَمِعْتَهُ ، فإِنَّ عَلَى الحق نُورًا .

وفي أُخْرَى قَالَ : بَلَى ، مَاتَشَابَهَ عَلَيكَ من قَوْلِ الحَكِيمِ ، حَتَّى تقُولَ : مَاأَرَادَ بِهَذِهِ الكَلِمَةِ ؟

٩٩٢ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : بينا رسولُ الله ﷺ في مجلس يحدِّثُ القومَ ، إذ جاءه أعرابي ، فقال : متى الساعةُ ؟ فمضى رسولُ الله ﷺ في حديثه ، فقال بعضُ القوم : سَمِعَ ماقال ، فكَرِهَ ماقالَ ، وقال بعضُهم : بل لم يَسمعْ ، حتى إذا قضى حديثَه ، قال : « أين السائلُ عن الساعة ؟ » قال : هاأنا ذا يارسولَ الله ، قال : « إذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ فانتظرِ الساعةَ » قال : وكيف إضاعتُها ؟ قال : « إذا وُسِّدَ الأمْرُ إلى غيرِ أهله فانتظر الساعة » .

٩٩٣ - * روى البخاري عن أبي مالك - أو أبي عامر - الأشعريين رضي الله عنهما قال عبدُ الرحمن بن غَنْم الأشعري : حَدَّثني أبو عامر - أو أبو مالك الأشعري - والله ماكَذَبني ، سمعَ النبيَّ ﷺ يقولُ : « ليكونَنَّ من أُمَّتي أقوامٌ يستَحِلُّون الحِرَّ وَالحريرَ والخمر والمعازف ، ولَيَنزِلَنَّ أقوَامٌ إلى جنب عَلَم تروح عليهم سارحةٌ لهم ، فيأتيهم رجل لحاجة ، فيقولون : ارْجِعْ إلينا غداً ، فيُبَيِّتُهم اللهُ ، ويَضَعُ العَلَمَ ، ويَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وخنازيرَ إلى يوم القيامة » .

وفي رواية أبي داود [1] : أنه سمعَ رسول الله ﷺ يقول : « ليكونَنَّ من أُمَّتي أقوامٌ يستحلون الخِزَّ والحرير » .. وذكر كلامًا ، قال : « يَمسَخُ منهم آخرين قردة

---

٩٩٢ - البخاري (١ / ١٤٢) ٣ - كتاب العلم ، ٢ - باب من سئل علمًا وهو مشتغل .... إلخ .

(وُسِّد الأمر إلى غير أهله) : إذا أسند إليه ، هذا كناية عن استقامة الناس وانقيادهم إليه واتفاقهم عليه وهو غير أهل لذلك .

٩٩٣ - البخاري (١٠ / ٥١) ٧٤ - كتاب اللباس ، ٦ - باب ماجاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه .

(الحِرّ) : الفرج .

(العَلَم) : الجبل ومايُهتدى به في البرية ، من بناء أو جُدار أو غير ذلك .

(١) أبو داود (٤ / ٤٦) كتاب اللباس ، باب ماجاء في الخز . وهو حديث صحيح ، ومن ضعفه كابن حزم في المحلى وغيره فما أصاب .

وخنازيرَ إلى يوم القيامة » .

أقول :

لقد ظهر استحلال الفروج والحرير والخمر والمعازف في هذه الأمة بأكثر من صورة ، فالقائلون بسقوط التكليف يستحلون ذلك ، وبعض طوائف الباطنية يستحلون ذلك ، وكثير من العامة لا يبالون في ارتكاب هذه المحظورات ، وبعضهم يتكلم كلام المستحل .

أما ماورد من تهديد لأمثال هؤلاء فلا نعرف أنه وقع حتى الآن ، وإن كان المسخ المعنوي حاصلاً .

٩٩٤ ـ * روى الطبراني عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتي على الناس زمانٌ يَتَمَنَّون فيه الدجال » . قلت يارسولَ الله بأبي وأمي مِمَّ ذاك قال : « مما يَلْقون من العَناء والعَناء » .

أقول : لقد مرت على الأمة الإسلامية أحداث ولا زالت تمر تجعل المسلم يتمنى قيام الساعة ، ولا تقوم الساعة قبل أن يظهر الدجال لذلك يتمنّون ظهور الدجال ومايكون بين يديه من ظهور المهدي عليه السلام ومايعقب ظهوره من نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، وهانحن اليوم نجد كثيراً من المسلمين يتطلعون إلى ظهور المهدي عليه السلام كمخرج للإنقاذ ، ولكن الظاهر من النصوص أن بيننا وبين ظهوره أمداً كما سنرى والله أعلم .

٩٩٥ ـ * روى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا وَقَعَتِ المَلاحِمُ بَعَثَ اللهُ بَعْثًا مِنَ الموالي هُمْ أَكْرَمُ العَرَبِ فَرَسًا وَأَجْوَدُهُ سِلاحًا يُؤَيِّدُ اللهُ بِهِمُ الدِّينَ » .

---

٩٩٤ ـ مجمع الزوائد (٧ / ٢٨٤) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات ، ورواه البزار بنحوه ورجاله ثقات . وكشف الأستار (٤ / ١٤٠) .

٩٩٥ ـ ابن ماجه (٢ / ١٣٦٩) ٣٦ ـ كتاب الفتن ، ٣٥ ـ باب الملاحم .

وفي الزوائد : إسناده حسن ، وعثمان بن أبي العاتكة مختلف فيه .

والمستدرك (٤ / ٥٤٨) . وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ، وقال الذهبي : على شرط مسلم وضعفه بعضهم وفي رواية الحاكم : « بعثًا من الموالي من دمشق » .

أقول :

الظاهر أن المراد بالملاحم هنا ماحدث من غزو الصليبيين والتتار ، فلقد قام أيام هذه الملاحم وبعدها بنصرة الإسلام شعوب غير عربية كالأكراد والأتراك والبربر فيوسف بن تاشفين بربري وصلاح الدين كردي ونور الدين الشهيد تركي ، ثم ظهرت دولة آل عثمان فقامت بدور كبير ، وهؤلاء وأمثالهم قاموا بحق الله عليهم وبعضهم كان مقره دمشق وبعضهم كان مقره في غيرها ، ولا ننسى أن قطزاً صاحب معركة عين جالوت وبيبرس الذي كان له دور كبير في الجهاد من الموالي، ولا ننسى أن دمشق كانت حاضرة لنور الدين وصلاح الدين وبيبرس.

٩٩٦ - * روى مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « تَبْلُغُ المساكنُ إهَابَ أو يَهَابَ » .

قال زهير : قلت لسهيل وكم ذلك من المدينة قال : كذا وكذا مثلاً .

٩٩٧ - * روى مسلم عن موسى بن علي عن أبيه ، قال : قال المُسْتَوْرِدِ القُرَشِيُّ عِنْدَ عمرو ابن العاص سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تقوم الساعة والروم أَكْثَرُ الناس » فقال له عمرو : أَبْصِرْ ما تقولُ قال : أَقُولُ مَا سمعتُ من رسول الله ﷺ : قال لئِنْ قلتَ ذَاك فإن فِيهِم لخصَالاً أَرْبَعاً : إنَّهم لأَحكَمُ الناس عند فتنةٍ ، وأسرعُهم إفَاقَةً بعد مصيبة ؛ وأوشكهم كرةً بعد فَرةٍ ، وخيرهُم لِمِسْكِينٍ ويتيم وضعيفٍ وخامسة حسنة جميلة : وأمنعهم من ظُلْمِ الملوك .

أقول : تطلق كلمة الروم ويراد بها النصارى ، والمعروف أن روسيا القيصرية وأوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية كلها واستراليا كلها نصارى ، ولا زالت خريطة العالم فيها أكثرية من الروم إذا اعتبرنا سكان أوروبا والقسم الآسيوي من الاتحاد السوفياتي وأمريكا الشمالية والجنوبية يشكلون بالنسبة للعالم حجمًا لا بأس به .

---

٩٩٦ - مسلم (٤ / ٢٢٢٨) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٥ - باب في سكنى المدينة وعمارتها قبل الساعة .

(إهاب) : اسم مكان قريب من المدينة .

أقول : ومن رأى النهضة العمرانية الموجودة في زمننا في المدينة المنورة ، وامتداد العمران المتصاعد فيها رأى مصداق الحديث .

٩٩٧ - مسلم (٤ / ٢٢٢٢) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٠ - باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس .

الفقرة الخامسة عشرة

في :

أشراط صغرى لم تقع بعد

٩٩٨ - * روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ، لا تقومُ الساعةُ حتى تُكَلِّمَ السباعُ الإِنْسَ ، وحتى تُكَلِّمَ الرجلَ عَذَبَةُ سَوطه وشِراكُ نَعله ، وتُخْبِرَهُ فَخِذُه بما أحدثَ أَهلُهُ بَعْدَهُ » .

أقول : شهد عصرنا إمكانية تسجيل مايجري من أحاديث بوسائل كهربائية دقيقة قد يبلغ حجمها حجم عَذَبَةِ السوطِ أو أقل ، وأصبح بالإمكان التنصت على مايجري داخل الأبواب وفي الاجتماعات بوسائل دقيقة جدًّا ومع ذلك لا نستطيع حمل هذا الحديث على هذا الذي يجري لأن الظاهر أن ما أخبر عنه الحديث سيكون بشكل خارق للعادة والله أعلم .

٩٩٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لا تقومُ الساعةُ حتى يقومَ رجلٌ من قَحطانَ يَسوقُ الناسَ بعصاه » .

أقول : يجمع النّسّاب العرب على أن الأكراد أصولهن عربية قحطانيّة ، وممن حكم من الأكراد ودأن له الناس السلطان صلاح الدين الأيوبي العالم المجاهد العابد، فهل هو المراد بالحديث أو غيره ؟ الله أعلم .

وقد ذهب بعضهم إلى أن الحديث لم يقع وإنما وقوعه قبيل قيام الساعة بعد وفاة المسيح عليه السلام .

---

٩٩٨ - الترمذي (٤ / ٤٧٦) ٣٤ - كتاب الفتن ، ١٩ - باب ماجاء في كلام السباع . وقال : هذا حديث حسن صحيح . وهو كما قال .

(عذبة سوطه) : السير المعلق في طرفه .

٩٩٩ - البخاري (١٣ / ٧٦) ٩٢ - كتاب الفتن ، ٢٣ - باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان .

مسلم (٤ / ٢٢٣٢) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ... إلخ .

(يسوق الناس بعصاه) : لم يرد العصا نفسها ، وإنما ضربها مثلاً لطاعتهم ، واستيلائه عليهم .

١٠٠٠ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ، لا تمرُّ الدنيا حتى يَمُرَّ الرجلُ بالقبر فيتمرَّغ عليه ، ويقول : ياليتني مكانَ صاحبِ هذا القبرِ ، وليس به الدِّيْنُ ، مابه إلا البلاءُ » .

وفي رواية[1] : قال : « لا تقوم الساعة حتى يَمُرّ الرجل بقبر الرجل ، فيقول: ياليتني مكانه » .

١٠٠١ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تذهبُ الليالي والأيامُ حتى يَمْلِكَ رجلٌ من الموالي ، يقالُ له : الجَهْجاه » وفي نسخة : الجَهْجَلُ .

١٠٠٢ - * روى مسلم عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ؛ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ ؟ » قَالُوا : نَعَمْ . يَارَسُولَ اللهِ ! قَالَ : « لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاق فَإِذَا جَاؤُهَا نَزَلُوا . فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلاحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ قَالُوا : لا إِلَهَ إلا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ . فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا » .

قَالَ ثَوْرٌ : لاَ أَعْلَمُهُ إلا قَالَ : « الَّذِي فِي الْبَحْرِ . ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ : لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الآخَرُ . ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ : لا إِلَهَ إلا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ . فَيُفَرَّجُ لَهُمْ . فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا . فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ ، إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ فَقَالَ : إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ . فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيءٍ ، وَيَرْجِعُونَ » .

أقول : في هذا الحديث كلام عن الفتح الثاني للقسطنطينية ، وأن هذا الفتح سيكون

١٠٠٠ - مسلم (٤ / ٢٢٣١) : الموضع السابق .

(١) البخاري (١٣ / ٧٤) ٩٢ - كتاب الفتن ، ١٢ - باب لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور .

ومسلم (٤ / ٢٢٣١) : الموضع السابق .

١٠٠١ - مسلم (٤ / ٢٢٣٣) : الموضع السابق .

١٠٠٢ - مسلم (٤ / ٢٢٣٨) : الموضع السابق .

بخارق للعادة ، وأن القائمين ليسوا عربًا في أصولهم بل أصولهم من بني إسحاق ، والمعروف أن إسحاق له أكثر من ولد ، فله غير يعقوب جد بني إسرائيل . وحول قوله من بني إسحاق قال القاضي :

كذا هو في جميع أصول مسلم : « من بني إسحاق » . قال : قال بعضهم : المعروف المحفوظ : « من بني إسماعيل » ، وهو الذي يدل عليه الحديث وسياقه لأنه إنما أراد العرب ، وهذه المدينة هي القسطنطينية . ا . هـ .

١٠٠٣ ـ * روى الطبراني عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إنكم ستفتحون مدينة هرقل أو قيصر وتقتسمون أموالَها بالتِّرَسَةِ ويُسْمِعُهم الصريخُ أن الدجالَ قد خلفهم في أهاليهم فَيُلْقون مامعهم ويَخْرُجُون فيقاتلون » .

أقول :

لقد مّر معنا إخبار رسول الله ﷺ بفتح القسطنطينية قبل روما ، وقد حدث هذا الفتح ، وههنا تشير النصوص إلى فتح آخر للقسطنطينية يكون قبل الدجال مباشرة ، وهذا يفيد تغيُّر ماسيطرأ على الوضع الدولي قبيل ظهور المسيح الدجال ، تكون القسطنطينية فيه دار كفر ، وكون القسطنطينية اليوم لا يحكمها الروم فذلك من جملة العلامات على أن بيننا وبين المهدي زمنًا ، لأن المهدي يجتمع والمسيح ابن مريم عليه السلام .

١٠٠٤ ـ * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يَنزلَ الرومُ بالأعماق ـ أو بدابِقَ ـ فيخرج إليهم جيشٌ من المدينةِ من خيارِ أهلِ الأرض يومئذ ، فإذا تصافُّوا ، قالت الروم : خَلُّوا بيننا وبين الذين سَبَوا مِنَّا نقاتِلْهم ، فيقول المسلمون : لا والله ، كيف نُخَلِّي بينكم وبين إخواننا ، فيقاتلونهم ؟ فينهزمُ ثُلُثٌ لا يتوبُ اللهُ عليهم أبداً ، ويُقتَل ثُلُثُهم

١٠٠٣ ـ مجمع الزوائد : (٧ / ٣٤٩) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات .

(التِّرَسَة) : جمع تُرْس .

١٠٠٤ ـ مسلم (٤ / ٢٢٢١) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٨ ـ باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب .

أفضلُ الشهداء عند الله ، ويَفتَتِحُ الثلثُ ، لا يفتَنون أبداً ، فَيفتَتحون قسطنطينيةَ ، فبينما هم يَقْتَسِمون الغنائم ، قد عَلَّقُوا سُيوفَهُمْ بالزيتون ، إذ صاحَ فيهم الشيطانُ : إنَّ المسيحَ الدَّجَّالَ قد خَلَفكم في أهاليكم ، فيخرجون ، وذلك باطل ، فإذا جاءوا الشامَ خرج ، فبينا هم يُعِدُّون للقتال ، يُسَوُّون صفوفهم ، إذ أقيمتِ الصلاةُ ، فينزل عيسى ابنُ مريم ، فأمَّهم ، فإذا رآه عدو الله ذابَ كما يذوبُ المِلْحُ في الماء فلو تركَهُ لانْذَابَ حتى يَهْلِكَ ، ولكن يَقتُلُهُ اللهُ بيده - يعني المسيح - فيُريهم دَمَهَ في حربته » .

قوله : (لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق) قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة :

(الشك من الراوي . قال العلامة ياقوت الحموي في « معجم البلدان » : « الأعماقُ جاء بلفظ الجمع ، والمرادُ به العَمْقُ ، وهي كورة - أي ناحية - قُربَ دابق بين حلب وأنطاكية » . ثم قال : « دابق : قرية قُرْبَ حلب من أعمال عَزاز ، بينها وبين حلب أربعة فراسخ ») . ا . هـ (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

(خَلَفكم) خلفت الرجلَ في أهله : إذا قمت فيهم مقامه ، وخلفهم العدو : إذا طرقهم وهم غائبون عنهم .

قوله : (فإذا جاءوا الشام خرج) : قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة : (أي إذا جاءوا من قسطنطينية إلى بلاد الشام ودخلوا القدس - كما في رواية - خرج حينئذ المسيحُ الدجّال . ا.هـ (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

أقول :

قوله عليه السلام (قد علقوا سيوفهم بالزيتون) : يحتمل أن يكون المراد بالسيوف : الأسلحة ، كما سيذكر نصًا في رواية ستأتي بعد قليل ، ومن المعروف أن البندقية الحالية وهي أداة المقاتل الرئيسية لا تنفك عن الحربة التي هي سيف مصغر ، ويحتمل أن يكون المراد بالسيوف : السيوف المعروفة ، وهذا يقتضي أن طوارئ ستطرأ على الأوضاع الحالية

للحضارة يرجع الناس فيها إلى أدوات القتال المعروفة قديمًا ، ومن المعلوم أن كثيرين من العسكريين يتوقعون إذا قامت حرب عالمية ثالثة أن تفنى هذه الحضارة وأن توجد معطيات جديدة ، وفي الحديث إجمال ستفصله نصوص أخرى ، فالمسيح عليه السلام ينزل في المنارة البيضاء شرقي دمشق ثم يذهب إلى القدس ، وتكون القدس عاصمة الخلافة الإسلامية وقتذاك ، وعلى أرض فلسطين يقتل المسيح عليه السلامَ المسيح الدجال ، ويقتل المسلمون اليهود الذين يأتون مع المسيح الدجال ، وعلى هذا يحمل الحديث : « ... إن الحجر والشجر يقولان : ياعبد الله ياعبد الرحمن هذا يهودي فاقتله » . وهذا كله يدل على أن دولة اليهود القائمة الآن وجودها عارض .

١٠٠٥ ـ * روى مسلم عن يسير بن جابر ـ أو أسير ـ رضي الله عنه ، قال : هاجَتْ ريحٌ حمراءُ بالكوفة ، فجاء رجل ليس له هِجِّيرى إلا : ياعبدَ الله بنَ مسعودٍ ، جاءت الساعة ، قال : فقعد ـ وكان متكئاً ـ فقال : إنَّ الساعةَ لا تقوم حتى لا يُقْسَم ميراثٌ ، ولا يُفْرَحَ بغنيمة ، ثم قال بيده هكذا ـ ونَحّاها نحو الشام ـ فقالَ : عَدوّ يجمعون لأهل الإسلام ، ويجمع لهم أهلُ الإسلام ، قلتُ : الرومَ تعني ؟ قال : نعم ، ويكون عند ذلكم القتال رِدَّةٌ شديدةٌ ، فيتشرَّطُ المسلمون شُرْطةً للموت ، لا ترجعُ إلا غالبةً ، فيقتتلون حتى يَحْجُزَ بينهم الليلُ ، فَيفيءُ هؤلاء وهؤلاء ، كلٌّ غيرُ غالب ، وتَفْنَى الشُّرْطة ، ثم يتشرَّط المسلمون شُرْطةً للموت ، لا ترجع إلا غالبةً ، فيقتتلون حتى يَحْجُز بينهم الليل ، فيفيء هؤلاء ، وهؤلاء ، كلٌّ غيرُ غالب ، وتفنى الشُّرْطة ، ثم يتشرطُ المسلمون شُرْطةً للموت ، لا ترجع إلا غالبةً ، فيقتتلون حتى يُمْسُوا ، فيفيء هؤلاء وهؤلاء ، كلٌّ غيرُ غالب ، وتفنى الشُّرْطةُ ، فإذا كان اليومُ الرابعُ نَهَدَ إليهم بقيةُ أهلِ الإسلام ، فيجعل الله الدائرة عليهم ، فيقتتلون مقتلةً ـ إما قال : لا يُرى مثلُها ، وإما قال : لم يُرَ مثلُها ـ حتى إن الطائر لَيَمُرُّ بجنباتهم ، فما يُخَلِّفُهم

١٠٠٥ ـ مسلم (٤ / ٢٢٢٣) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١١ ـ باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال .

(هِجِّيرى) : هجيراه ، أي : عادته وديدنه .

(شرطة) : الشُّرْطة : أول طائفة من الجيش يشهد الوقعة ، والتشرُّط : تَفَعُّلٌ منه .

(نهد) : الجيش لقتال العدو : إذا نهضوا إليه .

حتى يَخِرَّ مَيتًا ، فيتعادُّ بنو الأم كانوا مائة فلا يجدونه بقِي منهم إلا الرجل الواحد ، فبأيِّ غنيمة يُفرَح ، أو أي ميراث يُقَسَّمُ ؟ فبينما هم كذلك إذ سَمِعُوا ببأسٍ هوَ أكبرُ من ذلك ، فجاءهم الصَّريخُ : إنَّ الدجالَ قد خَلَفَهم في ذَرارِيِّهم ، فيَرفُضُون مابأيديهم ، ويُقبلون ، فيبعثون عَشَرة فوارسَ طَليعةً ، قالَ رسولُ الله ﷺ : « إني لأعرفُ أسماءَهم ، وأسماءَ آبائهم ، وألوانَ خيولِهم ، هم خيرُ فوارسَ على ظهر الأرض يومئذ » أو قال : « من خير فوارسَ » .

أقول :

في هذا الحديث تفصيل للملحمة التي تكون بين يدي الساعة ، وكلمة الروم تطلق على النصارى في عصر النبوة ، فالملحمة الكبرى ستكون بين النصارى والمسلمين ويكون النصر للمسلمين ثم يتابعون النصر فيفتحون القسطنطينية التي تكون وقتذاك بيد النصارى مرة ثانية - والذي يبدو أن ذلك سيكون بعد قيام دولة الإسلام العالمية التي تحدثنا عنها من قبل - ثم يظهر الدجال وينزل عيسى بن مريم فيقتله في فلسطين عند باب لد الشرقي .

١٠٠٦ - * روى البخاري عن عَوْف بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : أَتيْتُ النَّبِيَّ ﷺ في غَزوةِ تَبُوكٍ وَهُوَ في قُبَّةِ أَدَمٍ ، فَقَالَ : « أُعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ : مَوْتِي ، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ المقْدِسِ ، ثُمَّ مُوتانٌ يَأْخُذُ فِيكُم ، كَقُعَاصِ الغَنَمِ ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المَالِ ، حَتَّى يُعطَى الرجلُ مائةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا ، ثم فتنةٌ لا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ العَرَبِ إلا دَخَلَتْه ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونَ بَيْنَكُم وبَيْنَ بَنِي الأَصْفَر ، فيَغْدِرون ، فيَأْتُونَكُم تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً ، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا » .

= (فيتعادُّ) : التعادُّ : تفاعل من العدّ ، أي يعدُّ بعضهم بعضًا .

(البأس) : الخوف والشدة .

١٠٠٦ - البخاري (٦ / ٢٧٧) ٥٨ - كتاب الجزية والموادعة ، ١٥ - باب مايحذر من الغدر .

(مُوتان) : المُوتان بضم الميم : وهو الموت الكثير الوقوع .

(القُعَاصُ) : داء يأخذ الغنم ، لا يَلْبثها أن تموت ، وقد حدث هذا في الطاعون الذي وقع في بلاد الشام زمن عمر رضي الله عنه .

(غاية) : الغاية : بالغين المعجمة : الراية ، ومنه غاية الخمّار ، وهي خرقة يرفعها على بابه ، ومن رواه بالباء : =

أقول :

بعض ماورد في هـذا النص وقع ، وبعضـه لم يقع ، ومنـه الفتنـة التي لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، والتي سيكون بعدها قيام دار العدل يلجأ إليهـا المسلمون ، وهـذه الدار تكون في هـدنـة مع النصارى ، ويبـدو كما سنرى في نص آخر أنـه يعقب ذلـك تحـالف مـع النصـارى على قتـال عـدو ولا يبعـد أن تكون هـذا العـدو هو الشيوعيين ، فينتصر المسلمون والنصـارى عليهم ثم يغـدر النصـارى ويكون النصر للمسلمين في المآل فيتـابعون الحرب حتى تفتح لهم القسطنطينية .

١٠٠٧ ـ * روى مسلم عن جـابرِ بن سَمُرَةَ . عن نـافع بن عُتبـةَ قـال : قـال رسـول الله ﷺ : « تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ ، فَيَفْتَحُهَا اللهُ ثُمَّ فَارِسَ ، فَيَفْتَحُهَا اللهُ . ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ ، فَيَفْتَحُهَا اللهُ . ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ ، فَيفتَحُهُ اللهُ » قَالَ فَقَالَ نَافِعٌ : يَـاجَابِرُ لا تَرَى الدَّجَّال يَخْرُجُ حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ .

أقول :

هذا الحديث يوضح مـامرّ معنـا من قبل أن ردة ستقوم يقضي عليهـا أهل الإسلام وعلى رأسهم خليفة المسلمين في بيت المقدس ، والظاهر أنه المهدي عليـه السلام فـإن مركز الخلافـة أيام هذه الأحداث هو القدس كما سيرّ معنا .

١٠٠٨ ـ * روى أحـمد عن ذي مِخْبَرٍ (رفعـه) : « ستصـالِحـون الرومَ صُلْحًـا آمِنًـا فتغزون أنتم وهم عدوًا منْ ورائِهمْ ، فتَسْلَمُونَ وتغْنَمُونَ ، ثمَّ تنزلون بِمَرْجٍ ذِي تُلول فيقـومُ رجُـلٌ منَ الرُّومِ فيرفـعُ الصَّليبَ ، ويقـولُ : غلبَ الصَّليبُ ! فيقـومُ إليـهِ رجُلٌ منَ المُسْلِمِينَ فيقْتُلُهُ ، فيغدرُ القوْمُ ، وتكونُ الملاحِمُ » .

= فإنه أراد الأجمة : شبه كثرة رماح العسكر بها .

١٠٠٧ ـ مسلم (٤ / ٢٢٢٥) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١١ ـ باب مايكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال .

١٠٠٨ ـ أحمد (٤ / ٩١) .

وأبو داود (٤ / ١٠٩) كتاب الملاحم ، باب ما يذكر من ملاحم الروم .

وابن ماجه (٢ / ١٣٦٩) ٣٦ ـ كتاب الفتن ، ٣٥ ـ باب الملاحم . وهو حديث صحيح .

وفي روايـة (١) : « ويثـور المسلمـون إلى أسلحتهم فيَقْتَتِلـونَ ، فَيُكْرِمُ اللهُ تلـك العصابةَ بالشهادة » .

أقول : هذا النص هو الـذي أشرنـا إليـه من قبل من أن المسلمين يكونون في هـدنـة مع النصارى ثم في تحالف على قتال عدو ثم في صراع مع المسلمين ثم يكون الـدجـال ، كما أنـه هو الحديث الذي يذكر كلمة (الأسلحة) وهو الذي جعلنـا نحتمل أن كلمـة السيوف التي وردت في حديث مسلم يمكن أن يراد بها الأسلحة .

١٠٠٩ - * روى أبـو داود عن أبي الـدرداء ، أن رسـول الله ﷺ قـال : « إن فسْطَـاطَ المسلمين يَومَ المَلْحَمَةِ بالْغُوطَةِ إلى جانب مدينةٍ يقـال لهـا دمشق من خير مـدائنِ الشام » .

١٠١٠ - * روى أبـو داود عن عبـد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قـال : قـالَ رسـول الله ﷺ : « يُوشِـكُ المسلمون أن يحـاصَرُوا إلى المـدينـةِ ، حتى يكونَ أبعـدَ مَسـالحهم : سِلاحٌ » قال الزهري : سلاح قريب من خيبر .

(مسـالحهم) : المسـالـح جمـع مَسلَحـة ، وهم قـوم ذوو سـلاح ، والمسلحـة أيضًـا كالثغر والمرقَب يكون فيه أقوام يرقبون العدولئلا يطرقهم ، فإذا رأوه : أعلموا أصحـابهم ليتـأهَّبُوا لـه .

١٠١١ - * روى البخـاري ومسلم عن أُمّ المُـؤمنِينَ أُمّ عَبْـدِ اللهِ عَـائِشَـةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَـا قَالَتْ : قَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَـةَ فَـإِذَا كَـانُوا بِبَيْـدَاءَ مِنَ الأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ » . قَالَتْ ، قُلْتُ : يَـارَسُولَ اللهِ ، كَيْفَ يُخْسَفُ بِـأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وفيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ ! ؟ قَالَ : « يُخْسَفُ بِـأَوَّلِهِمْ وآخِرِهِم ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ » .

---

(١) أبو داود : (٤ / ١١٠) الموضع السابق .

١٠٠٩ - أبو داود (٤ / ١١١) كتاب الملاحم ، باب في المعقل من الملاحم . وهو صحيح .

١٠١٠ - أبو داود : الموضع السابق . وهو صحيح .

١٠١١ - البخاري (٤ / ٣٣٨) ٣٤ - كتاب البيوع ، ٤٩ - باب ما ذكر في الأسواق . واللفظ له .

مسلم (٤ / ٢٢٠٩) ، ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٢ - باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت .

١٠١٢ - * روى أبو داود عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : « عمرانُ بيتِ المقدسِ خرابُ يثرب ، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ؛ وفتح القسطنطينية خروج الدجال » قال : ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدثه أو منكبه ثم قال : « إن هـذا لَحَقٌّ مِثْلَ مَاإِنَّك هَاهُنَا أَوْ كَمَا أَنَّكَ قَاعِدٌ » .

١٠١٣ - * روى ابن ماجه عَنْ حُذَيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ؛ قَالَ : قَالَ رسول الله ﷺ « يَدْرُسُ الإِسْلاَمُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ . حَتَّى لاَ يُدْرَى مَا صِيَامٌ وَلاَ صَلاَةٌ وَلاَ نُسُكٌ وَلا صَدَقَةٌ . وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ الله ، عَزَّ وَجَلَّ ، فِي لَيْلَةٍ . فَلاَ يَبْقَى فِي الأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ . وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ ، الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ . يَقُولُونَ : أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هذِهِ الْكَلِمَةِ : لا إِلهَ إِلا اللهُ . فَنَحْنُ نَقُولُهَا » فَقَالَ لَهُ صِلَةُ : مَاتُغْنِي عَنْهُمْ : لا إِلهَ إِلا اللهُ ، وَهُمْ لاَ يَدْرُونَ مَا صَلاَةٌ وَلا صِيَامٌ وَلاَ نُسُكٌ وَلاَ صَدَقَةٌ ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلاَثًا . كُلَّ ذلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ ، فَقَالَ : يَاصِلَةُ ! تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ . ثَلاَثًا .

أقول :

الظاهر أن هذا سيكون بعد نزول المسيح عليه السلام .

* * *

١٠١٢ - أبو داود (٤ / ١١٠) كتاب الملاحم باب في أمارات الملاحم . والحديث رواه أبو داود عن عباس العنبري عن أبي النضر هاشم بن القاسم به ، وقال : هذا إسناد جيد وحديث حسن .

١٠١٣ - ابن ماجه (٢ / ١٣٤٤) ٣٦ - كتاب الفتن ، ١٤ - باب ذهاب القرآن والعلم .

وفي الزوائد : إسناده صحيح . ورجاله ثقات .

والمستدرك (٤ / ٤٧٣) وقال : إسناده صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(يدرس الإسلام) : من درس الرسم دروسًا ، إذا عفا وهلك . ومن درس الثوب درسًا إذا صار عتيقًا .

(وشي الثوب) نقشه .

(وليسرى على كتاب الله) أي يذهب بالليل .

الفقرة السادسة عشرة

في :

انحسار الفرات عن جبل من ذهب

١٠١٤ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعةُ حتى يَحْسِرَ الفُراتُ عنْ جبلٍ من ذهب يقْتتِلُ الناسُ عليه فَيُقْتَلُ من كل مائة تسعة وتسعون ، فيقولُ كلُّ رجلٍ منهم : لَعلِّي أكون أنا أنجو » .

وفي رواية :[1] قال : قال رسول الله ﷺ : « يُوشِكُ الفُرات أن يَحْسِر عن كَنْزٍ من ذَهَبٍ ، فمن حَضَرَهُ فلا يأخذْ منه شيئًا » .

وفي رواية لأبي داود[2] مثل الثانية وقال : « عن جَبلٍ من ذهب » .

١٠١٥ ـ * روى مسلم عن عبد الله بن الحارث بن نوفل رضي الله عنه ، قال : كنتُ واقِفًا مع أُبَي بن كعبٍ ، فقالَ : لا يزالُ الناسُ مختلفةً أعناقُهم في طلبِ الدنيا ، قلتُ : أجلْ ، قالَ : فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « يُوشِكُ الفُراتُ أن يَحْسِرَ عن جبلِ ذهبٍ ، فإذا سَمِعَ به الناسُ ساروا إليه ، فيقول مَنْ عِنده : لئن تَرَكْنا الناسَ يأخذون منه ليُذْهَبَنَّ به كُلِّهِ » قال : « فيقتتلون عليه ، فيُقتَلُ من كلِّ مائةٍ تسعةٌ وتسعون » .

١٠١٤ ـ البخاري (١٣ / ٧٩) ٩٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٤ ـ باب خروج النار .

مسلم (٤ / ٢٢١٩) ٥٢ ـ كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٨ ـ باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٢٠) الموضع السابق .

وأبو داود (٤ / ١١٥) كتاب الملاحم ، باب حسر الفرات عن كنز .

والترمذي (٤ / ٦٩٨) ٣٩ ـ كتاب صفة الجنة ، ٢٦ ـ باب حدثنا أبو سعيد الأشج ..

وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) أبو داود : الموضع السابق .

١٠١٥ ـ مسلم : الموضع السابق .

وفي رواية : وقفت أنا وأُبيّ بنُ كعب في ظل أُطُمِ حَسّانَ .

أقول :

لقد مرّ معنـا أنّ الملحمـة الكبرى يقتل فيهـا من المسلمين من كلّ مـائـة تسعـة وتسعون وههنا ترد النصوص لتذكر أنّه بسبب ظهور ذهب الفرات يقتل من كلّ مائة تسعـة وتسعون فهل لذهب الفرات علاقـة بغـدر النصـارى وهو عـامل في طمعهم وقتـالهم أو المسلمين أنفسهم يقتتلون على ذهب الفرات حتى يفني بعضهم بعضًا ويكون ذلك سابقًـا على مرحلـة الملحمـة الكبرى كأنْ تتنازع الدول التي يمرّ فيها الفرات على مايظهر في مجراه ؟ الأمر محتمل .

* * *

الفقرة السابعة عشرة

في :

أشراط الساعة الكبرى إجمالاً

وفي :

بعض أشراط أخرى تكون بين يدي الساعة

المقدمة

إنّ تغيُّرَ النظام الكوني ووجود نظـام آخر حـدثٌ يعـدِلُ حـدثَ خلق العـالم أول مرة ، ولذلك تسبقه أحداث كبرى خـارقـة للعـادة تكون كالمقـدمـة لـه ، منهـا : الـدخـان ، قـال تعالى : ﴿ فارتقب يوم تأتي السّماء بدخان مبين ﴾ [1] . ومنها : خروج دابة الأرض ، قـال تعـالى : ﴿ وإذا وقـع القـول عليهم أخرجنـا لهم دابـة من الأرض تكلمهم أن النـاس كانـوا بآياتنا لا يوقنون ﴾ [2] . ومنها خروج الدجال الذي وردت فيه أحاديث جعلت خروجـه من باب المتواتر المعنوي الذي يكفر منكره . ومنها : نزول المسيح عليه السلام الذي أشارت إلى نزوله آيات قرآنية ثلاث : قـال تعـالى : ﴿ وإنـه لعلم للسـاعـة ﴾ [3] ، ﴿ وإنْ من أهل الكتاب إلا ليؤمِنَنّ به قبل موته ﴾ [4] ، ﴿ إني متوفيك ورافعك إليّ ﴾ [5] ، وقـد فسرهـا بعضهم بأن الوفاة تكون بعد الرفع والنزول .

وقد ورد فيه من الأحاديث أكثر من ثمانين حـديثـاً ومن الآثـار عن الصحـابـة أكثر من أربعين أثراً ومن الكتب التي ألفت فيـه (التصريح بمـا تواتر في نزول المسيح) فمنكر نزولـه كافر .

---

(١) الدخان : ١٠ .

(٢) النمل : ٨٢ .

(٣) الزخرف : ٦١ .

(٤) النساء : ١٥٩ .

(٥) آل عمران : ٥٥ .

ومن علامـات السـاعـة الكبرى : ظهور يـأجوج ومـأجـوج ، ومنهـا خروج الشمس من مغربها ، وقد أشارت إلى ذلك الآية : ﴿ يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسًا إيمـانهـا لم تكن آمنت من قبل ﴾[1] .

ومما يحدث بين يدي الساعة : هدم الكعبة وإلقاء أحجـارهـا في البحر ، ومنهـا : هبوب ريح تقبض روح كل مؤمن ، فلا تقوم الساعة إلا على كافر .

ومن أشراط الساعة الكبرى : خروج نار من عدن تسوق النـاس إلى أرض الحشر بشكل خارق ، وقبل ذلك كله تنزل الخلافة الأرض المقدسة فتكون عاصمة المسلمين القـدس ويظهر المهدي عليه السلام وكل ذلك يكون بين يدي الحدث الأكبر وهو قيام الساعة ومايكون فيه ويكون بعده .

(١) الأنعام : ١٥٨ .

النصوص

١٠١٦ - * روى أحمد عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « الآياتُ كَخَرَزاتٍ مَنْظوماتٍ في سِلْكٍ فانقطعَ السِّلْكُ فَتَبِعَ بعضُها بعضًا » . وقد ضَعَّفَ عامةُ المحدثين عليَّ بن زيد إلا أن معنى الحديث يشهد له الحديث الذي بعده ، فالمعنى صحيح . والحديث إن لم يكن حسن بذاته فهو حسن بشواهده .

١٠١٧ - * روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « خروجُ الآياتِ بعضُها على أثرِ بعضٍ تَتَابَعْنَ كما تَتَابَعُ الخَرَزُ في النظام » .

١٠١٨ - * روى الطبراني في الأوسط عن حذيفة بن أسيد (أراه رفعه) : « تَخْرُجُ الدابةُ من أعظم المساجدِ ، فبينما هم كذلك إذ رَبَتِ الأرضُ ، فبينما هم كذلك إذ تَصَدَّعَتْ » . قال ابن عيينة : تخرج حين يسير الإمامُ من جمعٍ ، وإنما جعل سابقًا ليخبر الناس أن الدابة لم تخرج .

١٠١٩ - * روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بنِ العاصِ رضي الله عنهما ، قال : حَفِظْتُ من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسَهُ بَعدُ ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إن أَوَّلَ الآياتِ خروجًا : طلوعُ الشمس من مَغْرِبِها ، وخروج الدابةِ على الناسِ ضُحى ، وأيُّهما ما كانت قبل صاحبَتِها ، فالأخرى على إثرِها قريبًا » .

وفي رواية (١) جَلَس إلى مروانَ بنِ الحكمِ بالمدينةِ ثلاثةُ نَفَر من المسلمين فسمِعوه وهو يحدِّث عن الآيات : أنَّ أوّلَها خروجًا : الدجالُ ، فقال عبدُ اللهِ بنُ عمرو : لم يقل مروانُ

١٠١٦ - أحمد (٢ / ٢١٩) .

مجمع الزوائد : (٧ / ٣٢١) . وقال : رواه أحمد وفيه علي بن زيد وهو حسن الحديث .

١٠١٧ - مجمع الزوائد (٧ / ٣٢١) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط . ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل وداود الزهراني ، وكلاهما ثقة .

١٠١٨ - مجمع الزوائد (٨ / ٧) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات .

١٠١٩ - مسلم (٤ / ٢٢٦٠) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٢٣ - باب في خروج الدجال .... إلخ .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٦٠) . الموضع السابق .

شيئًا ، قدَ حَفِظْتُ مِن رسول الله ﷺ حديثا لم أنسه بعد ، سمعته يقول : « أولُ الآيات خروجًا : طلوعُ الشمس من مغربها ، وخروج الدابةِ على الناس ضُحى ، وأيَّتُهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبًا » .

وروى أبو داود نحو الثانية [١] ، وقال في آخرها : قال عبد الله : وكان يقرأ الكتب، وأظنُّ أوّلَها خروجًا : طلوعُ الشمس من مغربها .

١٠٢٠ ـ * روى الترمذي عن أبي ذرٍّ الغِفاري رضي الله عنه ، قال : دخلتُ المسجدَ حين غابت الشمس والنبي ﷺ جالسٌ ، فقال : « يا أبا ذرٍّ ، أين تذهب هذه ؟ » قال : قلتُ : اللهُ ورسولُه أعلمُ ، قال : « فإنها تَذْهَبُ تَسْتَأْذِنُ في السجودِ ، فيؤذَنُ لها ، وكأنَّها قد قيل لها : اطْلُعِي من حيثُ جئتِ ، فتَطلعُ من مغربها » قال : ثم قرأ (وذلك مستقرٌّ لها) يس : ٣٨ . وقال : وذلك في قراءة عبد الله بن مسعود .

أقول :

قوله عليه الصلاة والسلام (أين تذهب هذه ؟) : فيه من الحكمة النبوية مالا يحاط به فالشمس كا هو مقرر الآن تدور حول نفسها ، وهي جزء من مجرتها تدور بدورتها ، ودورة المجرة تستغرق ملايين السنين ، والشمس مع مجموعتها من الكواكب تسير نحو كوكبة الجاثي بسرعة هائلة ، فإذا تأملنا هذا وتأملنا قراءة ابن مسعود التي تعتبر تفسيرًا للحالة التي تسبق خروج الشمس من مغربها : « وذلك مستقر لها » ، فبالإمكان أن نحتمل أن نقطةً مافي الفضاء لن تتجاوزها الشمس في سيرها ثم تؤمر بالرجوع فيحدث نتيجة لذلك هذا الحدث الضخم الذي من آثاره أن تظهر الشمس من مغربها ثم يعود الأمر إلى ماكان ، وعلى مقتضى مانعرفه الآن من دوران الأرض ، فالظاهر أن الأرض نفسها سيحدث لها شيء ما لفترة محدودة بأن ترجع إلى الوراء فتظهر الشمس وكأنها تشرق من المغرب ثم يعود الأمر إلى ماكان . وذلك نقوله بناءً على معطيات عصرنا في أن الأرض تدور حول نفسها وأنها تدور

---

(١) أبو داود (٤ / ١١٤) كتاب الملاحم ، باب أمارات الساعة .

١٠٢٠ ـ الترمذي (٥ / ٣٦٤) ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ، ٣٧ ـ باب ومن سورة يس . وقال : حديث حسن صحيح . قال ابن الأثير : وقد أخرج البخاري ومسلم هذا المعنى بأطول منه .

حول الشمس ، إلا أنَّا لا نجزم بشيء في هذا الموضوع إلا ماذكره النص ، وكيفية ذلك عند الله علمها ، وإنما نضطر أحياناً لذكر بعض المعاني من باب تقريب الأمور لأنواع من الدارسين ، وفي مسألتنا هذه ماأسهل على الله عز وجل أن يرجع الله دورة الكرة الأرضية إلى الوراء فتظهر الشمس من مغربها ، إلا أنَّا ذكرنا الاحتمال الآخر ، لأنه يجري على مقتضى عالم الأسباب ، فبعض علماء الكون يذكرون احتمالاً أن تصل الشمس إلى نقطة مافي سيرها نحو كوكبة الجاثي ثم لا تتجاوزها .

وإنما شجعنا على أن نحاول هذه المحاولة في فهم النص أن للعلماء أكثر من اتجاه في فهمه . وكنموذج على تعدد الآراء فيه نذكر ماقاله النووي رحمه الله في شرح مسلم .

قال النووي :

هذا مما اختلف المفسرون فيه . قال جماعة بظاهر الحديث ، قال الواحدي وعلى هذا القول إذا غربت كل يوم استقرت تحت العرش إلى أن تطلع من مغربها . وقال قتادة ومقاتل : معناه تجري إلى وقت لها وأجل لا تتعداه قال الواحدي : وعلى هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا . وهذا اختيار الزجاج وقال الكلبي تسير في منازلها حتى تنتهي إلى آخر مستقرها الذي لا تجاوزه ثم ترجع إلى أول منازلها واختار ابن قتيبة هذا القول والله أعلم . وأما سجود الشمس فهو بتمييز وإدراك يخلق الله تعالى فيها . ا . هـ

١٠٢١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا تقومُ الساعةُ حتى تَطْلُعَ الشمسُ مِن مَغرِبها ، فإذا رآها الناسُ آمن مَنْ عليها » .

وفي رواية [1] : « فإذا طلعت ورآها الناسُ ، آمنوا أجمعون ، فذلك حين

١٠٢١ - البخاري (٨ / ٢٩٦ ، ٢٩٧) ٦٥ - كتاب التفسير ، ٦ - سورة الأنعام ، ٩ - باب ﴿ قل هلم شهداءكم ﴾ .
مسلم (١ / ١٣٧) ١ - كتاب الإيمان ، ٧٢ - باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان .
وأبو داود (٤ / ١١٥) كتاب الملاحم ، باب أمارات الساعة .

(١) البخاري (١١ / ٣٥٢) ٨١ - كتاب الرقاق ، ٤٠ - باب حدثنا أبو اليمان .
ومسلم : الموضع السابق .

لا ينفع نفسًا إيمانُها لم تكن آمَنَتْ من قبلُ أو كَسَبَتْ في إيمانها خيراً » .

١٠٢٢ - * روى ابن ماجه عن صفوان بن عسال قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ مِنْ قِبَلِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ بَابًا مَفْتُوحًا عَرْضُهُ سَبْعُونَ سَنَةً فَلا يَزَالُ ذَلِكَ البَابُ مَفْتُوحًا لِلتَّوْبَةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ نَحْوِهِ لَمْ يَنْفَعْ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا » .

١٠٢٣ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « بادِروا بالأعمال سِتًّا : طلوعَ الشمسِ مِنْ مَغربِها ، أو الدخانَ ، أو الدجالَ ، أو الدابةَ ، أو خاصَّةَ أحدِكم ، أو أمرَ العامة » .

وفي رواية مثله [1] ، والجميع بواو العطف ، وفي آخره : « وخُوَيْصَّةَ أحدكم » .

(خُوَيْصَّة) : خُوَيْصَّة تصغير خاصَّة الإنسان ، وهي ما يخصه دون غيره .

أقول :

لاحظ قوله عليه السلام : (وأمر العامة) وتأمل ما يجري في عصرنا حيث يراد ألا يكون للعلماء أي دور في توجيه أمور العامة ، والأمر خطط له أو يخطط بحيث يكون الأمر بيد العامة .

١٠٢٤ - * روى مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه ، قال : اطَّلَعَ رسول الله ﷺ علينا ونحن نتذاكر ، فقال : « ما تَذاكَرون ؟ » قلنا : نذكر الساعةَ . قال : « إنها لن تقومَ حتى تَرَوْا قبلَها عَشْرَ آياتٍ » فذكرَ الدُّخانَ ، والدَّجَّالَ ، والدَّابَّةَ ، وطلوعَ الشمس من مغربها ، ونزولَ عيسى ابن مريمَ ، ويأجوجَ ومأجوجَ ، وثلاثةَ خسوف : خَسْفٌ

١٠٢٢ - ابن ماجه (٢ / ١٣٥٣) ٣٦ - كتاب الفتن ، ٣٢ - باب طلوع الشمس من مغربها .

١٠٢٣ - مسلم (٢ / ٢٢٦٧) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٢٥ - باب في بقية من أحاديث الدجال .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٦٧) الموضع نفسه .

(خُوَيْصة) : خويصة تصغير خاصة الإنسان ، وهي ما يخصه دون غيره .

١٠٢٤ - مسلم (٤ / ٢٢٢٥) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ١٣ - باب في الآيات التي تكون قبل الساعة .

بالمشرق وخسفٌ بالمغرب ، وخسفٌ بجزيرة العرب ، وآخِر ذلك : نارٌ تَطْرُد الناس إلى مَحْشَرِهم .

وفي رواية [١] قال : كان النبيُّ ﷺ في غُرفَةٍ ونحن أسفلَ منه ، فاطّلع إلينا .. وذكر نحوه .

وفي أخرى [٢] نحوه وقال أحدهما في العاشرة : نزول عيسى ابن مريم ، وقال الآخر : وريح تُلقي الناسَ في البحر .

وفي رواية أبي داود [٣] ، قال : كُنّا قعوداً في ظِلّ غُرْفَةٍ لرسول الله ﷺ، فذكرنا الساعةَ ، فارتفعت أصواتُنا ، فقال رسول الله ﷺ : « لن تكون - أو لن تقومَ - حتى يكونَ قبلَها عَشْرُ آيات : طلوعُ الشمس من مغربها ، وخروجُ الدابة ، وخروجُ يأجوج ومأجوجَ ، والدَّجالُ ، وعيسى ابنُ مريم ، والدُّخانُ ، وثلاث خسوف : خسف بالمغرب ، وخسف بالمشرق ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخِرُ ذلك : تَخْرُجُ نارٌ من اليمن ، من قَعْرِ عَدَن ، تسوق الناس إلى المَحْشَر » .

وفي رواية الترمذي [٤] نحو الأولى ، وزاد في ذكر النار قال : « ونار تخرج من قعر عَدن ، تسوق الناس - أو تحشر الناس - فَتَبيتُ معهم حيثُ باتوا ، وتَقِيلُ معهم حيث قَالوا » .

أقول :

قوله عليه السلام في هذا الحديث (والدخان) وقول الراوي (فذكر الدخان) وقوله في الحديث السابق الذي رواه مسلم (أو الدخان) حمله بعض العلماء على دخان يكون بين يدي الساعة ويعتبر من أشراطها الكبرى . وعلى ذلك فسروا قوله تعالى ﴿ فارتقب يوم

---

(١) مسلم (٤ / ٢٢٢٦) : الموضع نفسه .

(٢) مسلم (٤ / ٢٢٢٦) : الموضع نفسه .

(٣) أبو داود (٤ / ١١٤) كتاب الملاحم ، باب أمارات الساعة .

(٤) الترمذي (٤ / ٤٧٧) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٢١ - باب ما جاء في الخسف . وقال : حديث حسن صحيح .

تـأتي السماء بـدخـانٍ مبين ﴾ . وقـد ذكر بعضهم أنـه أول أشراط السـاعـة الكبرى ظهـوراً ، وهناك اتجاهات أخرى في تفسير الـدخـان في الآيـة منهـا مـاذكره البخـاري عن ابن مسعود أنه : مماأصـاب قريشًـا من قحطٍ جـاءوا معـه فجعل الرجل ينظُر إلى السماء فيرى مـابينـه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ، والقول الراجح عند العلماء أن الدخان من أشراط السـاعـة الكبرى وأنـه لم يجئْ بعـد ، والظـاهر أنـه يعم العـالم ، ومن عرف الأسلحـة الـذريـة اليـوم واحتمالات تفجيرهـا وأنّ سحـابها يمكن أن يغطي العـالم احتمل أن تكون النصوص تشير إلى مثل ذلك ، لكن ظاهر النصوص يشير إلى أنه عقوبـة ربـانيـة مبـاشرة ، وقـد ذكر الألوسي رواية تنص على أنه يبقى أربعين يومًا أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة ، وأمـا الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنـه ودبره ، ومع أن القول الراجح عنـد العلمـاء التوقف والتفويض في تسلسل وقـوع بعض أشراط السـاعـة الكبرى ، إلا أنّ تسلسـل بعضهـا يقيني ، لكنّ بعضهم رجّح من خلال الاستقراء أن التسلسل يكـون على الشكل التـالي : الـدخـان ثم خروج الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام ثم خروج يـأجوج ومـأجوج ثم خروج الـدابة ثم طلوع الشمس من مغربهـا ثم ريح تقبض روح كل مـؤمن فـلا يبقى إلا كافر ، ثم نـار تخرج من عدن تسوق الناس جميعًا إلى أرض الحشر أي أرض الشام ثم تكون القيامة .

أما الخسوف فلا يشترط أن يكون بعد ذلـك لأن حرف العطف (الواو) يقتضي مطلق الجمع ، وقد شهدنا في عصرنا خسف مدينة أغـادير في المغرب حيث إن أحـد فنـادقهـا الـذي يبلغ أكثر من عشرين طابقًا لم يبق منه على وجه الأرض إلا لافِتَتُهُ التي كانت منصوبـة على الطابق الأخير ، وقد عرفنا خسفًـا وقع في عصرنـا في إيران ، ولكن هل المراد بـأمثـال هـذه الخسوف هو ماذكرته النصوص أو المراد خسوف أخرى . وعلى كل فتسلسـل علامات السـاعـة التي وردت في الحـديث لا يـؤخـذ من نص الحـديث لأن الـواو في العربيـة لمطلـق الجمع لا للترتيب ، والـذين تكلفوا ذكر التسلسل أخـذوه من استقراءات شـاملـة للنصـوص لا من لفظ الحديث نفسه .

١٠٢٥ - * روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قـال : « ثلاثٌ

١٠٢٥ - مسلم (١ / ١٣٨) ١ - كتاب الإيمان ، ٧٢ - باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان .

=

إذا خَرجْنَ لا ينْفَعُ نفسًا إيمانُها لم تكن آمنتْ من قبلُ : طُلوعُ الشَّمْسِ من مغربِها ، والدَّجّالُ ، ودابّة الأرض » .

أقول :

هذا محمول على من بلغته الدعوة وكان عاقلاً بالغًا واختار الكفر وظهرت له واحدة من هذه الأشراط الثلاثة لأنه في حكم من انكشف له الغيب ، فالمعروف أن المحتضر متى انكشف له شيء من أمر الغيب عند خروج روحه لم تعد تنفعه توبة ولا يقبل منه إيمان ، وكذلك من رأى شرطًا من هذه الأشراط الثلاثة .

ويمكن أن يحمل الحديث على أن المراد بذلك الإخبار بالنسبة للدابة والدجال بمعنى أنه متى ظهر الدجال أو الدابة فالكافر مستمر على كفره لا بمعنى أنه لا يقبل إسلام من أسلم ، قال تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا ﴾ [1] . فأما بالنسبة للشمس فلا شك أنه بعد ظهورها من المغرب ﴿ لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ﴾ ، أما بالنسبة للدجال والدابة فظاهر النص الذي بين أيدينا أن الأمر كذلك ولكن الاحتمال الثاني يبقى قائمًا لكثرة النصوص في موضوع الشمس وقلتها بالنسبة للدجال والدابة في موضوع عدم قبول الإيمان .

قال الألوسي رحمه الله بعد أن ذكر أن من علامات الساعة الكبرى : خروج الدابة وظهور الدجال وطلوع الشمس من مغربها أن بعض المفسرين فسر قوله تعالى : ﴿ يوم يأتي بعض آيات ربك ﴾ [1] . بهذه الآيات الثلاث ، وعلى هذا القول فإن أيًا من هذه الآيات الثلاث إذا خرجت لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل . لكنه ذكر أن هذا القول قد استشكل ولذلك فنحن في تعليقنا راعينا هذا الإشكال فذكرنا احتمالين للنص الذي رواه الإمام مسلم .

= والترمذي : (٥ / ٢٦٤) ٤٨ ـ كتاب التفسير ، ٧ ـ باب ومن سورة الأنعام .

وقال : حديث حسن صحيح .

(١) الأنعام : ١٥٨ .

وفيما يلي كلام الألوسي رحمه الله :

وببعضها على ماقيل : الدجال . والدابة . وطلوع الشمس من مغربها وهو المراد بالبعض أيضاً في قوله سبحانه : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إيمانها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ﴾[1] وروى مسلم . وأحمد . والترمذي . وغيرهم عن أبي هريرة مرفوعاً ماهو صريح في ذلك : واستشكل ذلك بأن خروج عيسى عليه السلام بعد الدجال عليه اللعنة وهو عليه السلام يدعو الناس إلى الإيمان ويقبله منهم وفي زمنه خير كثير دنيوي وأخروي ، وأجيب عنه بمالا يخلو عن نظر . والحق أن المراد بهذا البعض الذي لا ينفع الإيمان عنده طلوع الشمس من مغربها » ا . هـ (روح المعاني) .

١٠٢٦ ـ * روى أحمد عن أبي أُمامةَ عن النبي ﷺ قال : « تخرجُ الدابَّةُ ، فتسِمُ الناسَ على خَرَاطِيمِهِمْ ، ثُمَّ يُعَمَّرونَ فيكم ، حتَّى يشتري الرجلُ الدابةَ ، فيقالُ : مِمَّن اشتريتَ ؟ فيقولُ : مِنَ الرجلِ المخطَّمِ » .

فائدة :

قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة عن الدابة :

هي المَعْنيةُ بقوله تعالى في سورة النمل : ﴿ وإذا وقع القولُ عليهم أخرَجْنَا لهم دابَّةً من الأرض تُكَلِّمُهُم أنَّ الناسَ كانوا بآياتِنا لا يُوقِنُونَ ﴾ .

قال الحافظ ابن كثير في « تفسيره » ٣ : ٣٧٤ : « هذه الدابَّةُ تخرجُ في آخر الزمان عند فساد الناس ، وتَرْكِهم أوامرَ الله ، وتبديلهم الدينَ الحقّ ! يُخرجُ الله لهم دابَّةً من الأرض فتُكلِّمُ الناسَ على ذلك » . قال الألوسيُّ في « روح المعاني » ٦ : ٣١٤ : « أي تُكلِّمُهم بأنهم لا يَتيقَّنُون بآيات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة ومبَاديها ، أو بجميع آياته التي من جملتها تلك الآيات . وقُصارَى ـ أي غايةُ ـ ماأقولُ في هذه الدابَّة أنها دابَّةٌ عظيمة ذات قوائم ،

---

(١) الأنعام : ١٥٨ .

١٠٢٦ ـ أحمد (٥ / ٢٦٨) .

مجمع الزوائد (٨ / ٦) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عمر بن عبد الرحمن بن عطية وهو ثقة .

ليست من نوع الإنسان أصلاً ، يُخرجها اللهُ تعالى آخرَ الزمان من الأرض ، وتَخرُجُ وفي الناس مؤمن وكافر .

ويدلُّ على ذلك ما أخرجه أبو داود الطيالسي في « مسنده » ص ٣٣٤ ، وأحمدُ في « مسنده » ٢ : ٢٩٥ و ٤٩١ ، والترمذيُّ في « سننه » ١٢ : ٦٣ وحَسَّنَهُ ، وابنُ ماجه في « سننه » ٢ : ١٣٥١ واللفظُ له ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « تَخرُجُ الدابَّةُ ومعها خاتَمُ سليمان بن داود ، وعَصَا موسى بن عِمران ، عليهما السلام ، فتَجْلُو وَجْهَ المؤمن - أي تُنوِّرَهُ وتُبيِّضُهُ - بالعَصَا ، وتَخطِمُ أنْفَ الكافر - أي تَسِمُهُ وتَجعَلُ عليه علامةَ - بالخاتم ، حتى إنَّ أهلَ الخِواء - أي أهلَ الحي الذين يَجمعهم ماءٌ يَستقون منه - لَيَجتمعون ، فيقولُ هذا : يامؤمن ، ويقولُ هذا : يا كافر » . ثم قال الألوسي : وهذا الخبرُ أقربُ الأخبار المذكورة في الدابّةِ للقبول » . انتهى .

واستظهر الحاكمُ أبو عبد الله النيسابوري أنَّ طلوع الشمس من مغربها يَسبقُ خروجَ الدابّة ، ثم تَخرجُ الدابّة في ذلك اليوم أو الذي يَقرُبُ منه . قال الحافظ ابن حجر بعد نقلِهِ قولَ الحاكم في « فتح الباري » ١١ : ٣٠٤ : « والحكمةُ في ذلك أنَّ عند طلوعِ الشمس من المغرب يُغلَقَ بابُ التوبة فتَخرُج الدابّةُ تميِّزُ المؤمنَ من الكافر تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة » . انتهى . ففي المسألة قولان ، رجَّح الحافظُ ابن حجر منها أسبقيةَ طلوع الشمس من مغربها . ا . هـ (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

أقول :

مرّ معنا حديث مسلم الذي يذكر أن الدابة والدجال والشمس إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها فإذا كانت الدابة بعد طلوع الشمس من مغربها فلا إشكال أما إذا كانت قبل ذلك فعندئذ يكون لحديث مسلم الاحتمالان اللذان ذكرناهما هناك ، وأما الحديث الذي أورده الشيخ عبد الفتاح في فائدته فبعض فقراته لها شواهد وبعض فقراته ضعفها بعضهم ، والحديث وُجِدَ مَنْ حَسَّنَهُ ووُجِدَ من ضَعَّفَه .

الفقرة الثامنة عشرة

في :

المهدي عليه السلام

مقدمة

- تزيد الروايات الواردة بالتبشير بخليفة راشد يكون من بيت النبوة على العشرين ، وهذا يجعلنا نقطع بورود هذا المعنى عن رسولنا عليه الصلاة والسلام .

- وهناك نصّ صحيح يذكر عودة الخلافة الراشدة بعد الملك الجبري .

- وهناك نصّ عند مسلم يتحدث عن خليفة في آخر الزمان يحثي المال حثيًا ولا يعدّه عدًّا ، وهناك روايات متعددة تذكر خليفة من آل بيت النّبوّة .

- وهناك روايات تذكر أن الخلافة إذا نزلت الأرض المقدّسة فقد دنت الزلازل والفتن .

- وهناك روايات تذكر أنّ المسيح ينزل وللمسلمين إمام في القدس ، فهل هذا الإمام هو المهدي ؟ يرى بعضهم ذلك والأمر محتمل .

- ولكن إذا كان المهدي هو الخليفة الذي يكون في زمن المسيح عليه السلام ، فهل الخلافة الإسلامية لا توجد إلا به ؟ الظاهر من النصوص أنه إذا كان المهدي سيكون في زمن المسيح عليه السلام فهناك خلافة تسبق ذلك بدليل النصوص التي تذكر فتح رُوما وتشير إلى قيام دولة عالمية للإسلام ، بينما الخلافة التي تسبق نزول عيسى بن مريم تفتح القسطنطينيّة الفتح الثاني وتدخل في معركة لاهبة مع النصارى على الأرض الإسلامية نفسها ويكون فسطاط المسلمين يوم الملحمة في الغوطة قرب دمشق كما ورد في بعض الروايات ، أمّا إذا كان المهدي ليس هو الخليفة الذي يكون في زمن عيسى عليه السلام فالأمر عندئذ يحتمل أن يكون أوّل الخلفاء أو أحد الخلفاء الذين يقودون الأمة الإسلامية في طريق الظفر والنصر للسيطرة على العالم .

- وقد وقع كثير من المسلمين في أغلاط بسبب قضية المهدي :

- فالشيعة الإماميّة استقر الأمر عندهم على أن محمدا الحجّة الذي اختفى بزعمهم في سرداب في سامرّاء هو المهدي وهم ينتظرون خروجه .

- وبعض المسلمين علّقوا فكرة العمل للخلافة على ظهور المهدي مع أنّ العمل لإيجاد خليفة للمسلمين فريضة شرعية ، فلا يصح أن يعلق العمل لها حتّى يظهر شخص ما .

- وبعض المسلمين ادّعى المهدوية وتابعه ناس ، ولا زلنا نسمع بين الفينة والفينة من يدّعي المهدويّة .

- وأغلب الذين ينتظرون خروج المهدي يعتبرونه كائنًا بين يدي نزول المسيح عليه السلام ويتوقعون مع هذا أن ظهوره أصبح قريبًا مع أن ظواهر النصوص تشير إلى أنّ بيننا وبين نزول المسيح عليه السلام أمداً ، ففلسطين لا تكون وقتذاك مقرًا لليهود بل اليهود الذين يأتون إليها وقتذاك يأتون مع المسيح الدجال كما رأينا وتكون فلسطين وقتذاك مقرا للخلافة الراشدة ، وهذا يدل على أنّ دولة اليهود الحالية ستنتهي .

وإذن فمع إيماننا بظهور المهدي بالصفات التي ذكرها رسول الله ﷺ فلا يصح لنا أن نعلق إقامة الفرائض المطلوبة منا شرعًا سواء كانت فروضًا عينية أو كفائية على ظهوره ، لكننا ننوي أنّه إذا ظهر وعرفناه بصفاته أن نكون من جنده وأنصاره بإذن الله .

وهذه بعض النصوص والتعليقات والمسائل والفوائد التي لها علاقة بهذا الشأن :

النصوص

١٠٢٧ ـ * روى أبو داود عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « المهديُّ مني ، أجلى الجبهةِ ، أقنى الأنف ، يملأُ الأرضَ قسطًا وعدْلًا ، كما مُلِئتْ جَوراً وظُلْمًا ، ويملك سبع سنين » .

وفي رواية الترمذي (١) قال : خشينا أنْ يكونَ بعدَ نبيِّنا حدَثٌ ، فسألنا نبيَّ الله ﷺ ، فقال : « إنَّ في أمَّتي المهديَّ يخرج ، يعيش خمسًا ، أو سبعًا ، أو تسعًا » ـ زيدٌ العَمِّيُّ الشَّاكُّ ـ قال : قلنا : وماذاك ؟ قال : « سنين » قال : « فيجيء إليه الرجل فيقول : يامهدي ، أعطني ، أعطني » . قال : « فيَحْثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله » .

١٠٢٨ ـ * روى أبو داود ، عن عبدِ الله بن زُغْب الإياديِّ قال : نزل عَلَيَّ عبدُ الله بنُ حَوالةَ الأزديُّ ، فقال لي : بَعَثَنا رسول الله ﷺ لِنَغْنَم على أقدامنا ، فرَجعْنا لم نَغْنَم شيئًا ، وعَرَفَ الجَهْدَ في وجوهِنا ، فقامَ فينا ، فقال : « اللهم لاَ تكِلْهُم إليَّ فأضعُفَ عنهم ، ولا تَكِلْهم إلى أنفسِهم فيعْجِزوا عنها ، ولا تَكِلْهُم إلى الناسِ فيستأثِروا عليهم » . ثم وضعَ يَدَه على رأسي ـ أو قال : على هامَتي ـ ثم قالَ : « يا ابنَ حَوالةَ ، إذا رأيتَ الخِلافةَ قد نزلتِ الأرضَ المقدسةَ ، فقد دنَتِ الزلازلُ ، والبلابلُ ، والأمورُ العِظامُ ، والساعةُ يومئذٍ أقربُ من الناسِ من يَدي هذه من رَأْسِكَ » .

١٠٢٧ ـ أبو داود (٤ / ١٠٧) كتاب المهدي ، باب حدثنا عمرو بن عثمان ... إلخ . وإسناده حسن .

(١) الترمذي (٤ / ٥٠٦) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، باب ٥٣ ـ حدثنا محمد بن بشار ... إلخ .

وهو في مسند أحمد (٣ / ٢١) .

وابن ماجه (٢ / ١٣٦٦ ، ١٣٦٧) ٣٦ ـ كتاب الفتن ، ٣٤ ـ باب خروج المهدي .

وفي سنده زيد بن الحواري العمي ، وهو ضعيف ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وقد روي من غير وجه عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ .

(أجلى الجبهة) : يقال : رجل أجلى : إذا ذهب شعر رأسه إلى نصفه .

(أقنى الأنف) : القنا : احديدابٌ في الأنف .

١٠٢٨ ـ أبو داود (٣ / ١٩) كتاب الجهاد ، باب في الرجل يغزو يلتمس الأجر والغنيمة .

قال محقق الجامع : عبد الله بن زغب الإيادي مختلف في صحبته ، وساق له أبو نعيم عن الطبراني حديث من كذب عليّ متعمدًا ، صرح فيه بسماعه من النبي ﷺ . قال الحافظ ابن حجر في « التهذيب » : والإسناد لا بأس به . اهـ .

أقول : قوله عليه السلام : « إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك » : الظاهر أن الحديث في خلافة تكون عاصمتها القدس ، وإلى القدس يذهب المسيح عليه السلام بعد نزوله في دمشق ، وهذا يشير إلى أن فلسطين وقتذاك بيد المسلمين ، وأن دولة اليهود الحالية ذاهبة منتهية فإذا كان المراد في الحديث خلافة المهدي وهو الاتجاه الأقوى عند العلماء فهذا يدل على أن بيننا وبين المهدي عليه السلام أمداً . والدليل على أن المراد بالحديث خلافة مقرها فلسطين وعاصمتها القدس أن القرآن الكريم وصف فلسطين بالأرض المقدسة ، فقال على لسان موسى عليه السلام : ﴿ **ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم** ﴾ [1] . والمعروف أن الأرض التي رفضوا دخولها هي فلسطين ، وأن يوشع بن نون عليه السلام خليفة موسى عندما بدأ تنفيذ أمر موسى كان ذلك بدخوله أرض فلسطين . وبلاد الشام إنما تأخذ قدسيتها من كونها محيطة بالمسجد الأقصى ، قال تعالى : ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله** ﴾ [2] . فالبركة مقرها المسجد الأقصى وكل ماقرب منه فهو أكثر قدسية ، ولذلك حملنا الحديث على أن المراد به خلافة تكون عاصمتها القدس وقاعدتها أرض فلسطين ، ومثل هذا لم يحدث من قبل ، والظاهر أن ذلك سابق على نزول المسيح عليه السلام ، لأن المسيح يأتي إلى القدس وهي بيد المسلمين ويخرج منها إلى الدجال فيقتله بباب لدّ ، وأكثر جند الدجال من اليهود القادمين معه من الخارج بدليل الحديث الصحيح : « يخرج مع الدجال سبعون ألفًا من يهود أصفهان عليهم الطيالسة » . فهؤلاء اليهود الآتون من الخارج هم الذين يقتلهم المسلمون ويدلُّ الحجر والشجر عليهم لأن الوقت وقت خوارق تكون بين يديّ الساعة ، فهذا كلّه وغيره كثير يدلّنا على أنّ دولة اليهود الحاليّة غير مستمرّة إلى وقت نزول المسيح ، لا كما يظنّ كثيرون ومما يدّل على ذلك أنّ الحديث الصحيح يبشّر بفتح روما ولم تفتح روما حتى الآن ممّا يدلّ على أنّ دولة عالميّة للإسلام ستقوم وهذا لم يحدث ووجودها يتنافى مع بقاء دولة اليهود الحاليّة في قلب أقطار الأمّة الإسلاميّة والأمر

---

(١) المائدة : ٢١ .   (٢) الإسراء : ١ .

كلّه بيد الله ، وإذا أراد الله شيئًا هيّأ أسبابه . أمّا متى تكون هذه الأمور فغيب لا يعلمه إلا الله عزّ وجلّ .

أقول : وإنّما ذكرنا هذا الحديث هنا لأنّ الاتجاه الأقوى عند العلماء أن المهديّ عاصمته القدس ، وعندما ينزل عيسى عليه السلام يكون هو خليفة المسلمين ، فرأينا أن نذكر هذا الحديث في هذه الفقرة لهذا السبب .

١٠٢٩ - * روى أبو داود ، عن أم سلمَة رضي الله عنها قالت : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « المهديُّ من عِترتي من ولدِ فاطمةَ » .

١٠٣٠ - * روى مسلم ، عن أبي سعيد وجابر رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ قال : « يكون خليفةٌ منْ خلفائكم في آخرِ الزمان ، يحثو المالَ ولاَ يَعُدُّه » .

وفي رواية (١) : « يُعطي الناسَ بغيرِ عددٍ » .

١٠٣١ - * روى أبو داود عن ابن مسعود ، يرفعه : « لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ واحدٌ ، لطول الله ذلك اليوم حتى يبعثَ اللهُ فيه رجلا مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي ، يملأ الأرضَ قسْطًا وعَدْلا ، كما مُلِئَتْ ظُلْمًا وجَورا » .

١٠٣٢ - * روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرةَ عن النبي ﷺ قال : « يكونُ في أُمتي المهديُّ إن قَصُرَ فسبعٌ وإلا فثمان وإلا فتسعٌ تَنْعمُ أمتي فيها نِعمةً لَم ينعموا مثلَها ، يُرسِلُ السماء عليهم مدْرارا ولا تَدَّخِرُ الأرضُ شيئًا من النباتِ والمالُ كُدُوس يقومُ الرّجلُ يقول : يامهديُّ أعطني فيقولُ خُذْ » .

١٠٢٩ - أبو داود (٤ / ١٠٧) كتاب المهدي ، باب حدثنا عمرو بن عثمان ... إلخ . وإسناده حسن .

١٠٣٠ - مسلم (٤ / ٢٢٣٥) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل ... إلخ .

(١) مسلم : الموضع السابق .

١٠٣١ - أبو داود (٤ / ١٠٦) كتاب المهدي ، باب من حدثنا عمرو بن عثمان ... إلخ .

والترمذي (٤ / ٥٠٥) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٥٢ - باب ما جاء في المهدي . وقال الترمذي : حسن صحيح .

١٠٣٢ - مجمع الزوائد (٧ / ٣١٧) . وقال : رواه الطبراني في الأوسط رجاله ثقات .

١٠٣٣ - * روى مسلم عن أبي نَضْرَةَ قالَ : كنَّا عنـد جابرِ بنِ عبـدِ اللهِ فقـالَ : يُوشِـكُ أهلُ العراق أن لا يُجبَى إليهم قَفيزٌ ولا دِرهمٌ قلنا : من أين ذاك ؟ قـال : من قِبل العجم ، يمنعون ذاك . ثم قال : يوشك أهل الشام أن لا يُجبى إليهم دينارٌ ولا مُـدْيٌ قلنـا : من أين ذاك ؟ قال : من قِبل الروم . ثم سكت هُنَيَّةً ، ثم قال : قال رسول الله ﷺ : « يكونُ في آخرِ أمتي خليفةٌ يَحْثِي المال حَثْيًـا ، ولا يَعُـدُّه عـددا » . قـالَ : قلتُ لأبي نضرةَ وأبي العلاء : أتريان أنه عُمَرُ بنُ عبد العزيز ؟ فقالا : لاَ .

قال النووي : والحثو هو الحفن باليدين وهذا الحثو الذي يفعله هذا الخليفة يكون لكثرة الأموال والغنائم والفتوحات مع سخاء نفسه .

١٠٣٤ - * روى الحاكم ، عن أبي سعيدٍ الخُدري رضي الله عنـه أن رسول الله ﷺ قـال : « يخْرج في آخر أمتي المَهْديُّ يَسقيه اللهُ الغَيثَ وتُخرِجُ الأرضُ نَباتَها ويُعطي المالَ صِحاحًا وتكثُر الماشية وتَعْظُمُ الأمةُ يَعيش سبعًا أو ثمانيًا » يعني حِجَجا .

وفي رواية [1] أحمد عن أبي سعيد : قال له رجل : ما صَحاحًا ؟ قال : « بالسويـة بين الناس » .

١٠٣٥ - * روى الترمـذي ، عن عبـد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قـال : « يلي رَجُلٌ من أهل بيتي يواطئ اسمـه اسمي » . قـال عـاصم : أخبرنـا أبـو صـالـح عن أبي هريرة ، قال : لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ لطول الله ذلك اليوم حتى يَلِي .

١٠٣٣ - مسلم (٤ / ٢٢٣٤) ٥٢ - كتاب الفتن ١٨ - باب لا تقوم الساعة ... إلخ .

ومسند أحمد (٣ / ٣١٧) .

(مُدْيٌ) : مكيال للشام ومصر = ٢٢,٥ صاعًا ،و الصاع = ٢٧٥١ غم عند الشافعي وعند أبي حنيفـة الصاع = ٢٨٠٠ غم .

(القَفيزُ) : مكيال = ١٢ صاعًا .

١٠٣٤ - المستدرك (٤ / ٥٥٨) .

وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبي : صحيح .

(١) مسند أحمد (٣ / ٣٧) .

(حِجَجًا) : الحِجَجُ كذا بالنسبة للسنة ، والمفرد منها حِجَّةٌ .

١٠٣٥ - الترمذي (٤ / ٥٠٥) ٢٤ - كتاب الفتن ، ٥٢ - باب ما جاء في المهدي . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

١٠٣٦ - * روى الترمذي ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تذهبُ الدنيا حتى يَمْلِكَ العربَ رجلٌ من أهل بيتي يواطئ اسْمُه اسمي » .

قوله : (حتى يملك العرب) :

« قال الطيبي : لم يذكر العجم وهم مرادون أيضًا ، لأنه إذا ملك العرب واتفقت كلمتهم وكانوا يدًا واحدة قهروا سائر الأمم ، ويؤيده حديث أم سلمة يعني المذكور في المشكاة في الفصل الثاني من باب أشراط الساعة وفيه : ويعمل في الناس بسنة نبيهم ويلقي الإسلام بِجِرَانِهِ في الأرض فيَلْبَثُ سبعَ سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون » ا . هـ .

١٠٣٧ - * روى الحاكم ، عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال : ستكون فتنةٌ يُحَصَّلُ الناسُ منها كما يحصل الذهبُ في المعدن فلا تَسبُّوا أهلَ الشام وسبُّوا ظَلَمَتَهم ، فإن فيهم الأبدالَ وسيرسلُ الله إليهم سَيْبًا من السماء فيُغْرِقُهم حتى لو قاتَلَهم الثعالبُ غَلَبَتْهم ، ثم يَبعثُ اللهُ عند ذلك رجلا من عِتْرَةِ الرسول ﷺ في اثني عشرَ ألفًا إن قلُّوا أو خمسةَ عشرَ ألفًا إن كَثُروا ، أمارَتُهم أو عَلامَتُهم أَمِتْ أَمِتْ على ثلاثِ راياتٍ يُقاتِلُهم أهلُ سبعِ راياتٍ ، ليس من صاحبِ راية إلا وهو يَطْمَعُ بالمُلْكِ فيَقْتَتِلونَ ويُهْزَمون ثم يَظهرُ الهاشميُّ فيَردُّ اللهُ إلى الناس أُلْفَتَهم ونعمتَهم فيكونون على ذلك حتى يَخْرُجَ الدجال .

١٠٣٦ - الترمذي : في الموضع السابق .

وقال الترمذي : وفي الباب عن علي وأبي سعيد وأم سلمة وأبي هريرة وهذا حسن صحيح . ا . هـ .

(بِجِرانِهِ) : ضرب الحق بجرانه : أي قَرَّ قَراره واستقام وأصل الجِرَان باطن العنق .

١٠٣٧ - المستدرك (٤ / ٥٥٣) . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد . وقال الذهبي : صحيح .

(سَيبًا) : يقال ساب الماء فهو سائب إذا سال .

المسائل والفوائد

- الأحاديث التي وردت في المهدي كثيرة ولذلك فقد صرح كثير من العلماء بتواترها . وهذه نُقولٌ عن أهل العلم في ذلك :

ذكر العلامة الشوكاني في كتابه « التوضيح في تواتر ماجاء في المهدي المنتظر ، والدجال ، والمسيح » :

« والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثًا فيها الصحيح والحسنُ والضعيف المنجبر ، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة بل يصدق وصف التواتر على مادونها على جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول . وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي فهي كثيرة أيضًا لها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك » اهـ.

وقال العلامة الشوكاني أيضًا بعدَ أن ساق الأحاديث الواردة في ذلك :

(فتقرر أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة ، والأحاديث الواردة في الدّجال متواترة والأحاديث الواردة في نزول عيسى ابن مريم متواترة) . اهـ .

وقال المحدث أبو الطيب صديق بن حسن الحسيني البخاري القنّوجي في كتاب « الإذاعة لما كان ومايكون بين يدي الساعة » :

« والأحاديث الواردة في المهدي على اختلاف رواياتها كثيرة جدًا تبلغ حد التواتر وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد » اهـ .

وقال أيضاً بعد كلام له :

« وأحاديث المهدي بعضها صحيح ، وبعضها حسن ، وبعضها ضعيف ، وأمره مشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار » . هـ .

وقال الشيخ محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله تعالى في كتابه : « نظم المتناثر من الحديث المتواتر » :

(وقد ذكروا أن نزول سيدنا عيسى عليه السلام ثابت بالكتاب والسنة والإجماع . ثم قال : والحاصل أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة ، وكذا الواردة في الدجّال وفي نزول سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام) ا . هـ .

ـ هناك أكثر من اتجاه في المرحلة التي يوجد فيها المهدي ، فهناك من ذهب إلى أنه يكون بين يدي المسيح عليه السلام فينزل عيسى وهو خليفة المسلمين . وهناك اتجاه إلى أنه يكون قبل ذلك ، وإمام المسلمين الذي ينزل في عهده عيسى عليه السلام رجل صالح ، فهو أحد المهديين وليس هو بالمهدي الذي تحدثت عنه النصوص . وعلى كل من هذين الاتجاهين فإن عاصمة الخلافة زمن نزول عيسى عليه السلام تكون في القدس .

وقد نقل كثير من العلماء نصوصًا وسكتوا عنها تفيد أن نزول المسيح في زمن المهدي ، وهذا الذي جعل هذا الأمر ينطبع في أذهان كثير من العلماء : أن المهدي مرتبط زمانه بزمان المسيح عليه السلام ، فإن صح هذا الاتجاه فهذا يفيد أنه سيكون قبل ذلك خلافة على منهاج النبوة ، تكتسح الأرض كلها . وستفتح الأمة الإسلامية العالم ، ولا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا دخلته كلمة الإسلام بعز عزيز وذل ذليل ، ومظهر الذلة دفع الجزية ، بينما المسيح عليه السلام لا يقبلها .

وسنرى أثناء كلامنا عن عيسى عليه السلام أن الشيخ محمد أنور شاه الكشميري ، مؤلف كتاب (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) ـ الذي علق عليه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ـ يرى أن المسيح عليه السلام لا تكون له سيطرة على العالم كله ، لأنه لم يؤثر في النصوص أن له مثل هذا التحرك . وممن ذهب إلى أن المهدي يكون بين يدي نزول المسيح عليه السلام مباشرة عدد من العلماء وهذه نقول في هذا الشأن :

قال المباركفوري في شرح تحفة الأحوذي لصحيح جامع الترمذي :

« اعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على مر الأعصار أنه لابد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت ، يؤيد الدين ، ويظهر العدل ، ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدي ، ويكون خروج الدجال ومابعده من أشراط

الساعة الثابتة في الصحيح على أثره وأن عيسى عليه السلام ينزل من بعده فيقتل الدجال وينزل معه فيساعده على قتله ويأتم بالمهدي في صلاته » ا . هـ .

وقال ابن حجر في شرح الحديث الذي أورده البخاري في باب نزول عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام - والذي يقول فيه ﷺ : « كيف أنتم إذا نزل ابنُ مريم فيكم وإمامكم منكم » الفتح جـ ٦ ص ٤٩١ .

قال : « وعند أحمد من حديث جابر في قصة الدجال ونزول عيسى « وإذا هم بعيسى فيقال تقدم ياروح الله ، فيقول ليتقدم إمامكم فليصل بكم » . ولابن ماجه في حديث أبي أمامة الطويل في الدجال قال : « وكلهم - أي المسلمون - ببيت المقدس وإمامهم رجل صالح قد تقدم ليصلي بهم ، إذا نزل عيسى فرجع الإمام ينكص ليتقدم عيسى ، فيقف عيسى بين كتفيه ثم يقول : تقدم فإنها لك أقيمت » وقال أبو الحسن الخسعي الآبدي في مناقب الشافعي تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى يصلي خلفه ، ذكر ذلك ردا للحديث الذي أخرجه ابن ماجه عن أنس وفيه « ولا مهديٌ إلا عيسى » اهـ . (الفتح جـ ٦ ص ٤٩٣ - ٤٩٤) .

بل إن ابن ماجه قد أورد عددا من الأحاديث الصحيحة التي تبشر بالمهدي .

أقول : هذا تتمة الكلام في الرد على رواية لابن ماجه : « ولا مهدي إلا عيسى » وذلك أنه هو يروي روايات تذكر أن المهدي غير عيسى ابن مريم .

١٠٣٨ - * روى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لن تَهْلِكَ أُمّةٌ أنا في أوّلِها ، وعيسى ابنُ مريمَ في آخرِها ، والمَهْديُّ في وَسَطِها » .

قال الشيخ عبد الفتاح : « المراد بالوسط ماقبل الآخر لأنّ نزول عيسى عليه السلام لقتل الدجّال يكون في زمن المهدي ، ويصلي سيدنا عيسى خلفه كما جاءت به الأخبار » .

وإليك بعض النصوص والآثار التي سكت عنها المحدثون نقلها الشيخ عبد الفتاح في

١٠٣٨ - رواه النسائي ، وأبو نُعيم في « أخبار المهدي » والحاكم وابن عساكر في « تاريخيهما » ، وهو حديث حسن كما في « السراج المنير بشرح الجامع الصغير » للعزيزي .

كتاب « التصريح بما تواتر في نزول المسيح » وتفيد أن في عهد المهدي ينزل المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام .

١٠٣٩ - * روى أبو نُعيم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَنزِلُ عيسى ابنُ مريم ، فيقول أميرُهم المَهديُّ : تعالَ صَلِّ بنا ، فيقول : لا ، إنَّ بعضكم على بعض أُمَراءُ تكرمةَ الله لهذه الأُمَّةِ » .

١٠٤٠ - * روى أبو عمرو الداني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لاَ تزالُ طائفةٌ من أُمَّتي تقاتِلُ على الحقِّ حتى يَنزلَ عيسى ابنُ مريمَ عند طُلوعِ الفجر ببيت المقدس ، يَنزِلُ على المهديِّ فيقال : تقدَّمْ يانبيَّ الله فصَلِّ بنا ، فيقول : هذه الأُمَّةُ أُمراءُ بعضُهم على بعض » .

١٠٤١ - * روى أبو عمرو الداني عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يلتفت المهديُّ وقد نَزَلَ عيسى ابن مريم ، كأنما يَقْطُرُ من شعره الماءُ ، فيقول المهديُّ : تقدَّمْ صَلِّ بالناس ، فيقول عيسى : إنما أُقيمَتِ الصَّلاةُ لك فيُصلِّي خَلْفَ رجلٍ من وَلَدي » الحديث .

١٠٤٢ - * روى نعيم بن حمّاد عن عبد الله بن عَمْرو أيضًا قال : المَهديُّ ينزل عليه عيسى ابنُ مريم ، ويُصلِّي خَلْفَه عيسى .

١٠٤٣ - * روى ابن أبي شيبة عن ابن سيرين قال : المَهديُّ من هذه الأُمَّة وهو الذي يَؤمُّ عيسى ابنَ مريم عليهما السلام .

أقول : من خلال ما مرَّ نرى أن أهل التحقيق لا يختلفون في أن خليفة من آل بيت

١٠٣٩ - أخرجه أبو نُعَيم في « أخبار المهدي » كما في « الحاوي » للسيوطي في رسالة « العَرْف الوَرْدي في أخبار المَهْدي » ٢ : ٦٤ .

١٠٤٠ - أخرجه أبو عَمْرو الداني في « سننه » كما في « الحاوي » للسيوطي في رسالة « العَرْف الوَرْدي » ٢ : ٨٣ .

١٠٤١ - أخرجه أبو عَمْرو الداني في « سننه » كما في « الحاوي » للسيوطي في رسالة « العَرْف الوَرْدي »٢ : ٨١ .

١٠٤٢ - أخرجه نُعَيم بن حمّاد في كتاب الفتن كما في « الحاوي » للسيوطي كما في « رسالة العَرْف الوَرْدي في أخبار المهدي » ٢ : ٧٨ .

١٠٤٣ - أخرجه ابن أبي شيبة في « المُصنَّف » . كما في « الحاوي » للسيوطي في رسالة « العَرْف الوَرْدي » ٢ : ٦٥ .

النبوة يكون في آخر الزمان ، وهذا الذي اتفقوا عليه هو الـذي درج التعبير عنـه على لسان العامة والخاصة بأنه المهدي ، وقد انطبع في أذهـان الكثير من العلمـاء بسبب نصوص تحتـاج إلى تحقيق في أسانيدها ولكنهـا كثيرة أن المهـديّ ينزلُ في عهـده عيسى عليـه الصلاة والسلام فإذا كان الأمر كذلك ، فالأمد بيننا وبين المهـدي بحسب الظـاهر من نصوص أخرى لا زال فسيحًا ، لأن هناك بعضَ ماأخبر عنـه رسول الله ﷺ لم يقع ، فمثلا بين يـدي نزول المسيح عليه السلام يفتح المسلمون القسطنطينية فتحًا ثانيًا ، وتكون القسطنطينيـة وقت ذاك بيـد النصـارى ، وهي الآن مسلمـة وبيـد المسلمين ، والبشـارة بفتـح رومـا مرتبطـة في الظـاهر بفتوحات عالمية وانتصار عـالمي للإسلام ، والنصوص الواردة في المهـدي وعيسى عليهما السلام لا تدل على مثل هذا كما سنرى من تحقيقات الشيخ أنور الكشميري نفسه .

هذا الكلام كله مبني على أن المهدي يعاصر نزول المسيح ابن مريم عليهم السلام ، إلا أن النصوص الواردة في معاصرة المهدي للمسيح تحتاج إلى تحقيق وهناك نصوص في المهدي تحتاج إلى تحقيق كذلك ، وبعضها من باب الضعيف ، يفهم منهـا أنـه لا ارتبـاط بين نزول المسيح عليه السلام والمهدي ، فعلى هذا الاتجـاه يمكن أن نتصور أن الخلافـة التي تكون على منهـاج النبوة والتي تأتي بعد الملك الجبري كما ورد في بعض النصوص الصحيحة يمكن أن تبدأ بالمهدي أو يكون المهدي واحدا من سلسلة خلفائها ، وقد تكون هـذه الخلافـة التي تـأتي بعـد الملـك الجبري هي التي يحصل بها انتصار عالمي للإسلام كما ورد في أكثر من حديث كما مرّ معنا .

وفي كل الأحوال لابد أن ننبه على قضايا :

أولاً : أن دولة اليهود الحـاليـة على كل الاتجـاهـات في الفهم للنصوص ستنتهي ، وليست نهايتها معلقة بنزول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، وأن النصوص الواردة في أن الحجر والشجر يدلان المسلم على اليهودي ليقتلـه ليست واردة في هؤلاء اليهود بل في يهود يقـدمون مع الدجال .

ثانيًا : أن العمل من أجل استئناف وجود الخلافة الراشدة فريضة إسلامية شرعيـة يجب على كل مسلم أن يعمل لها ، وتتأكد الفرضية في حق القـادرين على ذلـك من حكام وعلمـاء ودعـاة ، ولا يعجز المسلمـون إذا صـدق حكامهم وعلمـاؤهم ودعـاتهم أن يـوجـدوا الصيغ التي

تناسب واقع المسلمين وأحوال العصر بحيث تقام الخلافة فتكون بركة على الجميع ، ولا تسبب ضررا لأحد ولا ينتقض بوجودها سلطان أحد ممن بيده السلطان إذا كانوا مسلمين حقًا .

فنحن إذن نؤمن بخليفة سيظهر له مواصفات معينة ونتوي - ونسأل الله أن يعيننا على تحقيق النية - أن نكون من جنده إذا ظهر ، ولكننا لا نعلق العمل لنصرة الإسلام وإقامة الخلافة على ظهوره ، لأنه إن كان من خلافة كان أحد الخلفاء الذين يسبق وجودهم نزول عيسى ابن مريم بزمن ، فلا يشترط أن يكون أول الخلفاء ، وإن كان هو الذي ينزل في عهده عيسى عليه السلام فلا يجوز أن نعطل العمل لإقامة فريضة شرعية انتظاراً لشيء أخبرنا الله عز وجل عنه ، فكما أن الصلاة لا نؤخرها عن وقتها فكذلك فرائض العصر لا نؤخر العمل لها تعليقًا على شيء لم يكلفنا الله عز وجل أن نعلق عملاً مفروضًا حتى ظهوره .

* * *

الفقرة التاسعة عشرة

في :

الدّجّال

مقدمة

هناك دجّالون كثيرون يظهرون في تاريخ البشريّة عامّة وفي تاريخ الأمّة الإسلاميّة خاصّة، ولكن الدّجال الأكبر الذي يعتبر ظهوره من علامات الساعة الكبرى هو أعظم فتنة تحدث على وجه الأرض وذلك أنّ هذا الخبيث يدّعى الألوهيّة وتظهر على يده من الخوارق ما يفتن أكثر الخلق ، ولكن حكمة الله اقتضت أن يكون هذا الخبيث ظاهر النقص بأنّه أعور لتقوم الحجة على العامّة والخاصّة أنّه كذّاب في دعواه ، والخاصّة يعرفون كذب دعواه بما عندهم من العلم بالله وصفاته وأنّه منزّه عن صفات المخلوقين وبما عندهم من العلم عن رسول الله ﷺ في شأنه ، والظّاهر من بعض الرّوايات أنه يخرج من منطقة إيران الحالية والنّصوص تذكر أنه يتبعه من يهود أصفهان سبعون ألفًا ، والظّاهر أنّ ظهوره يكون في زمن خلافة المهدي عليه السلام ، وأنّ عاصمة الخلافة وقتذاك هي القدس ، والنّصوص تذكر أن خروجه يكون بعد الفتح الثاني للقسطنطينيّة وبعد قتال مرير مع النّصارى وأنّ العرب حين ظهوره يكونون قليلين وهذا كلّه يجعلنا نستأنس أنّ بيننا وبينه أمدًا ، فالأوضاع الحالية لعصرنا وما فيه لا تشير إلى قرب ظهوره ، فاليهود الآن يتجمّعون في فلسطين ولهم فيها دولة ويصرون على أن تكون عاصمتهم القدس بينما النّصوص تذكر أنّ عاصمة الخلافة حين ظهوره تكون في القدس ، ومع أنّنا لم نستقص كل ما ورد في المسيح الدّجّال فإنّ الروايات التي سنذكرها من الكثرة بمكان ما يدلّ على أهميّة هذا الحدث وعلى كثرة ما ركّز عليه رسول الله ﷺ في شأنه وهذا يلقي مسؤولية كبيرة على العلماء والوعّاظ والدّعاة أن يعطوا إظهار هذا الأمر ما يقتضيه من الأهمّيّة .

نصوص

١٠٤٤ - * روى مسلم ، عن النّواسِ بن سَمعانَ رضي الله عنه ، قال : ذكَرَ رسولُ الله ﷺ الدَّجال ذاتَ غَداةٍ ، فخفَّض فيه ورَفَّع ، حتى ظننّاه في طائفة النخل ، فلما رُحْنَا إليه عَرَفَ ذلك فينا ، فقال : « ما شأنكم ؟ » قلنا : يا رسول الله ، ذكرتَ الدجال الغداةَ ، فَخَفَّضْتَ فيه ، ورفَّعتَ ، حتى ظننّاه في طائفة النخل ، فقال : « غيرُ الدجال أخوفُني عليكم ، إن يخرجْ وأنا فيكم فأنا حجيجُه دونَكم ، وإن يخرجْ ولست فيكم فامروءٌ حجيجُ نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم ، إنه شابٌّ قَطَطٌ ، عينُه طافئة ، كأني أُشَبِّهه بـ « عبد العُزّى بن قَطَن » ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح (سورة الكهف) ، إنه خارجٌ خَلَّةً بين الشام والعراق ، فعاث يمينًا ، وعاث شمالا ، يا عبادَ الله ، فاثْبُتوا » . قلنا : يا رسولَ الله ، وما لَبْثُه في الأرض ؟ قال : « أربعون يومًا : يومٌ كسنَة ، ويومٌ كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم » . قلنا : يا رسول الله ، فذاك اليوم الذي كسنةٍ : أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : « لا ، اقدرُوا له قَدْرَه » . قلنا : يا رسول الله ، وما إسراعُهُ في الأرض ؟ قال : « كالغَيث استدبرَته الريحُ ، فيأتي على القوم ، فيدْعوهم فيؤمنون به ، ويَستجيبون له ، فيأمر السماء فتُمْطِرُ ، والأرضَ فَتُنْبِتُ ، فَتروحُ عليهم سارِحتُهم أطولَ ما كانت ذرًّا ، وأسْبَغَهُ ضُروعًا ، وأمَدَّه خَواصِرَ ، ثم يأتي القومَ فيدعوهم ، فيردُّون عليه قولَه ، فينصَرِفُ

١٠٤٤ - مسلم (٤ / ٢٢٥٠ - ٢٢٥٥) ٥٢ - كتاب الفتن ، ٢٠- باب ذكر الدجال وصفته ومامعه .

(طائفة النخل) ناحيته وجانبه ، والطائفة : القطعة من الشيء .

(الحجيج) : الحاجج ، وهو المجادل والمخاصم الذي يطلب الحجة ، وهي الدليل .

(القطط) : الشعر الجعد .

(طافئة) : الحبة الطافئة من العنب هي التي قد خرجت عن حدّ نباتِ أخواتها في العنقود ونتأت ، قال الخطابي : مرَّ عليَّ زمان وأنا أعتقد أن معنى قوله : « كأنها عِنَبةٌ طافئة » أنه الحبة من العنب التي تسقط في الماء فيدخلها الماء ، فتنتفخ فتطفو على الماء ، إلى أن وقفت عليه في موضع أنه الحبة التي تخرج عن حد أخواتها .

قوله : « إنه خارج خلة » أي : أنه يخرج قصدًا وطريقًا بين الجهتين والتخلُّل : الدخول في الشيء .

(فعاثَ) العيث : أشد الفساد .

(سارحتهم) السارحة : الماشية ، لأنها تسرح إلى المرعى .

(درًّا) الدّر : اللبن ، وإنما يكثر بالخصب وكثرة المرعى .

عنهم ، فيصبحون مُمْحِلين ، ليس بأيديهم شيءٌ من أموالهم ، ويَمُرُّ بالخَرِبة ، فيقول لها : أخْرِجي كنوزَكِ فَتَتْبَعُه كنوزُها كيعاسيبِ النحلِ ، ثم يدعو رجلاً ممتلئًا شبابًا ، فيَضْربه بالسيف فيَقْطَعُه جِزْلَتين ، رَمْيَةَ الغَرَضِ ، ثم يدعوه فَيُقْبِلُ ، ويَتَهَلَّلُ وجهُهُ يضحكُ ، فبينما هو كذلك ، إذ بعثَ اللهُ المسيحَ ابن مَرْيَمَ عليه السلام ، فينزلُ عند المنارةِ البيضاء شَرقيَّ دمشقَ ، بين مَهْرُودتين ، واضعًا كَفَّيه على أجنحة مَلَكين ، إذا طأطأ رأسه قَطَر ، وإذا رَفَعَهُ تحدَّر منه جُمانٌ كاللؤلؤ ، فلا يَحِل لكافرٍ يَجِدُ ريحَ نَفَسِه إلا مات ، ونَفَسهُ ينتهي حيثُ ينتهي طَرْفُه ، فيطْلُبُه حتى يُدْرِكَهُ بباب لُدّ ، فَيَقْتُلَهُ ، ثم يأتي عيسى ابنَ مريم قومٌ قد عَصَمَهم اللهُ منه ، فيمسح عن وجوههم ، ويحدِّثهم بدرجاتهم في الجنة ، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله عز وجل إلى عيسى ابن مريمَ : إني قد أخرجْتُ عبادًا لي ، لا يدانِ لأحد بقتالهم ، فحرِّزْ عبادي إلى الطور ، ويَبْعَثُ اللهُ يأجوجَ ومأجوجَ ، وهم من كل حَدَبٍ يَنْسِلون ، فيمرُّ أوائلُهم على بحيرة طَبَرِيَّةَ فيشربون ما فيها ، ويمرُّ آخرُهم فيقولون : لقد كان بهذه مرَّة ماءٌ ، ويُحْصَرُ نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابهُ حتى يكونَ رأسُ الثورِ لأحدِهم خيرًا من مائة دينارٍ ، فَيَرْغَبُ

= (الممحل) : الذي قد أجدبت أرضه وقحطت وغلت أسعاره .

(يعاسيب) : جمع يعسوب ، وهو فحل النحل ورئيسها .

(جِزلتين) : الجزلة بالكسر : القطعة .

(الغَرض) : الهدف الذي يُرمى بالنشاب .

(مهرودتين) رويت هذه اللفظة بالدال والذال ، يقال : إن الثوب إذا صبغ بالورس ثم بالزعفران ، جاء لونه مثل زهرة الحوذانة ، فذلك الثوب مهرود ، وقيل : أراد بالمهرود : الثوب المصبوغ بالمُرْد ، وهو صبْغ أصفر ، قيل : إنه الكُرْكم ، وقيل أراد في شُقّتين من الهرد ، وهو القطع .

(جُمان) جمع جمانة ، وهي حبة تؤخذ من النقرة ، كاللؤلؤة ، وقد يُطلق على اللؤلؤ مجازا . وشبه في الحديث عرقه بالجمان .

(لايدانِ لأحدٍ بقتالهم) : يقال : مالي بهذا الأمر يدان ، أي : لا أقدر عليه وأنا عاجز عنه ، كما يقال : لا طاقة لي به ، لأن المباشرة والدفاع إنما يكون باليد ، فكأن يديه معدومتان لعجزه عن دفعه .

(فحرِّز) : أي : احرز واحفظ واجعلهم في الحرز .

(الحدَب) : الأكمة والمرتفع من الأرض . وينسلون أي يسرعون . =

نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابهُ ، فيُرسلُ اللهُ عليهم النَّغَفَ في رِقابهم ، فيُصْبِحون فَرْسَى ، كَموتِ نَفْسٍ واحدةٍ ، ثم يَهبِطُ نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابهُ إلى الأرضِ ، فلا يجدون في الأرض موضِعَ شِبْرٍ إلا ملأهُ زَهَمُهم ونَتْنُهم ، فيرغَبُ نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيُرسِلُ اللهُ طيرًا كأعناقِ البُخْتِ ، فَتَحْمِلُهم فتطْرحُهم حيثما شاء الله ، ثم يُرسلُ اللهُ مطرًا لا يَكُنُّ منه بَيْتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ ، فيغسلُ الأرضَ حتى يَتْرُكَها كالزَّلَفَةِ ، ثم يقالُ للأرض : أنْبتي ثَمَرَتَكِ ، ورُدّي بَرَكَتَكِ ، فيومئذٍ تأكلُ العِصابةُ من الرُّمّانة ، ويستظلُّون بقِحْفِها ، ويُبارَكُ في الرِّسْلِ ، حتى إن اللِّقْحةَ من الإبل لتكفي الفِئامَ من الناسِ ، واللِّقْحةَ من البقر لتكفي القبيلةَ من الناس ، واللِّقْحةَ من الغنم لتكفي الفَخِذَ من الناس ، فبينما هم كذلك ، إذ بعثَ اللهُ ريحًا طيبةً ، فتأخُذُهم تحتَ آباطِهم ، فتقبِضُ رُوحَ كلِّ مؤمنٍ ومسلم ، ويبقى شِرارُ الناس ، يَتهارَجون فيها تَهارُجَ الْحُمُرِ ، فعليهم تقومُ الساعةُ » .

وفي رواية [(١)] نحوه ، وزاد بعد قوله : « لقد كان بهذه مرة ماءٌ » : « ثم يسيرونَ حتى

= (النغف) : دود يكون في أنوف الإبل والغنم ، واحدها : نَغَفَة .
(فَرْسَى) : جمع فريس ، وهو القتيل .
(الزهمة) : الريح المنتنة ، والزهَم : مصدر زهِمتْ يده من ريح اللحم .
(المدر) : طين قد استحجر ، والمراد به : البيوت المبنيّةُ دون الخيام .
(الزّلفة) : المرآة ، وجمعها زُلَف ، وقيل : هي المَصْنَعَةُ من الماء ، فمن شبهها بالمرآة : أراد لاستوائها ونظافتها ، ومن شبهها بالمصنعة : أراد امتلاءها من الماء ، والأول أشبه لسياق الحديث .
(العصابة) : الجماعة من الناس قبل أن يبلغوا أربعين .
(القِحْفُ) : للرأس معروف. والمراد به في الحديث : قشر الرّمانة .
(رِسْل) : الرِّسْل بكسر الراء : اللَّبَنُ .
(لِقحة) : اللقحة الناقة التي يكون لها لبن .
(الفئام) : الجماعة من الناس .
(الفخذ) : من الناس دون القبيلة .
(التهارج) : الاختلاف والاختلاط ، وأصله ، القتلُ .

(١) مسلم (٤ /٢٢٥٥) ، في الموضع السابق .

ينتهوا إلى جبل الْخَمَرِ ـ وهو جبل بيت المقدس ـ فيقولون : لقد قَتَلْنَا من في الأرض ، هَلُمَّ فَلنقتُلْ مَنْ في السماء ، فيرمون بنُشَّابهم إلى السماء ، فيردُّ الله عليهم نُشَّابَهم مخضوبةً دمًا » .

ورواه الترمذي [١] ، وزاد في أوله بعد قوله : « في طائفةِ النخلِ » قال : « فانصرفنا من عندِ رسولِ الله ﷺ ، ثم رُحْنا إليه » وقال فيه « عينه قائمة » بدل « طافئة » ولم يقل : « خَلَّةً » وقال : « فيأتي القومَ فيدعوَهم ، فيكذِّبونه ويردُّون عليه قولَه ، فينصَرِفُ عنهم فتتبَعُه أموالُهُم ، ويُصبحون ليس بأيديهم شيءٌ ، ثم يأتي القومَ فيدعوهم فيستجيبون له ويُصَدِّقونه ، فيأمرُ السماء أن تُمطِر فتُمْطِرَ ، ويأمرُ الأرضَ أن تُنْبِتَ فتُنْبِتَ ، فتروحُ عليهم سارحتُهم كأطول ما كانت ذرًا ، وأمَدَّه خَوَاصِرَ ، وأدَرَّه ضُروعًا ، ثم يأتي الخَرِبةَ ، فيقولُ لها : أخرجي كنوزَكِ ، فينصرفُ عنها ، فتتبَعُهُ كيعاسيب النحل .. » وذكر الحديث بنحو ما سبق إلى قوله : « لقد كان بهذه مرةً ماءٌ » . وقال : « ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل بيت المقدس ، فيقولون : لقد قَتَلنا من في الأرض ، فَهَلُمَّ فلنقتلْ من في السماء ، فيرمونَ بِنُشَّابهم إلى السماء ، فيردُّ الله عليهم نُشَّابَهم مُحْمَرًّا دمًا ، ويُحَاصر عيسى ابنُ مريمَ وأصحابُهُ حتى يكونَ رأسُ الثور يومئذ خيرًا لهم من مائة دينار لأحدكم اليوم ... » . وذكر الحديث ، وقال : « قد ملأتْه زَهمَتُهم ونَتْنُهم ودِماؤهم » قال : « فيرغب عيسى إلى الله وأصحابُه فيُرْسِلُ الله عليهم طيرًا كأعناقِ البُخْتِ ، فَتحمِلُهم فتطرَحُهم بالمَهْبَلِ ، ويستوقدُ المسلمون من قِسِيِّهم ونُشَّابهم وجعابهم سَبْعَ سنين ، ويرسلُ اللهُ عليهم مطرًا لا يَكُنُّ منه بيت وبر ولا مدرٍ ، فَيَغْسِلُ الأرضَ فيتركُها كالزَّلَفة » قال : « ثم يُقالُ للأرض : أخرجي ثمرتَكِ ، وردِّي بركتَكِ ، فيومئذ تأكل العصابة الرُّمَّانة ، ويستظلُّون بقِحفِها ، ويُبارَكُ في الرِّسْلِ حتى إنَّ الفئام من الناس ليكتفون باللِّقحة من الإبل ، وإن القبيلةَ ليكتفون باللقحةِ من

= (إلى جَبَل الخَمَر) : الخَمَرُ هو الشجر الملتف الذي يستر من فيه وفسر في الحديث أنه جبل بيت المقدس لكثرة شجره .

(١) الترمذي (٤ / ٥١٠ ـ ٥١٣) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، ٥٩ ـ باب ماجاء في فتنة الدجال .

البقر ، وإن الفخذ ليكتفون باللقحة من الغنم ، فبينما هم كذلك ، إذ بعث الله عليهم ريحًا ، فقبضت روح كل مؤمن ، ويبقى سائر الناس يتهارجون كما يتهارج الحمر ، فعليهم تقوم الساعة » .

« فخَفَّضَ فيه ورَفَّعَ » : قال الشيخ عبد الفتاح : (قال النووي في « شرح صحيح مسلم » ١٨ : ٦٣ في معناه قولان :

الأول : أن معنى« خَفَّضَ فيه » : حقَّره ، ومعنى « رفَّع » فيه : عظَّمه وفخَّمه ، فمِن تحقيره ، قولُه ﷺ : إنه أعورُ العين ، وإنه أهوَنُ على الله من ذلك ، وإنه لا يَقْدرُ على قتلِ أحدٍ إلا ذلك الرجل ثم يَعْجزُ عنه ، وإنه يَضْمحِلُّ أمرُه ويُقتَلُ بعدَ ذلك . ومن تفخيمه وتعظيمِ فتنتِهِ قولُه ﷺ : « ليس بين يدَي السَّاعةِ خَلقٌ أعظمُ من الدجال ، ومامِن نبيٍّ إلا وقد أنذرَ أُمَّتَه الأعورَ الكذَّاب » . وتلك الأمورُ الخارقة للعادة التي تقع له .

القولُ الثاني : في معنى « خفَّضَ فيه ورفَّع » : أنه خفَّض مِن صوتِهِ لكثرةِ ماتكلَّم في شأن الدجال ، فخفَّض بعدَ طولِ الكلام والتَّعَب ليستريح ، ثم رَفَّعَ ليَبْلغ صوتُهُ كلَّ أحد » . انتهى . اهـ . من (التصريح)

أقول : إن أشراط الساعة ومايكون بعدها تفسيرها وقوعها : قال تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾ [١] ومع ذلك فقد تشتبه على بعض الناس بعض النصوص فاقتضى ذلك كلامًا ، ومما قد يشتبه على بعض الناس هذا الجزء من الحديث السابق :

(قلنا يارسول الله ومالبثه في الأرض ؟ قال : « أربعون يومًا ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيّامه كأيّامكم » قلنا : يارسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : « لا اقدروا له قدره ») .

وسبب الإشكال أنّه إذا كان يوم كسنة فهذا يقتضي ـ إلا إذا كان الحديث له تفسير غير المتبادر إلى الأذهان ـ أن يكون هناك ليل طويل يقابل هذه السنة في مكان آخر من

---

(١) الأعراف : ٥٣ .

الأرض ، والمعروف أنّ هذه الحالة لا تكون إلا عند طلوع الشمس من مغربها ، ولذلك فإننّا نحمل هذا الحديث على أنّ المراد باليوم الذي كسنة واليوم الذي كشهر واليوم الذي كجمعة بأنها كذلك في الشّدة والبلاء بدليل أنّ هنـاك روايـات تـذكر أنّ مكثـه في الأرض أربعون سنة وإنّما هي أربعون سنـة في الشـدّة والبلاء وإلا فمكثـه أربعون يومًـا .

قال ابن حجر في الفتح

« وقـع في حـديث جـابر : « يسيـح في الأرض أربعين يـومًـا يرد كلّ بلـدة غير هـاتين البلدتين مكة والمدينة حرمها الله تعـالى عليـه ، يوم من أيـامـه كالسنـة ويوم كالشهر ويوم كالجمعة وبقية أيامه كأيامكم هذه » . أخرجه الطبراني وهو عند أحمد بنحوه بسند جيد ولفظه « تطوى له الأرض في أربعين يومًا إلا ماكان من طيبة » ... الحديث وأصلـه عنـد مسلم من حديث النواس بن سمعان بلفظ : قلنا يـارسول الله فما لبثـه في الأرض ؟ قـال : « أربعون يومًا » . فذكره وزاد : قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذي كالسنة يكفينـا فيـه صلاة يوم ؟ قال : « لا اقدروا له قدره » . قلنا : يارسول الله وماإسراعـه في الأرض ؟ قـال : « كالغيث استدبرته الريح » . وله عن عبد الله بن عمرو : « يخرج الـدجـال في أمتي فيمكث أربعين ، لا أدري أربعين يومًا أو أربعين شهراً أو أربعين عامًا » . الحديث ، والجزم بأنها أربعون يومًا مقدم على هذا الترديد ، فقد أخرجه الطبراني من وجـه آخر عن عبـد الله بن عمرو بلفـظ : « يخرج - يعني الدجال - فيمكث في الأرض أربعين صبـاحـا يرد فيهـا كل منهل إلا الكعبـة والمدينة وبيت المقدس » . الحـديث ووقع في حـديث سمرة .. « يظهر على الأرض كلهـا إلا الحرمين وبيت المقـدس فيَحصُرُ المؤمنين فيـه ثم يهلكـه الله » [قولـه عليـه السلام : « فيحصر المؤمنين في بيت المقدس » علق عليه الشيخ عبد الفتـاح : « كـذا في روايـة الإمـام أحـد في « المسنـد » ٥ : ١٦ . وجـاء في « مجمع الـزوائـد » للهيثمي ٧ : ٣٤١ هكـذا : (وإنـه يُحصَرُ المؤمنون) . أي بالبنـاء للمجهول للفعل وبرفع مابعده ١٠ . هـ (التصريح بمـا تواتر في نزول المسيح)] .

وفي حديث جنادة بن أبي أمية : أتينا رجلا من الأنصار من الصحابة قـال : قـام فينـا رسـول الله ﷺ فقـال : « أنـذركم المسيـح » .... الحـديث وفيـه « يمكث في الأرض أربعين

صباحًا ، يبلغ سلطانه كل منهل ، لا يأتي أربعة مساجد : الكعبة ومسجد الرسول ومسجد الأقصى والطور » أخرجه أحمد ورجاله ثقات . ا . هـ (فتح الباري) .

فهذا الذي حملنا على أن نفسّر اليوم كسنة بأنّه سنة في الشدّة ، ولما فهم الصحابة الحديث على ظاهره أعطام الرسول ﷺ حكمًا فقهيًا للحالات التي يكون فيها اليوم طويلاً كأيّام القطب الشمالي والجنوبي حيث يكون النهار ستّة أشهر والليل ستّة أشهر .

وأمّا قوله عليه السلام : « ثمّ يقال للأرض أخرجي ثمرتك وردّي بركتك فيومئذ تأكل العصابة الرمّانة ويستظلّون بقحفها ويبارك في الرِّسْل حتّى إنّ الفئام من الناس ليكتفون باللقحة من الإبل » .

فيه إشارة إلى ماطرأ على الأرض وعلى البركة بسبب الفساد في الأرض : ﴿ ظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس ﴾ [1] . وقد ذكر كتابٌ ظهر عن « القطب » حيث المعاصي معدومة أنّ بعض المزروعات تنمو أضعافًا مضاعفة عنها في العالم المعروف فذلك نموذج على بركة الأرض حيث لم تتلوّث بمعاصي بني آدم .

وقد علق الشيخ عبد الفتاح على هذا القسم من الحديث بما يلي :

« وقال الحافظ ابن القيم في كتابه « الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي » ص ٨٣ ـ ٨٦، في الفصل ـ ٢٦ ـ من فصول الكتاب :

« فصل : ومن آثار الذنوب والمعاصي أنها تُحدِثُ في الأرض أنواعًا من الفساد في المياه والهواء والزرع والثمار والمساكن ، قال تعالى : ﴿ ظَهَرَ الفسادُ في البرِّ والبَحْرِ بما كَسَبَتْ أيدي الناسِ ليُذيقَهم بعضَ الذي عَمِلُوا لعلّهم يَرجِعونَ ﴾ .

قال بعض السلف : كلما أحدثتم ذنبًا ، أحدثَ الله لكم من سُلطانِه عقوبة . والظاهر ـ والله أعلم ـ أن الفساد ـ المشارَ إليه في الآية ـ المراد به الذنوبُ ومُوجباتُها ، ويَدلُّ عليه قولُه تعالى : ﴿ ليُذيقَهم بعضَ الذي عَمِلوا ﴾ . فهذا حالُنا ، وإنما أذاقنا الشيءَ اليسيرَ من أعمالنا ، فلو أذاقنا كلَّ أعمالنا ، لما ترَك على ظهرها من دابّة !

---

(٢) الروم : ٤١ .

ومن تـأثير معـاصي الله تعـالى في الأرض ، مـايَحُلُّ بهـا من الخَسْف والزلازل ، ويَمْحَـقُ بركتَها ، وقد مَرّ رسول الله ﷺ على ديار ثمود ، فمَنَعهم من دخول ديارهم إلا وهم بـاكون ، ومن شُرْبِ مياههم ، ومن الاستسقاء من آبـارهم ، حتى أمَرَ أن لا يُعلَف العجينُ الـذي عُجِنَ بمياههم لنواضحِ الإبل ، لتأثير شُؤم المعصية في الماء .

وكذلك شؤمُ تأثيرِ الذنوب في نقص الثار ومايُرَى بها من الآفات ، وقد ذكَر الإمام أحمد في « مسنده » ٢ : ٢٩٦ ، في ضمن حديثٍ قال : وُجِدَتْ في خزائن بعض بني أميـة حِنْطَـةٌ ، الحَبّةُ بقَدْرِ نَوَاةِ التَّمْرة ، وهي في صُرّةٍ مكتوب عليها : كان هذا يَنْبُتُ في زَمَنِ العَدْل .

وكثير من هذه الآفات أحدَثها الله سبحـانـه وتعـالى ، بمـا أحـدَث العبـادُ من الـذنوب . وأخبرني جمـاعـةٌ من شيوخ الصحراء أنهم كانـوا يَعْهَـدون الثارَ أكبرَ ممـا هي الآن ، وكثير من هذه الآفات التي تُصيبها ، لم يكونوا يعرفونها ، وإنما حَدَثَتْ منْ قُرب .

وأما تأثيرُ الذنوب في الصُّوَر والخَلْق ، فقد رَوَى الترمـذي في « جـامعـه » عن النبي ﷺ أنـه قـال : « خَلَق الله آدَمَ وطُولُـه في السماء ستون ذراعًـا ، ولم يَـزَل الخَلْـقُ يَنْقُصُ حتى الآن » .

فإذا أراد الله أن يُطهِّرَ الأرضَ من الظَّلَمةِ والخَوَنَة والفَجَرة ، يُخرجُ عبـدا من عبـاده ، من أهل بيت نبيِّـه ﷺ ، فيَمْـلأُ الأرضَ قِسطًـا كما مُلِئَتْ جَوْرا ، ويَقتُـلُ المسيـحُ : اليهـودَ والنصـارى ، ويُقيمُ الـدين الـذي بَعثَ الله بـه رسولَـه ، وتُخرِجُ الأرضُ بركاتهـا ، وتَعُـودُ كما كانت ، حتى إن العصابة من الناس ، ليأكلون الرُّمّانـةَ ويستظلون بقِحْفِهـا ، ويكون العنقُودُ من العِنَب وِقْرَ بعير ، ولَبَنُ اللِّقْحـةِ الـواحـدةِ ـ أي النـاقـةِ ذاتِ اللّبن ـ يكفي الفِئـامَ من الناس ـ أي الجماعة من الناس ـ .

وهذا لأن الأرض لما طَهَرَتْ من المعاصي ، ظَهَرَتْ فيها آثارُ البركـة من الله تعـالى ، التي مَحقَتْها الـذنوبُ والكفر . ولا ريب أن العقوبـات التي أنزلهـا الله في الأرض ، بقيـةُ آثـارهـا ساريةٌ في الأرض ، تطلُبُ مايُشاكلها من الذنوب التي هي آثار تلـك الجرائم التي عُـذِّبت بهـا الأمم ، فهذه الآثار في الأرض ، من آثار العقوبات ، كما أن هذه المعاصي من آثـار الجرائم » .
انتهى كلام الحافظ ابن القيم .

وقال الحافظ ابن كثير في « تفسيره » ٥ : ٣٦٤ ، عند قوله تعالى في سورة الروم : ﴿ ظَهَرَ الفَسَادُ في البَرّ والبَحْرِ بما كسَبَتْ أيدِي النّاس لِيُذيقَهم بعضَ الذي عَمِلُوا لعلّهم يَرجِعُون ﴾ :

« المرادُ بالبرّ هنا : الفَيَافي ، وبالبحر : الأمصار والقُرَى . ومعنى قوله تعالى : ﴿ ظَهَرَ الفسادُ في البَرّ والبحر بما كسَبَتْ أيدي الناس ﴾ أي إنّ النَّقْصَ في الزروع والثمار بسبب المعاصي .

وقال أبو العالية : من عَصَى الله في الأرض ، فقد أفسد في الأرض ، لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة ، ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود : « لَحَدٌّ يُقامُ في الأرض أحَبُّ إلى أهلِها من أن يُمطَروا أربعين صباحًا » .

والسببُ في هذا أن الحدود إذا أُقيمت ، انكف الناسُ أو أكثرُهم أو كثيرٌ منهم عن تعاطي المُحرمات ، وإذا تُرِكَت المعاصي ، كان ذلك سببًا في حصول البركات من السماء والأرض .

ولهذا إذا نَزَل عيسى ابنُ مريم عليه السلام في آخر الزمان ، يَحكم بهذه الشريعة المطهرة في ذلك الوقت ، من قَتْلِ الخنزير ، وكسرِ الصليب ، ووضعِ الجزية وهو تَرْكُها ، فلا يَقْبَلُ إلا الإسلامَ أو السيف ، فإذا أهلَكَ الله في زمانه الدجّال وأتباعَه ، ويأجوجَ ومأجوج ، قيل للأرض : أخرجي بركَتَكِ ، فيأكلُ من الرُّمّانة الفِئامُ من الناس ، ويَستظلون بِقِحْفِها ، ويكفي لَبَنُ اللِّقْحة الجماعةَ من الناس .

وماذاك إلا ببركةِ تنفيذ شريعة محمد ﷺ ، فكلما أُقيم العدل كَثُرَت البركاتُ والخير ، ولهذا ثبَتَ في « الصحيحين » : « أن الفاجر إذا مات يَستريحُ منه العبادُ والبلادُ والشجرُ والدوابُّ » .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا محمد والحُسَين . قالا : حدثنا عوف ، عن أبي قَحْذَم ، قال : وجَدَ رجلٌ في زمانِ زياد ـ بن أبيه المتوفى سنة ٥٣ ـ ، أو ابن زياد ـ عُبَيدِ الله ابن زياد بن أبيه المتوفى سنة ٦٧ ـ : صُرةً فيها حَبٌّ ، يعني من بُرٍّ أمثالِ النّوَى،

مكتـوبٌ فيهـا ـ أي في الصُرَّة ـ : هـذا نَبَتَ في زمـانٍ كان يُعمَـلُ فيـه بـالعَـدْل . انتهى . اهـ (التصريح) .

أقول : وفي الحديث الـذي مرّ معنـا إشـارة إلى الريح التي تقبض نفس كل مؤمن ، وقـد يظن قارئ الحديث أن ذلك كائن زمن المسيح عليه الصلاة والسلام ، والأمر ليس كذلـك ، فهي تأتي بعد نزول المسيح عليه الصلاة والسلام ، والناس لا زالوا يعيشون في آثار من بركة وجوده عليه الصلاة والسلام .

١٠٤٥ ـ * روى أبو داود ، عن عبادة بن الصَّامِتِ رضي الله عنـه أنَّ رسـول الله ﷺ قال : « إني حدَّثْتُكم عن الدجالِ ، حتى خَشيتُ أن لا تعقِلُوا ، إنَّ المسيحَ الدجـالَ قصيرٌ أفحَـجُ ، جَعْـدٌ أعـوَرُ ، مطمـوسُ العين ، ليست بنـاتئـةٍ ولا جَحْراءَ ، فـإن التبِسَ عليكم ، فاعلموا أنَّ ربَّكم ليس بأعورَ » .

١٠٤٦ ـ * روى مسلم ، عن عبـدِ اللهِ بنِ عمرَ رضي الله عنهما أن رسـول الله ﷺ ذكرَ الدجالَ بين ظَهْرانَي النـاسِ ، فقـال : « إن الله ليس بـأعورَ ، ألا إنَّ المسيحَ الـدَّجـالَ أعْوَرُ العين اليمنى ، كأنَّ عينَه عِنَبةٌ طافِئةٌ » .

وفي رواية الترمذي [1] : أن النبي ﷺ سُئل عن الدجال ؟ فقـال: « ألا إنَّ رَّبكم ليس بأعورَ ، ألا وإنـه أعورٌ ، عَيْنُه اليمنى كأنهاعِنَبَةٌ طـافِئةٌ » .

وفي رواية البخـاري [2] : أن المسيح ذُكِرَ بين ظهراني النـاس ، فقـال النبيُّ ﷺ : « إنَّ الله ليس بأعورَ ، ألا إنَّ المسيحَ الدجالَ أعورُ عينِ اليمنى ، كأنَّها عِنبةٌ طافئةٌ » .

١٠٤٥ ـ أبو داود (٤ / ١١٦ ، ١١٧) كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال . وإسناده حسن .

(الفحج) : تباعد مابين الفخذين ، والرجل أفحج .

(عين جحراء) : أي غـائرة مختفيـة ، كأنهـا قـد انجحرت ، أي : دخلت في جحر ، وهـو الثقب ، قـال الهروي : وأقرأنيه الأزهري جَخْراء ـ بـالجيم والخـاء المعجمـة ـ وأنكره بـالحـاء المهملـة ، قـال : معنـاه : الضيقـة فيهـا رَمَص وغَمَصٌ .

١٠٤٦ ـ مسلم (٤ / ٢٢٤٧) ٥٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٠ ـ باب ذكر الدجال وصفته وما معه .

(١) الترمذي (٤ / ٥١٤) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، ٦٠ ـ باب ماجاء في صفة الدجال .

(٢) البخاري (١٣ / ٣٨٩) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ، ١٧ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ .

وفي أخرى له ولمسلم [١] : أن النبي ﷺ ذكر الدجال فقال : « إنَّه أعورُ عينِ اليمنى ، كأنها عنبة طافئة » .

وفي رواية أبي داود [٢] قال : قام رسولُ الله ﷺ في الناس ، فأثنى على الله بما هو أهله ... فذكر الدجال ، فقال : « إني لأُنْذِرُكموه ، ومامن نبي إلا وقد أَنْذَرَهُ قومَه ، ولقد أنذره نوحٌ قومه ، ولكني سأقول لكم فيه قولا لم يَقُلْه نبيٌّ لقومه ، تعلمون أنَّه أعورُ ، وأنَّ الله ليس بأعورَ » .

وفي أخرى للترمذي [٣] : قال : قام رسول الله ﷺ في الناس ، فأثنى على الله بما هو أهله ... ثم ذكر الدجال ، فقال : « إني لأُنْذِرُكموه ، ومامن نبي إلا وقد أَنْذَرَ قومهُ ، لقد أنذره نوح قومه ، ولكني سأقولُ فيه قولاً لم يقله نبي لقومِه : تعلمون أنَّه أعورُ ، وإنَّ الله ليس بأعور » .

قال الزهري : فأخبرني عمرُ بنُ ثابتٍ الأنصاري : أنه أخبره بعضُ أصحاب رسول الله ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال يومئذ للناس وهو يحذِّرهم فتنتَهَ : « تعلمون أنَّه ليس يرى أحدٌ منكم ربَّه حتى يموتَ ، وأنَّه مكتوب بين عينيه : كافر ، يقرؤه كلُّ من كَرِهَ عَمَلَه » .

قوله عليه السلام : « إنه أعورُ العينِ اليمنى » : قال النووي : « وأما قوله ﷺ : « أعور العين اليمنى كأنها عِنبة طافية » فروي بالهمز وبغير همز فمن همز معناه ذهب ضوؤها ومن لم يهمز معناه ناتئة بارزة ثم إنه جاء هنا أعور العين اليمنى وجاء في رواية أخرى أعور العين اليسرى وقد ذكرهما جميعًا مسلم في آخِر الكتاب ، وكلاهما صحيح قال القاضي عياض رحمه الله : روينا هذا الحرف عن أكثر شيوخنا بغير همز وهو الذي صححه أكثرهم قال : وهو الذي ذهب إليه الأخفش ومعناه ناتئة كنتوء حبة العنب من بين صواحبها قال :

---

(١) البخاري (٨ / ١٠٦) ٦٤ ـ كتاب المغازي ، ٧٧ ـ باب حجة الوداع .

مسلم (١ / ١٥٥) ١ ـ كتاب الإيمان ، ٧٥ ـ باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال .

(٢) أبو داود (٤ / ٢٤١) كتاب السنة ، باب في الدجال .

(٣) الترمذي (٤ / ٥٠٨) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، ٥٦ ـ باب ما جاء في علامة الدجال .

وضبطه بعض شيوخنا بالهمز وأنكره بعضهم ولا وجه لإنكاره ، وقد وصف في الحديث بأنه ممسوح العين وأنها ليست جحراء ولا ناتئة بل مطموسة وهذه صفة حبة العنب إذا سال ماؤها وهذا يصحح رواية الهمز . وأما ماجاء في الأحاديث الأُخَر جاحظ العين وكأنها كوكب وفي رواية لها حدقة جاحظة كأنها نخاعة في حائط فتصحح رواية ترك الهمزة ولكن يجمع بين الأحاديث وتصحح الروايات جميعًا بأن تكون المطموسة والممسوحة والتي ليست بجحراء ولا ناتئة هي العوراء الطافئة بالهمز وهي العين اليمنى كما جاء هنا وتكون الجاحظة والتي كأنها كوكب وكأنها نخاعة هي الطافية بغير همز وهي العين اليسرى كما جاء في الرواية الأخرى وهذا جمع بين الأحاديث والروايات في الطافية بالهمز وبتركه . وأعور العين اليمنى واليسرى لأن كل واحدة منهما عوراء فإن الأعور من كل شيء المعيب لا سيما مايختص بالعين وكلا عيني الدجال معيبة عوراء إحداهما بذهابها والأخرى بعيبها . هذا آخر كلام القاضي وهو في نهاية من الحسن والله أعلم » . ا . هـ (شرح النووي على مسلم) .

١٠٤٧ - * روى البخاري ومسلم ، عن رِبعي بن حِراشٍ : انطلقتُ أنا وعقبةُ ابنُ عمرو إلى حُذيفةَ ، فقال عُقبة : حدّثني بما سمعتَ من رسول الله ﷺ في الدجال ، فقال : سمعتُه يقول : « إنَّ مع الدجال إذا خرج ماء ونارا ، فأما الذي يرى الناسُ أنه نارٌ : فماءٌ باردٌ ، وأما الذي يرى الناسُ أنه ماءٌ : فنارٌ تَحرِقُ ، فمن أدركَ ذلك منكم فليقعْ في الذي يرى أنه نارٌ ، فإنَّه ماءٌ عذبٌ باردٌ » . قال حُذيفة : وسمعتُه يقول : « إنَّ رجُلا ممَّن كان قبلَكم أتاه المَلَكُ ليَقْبِضَ رُوحَهُ ، فقالَ : هل عَمِلْتَ من خير ؟ قال : ما أعْلَمُ ، قيل له : انظر ، قال : ماأعلم شيئًا ، غير أني كنتُ أبايعُ الناسَ في الدنيا ، فأُنْظِرُ الموسِرَ ، وأتجاوزُ عن المُعسِرِ ، فأدخلَه اللهُ الجنةَ » . وسمعتُه يقول : « إن رجلا حضَره الموتُ ، فلما يئسَ من الحياة ، أوصى أهله : إذا أنا متُّ فاجمعوا لي حَطَبًا كثيرا ، جَزْلا ، ثم أوقِدُوا فيه ناراً حتى إذا أكلتْ لحمي ،

١٠٤٧ - البخاري (٦ / ٤٩٤) ٦٠ - كتاب الأنبياء ، ٥٠ - باب ما ذكر عن بني إسرائيل .

مسلم (٤ / ٢٢٥٠) ٥٢ - كتاب الفتن ، ٢٠ - باب ذكر الدجال وصفته وما معه .

(إنظار المعسر) : تأخير ماعليه من الدَّين إلى حال يساره .

(جزلاً) : الحطب الجزْلُ : القوي الغليظ .

وخلصتْ إلى عظمي ، وامتُحِشْتُ ، فخذوها فَـاطحَنُوهَـا ، ثم انظروا يومًا راحـا فـاذْرُوه في اليَمّ ، ففعلوا ، فجمعـه الله عز وجل إليـه ، فقـال : لِمَ فعلتَ ذلـك ؟ قال : من خَشْيَتك » . قال : « فغفر الله له » . فقال عقبـةُ : وأنـا سمعتُـه يقول ذلـك ، وكان نَبّاشًا .

وفي رواية [١] عن حذيفة مختصرا : أنه عليه السلام قال في الدجـال : « إنَّ معـه مـاءً ونارًا ، فناره ماءٌ بارد ، وماؤه نار ، فلا تَهْلِكوا » .

قال أبو مسعود : وأنا سمعتُه من رسول الله ﷺ .

ولمسلم [٢] : أن رسولَ الله ﷺ قال : « لأنا أعلمُ بما مع الدجـال منـه ، معـه نهران يجريان ، أحدهما : رأيَ العينِ ماءٌ أبيضُ ، والآخرُ : رأي العين نارٌ تأجّجُ ، فـإمـا أدركَنَّ أحَدٌ فليأت النهرَ الذي يراه نارًا ، وليُغَمِّضْ ، ثم ليُطَـأْطِئ رأسَـهُ فليشربْ منه ، فإنه ماءٌ باردٌ ، وإن الدجالَ ممسوحُ العينِ ، عليهـا ظَفَرَةٌ غليظـةٌ ، مكتوبٌ بين عينيه كافر ، يقرؤه كلُّ مؤمن ، كاتِبٍ وغيرِ كاتبٍ » .

وفي روايـة لمسلم [٣] قـال : قـال رسول الله ﷺ : « الـدجـالُ أعورُ العين اليُسرَى ، جُفالُ الشَّعَر ، معه جَنَّةٌ ونارٌ ، فنارُه جَنَّةٌ ، وجنَّتُه نارٌ » .

وفي رواية أبي داود [٤] قال : اجتمع حذيفةُ ، وأبو مسعود ، فقال حذيفـة : لأنـا بمـا مع

(الامتحاش) : الاحتراق ، امتحشت النار العظم : إذا أحرقَتْهُ .

(راحًا) : يوم راح : كثير الريح شديده .

(فاذروه في اليم) : أي : فرّقوه في البحر وألقوه فيه ، كما يذرى الطعام ، واليمُّ : البحر .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٤٩) ، في الموضع السابق .

(٢) المصدر السابق .

(تأجج) النار : اتّقادها .

(ظَفَرَة) : الظفرة ـ بالتحريك ـ جُلَيدة تغشى العين ناتئة من الجانب الذي يلي الأنف على بياض العين إلى سوادها .

(٣) المصدر السابق .

(شعر جفَال) : كثير ملتفّ .

(٤) أبو داود (٤ / ١١٥ ، ١١٦) ، كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال .

الدجال أعلمُ منه ، إنّ معهُ بحراً من ماء ، ونهراً من نار ، فالذي ترون أنه نار ماءٌ ، والذي ترون أنه ماء نارٌ ، فمن أدرك ذلك منكم فأراد الماءَ فليشرب من الذي يرى أنّه نارٌ ، فإنه سيجده ماء قال أبو مسعود : هكذا سمعتُ رسول الله ﷺ يقول .

١٠٤٨ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال : « يَتْبَعُ الدّجالَ من يهودِ أصفهان سبعون ألفًا عليهم الطّيالِسةُ » . قال النووي في شرح مسلم : وأصبهان بفتح الهمزة وكسرها وبالباء وبالفاء . ا . هـ .

أقول : في الحديث إشعار لأهل عصرنا بأكثر من معنى ، فهؤلاء اليهود الذين يتابعون الدجّال ويأتون معه يوم ظهوره إلى القدس حيث تكون عاصمة الخلافة الإسلاميّة هم الذين تتحدّث عنهم النصوص أنّ الحجر والشجر يدلاّن المسلم على مكان الواحد منهم ليقتله ماعدا شجر الغرقد .

وكون الخلافة الإسلاميّة عاصمتها القدس وقتذاك فذلك يشير إلى أنّ دولة اليهود الحاليّة لن تستمرّ في فلسطين ، وكون هذا العدد الكبير من اليهود سيخرج من أصبهان فذلك يشير إلى هجرة لليهود لبلاد إيران من جديد ، وفي ذلك كلّه إشارة إلى أنّ هناك بعداً نسبيّا بيننا وبين ظهور الدجّال ونزول عيسى ابن مريم وظهور المهدي إذا كان المهدي سيظهر بين يدي نزول المسيح عيسى ابن مريم .

١٠٤٩ - * روى مسلم عن أبي الزبير رحمه الله سمعَ جابرَ بنَ عبدِ الله رضي الله عنه يقول : أخْبَرَتْني أم شَريك : أنها سَمِعَتْ رسول الله ﷺ يقول : « لَيَفِرّنّ النّاسُ من الدّجّال في الجبال » .

قالت أم شَريك : قلتُ : يارسولَ الله ، فأيْنَ العربُ يومئذ ؟ قال : « هم قليلٌ » .

أقول : في هذا الحديث إشارة أخرى إلى أنّ بيننا وبين ظهور الدجّال بعدًا نسبيًا فالعرب

١٠٤٨ - مسلم (٤ / ٢٢٦٦) ٥٢ - كتاب الفتن ، ٢٥ - باب في بقية من أحاديث الدجال .

١٠٤٩ - مسلم ، في الموضع السابق .

والترمذي (٥ / ٧٢٣) ٥٠ - كتاب المناقب ، ٧٠ - باب مناقب في فضل العرب .

اليوم كثير وهذا يجعلنا نستشعر خطورة الأحداث العالميّة والمحليّة على العرب بين يدي الساعة .

١٠٥٠ - * روى البخاري ومسلم ، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أُحدِّثكم حديثًا عن الدَّجال ماحدَّث به نبيّ قومَه ؟ إنَّه أعورُ ، وإنه يَجيءُ بمثال الجنةِ والنار ، فالتي يقول : إنها الجنةُ : هي النار ، وإني أُنذِرُكم به ، كما أَنْذَرَ به نوحٌ قومَه » .

١٠٥١ - * روى البخاري ومسلم ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : حدَّثنا رسول الله ﷺ حديثًا طويلاً عن الدجال ، فكان فيما حَدَّثنا به أن قال : « يأتي الدجالُ وهو محرَّم عليه أن يدْخُلَ نِقاب المدينة ، فينتهي إلى بعض السِباخ التي بالمدينة ، فيخرج إليه يومئذ رجل هُوَ خَيْرُ الناس - أو مِنْ خيرِ الناسِ - فيقول : أشهدُ أنَّك الدَّجالُ الذي حدَّثنا عنكَ رسولُ الله ﷺ حديثَه . فيقول الدَّجال : أرأيتم إن قتَلْتُ هذا ، ثم أحيَيْتَهُ ، هَلْ تَشكُّون في الأمر ؟ فيقولون : لا . فيقتُلُه ، ثم يُحييهِ ، فيقول حين يحييه : واللهِ ماكنتُ قَطُّ أشدَّ بصيرةً مني اليوم . فيقول الدجال : اقْتُلْه . ولا يُسَلَّطُ عليه » .

ولمسلم [1] قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرج الدجالُ ، فيتوجَّهُ قِبَلَه رجُلٌ من المؤمنين ، فَتَلْقاه الْمَسالِحُ - مَسالِحُ الدَّجال - فيقولون له : أين تَعْمِدُ ؟ فقال :

١٠٥٠ - البخاري (٦ / ٣٧٠ ، ٣٧١) ٦٠ - كتاب الأنبياء ، ٣ - باب قول الله عز وجل : ﴿ ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه ﴾ .

مسلم (٤ / ٢٢٥٠) ٥٢ - كتاب الفتن ، ٢٠ - باب ذكر الدجال وصفته ومامعه .

١٠٥١ - البخاري (٤ / ٩٥ ، ٩٦) ٢٩ - كتاب فضائل المدينة ، ٩ - باب لا يدخل الدجال المدينة .

مسلم (٤ / ٢٢٥٦) ٥٢ - كتاب الفتن ، ٢١ - باب في صفة الدجال وتحريم المدينة عليه ... إلخ .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٥٦ ، ٢٢٥٧) ، في الموضع السابق .

(السباخ) : الأراضي التي لا تُنبتُ المرعى .

(بصيرة) البصيرة : المعرفة واليقين .

(المسالح) : جمع مسلحة ، وهم قوم معهم سلاح ، والمسلحة : كالثغر والمرقب وهو الذي يكون فيه قوم يرْقُبُون العدو ، لئلا يهجم عليهم ، ويسمى بالأعجمية : اليَزَك .

=

أعمِدُ إلى هذا الذي خرج ». قال : « فيقولون له : أوَمَا تؤمِنُ بربِّنا ؟ فيقول : مابربِّنا خفاءٌ . فيقولون : اقتلوه . فيقول بعضهم لبعض : أليسَ نهاكم رَبّكم أن تقتلوا أحداً دونه ؟ » قال : « فينطلقون به إلى الدجال ، فإذا رآه المؤمن قال : ياأيُّها الناسُ ، هذا الدجال الذي ذكرَ رسولُ الله ﷺ » . قال : « فيأمُرُ الدجالُ به فَيُشَجُّ ، فيقول : خذوه وشُجُّوه . فيوسَعُ ظَهْرُهُ وبطنه ضربًا » . قال : « فيقول : أما تؤمنُ بي ؟ فيقول : أنت المسيحُ الكذَّابُ ؟ » قال : « فيؤمَرُ به ، فيؤشَرُ بالمئشار من مَفْرِقه حتى يُفَرَّقَ بين رجليه » . قال : « ثم يمشي الدجالُ بين القطعتين » . قال : « ثم يقول له : قم فيستوي قائمًا » . قال : « ثم يقول له : أتؤمن بي ؟ فيقول : مازددت فيكَ إلا بصيرةً ؟ » قال : « ثم يقول : ياأيها الناس : إنه لا يُفْعَل بعدي بأحدٍ من الناس » . قال : « فيأخذه الدجال ليذبَحَه ، فَيُجعَلُ مابين رَقَبَتِهِ إلى تَرقُوَتِهِ نُحَاسًا ، فلا يستطيعُ إليه سبيلاً » . قال : « فيأخُذُ بيديه ورجليه فَيقذِفُ به ، فيحسَبُ الناسُ أنما قذفه إلى النار ، وإنما أُلْقي في الجنة » . فقال رسول الله ﷺ : « هذا أعظم الناس شهادةً عند ربِّ العالمين » .

١٠٥٢ ـ * روى البخاري ومسلم ، عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مامن نبي إلا وقد أنذرَ أُمَّته الأعورَ الكذَّابَ ، ألا إنه أعورُ ، وإنَّ ربَّكم عز وجل ليس بأعورَ ، مكتوبٌ بين عينيه (ك ف ر) » .

وفي رواية لمسلم [١] : أنَّ نبيَّ الله ﷺ قال : « الدجال مكتوب بين عينيه (ك ف ر) أي كافر » .

وفي أخرى [٢] ، قال : قال رسول الله ﷺ :« الدجال ممسوح العين مكتوبٌ بين عينيه

= (فيؤشر) : أشرته بالمئشار ، وشرته : إذا شققته به .

١٠٥٢ ـ البخاري (١٣ / ٣٨٩) ٩٧ ـ كتاب التوحيد ، ١٧ ـ باب قول الله تعالى ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ .

مسلم (٤ / ٢٢٤٨) ٥٢ ـ كتاب الفتن ٢٠ ـ باب ذكر الدجال وصفته وما معه .

والترمذي (٤ / ٥١٦) ٣٤ ـ كتاب الفتن ٦٢ ـ باب ما جاء في قتل عيسى ابن مريم الدجال .

وأبو داود (٤ / ١١٦) ، كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٤٨) ٥٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٠ ـ باب ذكر الدجال .... إلخ .

(٢) المرجع السابق .

(كافر) » . ثم تهجّاها « (ك ف ر) يقرؤه كل مسلم » .

وفي رواية لأبي داود [(١)] « بين عينيه كافر » .

وفي أخرى [(٢)] « يقرؤه كل مسلم » .

١٠٥٣ - * روى البخاري ، عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : كُنَّا نَتَحدَّثُ عَنْ حَجة الوَدَاعِ ، والنبيُّ ﷺ بَيْنَ أظْهُرِنَا ، وَلاَ نَدْرِي مَاحَجَّةُ الوداعِ ، حَتَّى حَمِدَ اللهَ رسول الله ﷺ وأثنى عَلَيهِ ، ثُمَّ ذَكَرَ المسيحَ الدَّجالَ ، فَأَطْنَبَ فِي ذِكْرِه ، وَقَالَ : « مَابَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إلا أَنْذَرَهُ أُمَّتَهُ : أَنْذَرَهُ نُوحٌ والنَّبِيونَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَإِنَّه يَخْرُجُ فِيكُم ، فَمَا خَفِيَ عَلَيْكُم مِنْ شَأْنِهِ فَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكُم ، إنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، إِنَّهُ أَعْوَرُ عَيْنِ اليُمْنَى ، كَأَنَّ عَيْنَه عِنَبَة طَافِيَةٌ ، ألا إنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُم دمَاءكم وَأَمْوَالكم ، كحرْمَة يَوْمِكُم هَذا ، في بَلَدِكُم هَذَا ، أَلاَ هَلْ بَلَّغتُ ؟ » قالوا : نَعَمْ . قَالَ : « اللَّهُمَّ اشْهَدْ » ثلاثًا - « ويلكُم » - أو « وَيْحَكُمْ - انْظُرُوا ، لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكم رِقَابَ بعض » .

وروى مُسْلِم طَرَفًا مِنْه [(٣)] ، وَهُوَ قَوْلُهُ : « وَيْحَكُم » أَوْ قَالَ : « وَيْلَكُمْ - لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُم رِقَابَ بَعْضٍ » .

قال البخاري [(٤)] : وقال هشام بنُ الغاز : عن نافعٍ عن ابن عمر : وَقَفَ النبيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ بَيْنَ الْجمَرَاتِ في الحجَّةِ التي حَجَّ فيها ، وقال : « أيُّ يومٍ هذا ؟ » - وذكر نحو ماسبق أولاً - وقال : « هذا يومُ الحَجِّ الأكبر » . فطَفِقَ النبيُّ ﷺ يقول : « اللَّهُمَّ اشْهَدْ » . ثُمَّ وَدَّعَ النَّاسَ ، فقالوا : هذه حَجَّةُ الوَدَاعِ » .

أقول : (ويحكم - أو قال : ويلكم -) : قال القاضي : هما كلمتان استعملتها العرب بمعنى

---

(١) أبو داود (٤ / ١١٦) كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال .

(٢) المرجع السابق .

١٠٥٣ - البخاري (٨ / ١٠٦) ٦٤ - كتاب المغازي ، ٧٧ - باب حجة الوداع .

(٣) مسلم (١ / ٨٢) ١ - كتاب الإيمان ، ٢٩ - باب بيان معنى قول النبي ﷺ ... إلخ .

(٤) البخاري (٣ / ٥٧٤) ٢٥ - كتاب الحج ، ١٣٢ - باب الخطبة أيام منى .

التعجب والتوجع . قال سيبويه : ويل : كلمة لمن وقع في هلكة . وويح : ترحم . وحكي عنه : ويح : زجر لمن أشرف على الهلكة .

١٠٥٤ ـ * روى أحمد عن عائشة أن رسول الله ﷺ ذكَرَ جَهدًا يكون بين يدي الدجال فقالوا : أيُّ المالِ خيرٌ يومئذ ؟ قال : « غلامٌ شديدٌ يَسقي أهلَه الماءَ وأما الطعامُ فليس » . قالوا : فما طعام المؤمنين يومئذ ؟ قال : « التسبيحُ والتكبيرُ والتهليلُ » . قالت عائشةُ : فأين العربُ يومئذ ؟ قال : « العربُ يومئذ قليلٌ » .

١٠٥٥ ـ * روى أحمد ، عن أبي بَكرةَ قال : قال رسول الله ﷺ « الدجالُ أعور عينِ الشمالِ بين عينيه مكتوبٌ كافرٌ يقرؤه الأميُّ والكاتبُ » .

١٠٥٦ ـ * روى أبو داود ، عن عِمران بن حُصَين رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « مَنْ سَمِعَ بالدَّجَّال فَلْيَنْأَ منه ، فوالله : إن الرجلَ ليأتيه وهو يَحْسَبُ أنه مؤمن ، فيتبعُه ، مما يَبْعَثُ به من الشبهات ، أو لما يَبعَثُ به من الشبهاتِ » .

١٠٥٧ ـ * روى البخاري ومسلم ، عن المغيرةِ بن شُعبةَ رضي الله عنه ، قال : ماسأل أحدٌ رسول الله ﷺ عن الدجال أكثرَ مما سألتُه ، وإنَّه قال لي : « مايَضُرُّكَ منه ؟ » قلتُ : إنَّهم يقولون : إنَّ معه جَبَلَ خُبزٍ ، ونهرَ ماءٍ . قال : « هو أهْوَنُ على الله من ذلك » .

وفي رواية [١] : قال لي : « يابُنَيَّ ، ومايُنْصِبُكَ منه ؟ إنه لن يضُرَّك » . قال :

١٠٥٤ ـ مسند أحمد (٦ / ٧٥ ، ٧٦) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٣٥) . وقال : رواه أحمد وأبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح .

١٠٥٥ ـ مسند أحمد (٥ / ٣٨) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٣٧) . وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

١٠٥٦ ـ أبو داود (٤ / ١١٦) كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال . وإسناده صحيح .

١٠٥٧ ـ البخاري (١٣ / ٨٩) ٩٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٦ ـ باب ذكر الدجال .

مسلم (٤ / ٢٢٥٨) ٥٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٢ ـ باب في الدجال ... إلخ .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٥٧ ، ٢٢٥٨) ، في الموضع السابق .

(ماينصبك) : النَّصَب : التعب ، أي مايتعبك منه .

قلتُ : إنهم يَزْعُمون أنّ معه أنهارَ الماء ، وجبالَ الخبز . قال : « هو أهونُ على الله من ذلك » .

وفي أخرى (١) : إنهم يقولون : إنّ معه جبالَ خبز ولحمٍ ، ونهرَ ماءٍ قال : « هو أهونُ على الله من ذلك » .

علق ابن حجر على قوله عليه الصلاة والسلام: « هو أهون على الله من ذلك » :

« قال عياض : معناه هو أهون من أن يجعل مايخلقه على يديه مضلا للمؤمنين ومشككا لقلوب الموقنين ، بل ليزداد الذين آمنوا إيمانًا ويرتاب الذين في قلوبهم مرض فهو مثل قول الذي يقتله ماكنت أشد بصيرة مني فيك ، لا أن قوله « هو أهون على الله من ذلك » أنه ليس شيء من ذلك معه ، بل المراد أهون من أن يجعل شيئًا من ذلك آية على صدقه ، ولا سيا وقد جعل فيه آية ظاهرة في كذبه وكفره يقرؤها من قرأ ومن لا يقرأ زائدة على شواهد كذبه مِنْ حَدَثِه ونَقْصِه . قلت : الحامل على هذا التأويل أنه ورد في حديث آخر مرفوع « ومعه جبل من خبز ونهر من ماء » أخرجه أحمد والبيهقي في البعث من طريق جُنادة بن أبي أمية عن مجاهد قال : انطلقنا إلى رجل من الأنصار فقلنا حدثنا بما سمعت من رسول الله ﷺ في الدجال ولا تحدثنا عن غيره . فذكر حديثًا فيه « تمطر الأرض ولا ينبت الشجر ، ومعه جنة ونار فناره جنة وجنته نار ومعه جبل خبز ... » الحديث بطوله ورجاله ثقات ، ولأحمد من وجه آخر عن جنادة عن رجل من الأنصار : « معه جبال الخبز وأنهار الماء » ولأحمد من حديث جابر : « معه جبال من خبز والناس في جهد إلا من تبعه ، ومعه نهران » الحديث ، فدل ماثبت من ذلك على أن قوله : « هو أهون على الله من ذلك » ليس المراد به ظاهره وأنه لا يجعل على يديه شيئًا من ذلك ، بل هو على التأويل المذكور » اهـ (فتح الباري) .

١٠٥٨ - * روى الترمذي ، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، قال : حدّثنا رسول الله ﷺ قال : « الدجالُ يخرج من أرض بالمشرق يقال لها : خُراسان يتّبعُه أقوامٌ كأن

(١) مسلم (٤ / ٢٢٥٨) ، في الموضع السابق .

١٠٥٨ - الترمذي (٤ / ٥٠٩) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٥٧ - باب ماجاء من أين يخرج الدجال .

وجوهَهم المجانُّ المطْرَقةُ » .

١٠٥٩ ـ * روى مسلم ، عن عامرِ بنِ شَراحيلَ الشعبي رحمه الله ، أنه سأل فاطمةَ بنتَ قيسٍ أختَ الضحاكِ بنِ قيسٍ ـ وكانت من المهاجرات الأُوَلِ ـ فقال : حَدِّثيني حديثًا سمعتيه من رسول الله ﷺ ، لا تُسنديه إلى أحدٍ غيره . فقالتْ : لئن شئتَ لأفْعَلَنَّ . فقال : أجل حدِّثيني . فقالت : نكحتُ ابن المغيرةِ وهو من خِيار شباب قريشٍ يومئذ ، فأُصيب في أول الجهاد مع رسول الله ﷺ ، فلما تأيَّمتُ خطبني عبدُ الرحمن بنُ عوف في نَفَرٍ من أصحاب محمد ﷺ ، وخطبني رسول الله ﷺ على مولاهُ أسامةَ بنِ زيدٍ ، وكنتُ قد حُدِّثْتُ أنَّ رسول الله ﷺ قال : « من أحبَّني فليُحِبَّ أسامةَ » . فلما كلَّمني رسول الله ﷺ قلتُ أمري بيدكَ فأنكحْني مَنْ شئتَ . فقال : « انتقلي إلى أم شريك » . وأمُّ شريك امرأةٌ غنيَّةٌ من الأنصار ، عظيمةُ النفقةِ في سبيل الله ، ينزل عليها الضِّيفان ، فقلتُ : سأفعلُ . قال : « لا تفعلي ، إنَّ أمَّ شريك كثيرةُ الضيفان ، فإني أكره أن يَسقُطَ عنكِ خِمارُك ، أو يَنْكَشِفَ الثوبُ عن ساقيكِ ، فيرى القومُ منكِ بعضَ ماتكرهين ، ولكن انتقلي إلى ابن عمِّكِ عبد الله بن عمرو بن أمِّ مكتوم » . وهْو رجل من بني فِهْر ـ فهر قريش ـ وهو من البطن الذي هي منه ، فانتقلتُ إليه ، فلما انقضتْ عِدَّتي سمعتُ نداء المنادي ـ منادي رسول الله ﷺ ـ ينادي : الصلاةَ جامعةً . فخرجتُ إلى المسجد ، فصلَّيتُ مع رسول الله ﷺ ، فكنتُ في النساء التي تَلي ظهورَ القوم ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته ، جلس على المنبرِ وهو يَضْحَكُ ، فقالَ : « لِيَلْزَمْ كلُّ إنسانٍ مُصَلاه » . ثم قال : « أتدرون لِمَ جَمَعْتُكم ؟ » قالوا : اللهُ ورسولُه أعلمُ . قال : « إني والله ماجَمَعْتُكم لِرَغْبَةٍ ، ولا لِرَهْبَةٍ ، ولكن جمعتُكم لأن تميمًا الداريَّ كان رجلاً نصرانيًّا ، فجاء فبايَعَ وأسلم ، وحدَّثني حديثًا وافَقَ الذي كنتُ أُحدِّثكم عن المسيح

= وهو حديث حسن . وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب .

(المجان المطرقة) : المجان جمع مِجَنَّة ـ وهو الترس ، والمُطْرَقة ـ التي ضوعف عليها العَقَبُ وألبسته شيئًا فوق شيء ، يقال : أطرقْتَ التُّرسَ : إذا فعلت به ذلك ، وطارقت النعل : إذا جعلتها طبَقًا فوق طبق وخصفتها .

١٠٥٩ ـ مسلم (٤ / ٢٢٦١ ـ ٢٢٦٤) ٥٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٤ ـ باب قصة الجساسة .

(تأيمت) : المرأة : مات زوجها ، أو فارقها .

(المسيح الدجال) : الدَّجال : الكذّاب ، وهو اسم لهذا الرجل المشار إليه في الشرائع ، وقيل سمي به لتمويهه على =

الدجال ، حدَّثني أنه رَكِبَ في سفينة بَحريَّة مع ثلاثينَ رَجُلاً من لَخْم وجُذام ، فلعب بهم الموجُ شهراً في البحر ، ثم أرْفَؤوا إلى جزيرة في البحر حتى مَغْرِبِ الشمس ، فجلسوا في أَقْرُبِ السفينة ، فدخلوا الجزيرةَ ، فَلَقِيَتْهم دابةٌ أَهْلَبُ ، كثيرُ الشَّعْر ، لا يدرون ماقُبُلُه من دُبُرِه ، فقالوا : ويْلَكِ ، ماأنتِ ؟ قالت : أنا الجسَّاسةُ . قالوا : وماالجسَّاسةُ ؟ قالت : أيُّها القوم : انطلقوا إلى هذا الرجل الذي في الدَّيْر ، فإنه إلى خبركم بالأشواق . قال : لما سَمَّت لنا رجلاً ، فَرِقنا منها أن تكون شيطانةً . قال : فانطلقنا سِراعًا حتى دَخَلْنا الدَّيْرَ ، فإذا فيه أعظمُ إنسان رأيناه قَطُّ خَلْقًا ، وأشَدُّه وثَاقًا ، مجموعةٌ يداه إلى عنقه ، مابين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد قلنا : ويلك ماأنت ؟ قال : قد قدرتُم على خبري ، فأخبروني : ماأنتم ؟ قالوا : نحن أناسٌ من العرب ، رَكِبنا في سفينةٍ بحرية ، فصادَفْنا البحرَ حين اغْتلَم ، فلعب بنا الموجُ شهراً ، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه ، فجلسنا في أَقْرُبِها فدخلنا الجزيرة ، فلقيتْنا دابةٌ أَهْلَبُ ، كثيرُ الشَّعْر ، لا ندري ماقُبُلُه من دبره من كثرة الشَّعَر ، فقلنا : ويلك ماأنتِ ؟ فقالت : أنا الجساسةُ قلنا : وماالجساسةُ ؟ قالت : اعمدُوا إلى هذا الرجل الذي في الدَّيْر ، فإنه إلى خَبَرِكم بالأشواق . فأقبلنا إليك سِرَاعًا ، وفَزِعنا منها ، ولم نَأْمَنْ أن تكون شَيطانة .

= الناس وتلبيسه ، يقال : دَجَلَ : إذا لبَّس وموَّه ، وإنما سُمِّيَ مَسيحًا ، لأن إحدى عينيه ممسوحة لا يُبْصِر بها ، والأعور يسمى مسيحًا ، وأما تسمية عيسى عليه السلام بالمسيح ، فقيل : لمسح زكريا عليه السلام إياه ، وقيل : لأنه يمسح الأرض ، أي يقطعها ، وقيل : لأنه كان يمسح ذا العاهة فيبرأ ، وقيل : المسيح الصِّدِّيق .

(أرفأت) : السفينة : قرَّبتها إلى الشط وأدنيتها من البر ، وذلك الموضع مرفأ .

(أقْرُب) : القارب : سفينة صغيرة تكون إلى جانب السفن البحرية يستعجلون بها حوائجهم من البَرّ ، وتكون معهم خوفًا من غرق المركب فيلجؤون إليها ، فأما « أقرب » فلعله جمع قارب . قال الخطابي : إنّه جمع على غير قياس .

(أهْلَب) : الهلَب : ماغلُظ من الشَّعْر ، والأهلَب : الغليظ الشَّعْر الخشِن .

(الجسَّاسة) : فعَّالة من التجسس ، وهو الفحص عن بواطن الأمور ، وأكثر مايقال ذلك في الشر .

قال النووي : « سميت بذلك لتجسسها الأخبار للدجال ، وجاء عن عبد الرحمن بن عمرو بن العاص أنها دابة الأرض المذكورة في القرآن » اهـ .

(فرقنا) : خفنا .

(اغتلام) : البحر : اضطراب أمواجه وهتياجه .

=

فقال : أخبروني عن نخل بَيْسانَ . قلنا : عن أيِّ شأنها تَسْتَخْبِرُ ؟ قال : أسألكم عن نخلها هل يُثْمر ؟ قلنا له : نعم . قال : أما إنَّه يوشِكُ أن لا تُثْمِرَ ، قال : أخبروني عن بُحيرة الطَّبرية . قلنا : عن أيِّ شأنها تستخبر ؟ قال : هل فيها ماءٌ ؟ قالوا : هي كثيرة الماء . قال : أما إنَّ ماءها يوشك أن يذهبَ ، قال : أخبروني عن عين زُغَر . قالوا : عن أيِّ شأنها تستخبر ؟ قال : هل في العين ماءٌ ، وهل يَزْرَعُ أهلُها بماء العين ؟ قلنا له : نعم ، هي كثيرةُ الماء ، وأهلُها يزرعون من مائها . قال : أخبروني عن نبيِّ الأُمِّيين ، مافَعَل ؟ قالوا : قد خرج من مكة ونزل يَثْربَ . قال : أقاتَلَهُ العربُ ؟ قلنا : نعم . قال : كيف صَنَعَ بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظَهَرَ على من يليه من العرب ، وأطاعوه . قال لهم : قد كان ذلك ؟ قلنا : نعم . قال : أما إنَّ ذاكَ خَيْرٌ لهم أن يُطيعوه ، وإني مُخْبِرُكم عني ، أنا المسيح ، وإني أوشِكُ أن يُؤذَنَ لي في الخروجِ ، فأخْرُجَ فأسيرَ في الأرض ، فلا أدَعُ قريةً إلا هبطتُها في أربعين ليلةً ، غيرَ مكةَ وطيبةَ ، فهما محرَّمتان عليَّ كلتاهما ، كلما أردتُ أن أدخلَ واحدةً ، أو واحداً منها ، استقبلني مَلَك بيده السيفُ صَلْتاً يَصُدُّني عنها ، وإنَّ على كل نَقْب منها ملائكةً يَحرسونها » . قالت : قال رسول الله ﷺ - وطعن بمخصرته في المنبر - : « هذه طَيبةُ ، هذه طَيْبَةُ » - يعني : المدينة - « ألا هل كنتُ حدَّثتكم عن ذلك ؟ » فقال الناس : نعم . قال : « فإنه أعجبني حديث تميم : أنَّه وافق الذي كنتُ أُحدِّثكم عنه وعن المدينةِ ومكةَ ، ألا إنَّه في بحر الشام أو بحر اليمن ، لا بل من قِبَل المشرق ، ماهو من قبل المشرق ، ماهو » . وأوما بيده إلى المشرق . قالت : فحفِظْتُ هذا من رسولِ الله ﷺ .

= (عين زغر) : بلدة في الجانب القبلي من الشام .

(الأمي) : الذي لا يعرف الكتابة ، وكذلك كانت العرب ، وسُمِّي رسولُ الله ﷺ أمِّيا لذلك ، وكأنه في الأصل منسوب إلى أمه ، أي على حالته التي ولدته أمُّه عليها .

(صَلْتًا) : الصلت : المسلول من غمده ، المهيَّأ للضرب به .

(أنقابها) : النقب : الطريق في الجبل ، وجمعه : أنقاب ونقاب .

(المِخصَرَةُ) : عصا ، أو قضيب ، أو سوط ، كانت تكون بيد الخطيب أو الملكِ إذا تكلم .

(لا ، بل من قبل المشرق ماهو) : « ما » زائدة ، لا نافية ، والمراد : إثبات أنه في جهة المشرق .

وفي رواية [١] : ثم قالت : فنودي في النـاس : إنَّ الصلاةَ جـامعـة . قـالت : فـانطلقت فيمن انطلق من النـاس . قـالت : فكنتُ في الصف المقـدَّم من النسـاء ، وهو يلي المؤخَّرَ من الرجـال . قـالت : فسمعتُ النبيَّ ﷺ وهـو على المنبر يخطُبُ ، فقـال : « إن بني عَمّ لتميمٍ الداريِّ رَكِبوا في البحر .. » وساق الحديث ، وفيه : قـالت : فكأنمـا أنظر إلى النبيِّ ﷺ وأهوى بمخصرته إلى الأرض ، وقال : « هذه طَيْبَةُ » يعني المدينةَ .

وفي رواية [٢] قالت : قَدِمَ على رسول الله ﷺ تميمٌ الداريُّ ، فأخبر رسولَ الله ﷺ : أنَّهُ رَكِبَ البحرَ ، فتـاهَتْ به سفينتـه ، فسقـطَ إلى جـزيرة ، فخرج إليهـا يلتمسُ المـاء ، فلقي إنسانًا يَجُرُّ شعره ... واقتص الحديث ، وفيه : ثم قال : أما إنَّه لو قد أُذن لي في الخروج قـد وطئتُ البلادَ كلَّها غيرَ طيبةَ . فأخرجه رسولُ الله ﷺ إلى النَّاس فحدَّثهم ، وقـال : « هـذه طَيبة ، وذاك الدجال » .

وفي أخرى [٣] : أنَّ رسول الله ﷺ قعدَ على المنبر ، فقـال : « أيُّهـا النـاسُ ، حـدَّثني تميم الـداريُّ : أن أُنـاسًـا من قومـه كانـوا في البحر في سفينـةٍ لهم فـانكسرت بهم ، فركب بعضهم على لوح من ألـواح السفينـة ، فخرجـوا إلى جـزيرة في البحـر ... » وساق الحديث .

وفي روايـة أبي داود [٤] : قـالت : سمعتُ منـادي رسـولِ الله ﷺ ينـادي : إن الصـلاةَ جامعة ... وساق الحديث ، نحو مسلم إلى قوله : « مجموعـة يـداه إلى عنقـه » . ثم قـال ... فذكر الحديث ، وسـألهم عن نخل بَيْسـان ، وعن عيون زُغَر ، وعن النبيِّ الأُمي ، قـال : إني أنـا المسيـح ، وأنَّـه يـوشِـك أن يـؤذَنَ لي في الخروج ، قـال النبيُّ ﷺ : « وإنَّـه في بحر الشـام ، أو بحر اليمن ، لا ، بـل من قبـل المشرق ، مـا هـو » ـ مرتين ـ وقـالتْ : حفظتُ هذا من رسولِ الله ﷺ ... وساق الحديث .

---

(١) مسلم (٤ / ٢٢٦٤ ، ٢٢٦٥) ، ٥٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٤ ـ باب قصة الجساسة .

(٢) مسلم (٤ / ٢٢٦٥) ، في الموضع السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) أبو داود (٤ / ١١٨ ، ١١٩) كتاب الملاحم ، باب في خبر الجساسة .

وله في أخرى [١] قال الشعبيُّ : أُخبرتْني فاطمةُ بنت قيسٍ : أنّ رسولَ الله ﷺ صلّى الظهر ، ثم صَعِد المنبر ، وكان لا يصعَدُ عليه إلا يوم الجمعة قبلَ يومئذ ... ثم ذكر هذه القصة .

وله في أخرى [٢] : أنّ رسول الله ﷺ أخّرَ العشاءَ الآخرةَ ذاتَ ليلةٍ ، ثم خرج ، فقال : « إنه حَبَسني حديثٌ كان يُحدِّثُنيه تميمٌ الداريُّ عن رجل كان في جزيرة من جزائر البحر ، فإذا بامرأة تجُرُّ شعرها ، فقال : ماأنتِ ؟ قالت : أنا الجسَّاسَةُ ، اذهب إلى هذا القصر . فأتيته ، فإذا رجل يجرُّ شعره ، مسلسلٌ في الأغلال ، ينْزُو فيما بين السماء والأرض ، فقلتُ : مَنْ أنتَ ؟ قال : أنا الدجال ، خرج نبي الأمّيين بعدُ ؟ قلت : نعم . قال : أطاعوه ، أم عصَوهُ ؟ قلت : بل أطاعوه . قال : ذلك خير لهم » .

ورواه الترمذي [٣] ، وهذا لفظه : قالت : إن نبيَّ الله ﷺ صَعِدَ المنبر ، فضحك ، فقال : « إن تميمًا الداريَّ حدَّثني بحديثٍ ، ففرحت ، فأحببتُ أن أحدِّثكم . إن ناسًا من أهل فِلَسْطين ركبوا سفينة في البحر ، فجالت بهم حتى قذفتهم في جزيرة من جزائر البحر ، فإذا هُمْ بدابّة لَبّاسة ناشرة شعرها ، فقالوا : ماأنتِ ؟ قالت : أنا الجساسة . قالوا : فأخبرينا . قالت : لا أخبركم ولا أستخبركم ، ولكن ائتوا أقصى القرية ، فإنّ ثَمّ من يخبركم ويستخبركم . فأتينا أقصى القرية ، فإذا رجلٌ موثَق بسلسلة ، فقال : أخبرُوني عن عين زُغَر . قلنا : ملأى تَدْفُقُ . قال : أخبروني عن نخل بيسان الذي بين الأردنّ وفلسطين ، هل أطعَمَ ؟ قلنا : نعم . قال : أخبروني عن النبيّ ﷺ ، هل بُعث ؟ قلنا : نعم . قال : أخبروني ، كيف الناس إليه ؟ قلنا : سِراعٌ . فنزا نَزْوةً ، حتى كاد ، قلنا . فما أنت ؟ قال : أنا الدجال . وإنّه يدخل الأمصار كلَّها ، إلا طيبةَ » . وطَيبةُ : المدينةُ .

---

(١) أبو داود (٤ / ١١٩) ، في الموضع السابق .

(٢) أبو داود (٤ / ١١٨) ، في الموضع السابق .

(٣) الترمذي (٤ / ٥٢١ ، ٥٢٢) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، ٦٦ ـ باب حدثنا محمد بن بشار ... إلخ . =

أقول : ورد في الحديث قول الدجال : (وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة) يؤيد ماذكرناه أن مكثه في الأرض أربعون يومًا عادية ، لكن لشدة الهول والبلاء والفتنة بخروجه يكون اليوم الأول على الناس كسنة واليوم الثاني كشهر واليوم الثالث كجمعة في الشدة ثم بعد ذلك يألف الناس الحدث وتذهب عنهم شدة الصدمة ، ومما يستأنس به لما ذهبنا إليه حديث لابن ماجه ، يذكر أن مكثه في الأرض أربعون سنة فهذه الرواية يمكن الجمع بينها وبين الروايات الصحيحة ـ التي تذكر أن مكثه أربعون يومًا ـ بأن المراد أربعون سنة في الشدة وهي أربعون يومًا في المدة

١٠٦٠ ـ * روى مسلم ، عن حميدِ بن هلالٍ ، رضي الله عنه ، عن رَهْطٍ ـ منهم أبو الدهماء وأبو قتادةَ ـ قالوا : كُنَّا نَمُرُّ على هشامِ بنِ عامرٍ ، نأتِي عِمرانَ بنَ حُصينٍ ، فقالَ ذات يوم : إنّكم لتجاوزونني إلى رجال ماكانوا بأحْضَرَ لرسول الله ﷺ منّي ، ولا أعْلَمَ بحديثه مني ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مابين خَلْقِ آدمَ إلى قِيام الساعة خلقٌ أكْبَرُ من الدَّجَّال » .

وفي رواية [(١)] : « أمرٌ أكبرُ من الدجال » .

١٠٦١ ـ * روى الترمذي ، عن مُجَمِّعِ بنِ جاريةَ الأنصاري رضي الله عنه ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « يَقتلُ ابنُ مريمَ الدَّجالَ بباب لُدٍّ » .

١٠٦٢ ـ * روى أحمد ، عن عبدِ اللهِ بنِ حوالةَ أن رسول الله ﷺ قال : « من نجا من

= (النَّزْو) : الوثوب : نزا ينزو نَزواً ، والنَّزْوة : المرة الواحدة .

(حتى كاد) : أي : أن يتخلص من الوثاق .

١٠٦٠ ـ مسلم (٤ / ٢٢٦٦ ، ٢٢٦٧) ٥٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٥ ـ باب في بقية من أحاديث الدجال .

(١) مسلم : (٤ / ٢٢٦٧) ، في الموضع السابق .

١٠٦١ ـ الترمذي (٤ / ٥١٥) ٣٤ ـ كتاب الفتن ، ٦٢ ـ باب ماجاء في قتل عيسى ابن مريم الدجال .

وقال : هذا حديث حسن صحيح .

١٠٦٢ ـ مسند أحمد (٤ / ١١٠) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٣٤) . وقال : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير ربيعة بن لقيط وهو ثقة .

ثـلاثٍ فقـد نجـا » ثـلاثَ مراتٍ « مـوتي والـدجـالُ وقتـلُ خليفـةٍ مُصْطَبِر بـالحـقِّ يُعْطِيه » .

أقول : قولـه عليـه الصلاة والسلام : « وقتـل خليفـةٍ مُصْطَبِرٍ بـالحـق يعطيـه » . إشارة إلى قتل عثمان رضي الله عنه فمن نجا من المشاركة في قتله أو الرضا في قتله فإنه يكون قد نجا من مهلكة من المهلكات ، اللهم انّا نبرأ إليك من قتله ومن قتلتـه ، وفي النص معجزة من معجزاته عليه الصلاة والسلام .

١٠٦٣ ـ * روى أحمد ، عن عائشةَ قـالت : دخل علي رسول الله ﷺ وأنـا أبكي فقـال : « مايُبكيك ؟ » قلت : يـارسولَ الله ، ذَكرتُ الـدجـالَ فبكيتُ . فقـال رسول الله ﷺ : « إنْ يَخرج وأنا فيكم كُفيتُموه وإن يخرجْ بعـدي فـإن ربَّكم عز وجل ليس بـأعورَ إنه يخرج من يهوديةِ أصبهان حتى يأتيَ المدينةَ فينزل ناحيتَهـا ولهـا يومئـذ سبعـةُ أبوابٍ على كل نَقْبٍ منها ملكان فيخرج إليه شِرار أهلِها حتى يـأتيَ الشـامَ مـدينـةَ فلسطينَ ببـاب لـد فينزل عيسى ابنُ مريمَ عليه السلام فيقتُلـه ويَمكُث عيسى في الأرض أربعين سنة إمامًا عدلاً وحكمًا مقسطًا » .

١٠٦٤ ـ * روى أحمـد ، عن ابنِ عبـاسٍ عن النبي ﷺ أنـه قـال في الـدجـال : « أعورُ هِجَانٌ أزْهَرُ كأنّ رأسَهُ أصَلَةٌ أشبهُ الناسِ بعبدِ العُزّى بن قَطَنٍ فـإمـا هَلَـكَ الهُلَّـكُ فإن رَبَّكم تبارك وتعالى ليس بأعورَ » .

١٠٦٣ ـ مسند أحمد (٦ / ٧٥) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٣٨) . وقال : رواه أحمد ورجال رجاله الصحيح غير الحضرمي بن لاحق ، وهو ثقة .

١٠٦٤ ـ مسند أحمد (١ / ٢٤٠) .

والمعجم الكبير (١١ / ٣٣٧) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٣٧) . وقال : رواه : أحمد والطبراني ، ورجالهما رجال الصحيح .

(هِجَان) : الهجان : الأبيض .

(أزهر) : أي أبيض .

(الأصَلَة) : الحية العظيمة ، والعرب تشبه الرأس الصغير الكثير الحركة برأس الحية .

(هُلَّك) : بالضم والتشديد جمع هالك ، أي فإن هلك به ناس جاهلون وضلوا فاعلموا أن الله ليس بأعور فكأنه قال فكيفما كان الأمر فإن ربكم ليس بأعور ، أي منزه عن النقائص والعيوب .

وفي رواية (١) عند الطبراني عن النبي ﷺ قال : « رأيت الدّجالَ هِجَانًا ضَخْمًا فَيْلَمَانيًّا كأن شعرَه أغصانُ شجرةٍ أعورُ كأنّ إحدى عينيه كوكَب الصُّبحِ أشبهُ بعبدِ العُزّى بن قَطَنٍ رجلٍ مِنْ خُزاعةَ » .

١٠٦٥ ـ * روى أحمد ، عن أُبَيّ بن كَعب أنّ رسول الله ﷺ ذَكَرَ الدَّجالَ فقال : « إحدى عَينيهِ كأنها زُجَاجَةٌ خَضْراءُ وَتَعوذُوا بالله من عذابِ القبرِ » .

١٠٦٦ ـ * روى أحمد ، عن جُنادَةَ بنِ أبي أمية قال : أتينا رجلاً من الأنصارِ من أصحاب النبي ﷺ فدخلنا عليه فقلنا : حدثنا ماسمعتَ من رسول الله ﷺ ولا تُحدِّثنا ماسمعت من الناسِ فَشَدَّدنا عليه ، فقال : قامَ رسول الله ﷺ فينا فقال « أُنذِرُكم المسيحَ وهو مَمْسوحُ العين » أحْسَبُهُ قال العينَ اليسرى ـ « تسيرُ معه جبالُ الخبزِ وأنهارُ الماء علامَتُه يَمْكُثُ في الأرضِ أربعين صباحًا ، يَبْلُغُ سلطَانُهُ كلَّ مَنْهَلٍ ، لا يأتي أربعةَ مساجدَ الكعبة ومسجد الرسول ﷺ والمسجد الأقصى والطُّور ، ومهما كان من ذلك فاعلموا أن الله عَز وجل ليس بأعورَ » قال ابنُ عونٍ أحسَبُهُ قال : « يُسَلَّطُ على رجل فَيقتُلُه ثم يُحييه ولا يُسَلَّطُ على غيره » .

أقول : قوله عليه الصلاة والسلام : « يمكث في الأرض أربعين صباحًا : يؤيد ماذكرناه عن أن أيامه أيام عادية ، لكن بعضها يُشْعِرُ بطوله لشدة البلاء وقوة الصدمة .

وأما قوله : « ولا يسلَّطُ على غيره » أي : ثم لا يسلط على غيره .

---

(١) المعجم الكبير (١١ / ٣١٣) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٣٧ ، ٣٣٨) . وقال : ورجاله رجال الصحيح .

(فيلمانيًّا) : الفَيْلَم من الرجال العظيم ، وقيل : عظيم الجمة .

١٠٦٥ ـ مسند أحمد (٥ / ١٢٣ ، ١٢٤) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٣٧) . وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

١٠٦٦ ـ مسند أحمد (٥ / ٤٣٤) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٤٣) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

١٠٦٧ ـ * روى أحمد ، عن أبي قِلابةَ قال : رأيتَ رجلاً بالمدينة قد أطافَ الناسُ به وهو يقولُ : قالَ رسول الله ﷺ ـ فإذا رجل من أصحاب النبي ﷺ ـ قال : فسمعته وهو يقولُ : « إن بعدَكُم الكذّابَ المضلّ وإنّ رأسَه من ورائه حُبُك حُبُك حُبُك وإنه سيقولُ : أنا رَبُّكم . فَمَنْ قال : لستَ بربنا ولكن ربنا الله عليه توكلنا وإليه أنبنا نعوذ بالله من شرّك ، لم يكنْ لهُ عليه سُلْطان » .

١٠٦٨ ـ * روى أحمد ، عن مِحْجَن بن الأدْرَع أن رسول الله ﷺ قال : « يومُ الخَلاصِ ومايومُ الخلاص ، يومُ الخلاص ومايومُ الخَلاص » . ثلاثًا ، فقيلَ له : ومايومُ الخلاصِ ؟ قال : « يَجيء الدجالُ فَيَصْعَدُ أُحُدًا فيقولُ لأصحابه : أترون هذا القصرَ الأبيضَ ، هذا مسجدُ أحمدَ ثم يأتي المدينةَ فيجدُ بكل نَقْبٍ منها مَلَكًا مُصْلِتًا فيأتي سَبْخَةَ الجرف فيضربُ رواقَه ثم تَرْجُفُ المدينةُ ثلاثَ رَجَفاتٍ فلا يبقى مُنافقٌ ولا مُنافِقَةٌ ولا فاسقٌ ولا فاسِقةٌ إلا خرجَ إليه فذلك يومُ الخلاصِ » .

١٠٦٩ ـ * روى البزار ، عن الفلتان بن عاصم قال قالَ رَسولُ الله ﷺ : « أُريتُ ليلةَ القَدْرِ ثم أُنْسيتُها ورأيتُ مسيحَ الضَّلالة فإذا رجلان في أَنْدَر فلانٍ يتلاحيان فحجزتُ بينهما ، فأُنسيتُها ، فاطْلُبوها في العشر الأواخرِ ، وأما مَسيحُ الضَّلالَةِ فرجلٌ أجْلى الجبهةِ ممسوحُ العينِ اليسرى عريضُ النَّحْرِ كأنه عبدُ العُزّى بنُ قَطنٍ » .

١٠٧٠ ـ * روى البخاري ومسلم ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أنّ النبيَّ ﷺ قال : « لَتُقاتِلُنَّ اليهودَ ، فلَتَقْتُلُنَّهم ، حتى يقولَ الحجرُ : يامسلم ، هذا يهوديٌّ

١٠٦٧ ـ مسند أحمد (٥ / ٣٧٢) .

مجمع الزوائد (٧ / ٣٤٣) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(حُبُك) : أي شعر رأسه متكسر من الجعودة .

١٠٦٨ ـ مسند أحمد (٤ / ٣٣٨) .

مجمع الزوائد (٣ / ٣٠٨) . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

١٠٦٩ ـ كشف الأستار (٤ / ١٣٦ ، ١٣٧) .

مجمع الزوائد : (٧ / ٣٤٨) . وقال : رواه البزار ورجاله ثقات .

١٠٧٠ ـ البخاري (٦ / ١٠٣) ٥٦ ـ كتاب الجهاد ، ٩٤ ـ باب قتال اليهود .

=

فتعالَ فاقتلْهُ » .

وفي أخرى (١) قال : « تَقْتَتِلون أنتم ويهودُ ، حتى يقولَ الحجرُ : يامسْلِمُ ، هذا يهوديٌّ ورائي ، تعالَ فاقتله » .

وفي أخرى (٢) : « تقاتلُكم اليهودُ فَتُسَلَّطُون عليهم ... » الحديث .

١٠٧١ - * روى مسلم ، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « لا تقومُ الساعةُ حتى يقاتلَ المسلمون اليهودَ ، فيقتُلُهم المسلمون ، حتى يختبئ اليهوديُّ من وراء الحجَر والشجر ، فيقول الحجرُ أو الشجرُ : يامسلم ، ياعبدَ الله ، هذا يهودِيٌّ خَلْفي ، تعال فاقْتُلْه . إلا الغَرْقَدَ ، فإنه من شجر اليهود » .

وفي رواية (٣) أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لا تقومُ الساعةُ حتى تقاتلوا اليهودَ ، حتى يقولَ الحجرُ وراءَه اليهوديُّ : يامسلم ، هذا يهوديٌّ ورائي ، فاقْتُلْهُ » .

أقول : الظاهر أن هذين الحديثين ينطبقان على اليهود الذين يأتون مع الدجال كما ورد في روايات أخرى ، قد مرّت معنا ، وليسا في اليهود الذين يحتلّون فلسطين الآن ، فهؤلاء سينتهون ويخرجون . والله أعلم .

١٠٧٢ - * روى أحمد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لَيَنْزِلَنَّ الدجالُ بخُورانَ وكِرْمَانَ في سبعينَ ألفًا وجُوهُهُم كالمَجَانِّ المُطْرَقَةِ » .

= مسلم (٤ / ٢٢٣٨) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل ... إلخ .

والترمذي (٤ / ٥٠٨) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٥٦ - باب ماجاء في علامة الدجال .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٣٨ ، ٢٢٣٩) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل ... إلخ .

(٢) البخاري (٦ / ٦٠٤ ، ٦٠٥) ٦١ - كتاب المناقب ، ٢٥ - باب علامات النبوة ... إلخ .

ومسلم (٤ / ٢٢٣٩) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة ... إلخ .

والترمذي (٤ / ٥٠٨) ٣٤ - كتاب الفتن ، ٥٦ - باب ما جاء في علامة الدجال .

١٠٧١ - مسلم (٤ / ٢٢٣٩) ٥٢ - كتاب الفتن ، ١٨ - باب لا تقوم الساعة ..... إلخ .

(٣) البخاري (٦ / ١٠٣) ٥٦ - كتاب الجهاد ، ٩٤ - باب قتال اليهود .

١٠٧٢ - مسند أحمد (٢ / ٣٣٧ ، ٣٣٨) . قال ابن كثير : إسناده جيد قوي حسن .

=

١٠٧٣ - * روى أحمد ، عن جابر بنِ عبدِ اللهِ رضي الله عنه قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « يَخرُجُ الدجّالُ في خِفَّةٍ من الدِّين ، وإدبارٍ من العِلم ، وله أربعون يومًا يَسيحُها في الأرض اليومُ منها كالسَّنَة ، واليومُ منها كالشَّهْر ، واليومُ منها كالجُمُعة ، ثم سائرُ أيّامه كأيّامِكم هذه وله حِمارٌ يَرْكَبُه ، عَرْضُ مابين أُذُنَيْه أربعون ذِراعًا فيقولُ للناسِ : أنا رَبُّكم . وهو أعوَرُ . وإنَّ رَبَّكم ليس بأعورَ . مكتوبٌ بين عَينيهِ : (كافر) ، ك ف ر ، مُهَجّاةً ، يَقرؤه كلُّ مؤمِنٍ كاتب وغير كاتب يَرِدُ كلَّ ماءٍ ومَنْهَلٍ إلا المدينةَ ومكّةَ حَرَّمها الله تعالى عليه ، وقامَتِ الملائكةُ بأبوابها . ومعه جبالٌ مِن خُبْز ، والناسُ في جَهْدٍ إلا مَنْ تَبِعَه . ومعَه نَهْرانِ أنا أعلَم بهما منه . نَهْرٌ يقولُ : الجنَّةُ . ونَهْرٌ يقولُ : النارُ . فمن أُدخِلَ الذي يُسميه الجنَّةَ فهو النارُ ، ومن أُدخِلَ الذي يُسميه النارَ فهو الجنَّة ويَبْعَثُ اللهُ معه شياطينَ تُكلِّمُ الناسَ ومعَهُ فِتنةٌ عظيمةٌ : يأمرُ السماءَ فتُمطِرُ فيما يَرى الناسُ ، ويقتُلُ نَفْسًا ثم يُحييها فيما يَرى الناسُ ، لا يُسلَّطُ على غيرِها من الناس . ويقولُ : ياأيُّها النَّاسُ هل يَفعَلُ مثلَ هذا إلا الرَّبُّ عزَّ وجلَّ ؟ فيَفِرُّ المسلمون إلى جَبَل الدُّخَان بالشام ، فيَأتيهم فيُحاصِرهُم فيَشتدُّ حِصارُهم ، ويَجْهَدُهم جَهْدًا شديداً .

ثم يَنزِلُ عيسى ابنُ مريم مِنَ السَّحَر ، فيقول : ياأيها النَّاسُ مايَمنَعكم أن تَخرُجُوا إلى الكذّابِ الخبيث ؟ فيقولون : هذا رَجُل جِنّي . فَينطلِقون فإذا هُمْ بعيسى ابنِ مريمَ عليه السلام ، فتُقامُ الصلاة ، فيقال له : تَقدَّم ياروحَ الله .

= مجمع الزوائد (٧ / ٣٤٥) . وقال : رواه أحمد وأبو يعلى ، ورجالهما ثقات إلا أن ابن إسحاق مدلس . ورواه البزار أتم .

١٠٧٣ - مسند أحمد (٣ / ٣٦٧ ، ٣٦٨) .

والمستدرك (٤ / ٥٣٠) . وصححه ورجاله ثقات .

قال الشيخ عبد الفتاح : (وقال الذهبي في « تلخيص المستدرك » ٤ : ٥٣٠ « هو على شرط مسلم » ، وأورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٧ : ٣٤٤ وقال : « رواه أحمد بإسنادين ، رجالُ أحدهما رجالُ الصحيح ») . انتهى .

(التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

قال الشيخ عبد الفتاح : قوله (في خفة من الدين) : أي في حالِ ضعفٍ من الدين وقلّة أهله .

(اليوم منها كالسنة) : هذا كناية عن شدّةِ أذاه . =

فيقولُ : لِيَتَقدَّمْ إمامُكم فلْيُصَلِّ بكم . فإذا صَلَّى صلاةَ الصُّبح خَرَجُوا إليه . فحينَ يَراهُ الكذّابُ يَنْماثُ كما يَنْماثُ المِلْحُ في الماء فيمشي إليه فيَقْتُلُه ، حتى إن الشَّجَر والحَجَر يُنادي ياروحَ الله هذا اليهوديّ ، فلا يَترُكُ ممن كان يَتْبَعُه أحدًا إلا قَتَله » .

١٠٧٤ ـ * روى الحاكم عن حُذَيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أعلمُ بما مع الدجّال منه ، معه نَهْرانِ أحدُهُما : نارٌ تأجَّجُ في عينِ من رآه ، والآخَرُ ماء أبيضُ ، فإن أدركه أحَدٌ منكم فليُغَمِّضْ . ولْيَشرَبْ مِن الذي يَراهُ نارًا فإنه ماء بارد ، وإياكم والآخَرَ فإنه الفِتْنَة واعلموا أنه مكتوبٌ بين عينيه (كافر) ، يقرأه مَن يَكتُبُ ومَنْ لا يَكْتُب ، وإنَّ إحدى عَيْنيهِ ممسوحةٌ ، عليها ظَفَرَةٌ ، إنَّهُ يَطْلُعُ مِن آخر أمره على بَطْنِ الأُرْدُنّ على ثَنِيَّةِ أَفيقٍ ، وكلٌّ واحدٍ يُؤمِنُ بالله واليومِ الآخرِ بِبَطْنِ الأُرْدُنّ ، وإنَّهُ يَقتُلُ مِن المسلمين ثُلُثًا ، ويَهزِمُ ثُلُثًا ، ويُبقِي ثُلُثًا . ويَجُنُّ عليهم الليلُ فيقولُ بعضُ المؤمنين لبعض : ماتَنْتَظِرُون أن تَلْحقوا بإخوانِكم في مَرْضاةِ رَبِّكم ؟ مَنْ كان عنده فَضْلُ طعام

= (يَنْماثُ) : أي يختفي ويتوارى كما يذوب الملح في الماء . اهـ (التصريح) .

١٠٧٤ ـ المستدرك (٤ / ٤٩٠ ـ ٤٩٢) . وقال : صحيح على شرط مسلم .

ورواه ابن عساكر كما في « كنز العمال » .

ورواه مسلم مختصراً (٤ / ٢٢٤٩) ٥٢ ـ كتاب الفتن ، ٢٠ ـ باب ذكر الدجال وصفته ومامعه .

وصححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري .

شرح الشيخ عبد الفتاح وتعليقاته :

(نار تأجَّجُ) : أي تتوقَّدُ .

(ظَفَرَة) : الظَّفَرَةُ : لحمة تنبت عند موق العين وقد تمتد إلى سواد العين فتغشّيه .

قوله : (إنه يَطلُعُ مِن آخِرِ أمْرِه على بَطنِ الأُرْدُنّ) : هو بمعنى قوله في الحديث السابق (ثم يسيرُ حتى يأتيَ الشام) : إذ الأردنُ من الشام .

(ثنية أفيق) : الثَّنِيَّةُ هنا معناها : العَقَبَة ، وهي المرتفعُ العالي من الأرض . فيكون (ثَنِيَّةُ أفيق) بمعنى (عَقَبَةُ أفيق) . قال العلامة ياقوت في « معجم البلدان » عند ذكر (أفيق) :

« هي قرية من حَوْران في طريق الغَوْر في أوّل العقبة المعروفة بعقبة أفيق تَنْزِلُ في هذه العقبة إلى الغَوْر وهو الأُرْدُنّ وهي عقبة طويلة نحو ميلين » .

قوله : (وكل واحد يؤمن بالله واليوم الآخر ببَطْنِ الأردن) : يعني : تَجَمُّع المسلمين في أرض الشام يومئذٍ .

(ويجن عليهم الليل) : أي : يَسترهم الليل بسواده . =

فلْيَعُدْ بـهِ على أخيـه ، صَلُّوا حِينَ يَنْفَجِرُ الفجرُ ، وعَجِّلُوا الصلاة ثم أقبِلُوا على عَدُوِّكم فلمَّا قاموا يُصَلُّون نَزَل عيسى ابنُ مريم عليه السلام أمامَهم فصَلَّى بهم ، فلما انصرف قال : هكذا أفْرِجُوا بيني وبين عَدُوِّ الله » . قال أبو حازم : قال أبو هريرة رضي الله عنه : فيَذُوبُ كما تَذُوبُ الإهالَةُ في الشمسِ . وقال عَبدُ الله بن عَمْرو رضي الله عنه : كما يذوبُ المِلْحُ في الماء . « ويُسلِّطُ اللهُ عليهم المسلمين فيَقْتُلُونَهم ، حتى إنَّ الشَّجَرَ والحَجَرَ لَيُنادي : ياعَبْد الله ياعَبْدَ الرحمنِ يامُسْلِمُ هذا يهودي فاقْتُلْه . فيفنيهم اللهُ تعالى ويَظْهَرُ المسلمون ، فيَكسِرون الصَّلِيبَ ، ويَقْتُلون الخنزيرَ ، ويَضَعُون الجِزْيَة فبينما هم كذلك إذْ أخرجَ اللهُ يأجوجَ ومأجوجَ ، فيَشْرَبُ أوَّلُهم البُحَيْرَةَ ، ويجيءُ آخرُهم وقد انتشفُوه فما يَدَعُونَ فيه قَطْرَةً ، فيقولون : قد كان هاهنا أثَرُ ماءٍ .

فيَجيءُ نبيُّ الله وأصحابُه وراءه حتى يَدْخُلُوا مَدينةً من مدائنِ فِلَسْطِين يُقالُ لها : لُدّ . فيقولون : ظَهَرنا على مَنْ في الأرض فتعالَوْا نُقاتِلْ مَنْ في السَّماء ! فيَدْعُو الله نَبيُّهُ عند ذلك ، فيَبْعَثُ اللهُ قَرْحةً في حُلوقِهم ، فلا يَبْقَى منهم بَشَرٌ ، فتُؤذي ريحُهُم المسلمين ، فيدعو عيسى ـ صلواتُ الله عليه وسلامهُ ـ عليهم فيُرْسِلُ اللهُ عليهم ريحًا فتَقْذِفُهم في البحرِ أجمعين » .

١٠٧٥ ـ * روى ابن ماجه عَنْ أبي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ ؛ قَالَ : خَطَبَنَا رسول الله ﷺ فكَانَ أكْثَرُ خُطْبَتِهِ حَدِيثًا حَدَّثَنَاهُ عَنِ الدَّجَّال . وَحَذَّرَنَاهُ . فَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ أنْ قَالَ : « إنَّهُ لَمْ

= (فليعد به على أخيه) : أي : فليقدّمه إلى أخيه .

قوله : (فصلى بهم) : أي صلَّى معهم مقتديًا بإمامهم . ومجيءُ الباء بمعنى (مع) شائع في لغة العرب ، قال تعالى : « يانوحُ اهْبِطْ بسلامٍ منّا » أي : مع سلامٍ منا .

وهذا التأويل موافق للحديث : « وإمامُكم منكم » ، وموافق للأحاديث التي أفادتْ أنَّ سيدنا عيسى يقتدي بإمام تلك الصلاة التي أُقيمت ، وهي صلاة الفجر .

قوله (قال : هكذا أفرجوا بيني وبين عدو الله) أي أشار بيده قائلاً : أخلُوا بيني وبينه .

(الإهالةُ) : كلُّ دُهْنٍ يُؤْتدمُ به .

(فيشرب أولهم البحيرة) : أي بُحَيْرة طبريَّة .

(انْتشفُوه) : أي شربوا الماء كلَّه . ا . هـ (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

١٠٧٥ ـ ابن ماجه (٢ / ١٣٥٩ ـ ١٣٦٣) ، ٣٦ ـ كتاب الفتن ، ٣٣ ـ باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم . =

تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ ، مُنْذُ ذَرَأَ اللهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ ، أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ . وَإِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلا حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ . وَأَنَا آخِرُ الأَنْبِيَاءِ . وَأَنْتُمْ آخِرُ الأُمَمِ . وَهُوَ خَارِجٌ فِيكُمْ لا مَحَالَةَ . وَإِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ ، فَأَنَا حَجِيجٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ . وَإِنْ يَخْرُجْ مِنْ بَعْدِي ، فَكُلُّ امْرِئٍ حَجِيجُ نَفْسِهِ . وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ . وَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ خَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ . فَيَعِيثُ يَمِينًا وَيَعِيثُ شِمَالاً . يَاعِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا . فَإِنِّي سَأَصِفُهُ لَكُمْ صِفَةً لَمْ يَصِفْهَا إِيَّاه نَبِي قَبْلِي . إِنَّهُ يَبْدَأُ فَيَقُولُ : أَنَا نَبِي وَلا نَبِيَّ بَعْدِي . ثُمَّ يُثَنِّي فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . وَلا تَرَوْنَ رَبَّكُمْ حَتى تَمُوتُوا . وَإِنَّه أَعْوَرُ . وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ . وَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ : كَافِرٌ . يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ ، كَاتِبٍ أَوْ غَيْرِ كَاتِبٍ . وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنَّ مَعَهُ جَنَّةً وَنَارًا فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ . فَمَنِ ابْتُلِيَ بِنَارِهِ ، فَلْيَسْتَغِثْ بِاللهِ وَلْيَقْرَأْ فَوَاتِحَ الْكَهْفِ . فَتَكُونَ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلامًا . كَمَا كَانَتِ النَّارُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ . وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَن يَقُولَ ، لأَعْرَابِيٍّ : أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ ، أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ . فَيَتَمَثَّلُ لَهُ شَيْطَانَانِ فِي صُورَةِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ . فَيَقُولانِ : يَابُنَيَّ اتَّبِعْهُ ، فَإِنَّهُ رَبُّكَ . وَإِن مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يُسَلَّطَ عَلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ،

= وإسناده قوي .

وساق أبو داود سنده - وهو سند صحيح - إلى أبي أمامة عن النبي ﷺ ثم قال : « نحوه ، وذكر الصلوات مثل معناه » يعني نحو حديث النوّاس بن سمعان .

وحديث النواس بن سمعان رواه أبو داود (٤ / ١١٧) كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال .

وصحّحه ابن خزيمة .

ورواه الحاكم : المستدرك (٤ / ٥٣٦ ، ٥٣٧) وقال : صحيح على شرط مسلم . وأقره الذهبي .

وأورد الحافظ ابن حجر جُملاً منه في « فتح الباري » مستشهدًا بها ، فهو عنده حديث صحيح أو حسن .

قال الشيخ عبد الفتاح (قال الحافظ ابن كثير في « تفسيره » ١ : ٥٨١ بعد أن ساق الحديث من رواية ابن ماجه بكامله : « هذا حديثٌ غريبٌ جدًا من هذا الوجه ، ولبعضه شواهدُ من أحاديث أخر ، ثم ساق رحمه الله تعالى شواهدَ لبعضه من « صحيح مسلم » اهـ (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

قوله : (وإن من فتنته أنّ معه جنةً ونارًا ، فناره جنةٌ وجنتُه نارٌ) :

قال الشيخ عبد الفتاح : (قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٣ / ٨٨ : وهذا يرجع إلى اختلاف المرئي بالنسبة إلى الرائي ، فإمّا أن يكون الدجّال ساحرًا فيخيل الشيء بصورة عكسه ، وإمّا أن يجعل اللهُ باطن الجنة التي يُسخّرها الدجالُ نارًا ، وباطنَ النارِ جنّةً ،وهذا الراجحُ) اهـ (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

فَيَقْتُلَهَا ، وَيَنْشُرَهَا بِالْمِنْشَارِ ، حَتَّى يُلْقَى شِقَّتَيْنِ . ثُمَّ يَقُولُ : انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هٰذَا . فَإِنِّي أَبْعَثُهُ الآنَ ، ثُمَّ يَزْعُمُ أَنَّ لَهُ رَبًّا غَيْرِي . فَيَبْعَثُهُ اللهُ . وَيَقُولُ لَهُ الْخَبِيثُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّي اللهُ ، وَأَنْتَ عَدُوُّ اللهِ . أَنْتَ الدَّجَّالُ . واللهِ ماكُنْتُ ، بَعْدُ ، أَشَدَّ بَصِيرَةً بِكَ مِنِّي الْيَوْمَ » .

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الطَّنَافِسِيُّ : فَحَدَّثَنَا الْمُحَارِبِيُّ . ثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ الْوَلِيدِ الْوَصَّافِيُّ عَنْ عَطِيَّةَ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ؛ قَالَ : قَالَ رسول الله ﷺ : « ذٰلِكَ الرَّجُلُ أَرْفَعُ أُمَّتِي دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ » .

قَالَ : قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : وَاللهِ ! مَاكُنَّا نُرَى ذٰلِكَ الرَّجُلَ إلا عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ . حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ .

قال الْمُحَارِبِيُّ : ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى حَدِيثِ أَبِي رَافِعٍ . قَالَ : « وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَأْمُرَ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرَ ، وَيَأْمُرَ الأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ . وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَمُرَّ بِالْحَيِّ فَيُكَذِّبُونَهُ ، فَلا تَبْقَى لَهُمْ سَائِمَةٌ إلا هَلَكَتْ . وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَمُرَّ بِالْحَيِّ فَيُصَدِّقُونَهُ ، فَيَأْمُرَ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرَ ، وَيَأْمُرَ الأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ ، حَتَّى تَرُوحَ مَوَاشِيهِمْ ، مِنْ يَوْمِهِمْ ذٰلِكَ ، أَسْمَنَ مَاكَانَتْ وَأَعْظَمَهُ ، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ ، وَأَدَرَّهُ ضُرُوعًا . وَإِنَّهُ لاَ يَبْقَى شَيْءٌ مِنَ الأَرْضِ إلا وَطِئَهُ وظَهَرَ عَلَيْهِ ، إلا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ، لا يأتِيهِما مِنْ نَقْبٍ مِنْ نِقَابِهِمَا إلا لَقِيَتْهُ الْمَلائِكَةُ بِالسُّيُوفِ صَلْتَةً حَتَّى يَنْزِلَ عِنْدَ الظُّرَيْبِ الأَحْمَرِ ، عِنْدَ مُنْقَطَعِ السَّبَخَةِ ، فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلاثَ رَجَفَاتٍ . فَلا يَبْقَى مُنَافِقٌ وَلا مُنَافِقَةٌ إلا خَرَجَ إِلَيْهِ . فَتَنْفِي الْخَبَثَ مِنْهَا كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ . وَيُدْعَى ذٰلِكَ الْيَوْمُ يَوْمَ الْخَلاصِ » .

= (نقب) : هو طريق بين جبلين .

(صلتة) : أي مجردة . يقال : أصلت السيف ، إذا جرّده من غمده . وضربه بالسيف صَلتًا وصُلتًا .

(الظريب) : تصغير ظرب ، بوزن كتف . والظراب الجبال الصغار .

(السبخة) : هي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر .

(ترجف) : أصل الرجف الحركة والاضطراب . أي تتزلزل وتضطرب .

(الخبث) : هو ماتلقيه النار من وسخ الفضة والنحاس وغيرهما إذا أذيبا . =

فَقَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ بِنْتُ أَبِي الْعَكَرِ : يَارَسُولَ اللهِ ! فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : « هُمْ يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ . وَجُلُّهُمْ بِبَيْتِ الْمَقدسِ . وَإِمَامُهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ ، إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسى ابْنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ ، فَرَجَعَ ذلِكَ الإِمَامُ يَنْكُصُ ، يَمْشِي الْقَهْقَرى ، لِيَتَقَدَّمَ عِيسى يُصَلِّي بِالنَّاسِ ، فَيَضَعُ عِيسى يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : تَقَدَّمْ فَصَلِّ فَإِنَّهَا لَكَ أُقِيمَت . فَيُصَلِّي بِهِمْ إِمَامُهُمْ ، فَإِذَا انْصَرَفَ قَالَ عِيسى عَلَيْهِ السَّلامُ : افْتَحُوا الْبَابَ . فَيُفْتَحُ ، وَوَرَاءَهُ الدَّجَّالُ ، مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفِ يَهُودِيٍّ ، كُلُّهُمْ ذُو سَيْفٍ مُحَلًّى وَسَاجٍ ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَّالُ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ ، وَيَنْطَلِقُ هَارِبًا . وَيَقُولُ عِيسى عَلَيْهِ السَّلامُ : إِنَّ لِي فِيكَ ضَرْبَةً لَنْ تَسْبِقَنِي بِهَا . فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِيِّ فَيَقْتُلُهُ ، فَيَهْزِمُ اللهُ الْيَهُودَ ، فَلا يَبْقَى شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللهُ يَتَوَارَى بِهِ يهودِيٌّ إِلا أَنْطَقَ اللهُ ذلِكَ الشَّيْءَ ، لا حَجَر وَلا شَجَرَ وَلا حَائِطَ وَلا دَابَّةَ (إِلا الْغَرْقَدَةَ ، فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ ، لا تَنْطِقُ) إِلا قَالَ : يَاعَبْدَ اللهِ الْمُسْلِمَ ! هَذَا يَهُودِي فَتَعَالَ اقْتُلْهُ » .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « وَإِنَّ أَيَّامَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً . السَّنَةُ كَنِصْفِ السَّنَةِ . والسَّنَةُ كَالشَّهْرِ وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ . وآخِرُ أَيَّامِهِ كَالشَّرَرَةِ . يُصْبِحُ أَحَدُكُمْ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ ، فَلا يَبْلُغُ بَابَهَا الآخَرَ حَتَّى يُمْسِيَ » . فَقِيلَ لَهُ : يَارَسُولَ اللهِ ! كَيْفَ نُصَلِّي فِي تِلْكَ الأَيَّامِ الْقِصَارِ ؟ قَالَ : « تَقْدُرُونَ فِيهَا الصَّلاةَ كَمَا تَقْدُرُونَهَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الطِّوَالِ ، ثُمَّ صَلُّوا » . قَال رسول الله ﷺ : « فَيَكُونُ عيسى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ

(ينكص) : النكوص الرجوع إلى الوراء . وهو القهقرى .

(وساج) : الساج هو الطيلسان الأخضر . وقيل : الطيلسان المقوّر ، ينسج كذلك .

(لن تسبقني بها) : أي لن تفوتها علي .

(باب اللدّ) : في النهاية : لدّ موضع بالشام ، وقيل بفلسطين .

(الغرقدة) : هو ضرب من شجر العضاه وشجر الشوك .

(كالشررة) : واحدة الشرر . وهو مايتطاير من النار .

فِي أُمَّتِي حَكَمًا عَدْلاً ، وَإِمَامًا مُقْسِطًا . يَدُقُّ الصَّلِيبَ ، وَيَذْبَحُ الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ ، وَيَتْرُكُ الصَّدَقَةَ ، فَلا يُسْعَى عَلَى شَاةٍ وَلا بَعِيرٍ . وَتُرْفَعُ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ ، وَتُنْزَعُ حُمَةُ كُلِّ ذَاتِ حُمَةٍ ، حَتَّى يُدْخِلَ الْوَلِيدُ يَدَهُ فِي الْحَيَّةِ ، فَلا تَضُرُّهُ . وَتُفِرُّ الْوَلِيدَةُ الأَسَدَ ، فَلا يَضُرُّهَا . وَيَكُونُ الذِّئْبُ فِي الْغَنَمِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا . وَتُمْلأُ الأَرْضُ مِنَ السِّلْمِ كَمَا يُمْلأُ الإِنَاءُ مِنَ الْمَاءِ . وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ وَاحِدَةً ، فَلا يُعْبَدُ إِلا اللهُ وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا . وَتُسْلَبُ قُرَيْشٌ مُلْكَهَا . وَتَكُونُ الأَرْضُ كَفَاثُورِ الْفِضَّةِ ، تُنْبِتُ نَبَاتَهَا بِعَهْدِ آدَمَ . حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى الْقِطْفِ مِنَ الْعِنَبِ فَيُشْبِعُهُمْ . وَيَجْتَمِعِ النَّفَرُ عَلَى الرُّمَّانَةِ فَتُشْبِعُهُمْ . وَيَكُون الثَّوْرُ بِكَذَا وَكَذَا ، مِنَ الْمَالِ . وَتَكُونَ الْفَرَسُ بِالدُّرَيْهِمَاتِ » قَالُوا : يَارَسُولَ اللهِ ! وَمَا يُرْخِصُ الْفَرَسَ ؟ قَالَ : « لا تُرْكَبُ لِحَرْبٍ أَبَدًا » قِيلَ لَهُ : فَمَا يُغْلِي الثَّوْرَ ؟ قَالَ : « تُحْرَثُ الأَرْضُ كُلُّهَا . وَإِنَّ قَبْلَ خُرُوجِ الدَّجَّالِ ثَلاثَ سَنَوَاتٍ شِدَادٍ ، يُصِيبُ النَّاسَ فِيهَا جُوعٌ شَدِيدٌ . يَأْمُرُ اللهُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الأُولَى أَنْ تَحْبِسَ ثُلُثَ مَطَرِهَا ، وَيَأْمُرُ الأَرْضَ فَتَحْبِسُ ثُلُثَ نَبَاتِهَا . ثُمَّ يَأْمُرُ السَّمَاءَ فِي الثَّانِيَةِ ، فَتَحْبِسُ ثُلُثَيْ مَطَرِهَا ، وَيَأْمُرُ الأَرْضَ ، فَتَحْبِسُ ثُلُثَيْ نَبَاتِهَا . ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ

= (حكمًا) : أي حاكمًا بين الناس .

(مقسطًا) : أي عادلاً في الحكم .

(يدق الصليب) : أي يكسره بحيث لايبقى من جنس الصليب شيء .

(ويذبح الخنازير) : أي يحرم أكله ، أو يقتله بحيث لا يوجد في الأرض ليأكله أحد والحاصلُ أنه يبطل دين النصارى .

(ويضع الجزية) : أي لا يقبلها من أحد من الكفرة ، بل يدعوهم إلى الإسلام .

(ويترك الصدقة) : أي الزكاة ، لكثرة الأموال .

(فلا يسعى) : قال في النهاية : أن يترك زكاتها فلا يكون لها ساع .

(حمة) : بالتخفيف السّمّ . ويطلق على إبرة العقرب للمجاورة ، لأن السمّ منها يخرج .

(تُفِرّ) : أي تحمله على الفرار .

(وتُسْلَبُ قُرَيشٌ مُلْكَها) : أي : تسترده من أيدي الكفرة والظلمة ، لأن المهديَّ من قريش .

(كفاثور الفضة) : : الفاثور : الخوان . وقيل : هو طست أوجام من فضة أو ذهب .

(القطف) : العنقود . وهو اسم لكل مايقطف كالذّبح والطّحن . =

السَّماءَ ، فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ ، فَتَحْبِسُ مَطَرَهَا كُلَّهُ ، فَلا تَقْطُرُ قَطْرَةً ، وَيَأْمُرُ الأَرْضَ ، فَتَحْبِسُ نَبَاتَهَا كُلَّهُ ، فَلا تُنْبِتُ خَضْرَاءَ . فَلا تَبْقَى ذَاتُ ظِلْفٍ إلا هَلَكَتْ إلا مَاشَاءَ اللَّهُ » . قِيلَ : فَمَا يُعِيشُ النَّاسَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ ؟ قَالَ : « التَّهْلِيلُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ ، وَيُجْرَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مُجْرَى الطَّعَامِ » .

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ : سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ الطَّنَافِسِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمنِ الْمَحَارِبِيَّ يَقُولُ : يَنْبَغِي أَنْ يُدْفَعَ هذَا الْحَدِيثُ إِلَى الْمُؤَدِّبِ ، حَتَّى يُعَلِّمَهُ الصِّبْيَانَ فِي الْكُتَّابِ .

١٠٧٦ ـ * روى الحاكم عن حُذَيفةَ بنِ أَسِيدٍ رضي الله عنه ، قال أبو الطُّفَيلِ الليثيُّ : كنتُ بالكوفة ، فقيل : قد خَرَجَ الدَّجَّالُ ! فأتينا حُذَيفَةَ بنَ أسيد ، فقلتُ : هذا الدجَّالُ قدَ خرَجَ ! فقال : اجلسْ فجلستُ ، فنُودِيَ إنَّهُ كَذِبَةُ صَبَّاغ .

فقال حُذَيفة : إنَّ الدجَّالَ لو خَرَجَ في زمانِكم لرمَتْهُ الصِّبيانُ بالخَذَف ، ولكنه يَخرجُ في نَقْصٍ من الناس ، وخِفَّةٍ من الدّين ، وسُوءِ ذاتِ بَيْنٍ ، فيَرِدُ كلَّ مَنْهَلٍ ، وتُطْوَى لـه الأرضُ طيَّ فَرْوَةِ الكَبْش حتى يأتي المدينةَ فيَغلِبَ على خارجِها ، ويُمنَعَ داخِلَها ، ثم جَبَلَ إيلياء فيُحاصِرَ عصابةً من المسلمين .

فيقولُ لهم الذي عليهم : ماتَنتظرون بهذا الطاغية أن تقاتلوه حتى تَلْحقوا باللهِ أو يُفتَحَ

= (فلا تقطر قطرة) : في المصباح : يتعدى ولا يتعدى . هذا قول الأصمعيّ . وقال أبو زيد : لا يتعدى بنفسه . بل بالألف .

(الظِّلف) : في المنجد : هو لما اجترّ من الحيوانات كالبقرة والظبي ، بمنزلة الحافر للفرس .

١٠٧٦ ـ المستدرك (٤ / ٥٢٩ ، ٥٣٠) . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد وأقره الذهبي . والحديث موقوف لفظًا ، مرفوع حكمًا .

قال الشيخ عبد الفتاح .

(كذبة صَبَّاغ) أي كَذِبَةُ كذَّاب . وأطلقوا لفظ الصبَّاغ على الكذَّاب لأنه يصْبُغُ الحديث ، أي يُلوِّنه ويُغيِّره كما يفعَلُ الصبَّاغ بالثياب .

(الخَذَفُ) : صِغَارُ الحَصَى .

(وسُوء ذاتِ بَيْنٍ) : أي يخرجُ والعداواتُ متأجِّجةٌ بين الناس : الأقارب والأباعد .

(مَنْهَل) : المنهل : مَوْرِدُ الماء الذي يُشرَبُ منه .

(فَرْوَة الكَبْش) : أي جِلدِ الكبش من الغنم . وهذا كناية عن سُرعة سيره في قطع المسافات .

(إيلياء) : مدينة بيت المقدس . ويعني بجبَلها : جَبَلَ الطُّور .

=

لكم ؟ فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا ، فيُصبحون ومعهم عيسى ابنُ مريم ، فيَقْتُلُ الدجَّالَ ، ويَهزِمُ أصحابَه . حتى إنَّ الشَّجَرَ والحَجَرَ والمَدَرَ يقولُ : يامؤمنُ هذا يهودي عندي فاقْتُلْه .

قال : وفيه ثلاثُ علامات ، هو أعور . وربُّكم ليس بأعور . ومكتوبٌ بين عَينيه : (كافر) ، يَقرأه كلُّ مؤمنٍ أمِّي وكاتبٍ ولا يُسخَّر له من المطايا إلا الحمار ، فهو رِجْسٌ على رِجْس .

ثم قال : أنا لَغَيْرُ الدجَّالِ أخوفُ عليَّ وعليكم ! فقلنا : ماهو ؟ قال : فِتَنٌ كأنها قِطَعُ الليل المُظْلِم . قال : فقلنا : أيُّ الناسِ فيها شَرٌّ ؟ قال : كلُّ خطيبٍ مِصْقَعٍ ، وكلُّ راكبٍ مُوْضِعٍ . قال : فقلنا : أيُّ الناس فيها خير ؟ قال : كلُّ غنيّ خفي . قال : فقلتُ ماأنا بالغنيّ ولا بالخفيّ ، قال : فكُنْ كابنِ اللَّبُون : لا ظَهْرَ فيُركَب ، ولا ضَرْعَ فيُحْلَب .

١٠٧٧ ـ * روى الحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، ذُكِرَ عنده الدجَّالُ فقال : يَفترق الناسُ عندَ خُروجه ثلاثَ فِرقٍ : فِرقةٌ تَتْبَعُه ، وفِرقةٌ تَلْحَقُ بأرض آبائها بِمنابتِ الشِّيح ، وفِرقةٌ تأخُذُ شَطَّ الفُرات فيُقاتِلُهم ويُقاتِلُونه حتى يَجتمع المؤمنون بقُرَى الشَّام ، فيَبعثون إليه طَلِيعةً فيهم فارسٌ على فَرَسٍ أشقرَ أو أبلَق ، فيُقْتَلُون لا يَرجِعُ منهم أحَدٌ . ثم إنَّ المَسيحَ عليه السلام يَنزِلُ فيَقْتُلُهُ .

(فهو رِجْسٌ على رِجْس) : أي فهو قَذرٌ على قَذرٍ .

(خطيب مِصْقَع) : أي كلُّ خطيبٍ بليغِ اللسان . ويريد به الخطيبَ البليغ الذي يخْدَعُ ببلاغته وفصاحته العقولَ والألباب ، فيُريها الباطل حقًا والحقَّ باطلاً .

(راكبٌ مُوضِعٌ) : أي مُسْرِع . ويريد به مَنْ يَخفُّ ويُسرعُ في الفِتنة ونُصرة الباطل وتأييد دُعاته .

(كل غنيّ خفيّ) : أي كلُّ غنيِّ النَّفْس معتزلٍ عن الناس ، مُختفٍ عليهم مكانُه منقطعٍ إلى العبادة والشغل بأمور نفسه أيامَ الفِتَن والأهواء .

(اللبون) : الناقة ذاتُ اللَّبَن تُرضِعُهُ ولدَها . وابنُ اللَّبون هو ولدُها الصغير الذي مايزال يَرْضَعُ لبنَ أمِّه . فهو لصغره لا يُمكِن أن يُركَبَ عليه لقتال ونحوه ، ولا أن يكون فيه لبنٌ ليُحلَب فيُتغَذَّى بلبنه . فيَبْقَى بعيداً عن أن يُستعانَ به في أمرٍ من أمور الفتنة . اهـ . من التصريح بما تواتر في نزول المسيح .

١٠٧٧ ـ المستدرك (٤ / ٤٩٦ ـ ٤٩٨) . وقال : صحيح على شرط الشيخين .

ولم يتكلم عليه الذهبي بشيءٍ سوى أنه من رواية أبي الزَّعْراء عبدِ الله بن هانئ . انتهى . ولا شكَّ أن أبا الزعراء ثقةٌ ، كما صَرّح به في « التهذيب » وغيره ، فعدمُ تخريجها عنه لا يَضُرُّ بصحّةِ الحديث .

قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة :

ثم يَخرُجَ يـأجوجَ ومـأجـوج فيَمُـوجـون في الأرض فيُفسـدون فيهـا ، ثم قرأ عبـدُ الله : ﴿ وهُمْ مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُون ﴾ [1] . ثم يَبْعَثُ اللهُ عليهم دابَّةً مثلَ النَّغَف ، فتَـدْخُـلُ في أسماعِهم ومَنَاخِرِهم فيموتون منهـا ، فتُنتنَ الأرضَ منهم ، فيَجـأرُ أهلُ الأرض إلى الله ، فيرسلُ اللهُ ماءً فيُطَهِّرَ الأرضَ منهم ، ثم يَبْعَثُ الله ريحًا فيهـا زمهريرٌ بـاردة ، فلا تَـدَعُ على وجـه الأرض مؤمنًا إلا كفأَتْهُ تلك الريحُ . ثم تقوم السَّاعةُ على شِرارِ النَّاس .

ثم يقومُ مَلَـكُ الصُّور بين السَّماء والأرض ، فيَنْفُخُ فيـه فـلا يَبقَى خَلْـقٌ لله في السماوات والأرض إلا مات إلا من شاء ربُّـك . ثم يكون بين النَّفختين مـاشـاء الله أن يكون ، فليس من بَنِي آدم خَلْـقٌ إلا وفي الأرض منـه شيء . ثم يُرسِـلُ الله مَـاءً من تحتِ العَرْشِ كَمَنِيِّ الرِّجَال ، فتَنْبُتُ جُسْمانُهم ولُحْمانُهم من ذلك الماء ، كما تَنْبُتُ الأرضُ من الرَّي ، ثم قرأ عبـدُ الله: ﴿ اللهُ الذي أَرْسَلَ الرِّياحَ فتُثِيرُ سَحَابًا فسُقْنَـاهُ إلى بَلَدٍ مَيِّتٍ فأحيَيْنَا به الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها كذلك النُّشُورُ ﴾ [2] .

ثم يقومُ مَلَـكٌ بـالصُّورِ بين السَّماء والأرض ، فيَنْفُخُ فيـه فتَنْطَلِقُ كلُّ نَفْسٍ إلى جَسَـدِهـا حتى تَدخُلَ فيه ، فيقومون فيُجَيُّون تَجْبِيَـةَ رَجُلٍ واحـدٍ قيـامًـا لربِّ العـالمين . ثم يَتمثَّلُ اللهُ تعـالى للخَلْقِ فيَلْقـاهم ، فليس أحَـدٌ مِن الخَلْقِ يَعْبُـدُ مِن دونِ اللهِ شيئًـا إلا وهو مرفـوعٌ لـه يَتْبَعُه .

= تعليق الذهبي هذا على كلام الحاكم إنما علّقه على سياقة الحاكم هذه في كتاب الأهوال من « المستـدرك » ٤ : ٥٩٨ ـ ٦٠٠ ، ولكنَّ الحاكم ساقه قبلَ ذلك في موضعين من كتاب الفتن ، ومن طريق أبي الزُّعْراء أيضًا ، مطوَّلاً كسيـاقـة كتـاب الأهوال في ٤ : ٤٩٦ ـ ٤٩٨ ، ومختصراً في ٤ : ٥٥٦ ، وقـال في كلا الموضعين : « هـذا حـديث صحيـح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » . وأقرّه الذهبي فرمز إلى أنه على شرطهما ، فكأنَّ الـذهبي جَنَح في هـذين الموطنين إلى إقرار الحاكم ذهابًا منه إلى أن أبا الزُّعْراء ثقة فهو على شرطهما من حيث كونه ثقة وإن لم يُخرجا له .

وقال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ١١ : ٣٢٠ بعد ذكره طرفًا من الحديث من روايـة البيهقي من طريق أبي الزُّعْراء : ورواتُهُ ثقات إلا أنه موقـوف » . اهـ (التصريح) .

والمعجم الكبير (٩ / ٤١٣ ـ ٤١٦) .

مجمع الزوائد (١٠ / ٣٢٨ ـ ٣٣٠) . وقـال : رواه الطبراني وهـو مـوقـوف مخـالف للحـديث الصحيـح وقـول النبي ﷺ : « أنا أول شافع » .

ورواه ابن أبي شيبة ، وعبْدُ بن حُمَيـد ، وابن أبي حـاتم ، والبيهقي في « البعث والنشور » : الـدر المنثور ـ تفسير سورة القلم(٦ / ٢٥٧ ـ ٢٥٨) .

(١) الأنبياء : ٩٦ . (٢) فاطر : ٩ .

فيَلْقى اليهودَ فيقول : ماكنتُم تَعْبُدون ؟ فيقولون : نَعْبُدُ عُزَيرًا ، فيقول : هل يَسرُّكم الماء ؟ فيقولون : نَعَمْ ، فيُريهم جَهنم كهيئةِ السَّراب ، ثم قرأ عبدُ الله : ﴿ وعَرَضْنَا جهنَّمَ يومئذٍ للكافرين عَرْضًا ﴾ (١) .

ثم يَلْقَى النَّصارىٰ فيقول : ماكنتُم تَعْبُدون ؟ فيقولون : المَسيحَ ، فيقول : هل يَسرُّكم الماء ؟ فيقولون : نَعَمْ ، فيُريهم جَهنَّم كهيئة السَّراب .

ثم كذلك كلُّ مَنْ كان يَعْبدُ من دونِ الله شيئًا ، ثم قرأ عبدُ الله : ﴿ وقِفُوهم إنَّهم مَسْئُولون ﴾ (٢) .

ثم يَتمثَّلُ اللهُ تعالى للخَلْقِ حتى يَبْقى المسلمون فيَلْقَاهم ، فيقول : مَنْ تَعْبُدُون ؟ فيقولون : نَعْبُدُ اللهَ ولا نُشرِكُ به شيئًا ، فَيَنْتَهِرُهم مرَّتينِ أو ثلاثًا فيقولُ : مَنْ تعبدون ؟ فيقولون : نعبُدُ اللهَ ولا نُشرِكُ به شيئًا ، فيقول : هل تَعرفون ربَّكم ؟ فيقولون : سبحانه إذ تَعرَّفَ لنا عَرَفناه ، فعند ذلك يُكشفُ عن ساق ، فلا يبقى مؤمنٌ إلا خَرَّ لله ساجدًا ، ويَبقى المنافقون ظُهورُهم طَبَقٌ واحدٌ ، كأنَّما فيها السَّفافيد ، فيقولون : ربَّنا ! فيقول : قد كنتُم تُدْعَون إلى السُّجود وأنتم سالمون .

ثم يأمُرُ الله سبحانه بالصراط ، فيُضْرَبُ على جهنَّمَ ، فيَمرُّ الناسُ بقَدْرِ أعمالهم زُمَرًا ، أوائلُهم كلَمْحِ البَرْق ، ثم كَمَرِّ الرِّيح ، ثم كَمَرِّ الطَّير ، ثم كأسرعِ البهائم ، ثم كذلك حتى يَمُرَّ الرجلُ سَعْيًا ، حتى يَمُرَّ الرجلُ مَشْيًا ، حتى يَجيءَ آخِرُهم رَجُلٌ يَتلَبَّطُ على بَطْنِه ، فيقول : يارَبِّ لِمَ أبطأتَ بي ؟ فيقول : لم أُبْطِئْ بك ، إنما أبطأ بك عَمَلُك !

ثم يَأذَنُ اللهُ تعالى في الشَّفاعة ، فيكون أوَّلُ شافع رُوح القُدُسِ جبريلَ ، ثم إبراهيمَ خليلَ الله ، ثم موسى ، أو قال : عيسى ، ثم يقومُ نبيُّكم رابعًا ، لا يَشفَعُ أحَدٌ بعده فيما يَشفعُ فيه وهو المقامُ المحمود الذي وعَدَه الله تعالى : ﴿ عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ ربُّكَ مَقامًا محمودًا ﴾ (٣) .

فليس من نَفْسٍ إلا وهي تَنْظُرُ إلى بَيْتٍ في الجَنَّة ، وبَيْتٍ في النَّار ، وهو يومُ الحَسْرَة !

---

(١) الكهف : ١٠٠ .　　(٢) الصافات : ٢٤ .

(٣) الإسراء : ٧٩ .

فيُرى أهلُ النار البيتَ الذي في الجنَّة فيقال : لو عملتم ؟ ! فتأخذهم الحسْرة ! ويُرَى أهلَ الجنَّة البيتَ الذي في النَّار فيقال : لولا أنْ مَنَّ الله عليكم .

ثم يَشفعُ الملائكةُ والنَّبيُّون والشُّهداءُ والصالحون والمؤمنون فيُشفِّعُهم اللهُ تعالى .

ثم يقول الله : أنا أرحَمُ الراحمين . فيُخرجُ من النَّار أكثرَ مما أخرَجَ من جميع الخلق برحمته ، حتى لا يَترُكَ فيها أحدًا فيه خير . ثم قرأ عبدُ الله : ﴿ ما سَلَكَكم في سَقَر * قالوا لم نَكُ من المُصلّين * ولم نَكُ نُطعِمُ المِسكينَ * وكُنّا نَخُوضُ مع الخائضين * وكُنّا نُكذِّبُ بيوم الدِّين ﴾ [1] . فعَقَدَ عبدُ الله بيده أربعًا ثم قال : هل تَرَوْنَ في هؤلاء أحدًا فيه خير ؟ لا ، وما يُترَكُ فيها أحَدٌ فيه خير !

فإذا أراد اللهُ أن لا يَخرجَ منها أحدًا غَيَّر وجوههم وألوانهم ، فيجيءُ الرَّجُلُ من المؤمنين فيَشفَع ، فيُقالُ له : من عَرَفَ أحدًا فليُخرِجْه . فيَجيءُ الرجلُ فيَنظُرُ فلا يَعرف أحدًا ، فيُناديه الرجلُ فيقولُ : يافلانُ أنا فلان . فيقول : ماأعرِفُك . فعند ذلك يقولون : ﴿ رَبَّنا أخرِجْنا منها فإنْ عُدْنا فإنّا ظالمون ﴾ [2] . فيقول عند ذلك : ﴿ اخسَئُوا فيها ولا تُكلِّمون ﴾ [3] . فإذا قال ذلك أُطبِقَتْ عليهم فلا يَخرُجُ منهم أحَدٌ !

شرح الشيخ عبد الفتاح وتعليقاته :

(**الشِّيح**) : يعني : البادية ، إذ الشِّيحُ : نَبْتٌ يَخرجُ في البادية .

(**الطَّليعةُ**) : جماعة يتقدَّمون الجيش ليكشفوا أحوال العدوّ .

(**أبلق**) : أي فيه سواد وبياض .

(**النغف**) : هو دُودٌ يكون في أنوف الإبل والغنم .

(**يجأرون**) : أي يتضرَّعون إلى الله بالدُّعاء .

(**الزمهرير**) : شدَّةُ البرد ، ووَصْفُهُ بالباردة نظراً لمعناه وإشارة إلى بالغ برودته . وفي

(١) المدثر : ٤٢ ـ ٤٦ .
(٢) المؤمنون : ١٠٧ .
(٣) المؤمنون : ١٠٨ .

رواية للحاكم : ٤ : ٥٥٦ ، « زمهريرٌ بارد » .

(كفأته) : أي أمالَتْهُ مَيتًا بلُطفٍ وراحة .

(الصُّور) : هو القَرْنُ الذي ينفخ فيه إسرافيلُ عليه السلام .

قوله : ﴿ فليس من بني آدم خلق إلا وفي الأرض منه شيء ﴾ :

« أي ليس من بني آدم مخلوقٌ إلا وفي الأرض جزءٌ منه . وهذا الجزء كما قال سفيان الثوري : « عَجْبُ الذَّنَب » كما في « تذكرة القرطبي » و « مختصرها » للشعراني ص ٤٠ . وعَجْبُ الذَّنب - ويقال : عَجْمُ الذَّنَب بالميم - : هو عَظْمٌ لطيف كَحبَّةِ الخردل في أصل الصُّلْب ، وهو رأسُ العُصْعُص بين الأليتين ، وهو مكانُ الذَّنَب من الحيوانات ذوات الأربع ، كما قاله الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ٨ : ٤٢٤ .

وقد روى البخاري ٨ : ٤٢٤ ، ومسلم ١٨ : ٩٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « كلُّ ابنِ آدم يأكلُه التُّراب إلا عَجْبَ الذَّنَب ، ومنهُ خُلِقَ ، ومنه يُرَكَّبُ الخَلْقُ يومَ القيامة » .

قال الحافظ ابن حجر : « قال الشيخ ابنُ عقيل الحنبلي : لله عزَّ وجلَّ في هذا سِرٌّ لا نعلمه ، لأنَّ من يُظهرُ الوجودَ من العَدَم لا يَحتاجُ إلى شيء يَبني عليه » . انتهى .

(كمَنِي الرجال) : أي من حَيْثُ شكلُه وصُورتُه ، لا من حيث الحقيقة . ويقالُ لذلك الماء : ماءُ الحياة ، ومَطَرُ الحياة .

(جسمانهم ولحمانهم) : أي أجسادُهم ولُحومُهم .

(من الرِّيِّ) : أي من ارتوائها بالماء . وفي رواية « من الثَّرى » أي التُّراب النَّديّ .

(فيُجبّون) : أي يَضعون أيديَهم على رُكَبِهم وهم قائمون . كما في « النهاية » .

(يتمثل الله تعالى للخلق) : أي يتجلَّى لهم سبحانه .

(السَّرابُ) : ماتراه في شِدَّة الحَرِّ على وجه الأرض كالماء .

تعليقًا على قوله : (من كان يعبد من دون الله شيئًا) :

« وفي حديث أبي هريرة عند البخاري ١٣ : ٣٥٧ ومسلم ٣ : ١٨ قوله ﷺ : « يَجمَعُ اللهُ الناس يوم القيامة فيقول : من كان يَعْبُدُ شيئًا فليَتْبَعْهُ ، فيَتْبَعُ من كان يعبدُ الشمسَ الشمس ، ويَتْبَعُ من كان يَعبُدُ القمرَ القمرَ ، ويَتْبَعُ من كان يَعْبُدُ الطواغيت الطواغيت ، وتَبْقى هذه الأُمّةُ فيها شافعوها » .

وفي حديث أبي سعيد الخدري ١٣ : ٣٥٨ ، ومسلم ٣ : ٢٦ قوله ﷺ : « ثم ينادي منادٍ : لِيَذْهَبْ كلُّ قومٍ إلى ماكانوا يعبدون ، فيذهب أصحابُ الصَّليب مع صليبهم ، وأصحابُ الأَوْثان مع أوثانهم ، وأصحابُ كلِّ آلهةٍ مع آلهتهم ، فلا يَبقَى أحدٌ كان يَعبُدُ غيرَ الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار » .

(إذا تعرّف لنا عرفناه) :

« أي إذا ظهر لنا على وجه لا يشبه المخلوقين ، في مُلكٍ لا ينبغي لغيره ، وعظمةٍ لا تشبه شيئًا من مخلوقاته : عرفناه أنه رَبُّنا سبحانه فيتجلّى لهم سبحانه ، فإذا تجلّى فلا يَبقَى مؤمنٌ إلا خرَّ لله ساجداً » .

تعليقًا على قوله : (فيكشف عن ساق) :

« وفي « صحيح مسلم » ٣ : ٢٧ ـ ٢٨ من حديث أبي سعيد الخدري قولُه ﷺ : « فيُكشَفُ عن ساقٍ ، فلا يَبْقَى من كان يسْجُدُ لله من تلقاء نفسه إلا أذِنَ اللهُ له بالسجود ـ أي سَهَّلَ له وهَوَّنَ عليه ـ ولا يَبقَى مَنْ كان يَسجُدُ اتقاءً ورياءً إلا جَعَلَ اللهُ ظهرَهُ طبقةً واحدةً ، كلّما أراد أن يَسجُدَ خرَّ على قَفَاه » .

(الطَّبقُ) : جمعُ طَبَقةٍ فقَارِ الظهر أي تستوي فقارُ ظهرهم فتصيرُ كالفَقَارةِ الواحدة فلا تَنْثني ظهورُهم ولا يقدرون على السجود .

(السفافيد) : هي جمعُ سَفُّود ، وهو الحديدة التي يُشوَى فيها اللَّحم .

(يأمر الله سبحانه بالصراط) : أي يأمر اللهُ سبحانه أن يُضرَبَ الجِسْرُ على جهنّم ليَعْبُرَ

المؤمنون عليه إلى الجنّة . وفي حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري ١٣ : ٣٥٩ ومسلم ٣ : ٢٩ قلنا : يا رسول الله وما الجسرُ ؟ قال : « مَدْحَضةٌ مَزَلَّة - أي تزْلَقُ عليه الأقدام وتَزِلّ - عليه خَطَاطيفُ وكلاليبُ وحَسَكٌ - شَوْكٌ صُلبٌ من حديد - لها شوكة عَقيفَة - ملتوية - فيَمُرُّ المؤمنون عليه كطَرْفِ العين ، وكالبَرْق ، وكالرِّيح ، وكالطَّير ، وكأجاويد الخيل والرِّكاب ، فناجٍ مُسلَّمٌ ، ومَخْدُوشٌ مُرسَلٌ - أي مُطْلَقٌ من العذاب بعد أن أصابه - ومكدوسٌ - مدفوع مصروع - في نار جهنّم » .

(زمراً) : أي جماعات .

(سعيًا) : أي ركضًا .

(يتلبّط) : أي يتقلب على بطنه .

تعليقًا على قوله : (ثم يقوم نبيّكم رابعًا) :

قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٠ : ٣٣٠ هذا مخالف للحديث الصحيح وقولِ النبي ﷺ : « أنا أوّل شافع » .

وقال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ١١ : ٣٦٩ عقب حديث ابن مسعود : وهذا الحديث لم يُصرَّح برفعه ، وقد ضعّفه البخاري وقال : المشهورُ قولُه ﷺ : « أنا أوّل شافع » . ثم قال الحافظ ابن حجر : وعلى تقدير ثبوته فليس في طُرُقه التصريحُ بأنه المقامُ المحمود . انتهى .

قلت : في السياقة المذكورة التصريحُ بذكر المقام المحمود ، فالحقُّ ماقاله الإمام البخاري والحافظ الهيثمي .

تعليقًا على قوله : (فيَرى أهل النار البيت الذي في الجنة ... ويُرى أهل الجنة البيت الذي في النار) :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لا يَدْخُلُ أحدٌ الجنّةَ إلا أُريَ مقْعَدَهُ من النّار - لو أساء - ليزداد شكرًا . ولا يَدْخُلُ النارَ أحدٌ إلا أُريَ مقعدَهُ من الجنّة -

لو أحْسَن ـ ليكون عليه حسرة » رواه البخاري ١١ : ٣٨٤ .

(فيـه خير) : أي إيمـان ولو كحبَّـة خردل . يَعني : يُخرج اللهُ من النـار ـ بعـد خروج. الذين عُذّبوا فيها من المؤمنين بشفاعة الأنبياء والملائكة والصالحين ... ـ كلَّ من كان في قلبـه إيمـانٌ بـالله ولو كحبَّـة خردل ، ولكن بعـد أن يُصيبَـه من عـذاب جهنَّمَ مـا يُصيبـه ! اهـ. (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

أقول :

رأينا ملاحظة ابن حجر على بعض ماورد في حديث ابن مسعود الأخير وموافقـة الشيخ عبد الفتاح له ، والحديث بشكل عام يعرض علينا مشاهد مما يكون قبل القيامة وممـا يكون بعدها ، وكثير من مشاهده تحتاج إلى وضعها في الإطـار الكلي لمـا يكون بين يـدي السـاعـة ومابعدها ، وقد مرَّ معنا وسيمر معنا مايوضح هذا الإطـار الكلي ، ونعرف محل كل جزء من الحديث بالنسبة للإطار الكلي .

والمشهور عنـد العلمـاء أن المقـام المحمود هو الشفـاعـة لفصل الخطـاب ثم الشفـاعـة لعبور الصراط ، ثم الشفاعة لدخول الجنـة ، والحـديث وصف المقـام المحمود بغير ذلـك ، وهو محمول على مقـام محمود لرسول الله ﷺ عـامـة وليس المراد بـه المقـام المحمـود المخصوص بـالـذكر في النصوص ، ولا مانع أن تكون هناك شفاعة من الشفاعات يكون البادئ فيهـا جبريل عليـه السلام ويكون رسولنا عليه الصلاة والسلام هو الرابع ، وهذه غير الشفـاعـة التي يكون فيهـا رسولنا عليه الصلاة والسلام هو أول الشافعين .

فوائد ومسائل

(١)

قال ابن كثير في كتابه (النهاية في الفتن والملاحم) :

وقد سأل سائل سؤالًا فقال :

ماالحكمة في أن الدجال مع كثرة شره وفجوره وانتشار أمره ودعواه الربوبية وهو في ذلك ظاهر الكذب والافتراء وقد حذر منه جميع الأنبياء لم يذكر في القرآن ويحذر منه ويصرح باسمه وينوه بكذبه وعناده ؟

والجواب : من وجوه ، أحدها : أنه قد أشير إلى ذكره في قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَت مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ [1] الآية .

قال أبو عيسى الترمذي [1] عند تفسيرها حدثنا عبد بن حميد حدثنا يعلى بن عبيد عن فضيل بن غزوان عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

« ثلاثٌ إذا خَرَجْنَ لم يَنْفَعْ نَفْسًا إيمَانُهَا لَم تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْل أو كسبتْ في إيمانها خَيْرًا : الدجالُ والدابةُ وطلوعُ الشمسِ من المغربِ أو من مغربها » .

ثم قال : هذا حديث حسن صحيح .

الثاني : أن عيسى ابن مريم ينزل من السماء الدنيا فيقتل الدجال كما تقدم وكما سيأتي وقد ذكر في القرآن نزوله في قوله تعالى :

﴿ وقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا المسيحَ عيسى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ ومَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ولَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وإنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ من علم إلا اتباعَ الظن وَمَاقَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيمًا * وإنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إلا

(١) الأنعام : ١٥٨ .

(١) الترمذي (٥ / ٢٦٤) ٤٨ ـ كتاب التفسير ، ٧ ـ باب « ومن سورة الأنعام » .

ليُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [١] .

وقد قررنا في التفسير أن الضمير في قوله قبل موته عائد على عيسى أي سينزل إلى الأرض ويؤمن به أهل الكتاب الذين اختلفوا فيه اختلافًا متباينًا ؛ فمن مدعي الإلهية كالنصارى ، ومن قائل فيه قولًا عظيمًا وهو أنه ولد ريبة وهم اليهود ، فإذا نزل قبل يوم القيامة تحقق كل من الفريقين كذب نفسه فيما يدعيه فيه من الافتراء ...

وعلى هذا فيكون ذكر نزول المسيح عيسى ابن مريم إشارة إلى ذكر المسيح الدجال شيخ الضلال وهو ضد مسيح الهدى ومن عادة العرب أنها تكتفي بذكر أحد الضدين عن ذكر الآخر كما هو مقرر في موضعه .

الثالث : أنه لم يذكر بصريح اسمه في القرآن احتقارًا له حيث يدعي الإلهية وهو ليس ينافي حالة جلال الرب وعظمتة وكبريائه وتنزيهه عن النقص فكان أمره عند الرب أحقر من أن يذكر وأصغر وأدخر من أن يحكى عن أمر دعواه ويحذر ؛ ولكن انتصر الرسل بجناب الرب عز وجل فكشفوا لأممهم عن أمره وحذروهم مامعه من الفتن المضلة والخوارق المضمحلة فاكْتُفِيَ بإخبار الأنبياء ، وتواتر ذلك عن سيد ولد آدم إمام الأتقياء عن أن يذكر أمره الحقير بالنسبة إلى جلال الله في القرآن العظيم ؛ ووكل بيان أمره إلى كل نبي كريم . ا . هـ (النهاية) .

(٢)

مرّ معنا حديث المغيرة بن شعبة والذي فيه عن الدجال : « وهو أهون على الله من ذلك » . وقد علق ابن كثير في النهاية على هذا الحديث فذكر رواية مسلم ، وذكر أن البخاري رواه أيضًا ، ومن كلامه :

عن المغيرة بن شعبة قال ماسأل أحد النبي ﷺ عن الدجال أكثر مما سألته ، قال وما سؤالك ؟ قال : إنهم يقولون : إن معه جبالًا من خبز ولحم ونهرًا من ماء ؟ قال :

« هو أهون على الله من ذلك » .

---

(١) النساء : ١٥٧ ـ ١٥٩ .

وقد تقدم حديث حذيفة وغيره أن ماءه نار وناره ماء بارد وإنما ذلك في رأي العين ، وقد تمسك بهذا الحديث طائفة من العلماء كابن حزم والطحاوي وغيرهما في أن الدجال ممخرق مموه لا حقيقة لما يبدي للناس من الأمور التي تشاهد في زمانه بل كلها خيالات عند هؤلاء .

والذي يظهر من الأحاديث المتقدمة أن الدجال يمتحن الله به عباده بما يخلقه معه من الخوارق المشاهدة في زمانه كما تقدم أن من استجاب له يأمر السماء لتمطرهم.والأرض فتنبت لهم زرعًا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم وترجع إليهم سمانًا ومن لا يستجيب له ويرد عليه أمره تصيبهم السنة والجدب والقحط والعلة وموت الأنعام ونقص الأموال والأنفس والثمرات . وأنه تتبعه كنوز الأرض كيعاسيب النحل . ويقتل ذلك الشاب ثم يحييه . وهذا كله ليس بمخرقة بل له حقيقة امتحن الله به عباده في ذلك الزمان فيضل به كثيرًا ويهدي به كثيراً ، يكفر المرتابون ، ويزداد الذين آمنوا إيمانًا . وقد حمل القاضي عياض وغيره على هذا المعنى معنى الحديث :

« هو أهون على الله من ذلك » .

أي هو أقل من أن يكون معه مايضل به عباده المؤمنين . وماذاك إلا لأنه ظاهر النقص والفجور والظلم ، وإن كان معه مامعه من الخوراق . اهـ (النهاية) .

(٣)

قال الشيخ عبد الفتاح أبوغدة :

وقد بيّنَ سيدُنا رسولُ الله ﷺ أوصافَ هذا الدجّال وأحوالَه.وأفعالَه ونهايتَه أوفى بيان ، ...

وإليك بعضَ أحوالِهِ كما ذكره الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ١٣ : ٨٦ و ٨٩ ـ ٩٠ مما رواه ـ خاصّةً ـ الصحابيُّ الجليل أبو سعيد الخُدري رضي الله عنه ، قال : إنّ النبي ﷺ قال:

« إنه يهودي ، وإنه لا يُولَد له ولد ، وإنه لا يَدْخُلُ المدينة ولا مكّة » . رواه

مسلم في « صحيحه » ١٨ : ٥٠ ، « وإنَّ عينَه اليُمنَى عوراءُ ، جاحظة ، لا تَخفَى ، كأنها نُخاعةٌ ـ أي نُخَامة ـ في حائطٍ مُجَصَّص ، وعينَه اليُسْرَى كأنها كوكبٌ دُريٌّ ـ يعني شِدَّةَ اتقادها ـ معه من كلِّ لِسان ، ومعه صُورةُ الجنَّةِ خضراءَ تجري فيها الماء ، وصورةُ النارِ سوداءَ » . رواه أحمد في « مسنده » ٣ : ٧٩ ، « وبَيْنَ يديه رَجُلانِ يُنذِرانِ أهلَ القُرَى ، كلما خَرَجا من قرية دخَلَ أوائلُهُ » . رواه أبو يَعْلَى والبزّار .

وذكرَ الحافظُ ابن حجر موطنَ خروجه فقال في « فتح الباري » أيضًا ١٣ : ٧٩ : وسيكون خُروجُه مِن قِبلِ المشرق جزمًا ، ثم جاء في رواية أنه يَخرجُ مِن خُراسان ، أخرج ذلك أحمد والحاكم من حديث أبي بكر ، وفي رواية أخرى : أنه يَخرجُ من أصبهان ، أخرجها مسلم . ويَخرجُ أولاً فيدَّعي الإيمانَ والصَّلاح ، ثم يدَّعي النُّبُوَّة ، ثم يدَّعي الإلهية !

ثم قال الحافظ رحمه الله تعالى في « فتح الباري » ١٣ : ٩١ - ٩٣ « قال الخطّابي : فإنْ قيل : كيف يجوزُ أن يُجريَ اللهُ الآيةَ على يد الكافر ؟ فإنَّ إحياء الموتى آيةٌ عظيمةٌ من آياتِ الأنبياء ، فكيف ينالُها الدجّالُ وهو كذّابٌ مُفْتَرٍ يدَّعِي الربوبيَّة ؟

فالجواب : أنه على سبيل الفتنة للعبّاد ، إذْ كان عندهم مايَدُلُّ على أنه مُبْطِلٌ غيرُ مُحقٍّ في دعواه ، وهو أنه أعور ، مكتوبٌ على جبهته : كافر ، يقرأه كلُّ مسلم . فدعواه داحضةٌ مع وَسْمِ الكفر ، ونقصِ الذاتِ والقَدْر ، إذ لو كان إلهًا لأزالَ ذلك عن وجهه وآياتُ الأنبياء سالمةٌ من المُعَارَضة ، فلا يَشتبهان » .

ثم قال الحافظ ابن حجر بعد كلام الخطابي هذا : وفي الدجّال دلالةٌ بيِّنةٌ ـ لمن عقلَ ـ على كذبه ، لأنه ذو أجزاءٍ مؤلَّفة ، وتأثيرُ الصَّنْعة فيه ظاهر ، مع ظهور الآفة به من عَوَرِ عَيْنيه ، ـ أي عيبها ـ فإذا دعا النّاسَ إلى أنه ربُّهم ، فأسْوأُ حالِ مَنْ يَراه من ذوي العقول أن يَعلم أنه لم يكن لِيُسَوِّيَ خَلْقَ غيره ويُعدِّله ويُحسِّنَه ولا يَدفعَ النقصَ عن نفسه . فأقلُّ مايجب أنْ يقول : يامَنْ يزعَمُ أنه خالقُ السماء والأرض ، صَوِّرْ نَفْسَك وعَدِّلْها ، وأزِلْ عنها العاهةَ ! فإن زعمت أن الرَّبَّ لا يُحدِثُ في نفسه شيئًا فأزِلْ ماهو مكتوب بين عينيك!

ثم قال الحافظ رحمه الله تعالى : وقال القاضي عِيَاض : في هذه الأحاديث حُجَّةٌ لأهلِ

السُّنَّة في صحّةِ وجود الدّجال ، وأنه شخصٌ معيَّن ، يَبتلي اللهُ به العباد ، ويُقدِرُه على أشياءَ كإحياء الميت الذي يقتله ، وظهورِ الخِصب ، والأنهارِ ، والجنة والنار ، واتّباعِ كنوز الأرض لـه فتَنبيت ، وكلُّ ذلـك بمشيئـة الله تعـالى ، ثم يُعجِزُه اللهُ فـلا يَقْـدِرُ على قتـل ذلـك الرجـلِ ولا غيرِه ، ثم يُبطِلُ أمرَه ، ويقتلُه عيسى ابنُ مريم عليه الصلاةُ والسلام .

وقال الشيخ أبو بكر بن العربي : الذي يَظهرُ على يَدِ الـدّجـال من الآيـات : من إنزالِ المطر والخِصب على من يُصَدِّقُه ،والجَدْبِ على من يُكذِّبُه ، واتّباعِ كنوز الأرض له ، ومامعه من جنةٍ ونار ، ومياهٍ تَجري ، كلُّ ذلك مِحْنـةٌ من الله واختبـار ، ليَهلـكَ المرتـاب ، وينجو المتيقن ، وذلك كلُّه أمرٌ مَخُوف ، ولهذا قال ﷺ : لا فِتْنَة أعظمُ من فتنـةِ الـدجّـال . وكان ﷺ يَستعيذُ منها في صلاته تشريعًا لأُمّتهِ ﷺ .

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى في « شرح صحيح مسلم » ١٨ : ٥٨ ـ ٥٩ ، بعـدَ ذكر أحاديثِ الدّجال ... [وبعد ذكر كلام القاضي عياض السابق ذكره] :

هذا مذهبُ أهل السنة والجماعة وجميع المحدّثين والفقهاء والنُظّار خلافًا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعضِ المعتزلة ... اهـ (التصريح)

أقول :

وقد ذهب بعض أهل العصر إلى مقولة لم يقلها أحد من قبل ، فأوّلَ أحـاديث الـدجـال بـأن المراد بها الحضـارة الغربيـة لأنها حضـارة عوراء وهو تـأويل يكفر بـه من يعتقـد أن النصوص لا تحتمل ذلك بحال من الأحوال ، وهي نصوص متواترة والإجمـاع منعقـد على أنها تصف شخصًا بعينه ، وهناك فارق بين مايحتمل التـأويل وبين مـا لا يحتملـه ، وهـذا الفـارق لا يعرفـه إلا الراسخـون في العلم ، فـإذا تنطـع لـه من ليس مظنـة العلم والاستقـامـة ضَـلَّ وأضَلَّ .

وهل الفرق الباطنية المجمع على كفرها إلا أصحاب التأويل الفاسد الذي يخرج قطعيات الشريعة إلى معانٍ أخرى ؟!

(٤)

قال الشيخ عبد الفتاح تعليقًا على قوله عليه الصلاة والسلام : « يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة ... » :

(وقال العلامةُ ابنُ مَلَك : « وهذا القولُ في تفسير امتداد الأيام الثلاثة جارٍ على حقيقته ، ولا امتناعَ فيه ، لأن الله قادر على أن يزيد كلَّ جزء من أجزاء اليوم الأوّلِ حتى يصير مقدارَ سنة ، خارقًا للعادة ، كما يزيد في أجزاء ساعة من ساعات اليوم » .

قال العلامة علي القاري في المرقاة شرح المشكاة » ٥ : ١٩٥ بعد نقلِه كلامَ ابنِ مَلَكٍ المذكور : وهذا القولُ الذي قررهُ لا يَفيد إلا بسطَ الزمان كما وقع له ﷺ في قصة الإسراء مع زيادةٍ على المكان .

لكن لا يخفى أن سببَ وجوب كلِّ صلاةٍ إنما هو وقتُها المقدَّر من طلوعِ صبحٍ ، وزوالِ شمس ، وغروبِها ، وغيبوبةِ شفقها ، وهذا لا يُتَصَوَّرُ إلا بتحقُّق تعدُّدِ الأيام والليالي على وجه الحقيقة ، وهو مفقود .

فنقول - وبالله التوفيق ومنه المعونة في التحقيق - قد تَبيَّن لنا بإخبار الصادق المصدوق صلواتُ الله تعالى وسلامُه عليه أنَّ الدجّال يَبْعَثُ معه مِن المُشَبِّهات ويَفيضُ على يديه من التمويهات . مايَسلُبُ عن ذوي العقول عقولَهم ، ويَخطَفُ من ذوي الأبصار أبصارهم ، فمن ذلك تسخيرُ الشياطين له ، ومجيئُه بجنّةٍ ونار ، وإحياءُ الميت على مايَدَّعيه ، وتقويتُه على من يُريدُ إضلالَه تارةً بالمطر والعُشْب ، وتارةً بالأزْمة والجَدْب .

ثم لا خفاءَ أنه أسحَرُ الناس ، فلم يستقم لنا تأويلُ هذا القول إلا أن نقول : إنه يأخُذُ بأسماعِ الناس وأبصارِهم ، حتى يُخيَّلَ إليهم أن الزمان قد استمرَّ على حالةٍ واحدة : إسفارٌ بلا ظلام ، وصَباحٌ بلا مساء ، يحسبون أنَّ الليل لا يَمُدُّ عليهم رِواقَه ، وأنَّ الشمس لا تَطوي عنهم ضياءَها ، فيَبْقَون في حيرة والتباس من امتداد الزمان ، ويَدْخل عليهم دواخلُ باختفاء الآيات الظاهرة في اختلاف الليل والنهار ، فأمَرَهم ﷺ أن يجتهدوا عند مصادمة تلك الأحوال ، ويُقدِّروا لكل صلاةٍ قدْرَها ، إلى أن يَكشِفَ اللهُ عنهم تلك الغُمّة . هذا الذّي اهتدينا إليه من

التأويل ، والله الموفق لإصابة الحق وهو حسبنا ونعم الوكيل . انتهى) اهـ (التصريح) .

أقول :

الذي ذهبت إليه أثناء العرض للنصوص أن اليوم الأول كسنة في الشدّة واليوم الثاني كشهر في الشدّة واليوم الثالث كأسبوع في الشدّة . وبكلام فضيلة الشيخ عبد الفتاح أصبح أمامك اتجاهان يمكن أن يحمل عليهما النص ، ولا يبعد أن يكون هناك سبب وراء ذلك الطول في تلك الأيام ، فالذي دعانا إلى حمل هذه النصوص على غير ظاهرها نصوص أخرى من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن بقاء يوم مستمر سنة كاملة قبل طلوع الشمس من مغربها لا يستغرب معه أن تطلع الشمس من مغربها بعد ذلك ، مع أن الشارع رتب على هذه القضية مارتب ، ثم إذا لم تكن المسألةُ محمولةً على شيءٍ مالا نستطيع تصوره فإن اليوم الذي كسنة في حق بعض الناس سيكون منيراً في حقهم مظلمًا بحق ناس آخرين بسبب كروية الأرض ، فهذه الأشياء وأمثالها دعت إلى التأويل أو إلى التفسير مع احتمال أن يكون للمسألة سرها الذي يُعرف في إبانه ، ولذلك فمع أننا ذهبنا إلى ماذهبنا إليه ونقلنا مانقلناه فإننا نرجح التسليم خاصةً وسياق النصوص ليس لصالح التأويل .

(٥)

تعليقًا على قوله عليه الصلاة والسلام : « وآخر أيامه كالشررة » . الوارد في حديث ابن ماجه عن أبي أمامة قال الشيخ عبد الفتاح حفظه الله :

هذا يخالف ماتقدم في حديثِ النوّاس بن سمعان ، فقد جاء فيه أن إقامة الدجّال في الأرض : « أربعون يومًا ، يومٌ كسنة ، ويوم كشهر ، ويومٌ كجمعة ، وسائرُ أيامِهِ كأيامكم » . وهو حديث صحيح أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه والإمام أحمد كما تقدّم . وحديثُ أبي أمامة هذا - على صِحته - في سَنَدِه مقال فيُقدَّمُ عليه الحديثُ الصحيحُ الذي لا كلامَ في سنده .

والظاهرُ أن ماوقع في هذا الحديث من مغايرة للحديث الصحيح في مُدّة مُكْثِ الدَّجال في الأرض : إنما هو مِن اشتباه بعضِ الرواة وتَصرُّفاتهم ، كما قرّرهُ المؤلّفُ الإمام الكشميري

رحمه الله تعالى في قاعدة له تراها في كتابه « فيض الباري على صحيح البخاري » (٤ : ٤٤-٤٧).

وبعد ما استظهرتُ هذا الاستظهار رأيتُ حديثَ أبي أُمامة في « مستدرك الحاكم » ٤ : ٥٣٦ - ٥٣٧ ، وقد جاء فيه تحديدُ مُكثِ الدجّال موافقًا لما جاء في « صحيح مسلم » ، ولفظُهُ : « وإنّ أيامه أربعون ، فيومٌ كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، ويوم كالأيام ، وآخِرُ أيامه كالسَّراب ، يُصبحُ الرجلُ عند باب المدينة فيُمسي قبل أن يَبلغ بابَها الآخر » . فجَزَمْتُ بأن الرواية الواقعة في « سنن ابن ماجه » وقع فيها اشتباهٌ وتصرفٌ من بعضِ الرواة ، كما قرَّرهَ شيخُ شيوخنا المؤلِّفُ إمام العصر الكشميري في قاعدته المشار إليها ، فرحمةُ الله عليه ورضوانُه العظيم ، وجَزَى الله خيرَ الجزاء أستاذَنا العلامة المفيد الشيخ محمد بَدْر عالَم على تبسيطه قاعدة شيخه المؤلف الإمام الكشميري فيما علَّقه عليها .

وعلى فَرْضِ قبولِ هذه الرواية في التحديد لإقامة الدجّال قال العلامة على القاري في « المرقاة شرح المشكاة » ٥ : ٢١١ « ولعلَّ وجهَ الجمع بين الروايتين اختلافُ الكمّيّة والكيفيّة ، كما يشيرُ إليه قولُه : السَّنةُ كشهر . فإنه محمول على سرعة الانقضاء ، كما أن ما سبق من قوله : يومٌ كسنةٍ . محمولٌ على أنَّ الشّدة في غاية الاستقصاء ، على أنه يمكن اختلافُه باختلاف الأحوال والرجال . انتهى . اهـ (التصريح) .

أقول :

ماذكره الشيخ ملا علي القاري يمكن أن نستأنس به لما ذهبنا إليه أن اليوم الأول كسنة في الشدة ، وهكذا ، ومن المعروف أن استغراق الإنسان في أمر ما ينسيه الوقت فلا يحس به ، ولذلك كان الشعور بالوقت نسبيًا ، فمن كان في شدة أحس بطول الوقت ومن كان في لذة لم يشعر بالوقت ، ومن كان مستغرقًا في أمر لم يحس بمرور الزمن ، فلعل المراد هو ذلك.

(٦)

قال الشيخ عبد الفتاح في السؤال والجواب الواردين : « ما إسراعه في الأرض ؟ قال : كالغيث استدبرته الريح ... » :

(وفي رواية « الدر المنثور » للسيوطي ٤ : ٣٣٧ « كالغيثِ يَشتدُّ به الريحُ » . والمرادُ بالغيث هنا : الغيمُ ، إطلاقًا للمُسَبَّب على السبب ، أي يُسرعُ في الأرض إسراعَ الغَيْمِ تسوقُه الريحُ بقوّة وعُنف . وإنما يُسرعُ هذا الإسراع كي لا يَتأمَّلَ الرّعاعُ المغترّون به حالَهُ ودلائلَ نقصِه وعيوبه ، فينكشفَ لهم دَجَلُه ، ويتَّضحَ لهم كذبُه ، وتَبطُلَ عندهم دعاويه الباطلةُ المزوَّرة .) . اهـ (التصريح) .

(٧)

قال الشيخ عبد الفتاح حفظه الله :

وقد عقدَ العلامة السَّفّارينيُّ المتوفَّى سنة ١١٨٨ رحمه الله تعالى في شرح منظومته في العقيدة المسمَّى « لوامع الأسرار البهية » ٢ : ١٠٦ تنبيهاتٍ ، وقال : التنبيهُ الثالثُ : مما ينبغي لكلِّ عالِمٍ : أن يَبُثَّ أحاديثَ الدجّال بين الأولاد والنساء والرجال ، وقد قال الإمامُ ابن ماجه : سمعتُ الطَّنافسي يقول : سمعتُ المُحاربيَّ يقول : ينبغي أن يُدفَعَ هذا الحديثُ يعني حديثَ الدجّال إلى المؤدِّب حتى يُعلِّمه الصبيان في الكُتّاب . وقد وَرَدَ أنَّ من علامات خروجه نسيان ذكره على المنابر . وقد أخرج الإمام أحمد وابن خُزَيمة وأبو يَعْلَى والحاكم عن جابر بن عبد الله مرفوعًا : « يَخرجُ الدجّالُ في خِفةٍ من الدين ، وإدبارٍ من العلم » . فينبغي لكلِّ عالم التذكيرُ به ولا سيا في زماننا هذا الذي اشرَأَبَّتْ فيه الفِتَن ، وكَثُرَتْ فيه المِحَن ، واندرسَتْ فيه معالمُ السُّنَن ، وصارت السُّنَّةُ فيه كالبِدَع ، والبِدعَةُ شَرْعٌ يُتَّبَع !) . اهـ (التصريح) .

(٨)

الدجال في سطور

تأليف العلامة الشيخ محمد شفيع ، وننقله هنا من التصريح مع شيء من الحذف :

* **خروج الدجال قبل نزول عيسى عليه السلام :**

ـ يخرج الدجال من بين الشام والعراق .

* أمارات الدجال وأوصافه :

- مكتوب بين عينيه كافر بشكل ك ف ر .

- يكون أعور العين اليسرى .

- بعينه اليمنى ظفرة غليظة .

- يدور في جميع أنحاء العالم .

- ولا يبقى على وجه الأرض موضع محفوظ من شره إلا مكة والمدينة .

- يحرس الملائكة أبوابها ولا يستطيع الدجال أن يدخلها .

- ويقيم حيث تنتهي السبخة من الظريب الأحمر بعدما يدفعه الملائكة من الحرمين .

- ويأخذ أرض المدينة زلازل تخرج المنافقين من المدينة ، ويلتحق المنافقون رجالهم ونساؤهم بالدجال .

- يكون معه نهران يقول لأحدهما : إنه جنة . ولثانيهما : إنه نار . فمن أدخل الذي يسميه الجنة فهو النار ، ومن أدخل الذي يسميه النار فهو الجنة .

- يركب حماراً عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعًا .

- يكون معه شياطين تكلم الناس .

* أحوال الدجال الأكبر :

- يأمر السحاب فيمطر .

- وتجدب الأرض متى شاء .

- يبرئ الأكمه والأبرص .

- يأمر كنوز الأرض فتخرج وتتبعه .

- يقتل شابًا ويقطعه بالسيف نصفين ثم يدعوه فيأتي حيًا ضاحكًا .

ـ يكون معه سبعون ألف يهودي ، كلهم ذو سيف محلى وساج .

ـ يفترق الناس ثلاث فرق : فرقة تتبعه ، وفرقة تلحق بأرض آبائها ، وفرقة تقـاتلـه على شاطئ الفرات .

ـ يجتمع المسلمون بقرى الشام فيبعثون إليه طليعة .

ـ يكون في هذه الطليعة فارس على فرس أشقر أو أبلق فيقتلون ولا يرجع منهم أحد .

ـ حينما ينظر الدجال إلى المسيح عليه السلام يذوب كما يذوب الملح في الماء .

ـ وحينئذ ينهزم جميع اليهود .

اهـ (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) .

* * *



الفهرس

الموضوع الصفحة






Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٢٠ شارع الأزهر فاكس ٢٦٢١٧٥٠
ت : ٩٣٢٨٢٠ ، ٢٦٣١٥٧٨

Dar Al Salam
PRINTING PUBLICATION & DISTRIBUTION
120 azhar.st fax 2621750
tel 932820 - 2631578

دار السلام


Dar Al Salam
PRINTING PUBLICATION
& DISTRIBUTION
120 azhar.st fax 2621750
tel 932820 - 2631578

